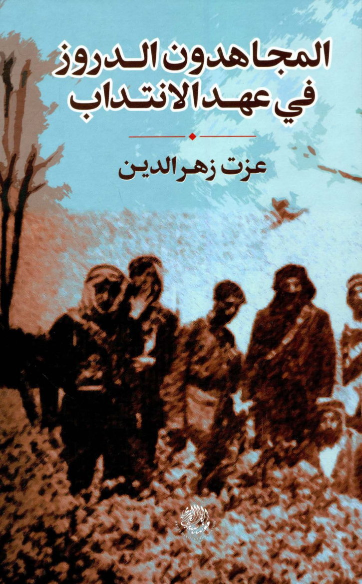

المجاهدون الدروز
في عهد الانتداب
عزت زهر الدين

المجاهدون الـدروز
في عهـد الانتـداب

عزت زهر الدين
المجاهدون الدروز في عهد الانتداب

الناشر
مؤسسة التراث الدرزي
لندن، المملكة المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لمؤسسة التراث الدرزي 2004

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو استنساخه أو ترجمته بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشرين.

الطبعة الأولى 2004، بيروت، لبنان

Izzat Zaher al-Dīn
Al-Mujāhidūn al-Durūz fī ʿAhd al-Intidāb
al-Qāda al-siyāsiyyūn wal-majmūʿāt al-muqātila

Druze Resistant Under the Mandate
The Political Leaders and Fighting Bands

ISBN 1-904850-04-9

Published by the
Druze Heritage Foundation
48 Park Street, London W1K 2JH, UK
Tel: 020 7629 7761
Fax: 020 7499 3386
www.druzeheritage.org

Copyright © 2004 Druze Heritage Foundation

عزت زهر الدين

المجاهدون الدروز في عهد الانتداب

القادة السياسيون والمجموعات المقاتلة



تمهيد

حين دعاهم الواجب للدفاع عن الشرف الرفيع، كان هاجسهم استقلال وطنهم وفرض سيادة أبنائه عليه، يدفعهم إيمانهم الكبير بتاريخهم المجيد وبانتمائهم العربي الأصيل.

من هؤلاء المناضلين من سلك طريق السياسة ومنهم من خاض معارك العزّة والكرامة. لقد اختاروا جميعاً طريق الجهاد النبيل والنضال الوطني الشريف فحقّ لهم ما أرادوا.

يسرّ مؤسّسة التراث الدرزي أن تنشر هذا الكتاب «المجاهدون الدروز في عهد الانتداب» لمؤلفه السيّد عزت زهر الدين آملين أن يشكّل مرجعاً لهذا الرصيد الضخم من الأعمال الجبارة والكبيرة التي قام بها هؤلاء المجاهدون الأشاوس في فترة تاريخية عصيبة مرّ بها الوطن الغالي، وحتى يبقى جليل عملهم مدوّناً في الصفحات المشرقة من تاريخنا.

سليم خير الدين

مؤسّسة التراث الدرزي

لندن ٢٠٠٤/١١/١٧

المحتويات

مدخل تاريخي

شهد العام ١٩١٦ بداية انهيار الإمبراطورية العثمانية في المشرق العربي، بعد استعمار استمرّ أربعة قرون من الزمن، ابتداء من العام ١٥١٦، وبسطوا سلطتهم على بلاد الشام، ثمّ الحجاز باسم الإسلام.

ورغم هذه الحقبة الزمنية الطويلة، لم يستطع العثمانيون، وخصوصاً في بداية القرن العشرين، استقطاب أبناء هذه البلاد إلى جانبهم، في حروبهم ضد الحلفاء، بدءاً من العام ١٩١٤، نتيجة محاولاتهم بشتى الوسائل تتريكه، ثم حرمانه من إقامة استقلال ذاتي ولو في حدّه الأدنى، مما دفع الشعب العربي، عبر قادته ومفكريه، إلى استغلال هذه الفرصة التاريخية، وإعلان الثورة العربية ضدهم.

إعلان الثورة العربية في الحجاز

كان فيصل، نجل الشريف حسين، في دمشق، يقوم في بداية العام ١٩١٥[١]، باتصالات مع معظم القيادات السورية الوطنية، في لقاءات سرّية، تهدف إلى مساعدة الشريف في الثورة على العثمانيين، واستمرت اتصالاته مدّة لا بأس بها أعطت نتائج جيدة. وفي شهر أيار، أرسل والده بطلبه إلى الحجاز، فاستطاع بواسطة الحيلة، أن يخدع جمال باشا ويفلت من يديه، بعد أن أوهمه بأنه سيتوجه بجيش كبير لإخراج الإنكليز من ترعة السويس ومصر، فتمكن من التخلص من قبضة جمال باشا والوصول إلى الحجاز.

وفي العاشر من شهر حزيران عام ١٩١٦، أعلن الشريف حسين الثورة[٢]، وفي حملة جهادية مقدسة ضد الأتراك، ناعتاً إياهم بالأعداء ومغتصبي

الخلافة الإسلامية[٣]، وبدأت الثورة، فاحتلت القوات العربية والعشائر في الحجاز مدينة مكة المكرمة، ثم الطائف، ثمّ جدّة، ثمّ المدينة المنوّرة وكانت قوات من بلاد الشام والعراق، تؤازر الشريف حسين في عملياته العسكرية، وخلال فترة لم تتجاوز الشهور الأربعة، استطاعت القوات العربية تحرير بلاد الحجاز بأكملها، وفي الخامس من تشرين الأول ١٩١٦، أُعلن الشريف حسين ملكاً على البلاد العربية، لكن هذا الإعلان لم يرق للإنكليز والفرنسيين والإيطاليين، فلم يعترفوا بعرشه إلا على بلاد الحجاز فقط [٤].

ومع بداية صيف ١٩١٨، كانت فلسطين والأردن والمنطقة السورية الجنوبية قد تحررت كلياً، وبدأ الجند التركي يغادر دمشق منسحباً باتجاه مدينة حلب الشمالية، وفي سباق مع الزمن، كانت القوات العربية تتقدم نحو دمشق من جميع المحاور، واستطاعت دخولها في الثلاثين من أيلول.[٥]

الصحن العربي على مائدة الحلفاء

رأى الحلفاء في العام ١٩١٦، أن البلاد العربية تشكّل مادة دسمة اقتصادية لا يمكن تجاهلها، فاتفق الحلفاء فيما بينهم في العام ١٩١٦، على اقتسام البلاد التي يحكمها العثمانيون، وكانت المنطقة العربية من نصيب الإنكليز والفرنسيين، إضافةً إلى اتفاقهم على قيام وطن قومي يهودي في فلسطين، وإن تنفيذ هذا الاتفاق سيتم بعد إحراز الحلفاء النصر على العثمانيين.

اتفاقية سايكس – بيكو

على الرغم من الاتفاقية السابقة في العام ١٩١٦، كانت تجري مباحثات سرّية في مصر بين المندوب البريطاني في القاهرة مارك سايكس والمندوب الفرنسي مسيو جورج بيكو، استمرت شهوراً عديدة، أثمرت اتفاقية سيئة ضد العرب الأحرار المناضلين، وأقرّتها الدولتان في التاسع من أيار ١٩١٦، وعُرفت باتفاقية سايكس – بيكو، حيث بقيت طيّ الكتمان ولم يطّلع عليها العرب إلا في أوائل العام ١٩١٨. ونصت على ما يلي:[٦]

١. تعترف فرنسا وبريطانيا بقيام دولة عربية في سوريا والعراق تحت حمايتهما.

٢. يكون لفرنسا حق الأولوية في تقديم الأموال والقروض اللازمة، وأن تنشئ إدارة تمدّها بما تحتاجه من مستشارين داخل سوريا، والشيء نفسه في العراق بالنسبة لبريطانيا.

٣. تكون فلسطين تحت إشراف دولي، ويكون لبريطانيا ميناء حيفا وعكا، ويحق لفرنسا نقل بضائعها عبر هذين المرفأين، ويكون لبريطانيا نفس الشيء في ميناء الإسكندرونة، وخط السكك الحديدية داخل سوريا.

٤. يجري مد خط السكك الحديدية بغداد – حلب بمساعدة الدولتين، ويحق لبريطانيا مد خط من حيفا إلى داخل المناطق السورية.

٥. لا يجري أي تعديل في المعاملات الجمركية داخل المناطق المذكورة دون اتفاق الدولتين.

٦. لا تتنازل فرنسا عن حقوقها في سوريا للدولة العربية أو للحلف العربي إلا بعد موافقة مسبقة من بريطانيا.

٧. تستمر المفاوضات مع العرب باسم الحكومتين المتعاقدتين لتأمين حدود الدولة العربية أو الحلف العربي.

٨. لا تلحق الدولتان المتعاقدتان بأراضيهما، بصفتهما حاميتين للدولة العربية أو للحلف العربي، أقطاراً في شبه الجزيرة العربية، ولا تسمحان لدولة ثالثة بمثل هذا الإلحاق، أو بإنشاء قاعدة بحرية على ساحل البحر المتوسط.

(لا بد من الإشارة إلى أن هذه الاتفاقية تعرّضت إلى التعديل في فترة لاحقة لصالح الإنكليز).

إعلان الحكومة العربية في دمشق

الحكومة الأولى

في ٢٧ أيلول ١٩١٨[٧]، عقد المفكرون والقادة في دمشق اجتماعاً موسّعاً في المجلس البلدي، وقرروا تشكيل حكومة مؤقتة، ريثما تصل الجيوش العربية وتدخل العاصمة، منعاً لحصول أعمال الفوضى. وقد تمّ اختيار الأمير سعيد الجزائري رئيساً لهذه الحكومة في السابع والعشرين من أيلول ١٩١٨، معلناً الإخلاص للشريف حسين وللثورة العربية، وأرسل برقيات إلى جميع المناطق السورية واللبنانية طالباً تأييد الحكومة العربية.

الحكومة العربية الثانية

لم تستطع هذه الحكومة برئاسة الأمير سعيد الجزائري، الاستمرار في إمساك زمام المبادرة لأكثر من ثلاثة أيام، فمع دخول القوات العربية إلى دمشق، حُلّت هذه الحكومة وتمّ اختيار الفريق رضا باشا الركابي(٨) ليؤلف حكومة مع إبقائه في منصبه كحاكم عام عسكري على سوريا الداخلية. وشكّل الركابي حكومته تحت لواء الشريف فيصل، وأرسل مندوبه شكري باشا الأيوبي إلى لبنان، فوصل إلى بيروت، حيث رفع العلم العربي فوق سرايا بيروت ثم بعبدا، وأقسم حبيب باشا السعد الحاكم الإداري لجبل لبنان يمين الولاء للحكومة العربية في دمشق وللشريف حسين.

بيروت وجبل لبنان في أواخر ١٩١٨م

لم يمكث اللواء شكري باشا الأيوبي مبعوث رضا باشا الركابي رئيس الحكومة العربية إلى بيروت سوى عشرة أيام، حيث اضطر إلى مغادرة المدينة، بأمر من الحاكم العسكري الفرنسي للمنطقة الغربية الكولونيل دو بياباب، الذي تحرّك سريعاً، وأنزل العلم العربي عن سرايا بيروت وبعبدا ليل ١٠ — ١١ تشرين الأول ١٩١٨ ورفع مكانه العلم الفرنسي(٩). وقد قسّم المفوض السامي الفرنسي مسيو جورج بيكو المنطقة الغربية إلى ثلاث مقاطعات هي:

الأولى: بيروت وجبل لبنان وطرابلس وصور وصيدا ومرجعيون ودُعيت لبنان الكبير، ثم أُضيفت إليها مناطق حاصبيا وراشيا والبقاع وبعلبك في أيلول ١٩٢٠م.

المقاطعة الثانية: اللاذقية.

المقاطعة الثالثة: الإسكندرونة.

الموقف السياسي لدروز لبنان من الانتداب الفرنسي

أيّد الدروز في جبل لبنان الحكومة العربية في دمشق، وأسهموا في إنجاحها، عبر مشاركتهم في القيام بأدوار مهمة في جميع مديريّاتها، إضافة إلى تطوّع قسم كبير من صفوف العسكر. وقد كان لهم شرف مبايعة فيصل في توكيله لمؤتمر الصلح الذي انعقد في باريس في أول أيلول ١٩١٩. وقد

كان للدروز في لبنان موقف مهم في رفضهم للانتداب، تجلّى في مؤتمر عيناب أمام اللجنة الأميركية، حيث طالبوا برفض الانتداب الفرنسي وإقامة الدول العربية.

مؤتمر عيناب

وافق مؤتمر الصلح في ٢٥ آذار ١٩١٩ على إرسال لجنة تحقيق، تتولى دراسة دقيقة ميدانية، تشمل المنطقة الغربية والشرقية وفلسطين، تقف فيها على آراء الناس في تقبّلهم للانتداب أو رفضهم له، وقد رفضت فرنسا المشاركة فيها، كما رفضت بريطانيا، واقتصرت هذه اللجنة على مبعوثين أميركيين فقط[١٠]، وكانت فرنسا وبريطانيا تهدفان إلى تهميش دور هذه اللجنة دولياً، واعتبار قراراتها غير ملزمة لهما، وهذا ما حصل فيما بعد.

بدأت جولة اللجنة في فلسطين، ثم انتقلت إلى دمشق، وفي السابع من تموز قدِمت اللجنة إلى بيروت، وفي الحادي عشر من تموز ١٩١٩ وصلت إلى بلدة عيناب، وفي هذه البلدة، إلتقت بوفود مختلفة من عدّة طوائف في لبنان، ولكن الوفد الدرزي كان أكبرها وأهمها[١١]، فتكلم بإسم الوفد الدرزي رشيد جنبلاط، وأسعد وعلي تلحوق[١٢]، حيث أيّدوا في كلامهم مقرارات المؤتمر السوري العام، الذي يطلب الانتداب الأميركي إذا كان لا بد من إشراف دولي، أو الانتداب البريطاني إذا تمنّع الأميركيون، ويرفض المؤتمر رفضاً قاطعاً الانتداب الفرنسي.

في هذا المؤتمر، برز الصراع الدرزي – الدرزي السياسي إلى العلن، فقسم لا يقبل الانتداب وهو يشكل نسبة كبيرة، وإن قضت الظروف الدولية في حكمها، فليكن الانتداب للأميركيين أو الإنكليز، وفئة قليلة طالبت بالانتداب الفرنسي.

معركة ميسلون وسقوط الحكومة العربية

جاء انعقاد المؤتمر السوري في السادس من آذار ١٩٢٠ في دمشق، وتتويج فيصل ملكاً على سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن، ليشكّل صدمة للبريطانيين والفرنسيين على السواء، فرأى الفرنسيون أن نفوذهم بدأ يتراجع،

وأتت مبادرة أعضاء مجلس الإدارة الوطنية في العاشر من تموز ١٩٢٠، لتشكل ضربة للجهود الفرنسية، السياسية والدبلوماسية، الرامية إلى بسط سلطتها ونفوذها الفعليين على الساحة اللبنانية خصوصاً والسورية عموماً. فقامت السلطة الفرنسية بحملة اعتقالات ضد هؤلاء الأعضاء الوطنيين.

وفي ٢٢ آذار ١٩٢٠، اجتمع في بعبدا ممثلون عن مختلف الطوائف اللبنانية، بتشجيع فرنسي، وأعلنوا استقلال لبنان عن سوريا. كما قام وفد من لبنان ضمّ المطران عبد الله الخوري والأمير توفيق أرسلان والسيد إميل إده والسيد يوسف الجميل، بالذهاب إلى باريس والمطالبة بإعلان استقلال لبنان. وفي ذلك الوقت، تمّ رفع العلم اللبناني، مكان العلم الفرنسي، وهو نفسه تقريباً تتوسطه الأرزة، وذلك بإشراف القومندان الفرنسي لابرو.

وفي ٢٤ نيسان ١٩٢٠، عُقد مؤتمر سان ريمو الذي أطلق يد فرنسا في سوريا الداخلية ولبنان، وأعطى العراق وفلسطين وشرق الأردن للإنكليز، بموافقة إيطاليا واليابان، وامتناع روسيا والولايات المتحدة عن المشاركة في المقررات[١٣]. وقد قام الجنرال أللنبي، بإبلاغ الملك فيصل هذه المقررات.

هذه التبدلات الدولية في رسم حدود الانتدابات، وما قابلها من رفض شعبي وحكومي في سوريا ولبنان، تتوّج بتمرد مجلس الإدارة في جبل لبنان[١٤]، وتشدّد القائد يوسف العظمة في مواجهة الأطماع الفرنسية، يسانده في مواقفه، الشيخ الثائر كامل القصّاب، وعدد من أركان الضباط الأحرار في الجيش الفيصلي في دمشق. عندها قامت السلطة الفرنسية بتوجيه إنذارها الشهير إلى الملك فيصل في ١٤ تموز ١٩٢٠[١٥]، حيث طلب غورو، بسحب الجيش العربي إلى الثكنات، وقبول الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان.

توالت الاجتماعات في دمشق بعد الإنذار الفرنسي، وكانت جلسات الحكومة العربية شبه متواصلة، والشارع الشعبي في غليان، يدعو إلى مواجهة الفرنسيين المصمّمين على دخول دمشق. أما الحكومة فرغم ما أجرته من المفاوضات الدؤوبة، وما قدّمته من التنازلات، ما عدا القائد يوسف العظمة، فإن كل ذلك لم يحل دون تنفيذ ما كان يخطط له الجنرال غورو.

وفي ٢١ تموز ١٩٢٠ بدأت القوات الفرنسية بالتقدم نحو سوريا[١٦]، عبر طريق وادي القرن، مخالفة الاتفاقات المعقودة بين الطرفين، فتصدى لها المجاهدون الثوّار والجيش العربي، فدمّروا عدة آليات، اضطرت على أثرها القوات الفرنسية إلى الانسحاب.

وفي الخامس والعشرين من تموز ١٩٢٠، دخل الجيش الفرنسي دمشق دون مقاومة، بعد أن تكبّد في يوم ميسلون أكثر من أربعماية قتيل في المواجهات مع المجاهدين الثوار.

الأحكام العرفية في دمشق

وفي الأول من آب ١٩٢٠، أُعلنت الأحكام العرفية، وقام الجنرال غوابيه بإصدار بلاغ طلب فيه نزع سلاح الجيش السوري وتحويله إلى قوة شرطة، وانتهاء حكم الملك فيصل. وفرض غرامات باهظة على الحكومة السورية، ونزع السلاح من أبناء الشعب السوري منعاً لأيّة ردّات فعل أو مقاومة، كما تمّ الإيعاز إلى تقديم كبار القادة الثوار والمفكرين المناوئين للانتداب إلى المحاكمة. إضافة إلى ذلك، أصدرت السلطة الفرنسية بعد اجتماع للمجلس الحربي، بلاغاً عسكرياً يقضي بالإعدام ومصادرة ممتلكات أكثر من ٥٥ مجاهداً من سوريا ولبنان وفلسطين والعراق لاشتراكهم في مقاومة الانتداب، وذلك في التاسع من آب عام ١٩٢٠.

تحوّل الموقف السياسي الدرزي من الانتداب الفرنسي

وبالرغم من التحوّل السياسي لقسم كبير من القيادات الدرزية من رفض للانتداب إلى موالاته في أواخر ١٩١٩ و١٩٢٠، فإن ذلك لم يقف أمام تطلعات الجماهير الرافضة، والتي عبّرت عن هذا الرفض الصارم، في مشاركتها في معركة ميسلون، واستشهاد العشرات منهم هناك. إن هذا التحوّل السياسي في موقف القيادة السياسية الدرزية من الانتداب الفرنسي جاء نتيجة أسباب عدة، نوجزها على الشكل الآتي:

١. علّق قادة الدروز على الدور البريطاني في المشرق آمالاً كباراً، خصوصاً في دعمهم للشريف حسين وثورته، والمساعدة في تخليصهم من

حكم الأتراك، ولكن بدأ الوهن يتسرب إلى عزائمهم رويداً، خصوصاً بعد إنزال العلم العربي عن سرايا بيروت وسرايا بعبدا، وسكوت الإنكليز ودعمهم للموقف الفرنسي.

٢. اتفاق فرنسا وبريطانيا على اقتسام التركة العثمانية في بلاد المشرق، وإطلاق يد الفرنسيين في سوريا ولبنان، وسحب الإنكليز لقوّاتهم من هذين البلدين.

٣. وقوف الأميركيين والروس على الحياد، وترك المنطقة رهن تصرف قوتين فقط، دون أن يكون لهم أي دور في صياغة مقررات الوصاية.

٤. الدعم الفرنسي غير المحدود للمسيحيين والموارنة تحديداً، والسير نحو إعلان لبنان بلداً مستقلاً منفصلاً عن سوريا والعرب.

٥. تطلع القيادات الدرزية إلى الحفاظ على مواقع نفوذها في الجبل، وعدم ضياع ما حققته من مكتسبات ميدانية، حيث بدأ فريق آخر يحاول الحلول مكانها.

٦. إبعاد الدروز عن المشاركة في الحكم العربي في سوريا، حيث أن حكومة الركابي المُشكّلة في آذار ١٩٢٠ وحكومة هاشم الأتاسي المُشكّلة في أيار ١٩٢٠[١٧] استبعدت في تركيبتها الدروز في سوريا ولبنان. الاحتجاج الدرزي على هذا التصرّف صارخاً، الأمر الذي دفع بالدروز في سوريا إلى تشكيل وفد في ١٩٢٠/١٠/٢٧ إلى زيارة الجنرال غورو في بيروت الذي استقبلهم بكل ترحاب[١٨].

موقف دروز وادي التيم من الانتداب

قبل عام ١٩١٨، كانت منطقة وادي التيم ترتبط تاريخياً بسوريا، بالمناطق التي يقطنها الدروز مثل الغوطة وحوران والإقليم. وعند إعلان اتفاق لويد جورج – كليمنصو، ثار سكان المنطقة احتجاجاً على تقسيم سوريا، وجاءت ذروة الرفض بعد اتفاق فيصل – كليمنصو، الذي كرّس وجود حاكم فرنسي إلى جانب المعتمد العربي في راشيا[١٩]. فقام دروز المنطقة بتوقيع عرائض شعبية تطالب برفض الانتداب الفرنسي[٢٠]، كما طالبوا بعدم سلخ منطقتهم، وبإبقائها تحت حكم الحكومة العربية في دمشق.

ورغم ذلك، فإن هذه التطورات الآنية والدراماتيكية، منذ نهاية عام ١٩١٩ وحتى العشرين من تموز ١٩٢٠، لم تنطفئ الشعلة العربية المتوقدة في قلوب الثوار الدروز. وما إن أيقن هؤلاء أن الفرنسيين زاحفون نحو دمشق، حتى هبّوا من وادي التيم، كما هبّ إخوانهم في جبل لبنان، للدفاع والتصدي للفرنسيين في خان ميسلون. وقد كانوا سابقاً في طليعة المجاهدين العرب، إلى جانب الشريف حسين، في الحجاز ومعان وعمان ودرعا ودمشق وحلب وسواها. وقدّم دروز وادي التيم كوكبة من الشهداء في معركة ميسلون التاريخية، على أبواب مدينة دمشق، ظناً منهم بأن النصر قادم لا محال، وأن كل العرب سيواجهون الغطرسة العسكرية الفرنسية، ويردّونها خائبة. ولكن هذه الآمال ذهبت هباءً، وبرزت الحقائق المؤلمة، حيث حقّق الفرنسيون انتصاراً كاسحاً ودخلوا دمشق، ثم بسطوا سلطتهم على كامل سوريا الداخلية وجميع المناطق اللبنانية.

الدروز ودولة لبنان الكبير

في ٣٠ آب ١٩٢٠ أصدر الجنرال غورو، المفوض السامي في الشرق، مرسوماً قضى بإنشاء «دولة لبنان الكبير». وفي الأول من أيلول جرى احتفال كبير في بيروت بمناسبة هذا الإعلان، وكان الدروز في عهد مجلس إدارة جبل لبنان يشكلون العنصر الثاني في تركيبة هذا السنجق القائمة على الثنائي الماروني - الدرزي، أمّا في دولة لبنان الكبير، فطرأ تحوّل في توزيع الطوائف حيث أصبح الدروز في المرتبة الخامسة بعد الموارنة والسنّة والروم الأرثوذكس والشيعة.

التمثيل الدرزي في المجلس الإداري الجديد

نجح الفرنسيون في كسب الدروز إلى جانبهم في أواخر ١٩١٩ و١٩٢٠، وإصدار عفو عن معظم المناوئين لهم، وقد اتفق الطرفان الدرزيان على موالاة الفرنسيين، والوقوف صفاً واحداً في مواجهة الهيمنة المارونية السياسية والعسكرية في الجبل خصوصاً، وفي لبنان الكبير عموماً.

ولكن بعد حل المجلس الإداري في ١٢ تموز ١٩٢٠، تمّ تشكيل

مجلس إداري جديد في ٢٢ أيلول ١٩٢٠، عيّنه الجنرال غورو، مؤلّف من ١٧ عضواً، وتمثل فيه الدروز بعضوين، هما رشيد جنبلاط ومصطفى العماد الذي توفي بعد فترة وجيزة، ولم يتم اختيار خلفٍ له، حتى صدر مرسوم آخر بناءً على طلب غورو، قضى بإقامة مجلس تمثيلي في ٨ آذار ١٩٢٢[٢١]، وحُددت الانتخابات في العاشر منه. وقد تمثل الدروز بعضوين من أصل ثلاثين عضواً، وهما فؤاد أرسلان ورشيد جنبلاط.

أما الدروز في هذه الدولة الجديدة، فأُصيبوا بصدمة كبيرة من جراء تجاهل السلطة المنتدبة لوجودهم وفعاليتهم، فانتقصت من مستوى تمثيلهم في مختلف المراتب والمناصب. ففي عهد مجلس الإدارة شكل الدروز ربع المجلس، ولكن في المجلس الإداري الأول في دولة لبنان الكبير، والمجلس الثاني التمثيلي، شكل الدروز نسبة ضئيلة قياساً لعددهم ووزنهم السياسي في لبنان، حيث تمّ تهميش دورهم، مما دفع جريدة الصفاء في ٢ حزيران ١٩٢٢ إلى كتابة افتتاحية بعنوان: «كبر لبنان فصغر الدروز».

السياسة الفرنسية المنحازة وراء التهميش

إن الإجراءات القاسية التي قام بها الفرنسيون وأعوانهم بدءاً من ١٩٢١ حتى ١٩٢٤، لم تستطع إطفاء الجذوة الثورية الدرزية، وأن تلجم التوتر الموجود بين المعارضين للوجود الفرنسي والموالين له. وقد استتبع ذلك نزوح عدد كبير من أبناء الجبل ومنطقة راشيا وحاصبيا إلى إمارة شرق الأردن، وقسم منهم التجأ إلى جبل الدروز. فكان هؤلاء نخبة من القادة والمجاهدين، رأوا أنّ لديهم في الخارج هامشاً للتحرك أوسع مما هو داخل لبنان، حيث كانت هذه الفئة تتطلع إلى الفرصة المناسبة كي تعود إلى ضرب الفرنسيين، وتقويض نفوذهم في لبنان، إلى أن جاءت ثورة ١٩٢٥ - ١٩٢٦ في سوريا، فكانت مناسبة كبيرة لتحقيق ما يصبون إليه، في تحرير لبنان وتوحيده مع سوريا.

الموقف السياسي لدروز جبل لبنان من الثورة

بعد نجاح الثورة في السيطرة على منطقة وادي التيم، دبّ الرعب في صفوف الفرنسيين والمسيحيين في جبل لبنان، فقام الفرنسيون بتحصين

المواقع في الشوف وجزين وأقاموا الشرائط الشائكة حول ثكناتهم العسكرية[٢١]، خوفاً من تقدم الثوار، أو من قيام تحرّك درزي داخلي، ولكن قيادة الثورة في وادي التيم، اتفقت مع قادة الدروز في جبل لبنان على منع انتقال الثورة إلى «لبنان الصغير» السابق[٢٢]، حيث شاهد القادة ما حلّ من دمار وخراب في وادي التيم، فأرادوا تجنيب البلاد الدمار والفِتن الطائفية.

هذا بالنسبة إلى الوضع العام في المنطقة في ذلك العصر. أما بالنسبة إلى هذا الكتاب، فهو يحتوي على قسمين: الأوّل يدرج سيرٍ لقادةٍ من دروز لبنان كان لهم دور بارز ومآثر كبيرة سياسيّاً وعسكريّاً واجتماعيّاً في هذه الحقبة المحوريّة من تاريخ المشرق العربي، وهم عادل أرسلان، عادل النكدي، رشيد طليع، فؤاد سليم، سامي سليم ونصري سليم؛ والثاني يدرج سير لأعضاء من المجموعات المقاتلة وأفراد من المقاتلين من دروز لبنان الذين اشتركوا في مقاومة الانتداب. وقد حاولنا إدراج السير في كلّ من القسمين حسب الترتيب التاريخي وتسلسله، إلاّ في الحالات التي تعذّر لنا ذلك لأسباب فنّية.

هوامش: مدخــل تاريخي

١ ستيفن هامسلي لونغريغ، مرجع سابق، ص ٧٠.

٢. يوسف الحكيم، ص ١٢.

٣ يوسف الحكيم، ص ١٢.

٤ يوسف الحكيم، ص ١٣.

٥ مذكرات سلطان باشا الأطرش، مطبعة القدس، فلسطين، ج١، ص ٣٥.

٦ يوسف الحكيم، مرجع سابق، ص ٢٨.

٧ يوسف الحكيم، ص ١٩.

٨ ستيفن هامسلي لونغريغ، ص ٨٨، يُشير إلى ما يلي: «أوكل لورنس باسم فيصل مهمة الحكم المباشر (تنفيذاً لترتيبات قديمة العهد) إلى رضا باشا الركابي الذي كان على صلة سابقة بالقوات البريطانية».

٩ مسعود الخوند، لبنان المعاصر، مشهد تاريخي وسياسي عام، طُبع في لبنان، إصدار خاص، ص ١١٨، يقول: «إن هذا القرار أُتخذ بموافقة ألّلنبي الذي دخل بيروت في ١٩١٨/١١/٨».

١٠ ستيفن هامسلي لونغريغ، مرجع سابق ص ١١٦.

١١ جورج حنا، من الاحتلال إلى الاستقلال، لبنان في ربع قرن، ط١ ١٩٤١ بيروت، ص ٢١.

١٢ جريدة الحقيقة، عدد ١٥ تموز ١٩١٩.

١٣ يوسف الحكيم، مرجع سابق، ص ١٥٥.

١٤ يوسف الحكيم، مرجع سابق، ص ١٦٥.

١٥ يوسف الحكيم، مرجع سابق، ص ١٧٩.

١٦ يوسف الحكيم، مرجع سابق، ص ١٨٤.

١٧ يوسف الحكيم، مرجع سابق، ص ٨٠.

١٨ جريدة لسان الحال، عدد ١٥ آذار ١٩٢٠.

١٩ جريدة العاصمة، عدد ٢٤ تشرين الثاني ١٩١٩.

٢٠ جريدة العاصمة، عدد ٢٢ كانون الأول ١٩١٩.

٢١ جريدة لسان الحال، عدد ٣١ آذار ١٩٢٢.

٢٢ جريدة البشير، عدد ١٤ تشرين الثاني ١٩٢٥.

٢٣ محمد سعيد العاص، «صفحة من الأيام الحمراء»، ص ٢٢٦.

القسم الأول

القادة السياسيون

١

الأمير عادل أرسلان

١٨٨٧- ١٩٥٤م



الأمير عادل أرسلان

نشأته ودراسته

وُلد الأمير عادل بن حمود بن حسن أرسلان، في بلدة الشويفات سنة ١٨٨٧. وتلقّى دروسه الأولى في مدرسة الحكمة، وتتلمذ على يد المعلم الكبير أوغست أديب في اللغة الفرنسية، كما درس اللغة العربية على يد الأديب الكبير عبد الله البستاني، ثم درس في الكلية الإسلامية، فأتقن اللغة التركية، وفي ١٥ نيسان عام ١٩١٠، غادر إلى استنبول برفقة ابن عمه أمين مصطفى أرسلان، فدرس في الكلية الملكية في الأستانة، وتابع تحصيله العالي في كلية الحقوق والإدارة العامة.

وفي استنبول، أدخله ابن عمه أمين في الجمعية القحطانية، فكان أصغر أعضائها سناً، وتسلّم أمانة سرّها، وكانت من أوائل الجمعيات العربية السرّية الأولى في استنبول.

عاد الأمير عادل إلى بيروت في منتصف آب ١٩١٢، فعيّن موظفاً في وزارة الداخلية في بيروت، ثم انتقل إلى استنبول في منتصف عام ١٩١٣ وبقي حتى ربيع ١٩١٤، عاد بعدها إلى لبنان، وعيّن قائمقاماً للشوف في العام ١٩١٤، وأسهم في تخفيف وطأة المجاعة وحاجة الناس، عبر تأمينه القمح والطحين من سوريا، حيث عيّن كذلك في دمشق مديراً لإسكان المهاجرين.

وفي العام ١٩١٦ انتخب نائباً في مجلس المبعوثان واستمر في منصبه حتى العام ١٩١٨، ويقول الأمير في هذا الصدد: «كنت أصغر النواب سناً، ولما أبلغ الثامنة والعشرين، فمثلت في مجلس المبعوثان «شباب العرب

وأماني العرب»، بما قلته في المجلس عن حكومة ذلك العهد، بالطعن الذي وجهته إلى جمال باشا»[١].

وخلال فترة إقامته في استنبول، نشط الأمير في الدعاية السياسية للوحدة العربية، كما حرّض الشباب العربي على الدخول في الجمعيات الداعية إلى استقلال البلاد وتحررها، وأسهم في تأسيس «جمعية المنتدى» الداعية إلى استقلال العرب وتحررهم.

الأمير عادل حاكماً في جبل لبنان

غادر الأمير عادل أرسلان استنبول في أوائل أيلول ١٩١٨، وجاء إلى بيروت، وفي ٢٩ أيلول ١٩١٨، غادر متصرف جبل لبنان التركي ممتاز بك حاملاً معه أموال الدولة، ومسلّماً رئيس بلدية بعبدا السيد حبيب فياض مسؤولية حكومة جبل لبنان. ولكن موظفي إدارة الحكومة في جبل لبنان، لم يعجبهم هذا التصرف، حيث اعتبروا أنفسهم في مسؤولية أعلى من مسؤولية رئيس بلدية، فاجتمعوا واختاروا من بينهم الأمير عادل أرسلان والأمير مالك شهاب ليمثلوا الحكومة. وقام الأمير عادل أرسلان بإطلاع البطريرك الياس الحويّك على ما جرى، فأرسل البطريرك الحويّك رسالة إلى الأمير مالك شهاب يطلب منه التريث في الأمر، ريثما تتوضح سياسة المنطقة[٢].

عادل أرسلان والحكومة العربية

بعد دخول القوات الفرنسية إلى بيروت وجبل لبنان، وقيامها بإجراءات معادية للخط العربي، انتقل الأمير عادل إلى دمشق، فالتقى بالأمير فيصل، الذي عيّنه فوراً معاوناً للحاكم العسكري الفريق رضا باشا الركابي في دمشق[٣]، الذي شكل بعد فترة وجيزة حكومة عربية، لُقبت بحكومة المديرين.

قام الأمير عادل أرسلان في دمشق بتحركات سياسية مهمة، فكان يتابع أخبار التحرك الفرنسي وينتقل ما بين لبنان وسوريا، داعياً المواطنين إلى عدم التعاون مع الفرنسيين، وإلى رفض الاغراءات التي يقدمونها، كما قام الأمير فيصل بتكليفه ببعض المهمات الرسمية في الاتصالات مع القيادتين الفرنسية والبريطانية والتنسيق معهما في الإشكالات التي تحصل في لبنان وسوريا.

في منتصف ١٩١٩، بدأت المصاعب تواجه الفرنسيين، عبر رفض الوطنيين في لبنان وسوريا لهذا الاحتلال الجديد، وبدأت التحركات العسكرية ضدهم في مناطق عدة سورية ولبنانية، بدعم ضمني من الحكومة العربية. وحدثت مواجهة في القنيطرة بين الجنود الفرنسيين والأهالي في أواخر شهر تشرين الأول ١٩١٩، فكلف الأمير فيصل الأمير عادل أرسلان بالتوجه إلى القنيطرة وحل المشاكل. وفي مطلع سنة ١٩٢٠، قدم الأمير عادل أرسلان استقالته من منصب معاون الحاكم العسكري لخلاف في وجهات الرأي بينه وبين رضا باشا الركابي، فقام الأمير فيصل بتعيينه مستشاراً في دار الإمارة بدمشق.

كان الأمير فيصل يستشير الأمير عادل أرسلان في معظم القضايا المحلية والدولية، فقام الأمير بدور كبير على الساحة اللبنانية، وفي شهر أيار من عام ١٩٢٠ اتصل برياض الصلح وسليمان كنعان ومحمود بك جنبلاط وفؤاد عبد الملك، وهؤلاء الثلاثة أعضاء في مجلس إدارة جبل لبنان، فأقنعهم بضرورة التنسيق مع حكومة دمشق العربية، والتعاون معها لطرح قضية لبنان وسوريا في المؤتمر الدولي. وقد استطاع الأمير عادل أرسلان ورياض الصلح، إقناع سبعة من أعضاء مجلس الإدارة فوقّعوا على مضبطة تطالب باستقلال لبنان وبالتعاون مع سوريا، وتمّ التوقيع عليها في ١٠ تموز ١٩٢٠، وتوجّه الأعضاء إلى دمشق عبر طريق صوفر شتورا، وقسم عبر طريق ضهور الشوير شتورا، ولكن الفرنسيين وصلت إليهم المعلومات، فقاموا باعتقال الأعضاء قبل وصولهم إلى الحدود وخضعوا لاستجوابات وإهانات وعوملوا معاملة سيئة في السجن، وصدرت أحكام بحقهم في ١٩ تموز ١٩٢٠ وتمّ نفيهم إلى جزيرة أرواد في ٢٠ منه. ثمّ قامت المخابرات الفرنسية ومندوبوها وأعوانها بالضغط على القيادات اللبنانية السياسية والإدارية والروحية، وطلبت منهم إصدار بيانات تدين هذا العمل، حيث وصفوهم بالخونة والمتآمرين.

الإنذار الفرنسي للأمير فيصل

يقول الأمير عادل في مذكراته: «تلقى فيصل الأول ملك سوريا إنذار الجنرال غورو مساء الرابع عشر من تموز ١٩٢٠، فدعا وزراءه برئاسة هاشم الأتاسي

إلى الاجتماع لديه في قصره، وهو بيت نوري باشا التركي الذي هو اليوم دار المفوضية الفرنساوية، وأمر بطلبي إليها، فلم يبلغني الطلب إلا بعد نصف الليل، وأنا في فندق الخوّام القديم، فسلّمني احتجاجه على الإنذار وانتدبني لإبلاغه الدول كلها في حيفا، فبلغتها بسيارة فورد قبيل الغروب في ١٥ تموز، وسقطت دمشق وأنا في حيفا، فأنا لم أشهد يوم ميسلون». وهكذا فإنّ الأمير عادل انتقل إلى حيفا يرافقه نوري السعيد، والتقى فوراً مع المسؤولين الإنكليز، فرأى أنّ أجوبة الإنكليز غير مشجعة، وهنا أرسل الأمير عادل إلى الأمير فيصل كتاباً مع نوري السعيد يشير إليه برفض الإنذار الفرنسي والاستعداد للمعركة. وبقي الأمير عادل في فلسطين، حيث قام بالتجوّل على قنصليات الدول، طالباً إليها المساعدة، ولكن سبق السيف العذل، حيث هاجم الفرنسيون المواقع في ميسلون في ٢٤ تموز وانهارت المقاومة وتقدموا نحو دمشق، فخرج منها الأمير فيصل نحو الكسوة، ومنها بالقطار إلى درعا. ومن درعا انطلق الأمير فيصل إلى شرق الأردن وفلسطين، ووصل إلى حيفا وكان معه الأمير عادل أرسلان، حيث غادرا معاً إلى إيطاليا.

ومن إيطاليا ذهب الأمير عادل أرسلان إلى جنيف، ثم انتقل إلى برلين، حيث مكث فيها حوالي ستة أشهر، عاد بعدها إلى جنيف، وقد أرسل الجنرال غورو عبر أحد مندوبيه إلى الأمير عادل أرسلان، يطلب إليه العودة إلى سوريا ولبنان، ويختار أي مركز كبير يريده، ولكن الأمير رفض هذا العرض، وأبت عليه كرامته ومواقفه الشريفة، أن يبيع بلاده وأحرارها لقاء منصب رفيع في ظل احتلال غاشم، فهو يريد الحرية والاستقلال لمواطنيه ولبلاده كاملين دون انتقاص وتجزئة.

في إمارة شرق الأردن

أرسل الأمير عبد الله إلى والده الحسين بن علي يرجوه إقناع الأمير عادل بالالتحاق به في عمان. وإجابة لهذا الطلب، قدِم الأمير من أوروبا إلى فلسطين، ثم قدِم إلى عمان في صيف ١٩٢١[٤]. ولدى وصوله اجتمع بالأمير عبد الله أمير شرق الأردن، ثم التقى برفاقه في الثورة السورية وفي حزب الاستقلال ومنهم: رشيد طليع، نبيه العظمة، جميل المدفعي، أحمد مريود،

عوني عبد الهادي، وغيرهم حيث انتخبوا الأمير عادل سكرتيراً لحزب الاستقلال. وقد قرّبه الأمير عبد الله منه، وعيّنه رئيس ديوانه في الإمارة التي تأسّست في ١٩٢١/٣/١٢.

وفي الأردن، عمل الأمير عادل أرسلان بالتعاون مع رشيد طليع رئيس الحكومة أولاً ثم مع الحكومة الثانية التي تسلّمها رضا الركابي، وفي بداية تسلّمه منصبه، طلب من الأمير عبد الله إدخال فؤاد سليم وسعيد عمّون في الجيش، حيث تسلّم فؤاد سليم أركان جيش شرق الأردن، وكان معاوناً للجنرال بيك الإنكليزي، كما استلم اخوته نصري وعارف مراكز عسكرية قيادية في الدرك والأمن العام في الإمارة.

كما تعاون الأمير عادل في الإمارة مع القادة الأحرار الذين انتقلوا من سوريا إلى شرق الأردن ومنهم: الشيخ كامل قصاب، حسن الحكيم، خير الدين الزركلي، رشدي الصفدي، وسامي السراج الذي كان وكيل داخلية وأمين سر مجلس الوزراء في حكومة رشيد طليع.

الأمير عادل أرسلان في شرق الأردن ومحاولة اغتيال غورو

يقول أدهم آل الجندي:[٥] «إن الذين وضعوا خطة اغتيال غورو هم عادل أرسلان وسامي السراج وعوني القضماني وخير الدين الزركلي وأحمد مريود وفؤاد سليم في ٢٠ حزيران ١٩٢١ ونُفذت في ٢٣ منه».

ولقد صدرت الأحكام بالإعدام في ٢٨ حزيران سنة ١٩٢١ على كل من: أحمد ومحمد وخليل وأسعد ويونس ومحمد مريود، وشريف ومحمود حسن، ومحمد ضاهر وأحمد الخطيب ومحمد الخطيب خال أحمد مريود، ومحمود البرازي أبو ذياب وأدهم خنجر وشكيب وهّاب. ويقول أدهم آل الجندي إن أدهم خنجر لم يكن له علاقة بالحادثة، بل زجّ اسمه المخبرون، وقد خابرت السلطة الفرنسية السلطة البريطانية في فلسطين والأردن مطالبة بتسليم هؤلاء المحكومين، ولكن الشيوخ مثقال الفايز وحديثة الخريشة وسعيد خير مانعوا أمر التسليم وانتهى الأمر. ولكن جرت حادثة جسر المقارن فاتخذت هذه الحادثة ذريعة لدى الجنرال غورو للمطالبة من جديد بتسليم المحكومين.

ضغط الفرنسيون على الإنكليز لتسليم أدهم خنجر، فاجتمع الأمير عادل أرسلان ورشيد طليع وفؤاد سليم وشكيب وهاب وأحمد مريود، وقرروا إرسال أدهم خنجر برفقة شكيب وهاب إلى جبل الدروز، كي يخفوه عن أعيُن الفرنسيين والإنكليز، بعد أن علِم الإنكليز أن أدهم خنجر يحميه الضباط الأحرار في شرق الأردن، فضغطوا على الحكومة لتسليمه. فقام شكيب وهاب بالذهاب مع أدهم إلى الجبل للقاء سلطان[٦]، ولكن جرى اعتقال أدهم بينما كان سلطان خارج منزله، مما سبّب إشعال فتيل الثورة الأولى في الجبل ضد الفرنسيين في ٢٢ تموز ١٩٢٢ دفاعاً عن الشرف والكرامة.

استطاع سلطان ضرب القوة الفرنسية الأولى، فصُدم الفرنسيون، فجهزوا حملة كبيرة في ٢٥ تموز ١٩٢٢ اجتاحوا فيها المنطقة، ففر سلطان إلى البادية، ومنها إلى شرق الأردن[٧]. وقد حاول الفرنسيون بادئ الأمر الضغط على الإنكليز لتسليمه، وقام الجنرال بيك بتجهيز قوة كبيرة قدِم بها من عمان، وتقدمت قوة فرنسية من ناحية درعا، وهنا قام المقدم في الجيش العربي الأردني صبحي العمري بإبلاغ الأمير عادل أرسلان بالأمر، ويقول الأمير في هذه الحادثة: «فلما حاول عبد الله القبض على سلطان باشا الأطرش بعد حركته الأولى، أعلمني بذلك المقدم صبحي العمري، ثم بعث إلي بصندوق فشكْ، وبعث سعيد عمون بصندوق آخر، فبعثت بهما إلى سلطان مع نجدة من ثلاثين لبنانياً كانوا في الرصيفة.

وفي اليوم التالي تبيّن لنا أنّ عبد الله كان قد أمر جيشه بمعاونة قوة فرنسوية على اعتقال سلطان ومَن معه، وهو لاجئ إلى عشيرة المساعيد بالقرب من أم الجمال بين سوريا وشرق الأردن، فحرّض سعيد عمون وصبحي العمري ومحمود الهنيدي وغيرهم جنود شرق الأردن، فأخذوا يتوعّدون بذبح القوة الفرنسية عن بكرة أبيها، فابتعد الفرنسيون عن المكان، وعاد بيك وجيشه إلى عمان»[٨]. وذلك في أواخر تموز ١٩٢٢. ونلاحظ هنا، أن الأمير عادل أرسلان أفشل خطة الأمير عبد الله الذي تعاون مع الإنكليز حفاظاً على عرش مملكته، رغم كرهه للفرنسيين حسب ادعائه.

وقد ذكر سلطان باشا الأطرش ما حصل معه في شرق الأردن، واستقبال الأمير عادل له ومساعدته قائلاً: «غير أن السلطة الإنكليزية لم تكن راضية

عن ذلك، فحاولت إخراجنا وتسليمنا إلى الفرنسيين لو لم يعمل الأمير عادل أرسلان على إحباط مساعيها، بالتعاون مع رشيد طليع وحديثة الخريشة ومثقال الفايز وطراد بن زين من شيوخ بني صخر وغيرهم من رؤساء العشائر التي كانت تربطنا بهم رابطة الصداقة منذ أيام الثورة العربية. وفي تلك الأثناء ازدادت أواصر الصداقة المتينة بيني وبين الأمير عادل أرسلان ورشيد طليع، فكنت أجد فيهما كل مزايا الصدق في القول والإخلاص في العمل، والاندفاع في خدمة القضية العربية»[٩].

في آب ١٩٢١ استقال رشيد طليع من رئاسة الحكومة وتسلّم مكانه مظهر باشا الرسلان وهو من حزب الاستقلال كذلك، ولكن حصل نفور بينه وبين رفاقه الاستقلاليين، فاعتبروا أنه كان وراء الدس للإيقاع بين رشيد طليع والأمير عبد الله بن الحسين. وفي ١٩٢٢/٣/١٠ جاء الفريق رضا باشا الركابي وتسلم مقاليد السلطة بدلاً من مظهر الرسلان، وتعاون مع الأمير عبد الله، وازداد النفور بين الأمير عبد الله والاستقلاليين، حيث كان يعتبرهم من جماعة أخيه فيصل، وكان وراء هذا النفور دسائس، ولا ننسى أن هناك خلافاً سابقاً بين الأمير عادل أرسلان ورضا الركابي يوم كان الاثنان في دمشق.

وتتابعت الأحداث في إمارة شرق الأردن، فكان الإنكليز يدعمون ويحرضون عشائر العجارمة والعدوان، ضد الأمير عبد الله في محاولة لإضعاف نفوذه وتقليص سلطته وإبقائه تحت سيطرتهم، ووقف سعيه إلى توسيع حدود إمارته. ويذكر أدهم آل الجندي قائلاً: «في شهر أيلول سنة ١٩٢٣[١٠]، ثار سلطان بن عدوان بناءً على إيعاز من هربرت صموئيل وتشويق فيلبي وكلوب، ومنحوا بيك الإنكليزي مأذونية لتطبيق خططهم خلال غيابه، وتولى آوس آمر القوة الجوية قيادة الجيش العربي. وكان هؤلاء يعتقدون أنّ الشهيد فؤاد سليم، يوافق على سياسة إنكلترا ويطبق أوامرها، وكان معاوناً لرئيس الأركان، ولكنه كان وطنياً مخلصاً، وقد انحازت بعض العشائر إلى سلطان بن العدوان الثائر، ووقع الاشتباك بين الفريقين، وأسفرت المعركة عن اندحار ابن العدوان، وفراره إلى جبل الدروز، وقتل الشيخ صايل الشهوان من عشيرة العجارمة. وفي شهر شباط

١٩٢٤، أتى الملك حسين إلى عمان، وتوسط بالعفو عن سلطان بن عدوان. وقد طلب القائد الإنكليزي من الملك عبد الله تسريح الضباط وهم: فؤاد سليم وسعيد عمّون ومحمود الهنيدي وصبحي العمري وأمين البغدادي ومحمد مريود من الجيش العربي».

وبعد أقل من سنة على تسريح الضباط الأحرار من الجيش الأردني، قام الأمير عبد الله بنفي الأمراء السوريين من عمان، بعد أن استعان بفرقة الهوسار البريطانية لاحتلال عمان، فأخرجهم إلى معان، وقد شيّعهم الأهلون بمظاهرات حماسية رائعة، وكادوا ينقذونهم من السيارات المصفحة، وأرسل لهم الملك حسين باخرة إلى العقبة، حيث نقلهم إلى مكة، وشهدوا كيف ضاع الملك الهاشمي، وكيف انتقل الحسين من عرشه إلى جدّة، فالعقبة ثم قبرص، وكيف استولى جيش ابن السعود على الحجاز، وعاد سامي السراج والأمير عادل أرسلان إلى القاهرة»[١١].

الأمير عادل في قلب الثورة السورية

ما أن بدأت أخبار الثورة السورية الكبرى، بقيادة سلطان باشا الأطرش تصل إلى بلاد العرب والعالم، وخصوصاً بعد الانتصار الذي أحرزه الثوار في معركة المزرعة على الجنرال ميشو، حتى هبّ الأمير عادل أرسلان من القاهرة منطلقاً إلى فلسطين، ومن فلسطين ترافق مع شكري القوتلي ونبيه العظمة ومحمد الطباخ ومصطفى وصفي وشوكت العائدي ورافقهم إلى نهر الشريعة فؤاد حمزة، حيث تابعوا سيرهم نحو جبل الدروز ووصلوا في أواخر شهر آب ١٩٢٥، فالتقوا بسلطان باشا الأطرش، وانضم عادل أرسلان إلى مجلس قيادة الثورة، فكان مرشداً سياسياً كبيراً وانتزع مكانة مهمة في القيادة إلى جانب سلطان باشا الأطرش والدكتور عبد الرحمن الشهبندر.

قام الأمير عادل أرسلان بمهمات عدة سياسية وعسكرية في ميدان الثورة في جبل الدروز، فكان إلى جانب سلطان في معظم المواقع، إضافةً إلى تجواله في مختلف قرى الجبل، حيث كان يلتقي بالقيادات والشيوخ ويحرّض الناس على الثورة، ويحاول إبعاد الوهن من النفوس، وقد تسلم

رئاسة المحكمة الثورية في قيادة الثورة، وذلك لمحاكمة الخونة والمتعاملين مع الفرنسيين، وقد أصدرت هذه المحكمة أحكاماً عدة ونُفذ قسم منها بحق المتآمرين على الثورة وقيادتها.

في أوائل شهر أيار ١٩٢٦ عقدت قيادة الثورة اجتماعاً هاماً في قرية ساله اسهم الأمير عادل أرسلان في صياغة مقرراته وأهمها: مواصلة القتال وعدم مفاوضة الفرنسيين، تنظيم فرق قتالية تخصص لها رواتب من الاعانات المتأتية للثورة، إنزال أشد العقوبات بالمتآمرين والمسلّحين، إعادة القوات النازحة في إقليم البلان واستئناف القتال فيه بقيادة الأمير عادل أرسلان.

الأمير عادل يقود حملة الإقليم الثالثة

في منتصف شهر أيار، توجهت قوة مؤلفة من حوالي مئة مقاتل بقيادة الأمير عادل أرسلان، يرافقه فيها قادة المجاهدين وفي طليعتهم أسعد كنج أبو صالح، شكيب وهاب، أحمد مريود، حمد صعب، ومحمود الطويل(١٢) فتوزعت القوة في قرى إقليم البلان.

وفي أواخر أيار ١٩٢٦ جرت معارك ضارية بين قوات الثورة والفرنسيين بقيادة كوليه، حيث استشهد البطل القائد أحمد مريود في جباتا الخشب، في الثلاثين من أيار ١٩٢٦، وهرع الأمير عادل أرسلان من حُضر وشكيب وهاب من مجدل شمس، ولكن بعد فوات الأوان، ولكنهم اشتبكوا مع القوات الفرنسية وكبدوها خسائر كبيرة(١٣). واستمرت المناوشات طيلة شهري حزيران وتموز بين الفرنسيين والثوار، حيث كان الفرنسيون يحشدون قواتهم في المنطقة، فرأى الأمير عادل أرسلان أنْ لا جدوى من القتال في هذه المنطقة وخصوصاً أنه لم يبقَ لديهم ذخيرة كافية، وعدد الثوار يتضاءل، حيث إن عدد الثوار تراجع إلى ٤٠٠ مجاهد فقط، وكاد الأمير عادل أن يقع في قبضة الجنود الفرنسيين في جبل الشيخ، فقرر الانسحاب من المنطقة والتوجه إلى جبل الدروز خصوصاً بعد وصول الأنباء والمعلومات عن قيام الفرنسيين بحشد حملة كبيرة بقيادة الجنرال أندريا للقضاء على الثورة في الجبل. فتوجه الأمير عبر الغوطة إلى الجبل ووصل إلى منطقة الصفا ومنها انتقل إلى قرية بوسان حيث كان يتواجد سلطان وقيادة الثورة.

الأمير عادل يشترك في معارك اللجاه ويقودها

عقدت قيادة الثورة في قرية بوسان[٤٤] اجتماعاً قيادياً، خُصص لتوزيع المهمات العسكرية والتصدي للزحف الفرنسي، وقد تمّ تقسيم الثوار إلى ست فرق توزعت على النحو التالي:

- علي الأطرش: قيادة المقرن الجنوبي.
- زيد عامر: منطقة شهبا.
- فضل الله الهنيدي: المقرن الغربي.
- سلمان نصار: قيادة المقرن الشرقي.
- محمد عز الدين الحلبي: منطقة اللواء.
- الأمير عادل أرسلان: الفرقة السادسة، وهي تضمّ مجاهدي لبنان والإقليم وبعض أبناء الجبل، وهي أكبر فرقة عسكرية، كانت تقوم بدعم معظم الفرق الباقية في المواجهات مع الفرنسيين.

وشارك الأمير عادل أرسلان في معظم المعارك التي خاضها الثوار في الجبل، وأهمها معركة حميد ورامة والشبكي، وفي العاشر من أيلول دارت معركة عنيفة بين الثوار والفرنسيين في قرية الرشيدة اشترك فيها الأمير عادل[٤٥] وقاتل مستبسلاً مع رفاقه ونجحوا في ضرب مؤخرة الجيش الفرنسي وجناحه الأيسر بقيادة أندريا، وقد مزّق الثوار الجيش الفرنسي، وكسبوا غنائم حربية كبيرة وأسقطوا إحدى الطائرات الحربية. انتقل سلطان باشا بعد معركة صلخد إلى قرية الكفر الواقعة بين صلخد والسويداء، في العاشر من أيلول يرافقه الأمير عادل أرسلان[٤٦]. وحشد الجنرال أندريا حملتين حاول بهما تطويق الثوار في الكفر، ولكنه لم يستطع، فتعرضت قواته إلى مواجهة حامية، واستطاع الثوار الانسحاب إلى منطقة اللجاه، وكانت هناك قوة كبيرة لهم، بقيادة الأمير عادل أرسلان، ومحمد عز الدين الحلبي، والشيخ مصطفى الخليلي، وإسماعيل الحريري من قيادات حوران. واستمرت المناوشات بين الثوار والقوات الفرنسية حتى شهر آذار، حيث حشد الفرنسيون أكثر من ٢٥ ألف جندي تدعمهم المصفحات والمدافع والطائرات الحربية، وبدأوا بهجوم واسع على منطقة اللجاه، استطاع فيها المجاهدون تكبيد الفرنسيين خسائر فادحة في

الأرواح والمعدات، غير أنهم خسروا نتيجة الغارات عشرات الثوار الأبطال، وأحسوا بأنهم سيقعون في الأسر، حيث كانت القوات الفرنسية تحاول الالتفاف من جميع الجهات، فانسحب سلطان والأمير عادل أرسلان وزيد الأطرش وشكيب وهاب والقادة والثوار إلى البادية ومنها إلى منطقة الأزرق ثم انتقلوا إلى وادي السرحان.

الأمير عادل مع الثوار في وادي السرحان

في منطقة وادي السرحان، عاش الأمير حياة قاسية صعبة، مفضلاً العيش بكرامة على الرغم من سوء الأحوال، على بيع كرامته وإذلاله للمستعمر الفرنسي.

واستمر الأمير في وادي السرحان يقاسم رفاقه مرارة العيش، متعرضاً للجوع والعطش والحر والبرد، ويقول أحد رفاقه المقربين منه محمد حماده[١٧]: «إنه في معظم الأحيان كانت تأتي إلينا الإعاشة، وهي عبارة عن خبز سميك جاف، كان الأمير يوزع لكل مجاهد قطعتين في اليوم، وأحياناً كان يفضل له رغيف واحد وأحياناً رغيفان وأحياناً لا يبقى له شيء، وكان يوزع الخبز على جميع الثوار، ولم ينصف نفسه أبداً عنهم، بل يترك نفسه حتى الآخر»، وهذا يدل على نفسية الأمير الكبيرة واهتمامه برفاقه وعدم تفضيل نفسه عليهم.

أثناء وجود الأمير عادل أرسلان في وادي السرحان، تحامل عليه الأميران متعب وعبد الغفار الأطرش، في شباط ١٩٢٧، فوقف سلطان باشا إلى جانب الأمير عادل، ووجه كلاماً قاسياً إلى قريبيه. وقد استاء الأميران من سلطان، حيث اعتبرا أنه يفضّل الأمير عادل عليهما، فلم يطل بهما المكوث في شرق الأردن حتى غادرا إلى جبل الدروز مستسلمين للسلطة الفرنسية. وفي العام ١٩٢٨ وقف سلطان كذلك إلى جانب الأمير عادل أرسلان، فوقع على البيان المُرسل باسم اللجنة العليا لقيادة المجاهدين في الصحراء والمنشور في جريدة المقطم المصرية بتاريخ ١٩ كانون الثاني ١٩٢٨، والذي يوافق على إلغاء رئاسة ميشال لطف الله للجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني، ويطعن هذا البيان بمواقف آل لطف الله، وضمناً بمواقف الشهبندر. رغم وقوف سلطان في هذا الصراع إلى جانب جماعة حزب الاستقلال وعلى

رأسهم الأمير عادل أرسلان، ضد أنصار وأعضاء حزب الشعب الذي يقوده الشهبندر ونزيه المؤيد العظم والذي أدّى فيما بعد إلى تراشق إعلامي بين الحزبين وكاد أن يجر الفريقين إلى خصومة كبيرة، خصوصاً أن المجاهدين في وادي سرحان انقسموا إلى فريقين، كل فريق يدعم حزباً معيناً.

على الرغم من كل ذلك، فقد أصدر الأمير عادل أرسلان وسلطان باشا الأطرش بيانات[١٨] تنفي الخلاف القائم، ولكن المغرضين والمفسدين حاولوا جاهدين الإيقاع بين سلطان والأمير عادل ولكن ذلك لم يحصل. ففضل الأمير عادل أرسلان مغادرة المنطقة بناء على إلحاح شديد من أخيه الأمير شكيب أرسلان، فغادر الأمير عادل أرسلان برفقة ابن عمه الأمير أمين أرسلان النبك في ٢ نيسان ١٩٢٩ مودعاً بالإكرام من جميع المجاهدين وعلى رأسهم سلطان باشا الأطرش، في طريقه إلى فلسطين ثم إلى مصر[١٩]. وبعد خروجه من شرق الأردن، تنقّل ما بين بغداد وفلسطين ومصر، ومكث مدة في القاهرة، حيث أُخرج منها في العام ١٩٣١ بأمر من الملك فؤاد، وشنّت الصحف المصرية الموالية للسلطة حملة عليه. ويقول الأمير في هذا الصدد[٢٠]: «كان للملك فؤاد جاسوس يهودي اسمه جاك إيزولاي، فكان الملك يستشيره في القضايا الشرقية والدينية، حتى انتدبه مرة لمهمة في الحجاز، تتعلق بمبايعة الملك فؤاد بالخلافة. جاءني جاك إيزولاي يوماً إلى فندق الكونتيننتال في القاهرة وأنا لا أعرفه، وكان عندي الشيخ علي بك عبد الرزاق، والدكتور مصطفى بك فهمي، فلم يستطع الكلام الصريح بحضورهما، فعادني في اليوم التالي، وسألني إبداء رأيي في أن يكون الحرمان الشريفان تحت حكم الملك فؤاد سنة ١٩٣١. فقلت: وما يعنيك أنتَ من هذا الأمر، فأجاب: أنا مكلف درس هذه القضية، وأنتَ من أهل القضية العربية، فقلت: من كلّفك هذا الدرس؟ فأجاب: جلالة الملك نفسه.

فأغلظت له في الجواب، فلم يلبث الملك فؤاد أن أمر إسماعيل صدقي باشا رئيس وزرائه بإخراجي من مصر، وأمرت جريدة لا ليبرته La Liberté أن تقول إني شيوعي وأقوم في مصر بدعاوة خطرة... فهزأ الناس بالحكومة وجريدتها هذه...».

غادر الأمير عادل مصر متوجهاً إلى فلسطين، ثم انتقل بعدها إلى بغداد، وكان على علاقة جيدة بالملك فيصل، ملك العراق وبالقيادات العراقية في تلك الحقبة التاريخية. واستمر يتنقل في مدن العراق حتى عام ١٩٣٣، حيث سافر في ١٧ أيار من بغداد مروراً بفلسطين إلى أوروبا، حيث بقي طوال فصل الصيف يتنقل بين إيطاليا وهولندا وسويسرا وفرنسا[٢١]. وفي ٣ أيلول ١٩٣٣ كان في استقبال الملك فيصل في مدينة برن السويسرية يرافقه نوري السعيد في رحلة استجمام. وفي شهر تشرين الثاني قدِم الأمير عادل أرسلان من أوروبا إلى العراق، فأمضى رأس السنة، مستهلاً عام ١٩٣٤ في مدينة بغداد.

سفر الأمير عادل إلى لندن

في ١٨ أيار ١٩٣٤، سافر الأمير من بغداد إلى غزة على متن طائرة بريطانية، ومن غزة ذهب إلى القدس بالسيارة، ثم توجّه إلى حيفا، ومن هناك ركب الباخرة إلى أوروبا[٢٢]، فوصل في الأول من حزيران إلى جنيف، ثم انتقل في الثالث منه إلى لندن. وكانت هذه المرة الثالثة التي يزور فيها لندن. وخلال صيف ١٩٣٤، قام الأمير بجولات سياحية شملت بلجيكا وألمانيا ثم عاد إلى جنيف في أوائل أيلول، حيث التقى بالوزير فؤاد حمزة، وزير الخارجية السعودية مرتين، تناول البحث فيهما الشؤون العربية.

معاناة الأمير عادل مع سلطة الانتداب البريطاني

يقول الأمير عادل أرسلان إن السلطة البريطانية في فلسطين، لم تسمح له بالمرور في فلسطين إلا بعد أن وقعّ تعهّداً خطياً ذكر فيه: «بأن لا يتدخل أو يتكلم في السياسة أو في الشؤون المتعلقة بشرق الأردن أو بسوريا أو بفلسطين، أو بأي مكان آخر».

وفي شهر كانون الأول ١٩٣٤، أصدرت السلطة الفرنسية في سوريا ولبنان عفواً عن المنفيين والمحكوم عليهم بالعقوبات، فإذا بالعفو يشمل الجميع ما عدا عادل وشكيب أرسلان، وسلطان الأطرش وإحسان الجابري. وفي نهاية شهر كانون الأول ١٩٣٤، انتقل الأمير عادل من لندن إلى فلسطين ثم بغداد.

نشاط الأمير عادل السياسي في بغداد ١٩٣٥

في شهر شباط التقى الأمير عادل في بغداد بالأمير عبد الله بن الحسين[٢٣]، وشمل البحث بينهما العلاقة بين شرق الأردن وسوريا والعراق، وأوضاع المجاهدين في شرق الأردن.

في بداية شهر نيسان قرر الأمير السفر إلى أوروبا، هرباً من الحر، وكان كلما طلب بالمرور في فلسطين للسفر، يتعرض إلى مضايقات وإعاقة في تسهيل مروره ويصف الحالة التي يعيشها قائلاً: «أصبحت أسفاري هي هي. لا طريق لي إلى الشرق إلا من إيطاليا ففلسطين ذهاباً وإياباً، وليس لي في الشرق سوى العراق. فسوريا وفلسطين ومصر وشرق الأردن مسدودة الأبواب في وجهي. وفي العراق صيف لا يطاق، فأنا مضطر إلى الرحيل إلى أوروبا أوائل كل صيف. أمرّ ببعض البلاد العربية خلسة، فلا يحق لي الاجتماع إلى أصدقائي، ولا أمر بها إلا بعد أخذ وردّ واستعطاف. هذه هي حياة العربي الذي يشعر بالكرامة، فيجرأ أن يطلبها لقومه».

نشاط الأمير عادل في أوروبا في صيف ١٩٣٥

وصل الأمير عادل إلى لندن في ٣٠ أيار ١٩٣٥، وفي ١٧ حزيران وصل الأمير سعود بن عبد العزيز آل سعود إلى لندن، فكان الأمير عادل في المحطة لاستقباله، وفي اليوم التالي، تناول الغذاء إلى مائدته في أوتيل هايد بارك[٢٤]، وتباحث الأميران في أمور المعاهدة بين السعودية والعراق، التي تم التوصل إليها لمصلحة البلدين، وكان الأمير عادل من الساعين في بغداد إلى عقدها قبل مدة من الزمن. كذلك التقى بعد مدة في لندن أمير الكويت الشيخ جابر بن أحمد، وتباحثا في الشؤون العربية. انتقل الأمير من لندن إلى برلين في ٣٠ آب ١٩٣٥، وقام بزيارة وزير العراق المفوض صبحي بك نجيب. وفي أواخر أيلول عاد الأمير إلى لندن.

في هذه الفترة استمر الأمير يتنقل بين لندن وجنيف حتى أواسط عام ١٩٣٦، حيث عاد بعدها إلى بغداد، وجاء أوائل ١٩٣٧ إلى دمشق، بعد قيام الحكم الوطني في سوريا، وقيام المعاهدة السورية - الفرنسية، التي لم تُصدّق في فرنسا. وفي أواخر عام ١٩٣٧ بدأت حياة سياسية جديدة، عاشها

الأمير وناضل بكل جهده وقوته لإثبات دور سوريا الوطني والقومي على المسرح السياسي الدولي.

الأمير عادل سفيراً مفوضاً في أنقرة

كلفت الحكومة السورية الأمير عادل أرسلان بتمثيل سوريا في أنقرة، فكان الأمير خير ممثل لسوريا في هذه الأوضاع الدقيقة وخصوصاً العلاقة مع تركيا والنزاع على لواء اسكندرونة.

في ١٦ شباط ١٩٣٨ ترأس الوفد السوري إلى بغداد لحضور تأبين المرحوم يس بك الهاشمي بمناسبة مرور عام على وفاته[٥٥]، ثم قام بزيارة ضريح الملك فيصل، والتقى بعد ذلك، رئيسي مجلس النواب والأعيان في بغداد، واستمرت زيارته أسبوعاً للعراق. قام الأمير بزيارة بيروت في ٣ آذار ١٩٣٨، والتقى بالرئيس إميل إده في الخامس منه، وتمّ البحث في الأوضاع اللبنانية – السورية.

في ٢٦ آذار ١٩٣٨ ذهب بالقطار من سوريا إلى أنقرة، والتقى مساء ٢٧ آذار وزير الخارجية التركي توفيق رشدي آراس، الذي أبلغه أن الحكومة التركية تعتبره ممثلاً لسوريا، وله ما للسفراء المعتمدين من تسهيلات.

وفي خلال شهري آذار ونيسان، قام بلقاءات دبلوماسية عدة، فزار سفراء فرنسا وبولونيا والنمسا وألمانيا، ثم لبّى دعوة رئيس الوزراء التركي جلال بايار الذي أولم للسفراء المعتمدين في تركيا، وكانت مناسبة تعرّف فيها الأمير عادل إلى جميعهم. وفي ٢٧ نيسان ١٩٣٨ غادر أنقرة إلى دمشق، ووضع القيادة السورية في أجواء مباحثاته مع المسؤولين الأتراك، حول المعاهدة بين البلدين، ودور فرنسا في عرقلة قيامها. مكث ما يقارب شهراً في دمشق عاد بعدها إلى أنقرة، فاجتمع في ٣١ أيار ١٩٣٨، مع وزير الخارجية التركي الذي أوضح له صراحة أن فرنسا تحاول زرع الشقاق بين الجمهورية السورية وتركيا، فأرسل كتاباً بذلك إلى سوريا، ولكن لم يكن تحرك الحكومة السورية يُرضي الأمير عادل أرسلان، فشنّ في نهاية شهر حزيران ١٩٣٨ هجوماً سياسياً عنيفاً على رئيس الوزراء السوري جميل مردم بك اتهمه بقِصر النظر السياسي في العلاقات الدولية.

وفي التاسع من تموز ١٩٣٨، تعرّض الأمير عادل لوعكة صحية[٢٦]، اضطرته إلى دخول المستشفى لمدة أسبوع، زاره عدد كبير من السفراء والشخصيات للاطمئنان عنه. ثم غادر أنقرة إلى أوروبا في أوائل شهر آب بقصد الراحة والاستشفاء ووصل لندن. في ١٥ أيلول ١٩٣٨ التقى بالأمير سعود بن عبد العزيز في لندن، ثم انتقل إلى باريس، ثم إلى جنيف للاستشفاء، وعاد إلى باريس في ٥ تشرين الأول ١٩٣٨، فوجدها في حالة مضطربة، أهلها يفرّون منها خوفاً من الحرب.

وفي التاسع من شهر تشرين الثاني ١٩٣٨، أقدمت السلطة الفرنسية في سوريا، على منع فارس الخوري رئيس مجلس النواب السوري، من السفر إلى لندن[٢٧]، للاجتماع مع رفاقه أعضاء الوفد للمؤتمر العربي لقضية فلسطين. وأحدث هذا التصرف صدمة سياسية كبيرة. وفي العاشر من تشرين الثاني ١٩٣٨، توفي الزعيم التركي مصطفى كمال أتاتورك فقام الأمير عادل أرسلان بتمثيل سوريا في مأتمه الرسمي في ١٨ تشرين الثاني ١٩٣٨[٢٨]. وفي ٢٢ تشرين الثاني قام الأمير عادل بتهنئة الرئيس التركي الجديد عصمت إينونو، وفي نفس اليوم، زار سفير فرنسا هنري بونسو، ووجه إليه الأمير عبارات قاسية وقال له: «إن فرنسا لا تريد تفاهمنا مع تركيا لا على إسكندرون ولا على غيرها».

في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٣٨ زار الأمير عادل أرسلان وزير الخارجية التركي الجديد سراج أوغلوشكري في نادي الأناضول، وطرح معه قضية لواء الاسكندرونة. فقال له الوزير: «إن فرنسا وتركيا اتفقتا على عدم إعطاء سوريا شيئاً منه».

عودة الأمير عادل إلى سوريا ولبنان

وصل الأمير عادل أرسلان إلى بيروت في ٣٠ أيار ١٩٣٩ وكان حشد كبير من الأهل والأصدقاء والشخصيات السياسية في استقباله. وفي ٢ حزيران أولم له السفير فؤاد حمزة في حضور الأمراء مجيد وأمين وسامي ورفيق أرسلان، وشكري القوتلي ورياض وعفيف الصلح وإحسان الجابري. وتناول البحث موضوع إصرار فرنسا على إبقاء سيطرتها العسكرية على

سوريا ولبنان وكيفية مقاومة هذا الانتداب. وفي ٢٤ حزيران قامت السلطة الفرنسية بتسليم لواء الاسكندرونة إلى تركيا[٢٩]. وفي هذه الفترة، قام الأمير بلقاءات وتحركات سياسية في لبنان، فألقى في جمعية مدارس المقاصد الخيرية محاضرة بدعوة منها، شرح فيها أهمية الثقافة القومية، ومواجهة الغزو الثقافي الغربي لأمتنا العربية.

وفي الثامن من تموز ١٩٣٩، اضطر المفوض السامي رئيس الجمهورية السورية هاشم الأتاسي إلى الاستقالة، فأرسلها إلى مجلس النواب[٣٠]. وقام بعد ذلك، المفوض غبريال بيو، بتعطيل الدستور في سوريا ثم حلّ مجلس النواب. عند ذلك، خرج الرئيس هاشم الأتاسي من دمشق إلى حمص. ويقارن الأمير عادل أرسلان هذه المرحلة الحالية، بمرحلة احتلال فرنسا لسوريا في ١٩٢٠، فيقول: «في ١٤ تموز ١٩٢٠ أرسل غورو إنذاره التاريخي إلى الملك فيصل وهو في قصر بيت خورشيد بك المصري، في الصالحية، وفي ٢٤ تموز أخرجت فرنسا فيصل من دمشق. في ٨ تموز ١٩٣٩ اضطر المسيو غبريال بيو هاشم بك الأتاسي رئيس جمهورية سورية إلى الاستقالة، وعطل الدستور السوري وحلّ مجلس النواب وخرج هاشم بك إلى حمص بلده من قصر الرئاسة، وهو بيت مصطفى بك العابد الذي يبعد عشرين خطوة عن القصر الذي خرج منه فيصل بأمر فرنسا»[٣١]. تنقل الأمير عادل أرسلان في معظم أنحاء الجبل في صيف ١٩٣٩ في لبنان، يتفقد الأهل والأقارب والأصدقاء.

في ٢١ أيلول ١٩٣٩[٣٢] قامت السلطة المنتدبة في لبنان بإصدار قرار بوقف العمل بالدستور وإلغاء الوزارة وحل المجلس النيابي، وتمّ تأليف حكومة جديدة من ثمانية مديرين، مع إبقاء رئيس الجمهورية خيالاً لصحراء لا زرع فيها. أحدثت هذه الخطوة صدمة نفسية كبيرة في قلوب الأحرار الوطنيين، دفعت العديد منهم إلى رفض هذه الضربة الفرنسية للحرية، والتحرك في سبيل استعادة المكاسب السابقة، فتحرك الأمير عادل أرسلان في جميع المناطق اللبنانية في تلك البرهة الزمنية، يحرّض الناس على الانتداب، ورفض إجراءات الاستعمار الفرنسي، فأزعج تحركه الفرنسيين وأعوانهم في لبنان، وتمّ إبلاغه في ٢٥ أيار ١٩٤٠ بالمثول أمام مدير الأمن العام الفرنسي في لبنان الكولونيل كولومباني[٣٣].

اعتقال الأمير عادل ونفيه إلى تدمر

قام الأمير عادل بإبلاغ أقاربه وأصحابه بالأمر، فمثل أمام مدير الأمن العام، فوجد أن المفوض غبريال بيو وقّع على أمر نفيه إلى تدمر. وفي ٢٦ أيار زاره قريبه الأمير مجيد أرسلان وأطلعه عادل على خلفيات الحدث، ثم نُقل مخفوراً إلى دمشق ومعه الشيخ هاني أبي مصلح(٣٤). وفي ٢٧ أيار اعتقل عارف النكدي في دمشق وتمّ نقل الثلاثة إلى سجن تدمر، ولم يفهموا سبب اعتقالهم. وفي ١٩ حزيران أُعتقل علي بك ناصر الدين من بلدة بمريم — لبنان ونُقل إلى تدمر. وقد وصف الأمير عادل مرارة السجن وتصرف الفرنسيين السيئ نحوهم ونحو كل الوطنيين في سوريا ولبنان.

وبعد اتصالات ومساعٍ كبيرة قام بها أصدقاء الأمير في سوريا ولبنان، تمّ إطلاق سراحه مع عارف النكدي في ٢٥ حزيران ١٩٤٠، فانتقل من تدمر إلى دمشق، ووصل إلى مركز الأمن العام، حيث كان في انتظاره الأمير مجيد أرسلان، وكميل نمر شمعون، والأمير رفيق أرسلان مدير الاقتصاد في حكومة المديرين الثمانية في بيروت. وفي ٢٨ حزيران وصل إلى عيتات، فجاءت عشرات الوفود من قرى الجبل ومعظم مناطق لبنان وسوريا لتهنئته بالسلامة، واستمرت الوفود الشعبية لمدة أسبوعين تتقاطر إلى داره للسلام عليه. فأزعج هذا الأمر الفرنسيين، فأبلغه المسيو غبريال بيو عبر رسوله، وقف هذه الهمروجة وإلغاء الاستقبالات، كما طلب منه عدم التجول ولقاء المواطنين، ومُنع من زيارة الشوف.

وفي تشرين الثاني ١٩٤٠، تعرض الأمير لنكسة صحية، فدخل المستشفى وبقي لمدة ستة أيام، عاد بعدها إلى منزله في الشويفات واستمر فترة في النقاهة. وفي أواخر ١٩٤٠، انتقل إلى دمشق، ثم إلى تركيا في أواخر شهر كانون الأول ١٩٤٠ كلاجئ سياسي هرباً من اضطهاد الانتداب الفرنسي ومضايقته له، وتقييد تحركاته، حيث كان في إقامة شبه جبرية في لبنان.

الأمير عادل في تركيا لاجئاً سياسياً

استمر الأمير عادل أرسلان في الأعوام ١٩٤١ و١٩٤٢ و١٩٤٣ يتنقل ما بين استنبول وأنقرة، وفي ١٢ أيلول تلقى رسالة من لبنان تذكر أن سلطة

الانتداب صادرت أملاكه وأملاك أخيه الأمير شكيب[٣٥]، وهذا يدل على تعسّف السلطة الفرنسية في محاربتها للوطنيين. في ٢٢ أيلول تمّ انتخاب الرئيس بشارة الخوري رئيساً للجمهورية اللبنانية، وفي ٢٨ منه شكل الرئيس رياض الصلح حكومته، وقد فرح الأمير عادل لاستلام صديقه رياض رئاسة الحكومة، حيث يعتبر أن رياض سيزيل التوتر بين سوريا ولبنان الذي تحاول زرعه السياسة الفرنسية.

ولم يمضِ شهر ونصف على تشكيل الحكومة اللبنانية، حتى أقدمت سلطة الانتداب الفرنسي على اعتقال رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة وعدد من أعضائها، معلّلة السبب بتجاوزها صلاحياتها في العلاقات الدولية. والسبب الرئيسي كما يذكر الأمير عادل أرسلان، هو أن الحكومة وافقت على دعوة الرئيس مصطفى النحاس في مصر[٣٦]، وذلك لأجل التباحث في مشروع الاتحاد العربي.

احتدمت الأمور سياسياً في لبنان والخارج، وتصاعدت وتيرة الاضطرابات لتشمل كل المناطق اللبنانية، فاضطرت سلطة الانتداب إلى الإفراج عن المعتقلين في قلعة راشيا في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣ وتوجهوا إلى بيروت، وأعلن هذا اليوم عيداً وطنياً يحتفل فيه اللبنانيون باستقلال بلادهم.

خروج الفرنسيين من سوريا وعودة الأمير عادل

بقي الأمير عادل أرسلان في تركيا، يتنقل في مدنها، متابعاً أخبار سوريا ولبنان باهتمام بالغ عبر الصحف والمجلات واللقاءات السياسية التي كان يقوم بها في أعوام ١٩٤٣ و١٩٤٤ و١٩٤٥. وفي هذا العام، شهد لبنان وسوريا اضطرابات ومظاهرات دامية، رفع فيها الشباب يافطات مطالبة بالاستقلال، تندد بإجراءات القمع الفرنسية، فأرسلت فرنسا قوات كبيرة إلى لبنان عن طريق البحر لضبط الوضع في البلدين. ولكن المظاهرات استمرت بعنف في دمشق وحماه وحلب وحمص، مما حدا السلطة الفرنسية إلى إطلاق الرصاص على المتظاهرين في المدن السورية، فسقط مئات الجرحى والقتلى. وقامت القوات الفرنسية بنصب المدافع أمام مجلس النواب

السوري، وأطلقت القذائف عليه، ثم احتلته، وقامت طائراتها الحربية بالمشاركة في إلقاء القنابل على دمشق وقصف المتظاهرين.

إزاء هذا التمادي الظالم الغاشم، قامت القوات الوطنية في جبل الدروز، باعتقال القوات الفرنسية في ثكناتها، واستلم الدرك الوطني مكانها، وحاولت السلطة الفرنسية جاهدة، منع وصول هذه الأخبار إلى المدن السورية، ولكنها فشلت، فقام الشباب في معظم المدن السورية بالمواجهة البطولية مع الفرنسيين واستطاعوا أن يحرزوا النصر، حيث هبّ كل الشعب لنجدتهم وتحرير البلاد من سيطرتهم.

وقد وقفت الولايات المتحدة وبريطانيا إلى جانب الوطنيين، مطالبتين فرنسا بالتوقف عن ممارسة أعمالها الإرهابية، وسحب جيوشها، وقد صرّح الجنرال ديغول في ٣ حزيران ١٩٤٥ أن الإنكليز يقفون وراء هذا التحريض ودعم العصابات وتسليحها في سوريا ولبنان ضد فرنسا. وبالفعل استطاع السوريون هزم القوات الفرنسية وإخراجها مخفورة من مواقعها إلى مطار المزة، وتمّ إجلاء جميع أفرادها وعائلاتهم إلى لبنان. وفي السادس والعشرين من شهر تشرين الثاني غادر الأمير عادل تركيا متوجهاً إلى حلب[٣٧] بعد غياب ما يقارب خمس سنوات، فوصل إلى حلب، ثم توجّه إلى حمص في ٢٩ منه، وقام بزيارة الرئيس هاشم الأتاسي. ثم انتقل إلى لبنان، فقام بزيارة الرئيس بشارة الخوري في ٢ كانون الأول ١٩٤٥، ثم زار الرئيس رياض الصلح. بعد ذلك، دعاه الرئيس بشارة الخوري في ١٩ منه إلى تناول العشاء وتناول البحث في هذه الأمسية الشؤون اللبنانية والسورية ومعاناة الشعبين من الانتداب الفرنسي. وفي هذه الفترة قامت الصحف بحملات مشبوهة ضد الأمير عادل في بيروت بتوجيه فرنسي ولكنها لم تؤثر على مسيرة الأمير ونشاطه السياسي، وفي أواخر الشهر انتقل الأمير إلى سوريا.

لقاءات الأمير عادل في لبنان وسوريا بعد العودة

في ١٨ كانون الثاني ١٩٤٦ انتقل الأمير إلى بيروت، فالتقى في ٢١ منه رئيس الوزراء اللبناني سامي الصلح ونبهه إلى أعداء لبنان، وإلى السياسة الفرنسية الرامية إلى إبقاء لبنان تحت سلطتها، وتربّصها للعروبيين في هذا البلد.

وفي ١٢ شباط التقى مع رئيس مجلس الأعيان العراقي نوزي السعيد في بيروت. وفي الثامن من نيسان دُعي إلى إلقاء محاضرة في الجامعة الأميركية في بيروت، طرح فيها إقامة اتحاد عربي، كما شرح مفهوم الوحدة العربية ومستلزماتها ومشاكلها.

وفي ١٧ نيسان انتقل إلى دمشق لحضور عيد الجلاء، وفي يوم العيد، أصرّ مجاهدو الغوطة ودمشق بالطلب إليه أن يرأس الوفد المجاهد، ولم يرَ بُداً من تنفيذ رغبة رفاقه في ثورة ١٩٢٥ - ١٩٢٦. وفي هذه المناسبة، ألقى الأمير عادل أرسلان كلمة مهمة هدّد فيها الخونة والمتعاملين مع الفرنسيين. بعد ذلك، قامت الوفود بزيارة ضريح الشهيد القائد يوسف العظمة في ميسلون.

وفي الثامن من حزيران، عقد مؤتمر الجامعة العربية في بلودان - دمشق، وحضر رئيس الجمهورية اللبنانية الرئيس بشارة الخوري، وشارك الأمير عادل في هذا المؤتمر[٣٨]، واتصل بمعظم الوفود العربية المشاركة، مناقشاً معهم القضايا القومية والمشاريع الاقتصادية المشتركة التي تهم الأمة العربية وتخدم مصالحها.

الأمير عادل أرسلان وزيراً في الحكومة السورية

اتصل رئيس الجمهورية السورية شكري القوتلي مساء ١٦ حزيران ١٩٤٦ بالأمير عادل أرسلان، يطلب منه الحضور صباحاً إلى دمشق. فتوجّه الأمير فوراً والتقى به، فطلب منه الرئيس تسلّمّ وزارة المعارف السورية في حكومة سعد الله الجابري[٣٩]، حيث يريد الرئيس تحسين وضع الجامعة وإعلاء شأنها، ويرى في الأمير أهلية لهذا المنصب. بدأ الأمير عمله بشكل جدّي، وحاول قدر الإمكان تطهير الفساد الموجود في الإدارات، وفي بعض الأحيان، طلب من الرئيس قبول استقالته، أو القيام بإزالة المخالفات في بعض المواقع والدوائر التي يشير إليها.

وفي العشرين من آب ١٩٤٦، قرر مجلس الوزراء انتداب الأمير عادل أرسلان والسيد فارس الخوري لتمثيل سوريا في مؤتمر لندن. ولكن المؤتمر تمّ تأجيله من شهر آب إلى شهر أيلول. وفي أواخر آب قام الأمير

عادل بزيارة بيت الدين، فالتقى بالرئيس بشارة الخوري، وعاد في الرابع من أيلول إلى دمشق.

في ٧ أيلول غادر الأمير عادل أرسلان وفارس الخوري بيروت ووصلا إلى لندن في الثامن من أيلول لتمثيل سوريا في المؤتمر[٤٠]. وشاركت سبع دول عربية هي: لبنان – سوريا – مصر – السعودية – الأردن – العراق واليمن. وقد اختتم المؤتمر أعماله في ١٣ تشرين الأول على أن يتابع بحث المواضيع المتبقية في الشتاء المقبل.

غادر الأمير عادل من لندن إلى باريس ثم إلى جنيف، للقاء أخيه شكيب، فوجد أنه غادر إلى مرسيليا، فلحق به، واستقلا باخرة متجهة إلى لبنان، فوصلا في ٣٠ تشرين الأول ١٩٤٦. أُرسلت الحكومة اللبنانية وعلى رأسها سعيد المنلا الرئيس وأعضاء الوزارة ورئيس ديوان رئيس الجمهورية جورج حيمري لاستقبال الأميرين وخصوصاً الأمير شكيب بعد غياب طويل عن لبنان[٤١]. وبعد هذه الاحتفالات والاستقبالات عاد إلى دمشق. في ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٦ انتدب الرئيس شكري القوتلي رئيس ديوانه لتمثيله في عيد الاستقلال في لبنان، وانتدبت الحكومة السورية الأمير عادل أرسلان وزير المعارف[٤٢]، والوزير أحمد الشراباتي لتمثيلها في الاحتفال. ويذكر الأمير عادل هذه المناسبة بقوله: «ولما وصلت في ٢٢ إلى بيروت، ونزلت من السيارة في ساحة الشهداء، علت الهتافات المؤيدة لسوريا وللعروبة من كل الأمكنة». وفي نهاية الاحتفال عاد الجميع إلى سوريا. وفي ٢ كانون الأول جاء الأمير عادل إلى لبنان للاطمئنان على أخيه الأمير شكيب، فوجده مريضاً وحالته تزداد سوءاً، فبقي إلى جانبه، حيث وافته المنية في ٩ كانون الأول ١٩٤٦[٤٣]، وفي اليوم التالي، تمّ تشييع الجثمان من منزله إلى الجامع العمري، ثم إلى مسقط رأسه الشويفات. وكان له مأتم مهيب شارك فيه الألوف.

الأمير عادل وزيراً للمعارف في الحكومة الثانية

في ٢١ كانون الأول ١٩٤٦ ذهب الأمير عادل إلى دمشق، وقدّم كتاب استقالته، كما فعل ذلك باقي الوزراء، احتجاجاً على سياسة الحكومة وتصرفاتها، وعدم قيامها بالإصلاحات الإدارية، ثم قفل عائداً إلى بيروت.

وفي ٢٨ منه عاد إلى دمشق، فتفاجأ بوجود حكومة جديدة ألّفها جميل مردم، وهو فيها وزيراً للمعارف، حيث أصرّ الرئيس السوري على بقائه في الحكومة ليتابع مسيرة الجامعة والتعليم في سوريا. وقد نالت الوزارة ثقة المجلس النيابي في ٣١ كانون الأول ١٩٤٦[٤٤].

وفي الأول من كانون الثاني ١٩٤٧، شارك الوزير عادل أرسلان مع رئيس الحكومة جميل مردم ووزير الخارجية نعيم الأنطاكي في احتفال عيد الجلاء في لبنان، وفي ١٧ كانون الثاني ١٩٤٧ استطاع الأمير عادل الحصول على ثلاثة ملايين ليرة سورية لدعم الجامعة بموافقة مجلس الوزراء السوري.

الأمير عادل يمثل سوريا في مؤتمر لندن

في ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٧ غادر الأمير عادل دمشق إلى بيروت فالإسكندرية فلندن، لتمثيل سوريا في المؤتمر[٤٥]، وقد استمرت الجلسات حتى ١٧ شباط ١٩٤٧، وقد قرر الإنكليز كما يبدو تقسيم فلسطين وهم ماضون في هذه السياسة التي لا يستطيع أي شيء إيقافها إزاء الضعف العربي والانقسام في المواقف العربية. وفي ٨ تموز ١٩٤٧، ففاز الأمير عادل أرسلان نائباً عن الجولان[٤٦].

الأمير عادل في الأمم المتحدة

في ١٥ تموز عُقد في صوفر مؤتمر حضرته وفود عدة من الدول العربية، تناول فيه المؤتمرون قضية فلسطين وموقف الحكومات منها. وحضر عن الجانب السوري رئيس الوزراء جميل مردم والأمير عادل أرسلان. وقد كلفت الوفود العربية الأمير عادل بتمثيلها في الأمم المتحدة، بناء على اقتراح وزير خارجية لبنان الوزير حميد فرنجية، فوافقت الوفود على ذلك.

في ١٣ أيلول ١٩٤٧ سافر الأمير عادل إلى استنبول ومنها إلى لندن ثم نيويورك ووصل في ١٤ منه. وفي السابع عشر منه شارك في لجنة الوصايات وألقى كلمة فيها[٤٧]. ثم شارك في معظم الجلسات وألقى كلمات عدة، أهمها في ٩ تشرين الأول و١٦ منه حيث ردّ على مندوب غواتيمالا بعنف. وكان الأمير على اتصال بمانيلا مع القنصل الفخري اللبناني سعيد تقي الدين

وصديقه كامل حمادة، حيث طلب إليهما الأمير، المساعدة لكسب صوت لفلسطين في الاقتراع، وأن يساهما في دعم الفليبين للعرب. وقد خطب كذلك الأمير عادل في إذاعة صوت الأمم باللغتين الإنكليزية والعربية.

أسهم الأمير عادل أرسلان في النشاط السياسي الكبير إلى جانب الدول العربية للحؤول دون إصدار قرار تقسيم فلسطين، حيث كانت الدعاية الصهيونية ناشطة، تساندها البعثة البريطانية، إضافة إلى الاغراءات المادية المالية الضخمة التي وضعت بتصرفها. ولكن جهود الأمير عادل لم تكن تكفي لوقف قرار دولي تعسفي جائر، في ظل استهتار معظم الدول العربية، فكان قرار التقسيم في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧. فقد صوّت ٣٣ مع اليهود و١٣ ضدهم واستنكفت عشرة وفود عن التصويت. وعاد الأمير في ٣٠ كانون الأول إلى دمشق. في هذه الأثناء، بينما كان الأمير يحمل سيف الدفاع عن العروبة وفلسطين في الأمم المتحدة، كانت الأوضاع في سوريا تهتز وتضطرب، فاستقالت الحكومة، وأُلفت حكومة جديدة معدّلة برئاسة جميل مردم في ١٠ تشرين الأول ١٩٤٧، ولم تشمل في صفوفها الأمير عادل، فبقي نائباً في البرلمان فقط.

وفي ٢٠ شباط ١٩٤٩ اتصل به الرئيس شكري القوتلي وطلب اللقاء معه[٤٨]، فحضر الأمير عادل إلى قصر الرئاسة، فقال له الرئيس إنه يرغب بإيفاده إلى أنقرة كسفير لسوريا خصوصاً في هذه المرحلة الدقيقة، ولم يستطع الأمير إلا قبول هذا المنصب ليس حباً به أو بالنفوذ، بل لموقفه القومي ودفاعه عن قضايا أمته المصيرية.

الأمير عادل سفيراً رسمياً في أنقرة

في ١ آذار ١٩٤٩ غادر الأمير عادل سوريا إلى استنبول. وبدأ في اليوم التالي لوصوله لقاءات سياسية ودبلوماسية مع السفراء العرب والأجانب، تناولت محادثاته الوضع في فلسطين في ضوء الاعتداءات الصهيونية، مدافعاً عن حقوق العرب، محرضاً الدول كي تقف إلى جانب الحق العربي في فلسطين وتبتعد عن الاغراءات الصهيونية. وفي ١٠ آذار عاد إلى دمشق، فوجدها مضطربة، ومعظم المدن السورية يسودها جو من القلق والتوتر، حيث

انطلقت مظاهرات صاخبة في أغلبها، مما أدى إلى أن يقدّم عادل العظمة وزير الداخلية استقالته. بعد ذلك، قام الأمير بزيارة للأهل في لبنان، عاد إلى دمشق في ٢٨ آذار وحضر جلسة مجلس النواب السوري[٤٩].

الانقلاب العسكري الأول في سوريا

يوم الأربعاء ٣٠ آذار ١٩٤٩، قام قائد الجيش السوري حسني الزعيم بانقلاب عسكري[٥٠]، فاعتقل شكري القوتلي وخالد العظم وحسن جبارة وزير المالية وغيرهم. فتوجّه فوراً الأمير عادل يرافقه ناظم القدسي وأكرم الحوراني ومعروف الدواليبي وأحمد قنبر وسامي كبارة وعبد الوهاب حامد، بزيارة حسني الزعيم قائد الانقلاب.

قام حسني الزعيم بحل مجلس النواب، ضارباً عرض الحائط بكل النصائح له في هذا الموضوع، وقد استاء الأمير عادل من تصرف حسني، ولكنه أيقن أن القوة تتكلم ولا بد من استيعاب المرحلة وعدم افتعال الخصام معه وذلك لمصلحة سوريا. وفي الرابع من نيسان، اتصل حسني الزعيم بالأمير عادل طالباً منه تمثيل سوريا في الأمم المتحدة، ودعاه إلى تناول العشاء، فاعتذر الأمير واتفقا على موعد في صباح اليوم التالي لترتيب الوفد.

التقى الأمير مع حسني الزعيم وطرح عليه أسماء الوفد المرافق وهم: رفيق العشا، أحمد العادلي، نجم الدين الرفاعي، صلاح الطرزي. فوافق الزعيم وطلب منه إدراج اسم ناظم مرهج فقبل الأمير بشرط أن يكون سكرتيراً ولا يملي شروطاً فوافق الزعيم.

وفي ٧ نيسان ١٩٤٧، كان الأمير عادل يتهيأ في بيروت للسفر إلى نيويورك، وإذا بالأمير مجيد أرسلان يتصل به قائلاً: «إنّ حسني الزعيم اتصل بي، وسألني عنكَ، وكلفني أن أبلغكَ، أن شكري القوتلي استقال من رئاسة الجمهورية، وطلب مني كذلك إبلاغك بالعدول عن السفر إلى نيويورك».

وعصر هذا اليوم توجّه الأمير إلى قصر الرئاسة، فالتقى الرئيس بشارة الخوري بحضور عبد الله اليافي، حبيب أبي شهلا، رياض الصلح، وحميد فرنجية، وقد طلب إليه الحاضرون البقاء في سوريا في الوقت الراهن، فذلك

أفضل من السفر إلى الخارج، بغية متابعة التطورات السياسية. مساء ٧ نيسان ١٩٤٩ غادر إلى دمشق. وفي صباح ٨ نيسان ١٩٤٩ قام الأمير عادل أرسلان بمرافقة حسني الزعيم ومحمود عزمي في زيارة الجبهة، وكان الجيش في حماس شديد للقتال كما وصفه الأمير. وقد أبدى الأمير للزعيم ملاحظات حول موضوع التحصينات الدفاعية الأمامية.

وفي ١٤ نيسان كلف حسني الزعيم فيضي بك الأتاسي بتشكيل الحكومة، ولكنه فشل، وهنا أرسل الزعيم رسوله الخاص إلى الأمير عادل أرسلان، حيث أسرّ له أن الحكومات العربية ترتاح إليه في تشكيل الحكومة وأن يتسلم وزارة الخارجية فيها، ولكن الأمير رفض هذا الاقتراح بتهذيب.

الأمير عادل وزيراً للخارجية السوريّة

في السادس عشر من نيسان ١٩٤٩، ألّف حسني الزعيم الوزارة برئاسته، وجاءت على الشكل التالي: عادل أرسلان نائب الرئيس ووزير للخارجية[٥١]، الدفاع والداخلية للرئيس حسني الزعيم، وزارة العدل والأشغال أسعد كوراني، وزارة المالية حسن جبارة، وزير الاقتصاد فتح الله الصقال، وزير الزراعة نوري أيبش.

وفي ٢٨ نيسان توجّه الأمير عادل إلى لبنان والتقى بالرئيس بشارة الخوري، وأوضح له الموقف السياسي في سوريا وعلاقة سوريا مع جيرانها العرب، وعاد مساء إلى دمشق. وفي الثلاثين من نيسان طلب منه الزعيم زيارة العراق، وبحث العلاقات بين البلدين، وإزالة التوتر الناجم عن الانقلاب العسكري سياسياً وتسوية الأمور بين الدولتين، فقام الأمير بزيارة العراق في ٢ أيار ١٩٤٩.

وقبل سفره إلى العراق، حضر الوزير أرسلان جلسة مجلس الوزراء في ٣٠ نيسان، وأبدى انزعاجه من تصرفات بعض أهل الحكم، وقال للرئيس حسني الزعيم، إنه لا يقبل أن يكون ناطوراً في الوزارة، ولا يقبل بأن تنشر بيانات في الحكومة دون أن تمر في وزارة الخارجية ويطلع عليها، وإذا لم يُستجب إلى طلبه، فإنه سيقدم فوراً استقالته، فوافق مجلس الوزراء مجتمعاً على طلبه، وأثبت الأمير جدارته في هذا المنصب الكبير، نتيجة ذكائه

وخبرته السياسية. في ٢ أيار ١٩٤٩ سافر الأمير عادل أرسلان يرافقه صبري بك العسلي وقائد القوة الجوية العقيد صلاح الدين خانكان، واستمرت المحادثات أياماً خمسة، عاد بعدها الوفد إلى دمشق. وشهد شهر أيار توتراً في العلاقة بين لبنان وسوريا، وكان للفرنسيين وللغرب يد في هذه المشاكل. فقامت مصر والسعودية بمساعٍ بين البلدين، وتمّ اللقاء بين الوفدين اللبناني والسوري على الحدود اللبنانية – السورية، ولم يُحلّ الإشكال، واستمرت المساعي الخيّرة حتى أُزيل الخلاف بين الدولتين.

حكومة جديدة في سوريا

في ٢٥ حزيران ١٩٤٩، جرى استفتاء عام في سوريا، أصبح بموجبه حسني الزعيم رئيساً للجمهورية السورية. فقدمت الحكومة استقالتها، ولم يمضِ على عمرها شهران من الزمن.

قام الأمير عادل أرسلان بزيارة الرئيس حسني الزعيم للمرة الأولى، بعد تسلمه رئاسة الجمهورية، وأبلغه الزعيم في ٢٤ تموز ١٩٤٩، قرار تكليفه استلام مفوضية أنقرة، ممثلاً للحكومة السورية بدلاً من إحسان الشريف. وقد وافق الأمير عادل على هذا التكليف[٥٢].

إعدام حسني الزعيم والبرازي

الساعة الثالثة صباح الأحد ١٤ آب ١٩٤٩، استفاقت سوريا على وقع انقلاب ثانٍ بقيادة سامي الحناوي الذي اعتقل حسني الزعيم ومحسن البرازي وأمر بإعدامهما مباشرة. قام الأمير عادل أرسلان بزيارة سامي الحناوي في ٢٣ آب[٥٣]، ولفت انتباهه إلى المخاطر المحدقة بسوريا، وطلب إليه عدم إلهاء الجيش وزجّه بالأمور الداخلية، وتوجيهه إلى جبهات القتال مع اليهود، للدفاع عن كرامة الوطن.

الأمير عادل في أنقرة

في ٢٢ تشرين الأول ١٩٤٩، غادر الأمير عادل دمشق إلى حلب، ثم أنقرة ووصلها في ٢٤ منه، وقد لقي الأمير ترحيباً كبيراً به في أنقرة، وقام بزيارة

رئيس تركيا عصمت إينونو، فقال له الرئيس: «سترى نفسك في عائلة كل أفرادها يحبونك ويريدون نجاحك في مهمتك، ويرون الخير والسعادة لوطنك. وأنا بصورة خاصة أسهر على ذلك»(٥٤). بعد ذلك، قام الأمير عادل بزيارات بروتوكولية إلى البعثات الدبلوماسية في أنقرة.

سوريا والانقلاب الثالث

في ١٩ كانون الأول ١٩٤٩، قام العقيد أديب الشيشكلي باعتقال سامي الحناوي وعديله أسعد طلس. وكلف خالد العظم بتشكيل الوزارة، فاستطاع في ٢٨ كانون الأول أن يؤلفها.

التقى الأمير عادل أرسلان في أنقرة العديد من رؤساء البعثات الدبلوماسية، وأهمهم السفير الروسي والكندي، وزار السفير المصري، والتقى في استنبول برئيس الوزراء التركي. بقي الأمير في مدينة استنبول حتى ٢٥ آذار ١٩٥٠ وذهب منها إلى أنقرة، وفي هذه الفترة التقى مع سفراء عرب وأجانب وكان الموضوع الدائم الموقف السياسي في سوريا في ضوء الانقلابات المتلاحقة، والتوتر السياسي الداخلي، والتوتر مع لبنان بين الرئيسين خالد العظم ورياض الصلح.

في ٧ تموز ١٩٥٠ وجه الأمير عادل نقداً قاسياً إلى أديب الشيشكلي(٥٥)، باعتباره لا يحترم رئيس مجلس الوزراء حيث يقول: «في الدنيا كلها يقرر رئيس الوزراء شيئاً ويوعز إلى الوزراء بتنفيذه، كاستقبال ضيف من جيش بلاد حليفة أو صديقة، أما في سوريا فوزارة الدفاع بل رئاسة الأركان هي التي تأمر رئيس الوزراء».

ورغم الانقلاب الذي قام به الشيشكلي وتأليف حكومة جديدة، لم يتم استدعاء الأمير عادل إلى دمشق للتشاور معه، أو للإطلاع على أوضاع السفارة السورية في أنقرة.

ولكن الأمير لم يتوانَ عن الدور المطلوب منه، فاستمر يعمل بجد وجهد لما فيه مصلحة سوريا والعرب، مدافعاً عن قضية فلسطين، في كل اللقاءات والمحافل، ومنبهاً إلى خطورة السياسة الإنكليزية الأميركية التي يحركها الصهاينة. وقد بعث إلى وزير الخارجية ناظم القدسي كتاباً يشرح

له موقف تركيا من التطورات بعد لقائه مع توفيق رشدي آراس ومواقف الدول المعنية بالقرار[٥٦].

في الخامس من أيلول ١٩٥٠ أُنتخب هاشم الأتاسي رئيساً للجمهورية السورية، وكلّف ناظم القدسي لتأليف حكومة، فشكلها في ٩ أيلول وأبقى وزارة الخارجية له. قام الأمير عادل في ١٠ تشرين الأول ١٩٥٠ بالرد على مقالات صحيفة جمهورية التركية مفنداً وقوف الدول العربية مع روسيا، ومهاجماً سياسة الأمم المتحدة والولايات المتحدة والتغاضي الحاصل عن أعمال اليهود في فلسطين، وطرد الأتراك من بلغاريا. هذا الرد جاء في صحيفة يكي استنبول التركية وتُرجم إلى يكي استنبول الفرنسية. وردّ على الأمير في الجريدة نفسها سفير إسرائيل إلياهو ساسون، بكلام مزعوم خالٍ من المنطق. وردّ عليه الأمير ثانية بكلامٍ قاسٍ: «إن حكومة مصطنعة تحكم أخلاطاً من البشر ثلثاهم من يهود روسيا وبولونيا لا يحق لها أن تحشر نفسها بين الدول الشرقية ...». وقد أثارت تصريحات الأمير ضد سياسة اليهود صدى في تركيا والدول الأوروبية. وقامت الدسائس اليهودية بالإيعاز إلى الصحف التركية أن مهمة السفير السوري عادل أرسلان انتهت وأُحيل إلى التقاعد وأن موظفي المفوضية سينتقلون إلى دمشق، وذلك نظراً إلى موقف الأمير عادل الشجاع في الدفاع عن الحق العربي والوقوف في وجه المطامع الصهيونية، وفضح السياسة الصهيونية الرامية إلى زرع الفتن بين تركيا والدول العربية. في ٢١ تشرين الثاني ١٩٥٠، قام الجنرال موشه دايان رئيس أركان جيش العدو[٥٧] الإسرائيلي بزيارة أنقرة، فتحرك الأمير عادل فوراً لمعرفة خلفيات الزيارة، فاتصل بوزير الخارجية التركي فؤاد كوبرولد، مستوضحاً، فقال له: إنها زيارة خاصة. ولكن الأمير لم يثق بكلامه وتابع تحركه، واتصل بالسفراء العرب وأبرق إلى وزارة الخارجية السورية يعلمها بالتحرك الصهيوني في تركيا. وتابع الأمير عادل تحركات موشه دايان في أنقرة، فعلِم أنه اجتمع مع ضباط في قيادة الأركان في الجيش التركي، ولم تكن زيارته للسياحة، وأبرق إلى وزارة الخارجية يعلمها بذلك، ويطلب منها استقصاء المعلومات من البعثات الدبلوماسية السورية في الدول الباقية.

في الثالث من كانون الثاني ١٩٥١ طلبت وزارة الخارجية من الحكومة

السورية تمديد مهمة الأمير عادل أرسلان في أنقرة حتى نهاية العام وتمت الموافقة على الرغم من بلوغه السن القانونية. في شهر كانون الثاني ١٩٥١ قدمت الولايات المتحدة قرضاً لإسرائيل بقيمة ١٥٠ مليون دولار، وطلبت وزارة الخارجية السورية من الأمير عادل عبر برقية سريعة، إعلان استياء سوريا والعرب من سياسة أميركا الهادفة إلى هلاك العرب. وطلبت إليه الخارجية إبداء رأيه وملاحظاته حول موقف تركيا من هذا الموضوع. فرد بالجواب: «إني لا أجد علاجاً أنجح من الدخول في اتحاد مثلث مع العراق والأردن»[٥٨].

تحرك الأمير عادل إزاء الهجمة الأميركية اليهودية على العرب، وقام باتصالات ولقاءات دائمة مع القادة الأتراك وفي مقدمتهم وزير الخارجية التركي الذي قال له: إن تركيا ليست في صدد عقد معاهدة مع إسرائيل ولم توقّع مثل هذه المعاهدة.

وفي خطاب الوزير ناظم القدسي في اجتماع اللجنة السياسية العربية في القاهرة، عمل القدسي، برأي الأمير عادل أرسلان محاولاً إصلاح وضع الجامعة العربية كي تتحمل مسؤولياتها كاملة. وفي رسالته الأخيرة إلى القدسي يقول الأمير: «إننا مسؤولون في الدرجة الأولى عن سوريا وأرواح أهلها وأعراضهم، فإن كانت الجامعة العربية لا تريد منهم الحقائق ولا أن تصلح أمورها وتسهّل لسوريا سبيل النجاة، فنحن أحرار في اختيار الخطة التي نراها الفضلى لحفظ كياننا»[٥٩].

وقد أخذ وزير الخارجية السوري في اللقاء السياسي في القاهرة بكلام الأمير عادل، وقال لزملائه الوزراء العرب: «إنّ الأمة العربية شبعت كلاماً، فهي تريد عملاً نافعاً مستمراً، بعد خمس سنوات من تأليف الجامعة، لم نكسب فيها إلا سوء الأحدوثة». وقد أحدث اقتراح وزير الخارجية السوري صدى كبيراً في طرحه الوحدة العربية أو الدعوة إلى اتحاد عربي ضيق أو موسّع، واهتمت الدول العربية لهذا الاقتراح.

في ٢٢ تشرين الأول ١٩٥١ جاء الأمير عادل من أنقرة إلى بيروت، ثم ذهب إلى دمشق وقام بزيارة رئيس الوزارة حسن الحكيم، فأطلعه على الشؤون الدولية في تركيا، ثم قام بزيارة الرئيس هاشم الأتاسي وشرح له موقف تركيا من قضايا العرب.

عاد الأمير إلى أنقرة عبر طريق بيروت في ١١ كانون الأول ١٩٥١، بعد أن التقى الرئيس اللبناني بشارة الخوري، الذي أبدى قلقه من التطورات السياسية في سوريا. وشرح له الأمير الموقف السياسي والاضطراب الموجود في سوريا، كيف أن الفرنسيين مسرورون لاستلام الشيشكلي مقاليد السلطة في سوريا، ولا خوف على العلاقة مع لبنان.

في هذه الفترة أرسل الأمير رسائل عدة إلى وزارة الخارجية، يدعو فيها إلى «تزويد المفوضية بالوسائل التي تمكنها من الرد على تلك الدعاية الخطرة، فلم تزدد إلا تجاهلاً للحقيقة». والمقصود الرد على الحملات الصهيونية في تركيا.

وفي ١ كانون الثاني ١٩٥٢، صدر مرسوم من وزارة الخارجية السورية بكتاب إعفاء الأمير من منصبه وإحالته على التقاعد[٦٠].

عودة الأمير عادل إلى لبنان

بعد تبلغه قرار إعفائه من منصبه، قام الأمير بزيارة البعثات الدبلوماسية مودّعاً، إضافة إلى لقائه القيادات التركية، وغادر تركيا إلى الفاتيكان حيث قابل البابا بيوس الثاني عشر في ٩ أيار ١٩٥٢ وقدّم له البابا هدية عبارة عن ميدالية، وشكر الأمير قداسته وغادر إيطاليا من روما بالطائرة إلى بيروت فوصل في ١٤ أيار ١٩٥٢. وفي ٣٠ أيار اتصل به رئيس الجمهورية اللبنانية طالباً مقابلته، فذهب ويقول الأمير عادل إنه رأى الرئيس بشارة متعباً محرجاً من تزايد ضغط المعارضة النيابية ضده، وطلب منه التوسط لدى الصحف والفعاليات لوقف الحملات الموجهة ضدّه. فوعده الأمير بالمساعدة، ولكنه طلب منه كذلك تلطيف الأجواء لأنها مكهربة.

ورغم عدم تسلمه أي مسؤولية دبلوماسية أو سياسية، فإن القيادات السياسية والحزبية، والسفراء ورؤساء البعثات الدبلوماسية، لم ينقطعوا عن زيارة الأمير عادل ودعوته إلى المشاركة في اللقاءات والاحتفالات، لما له من رأي صائب، وخبرة سياسية إقليمية ودولية كبيرة، جعلته قارئاً سياسياً كبيراً من الطراز الأوّل، يستلهم منه القادة الأحداث المستقبلية.

في ٢٤ أيلول ١٩٥٢ قام بزيارة الرئيس الجديد المُنتخب كميل نمر شمعون في بيت الدين[٦١]، ثم ذهب الأمير إلى المختارة للقاء الزعيم كمال

جنبلاط. وشارك في الثلاثين من تشرين الثاني ١٩٥٢ في حفل تأبين المرحوم عبد الحميد كرامي في طرابلس. فذكر خصال عبد الحميد ووفاءه، ولم يتطرق إلى المواضيع السياسية.

واستمر الأمير عادل على علاقة وثيقة مع السفراء والقيادات والتقى في العام ١٩٥٣ أكثر من مرة مع الرئيس كميل شمعون، وتناول الغذاء والعشاء معه، موجهاً إليه النصائح، كي لا يقع في أخطاء الرئيس السابق بشارة الخوري. وفي الثالث من آذار أصيب الأمير بوعكة صحية[٦٢]، فهرعت القيادات والأصدقاء للاطمئنان عنه، وكان في مقدمهم الرئيس شمعون. وقد طلب منه الأطباء ملازمة الفراش والاستراحة. وبعد استراحة استمرت شهراً عاد الأمير إلى لقاءاته وزياراته، فالتقى في ١٠ نيسان ١٩٥٣ الأمير سعود بن عبد العزيز في قصر سرسق، ورحب سعود به كثيراً. ثم قام الأمير بمواكبة سعود في زياراته في لبنان. وقام الأمير بزيارات متعددة في أواخر ١٩٥٣ شملت رئيس الجمهورية كميل شمعون ورئيس الوزراء عبد الله اليافي[٦٣].

وفاة الأمير عادل أرسلان

في الأشهر الأخيرة من عام ١٩٥٣، بدأ الأمير يحس بالإرهاق والتعب، فاعتكف في منزله ولم يخرج إلا في المناسبات الهامة، أو لتفقد أحد الأصدقاء المحببين إليه. وفي السابع عشر من كانون الثاني ١٩٥٤ قام بزيارة صديقه كامل مروة رئيس تحرير جريدة الحياة، فقام بتوديع كامل مروة بقبلتين في جبينه على غير عادة، وقال له: «ربّما لا نرى بعضنا بعد اليوم».

في الساعة الثانية بعد ظهر يوم السبت ٢٣ كانون الثاني ١٩٥٤، توجه الأمير إلى منزل السيد نقولا بسترس، لكي يعزيه بوفاة نسيبته ماري تويني، وبينما كان خارجاً من القصر يهبط الدرج، وقف مكانه وقال وهو يرتعش لمَن حوله: «أشعر بتعب ودوار في رأسي، ثم صاح: لم أعد أستطيع أن أرى».

واختلج لحظة ووقع على الأرض، فحمله الحضور إلى حجرة مجاورة، وسارعوا إلى إسعافه بالمنعشات واستدعوا الأطباء، ولكنه لفظ النفس الأخير.

وما إن انتشر النبأ الحزين حتى خيّم الحداد على لبنان وسوريا، وما كاد

النبأ يصل إلى مسامع الرئيس كميل شمعون حتى توجّه إلى بيت الفقيد مغزياً بالمصاب الجلل.

وقد نُعي الأمير الراحل إلى ملوك العرب ورؤسائهم وأمرائهم ورجالاتهم في دنيا العرب، ونعته محطة إذاعة بيروت ومحطات الإذاعة العربية الأخرى، وأعلن الحداد الرسمي لمدة ثلاثة أيام.

ما قاله أصدقاء الراحل يوم رحيله

كتب الأمير عادل أرسلان في جريدة الحياة مقالات عدة في العام ١٩٥٢ وقبلها، أحياناً باسمه الصريح وأحياناً بأسماء مستترة. وكان في طليعة موجهي سياسة الحياة العربية لخدمة القضية المشتركة. وتربط الأمير عادل برئيس تحرير الحياة الأستاذ كامل مروة صداقة متينة، فكانا على اتصال دائم في أعوام ١٩٥٢– ١٩٥٣. وقد كتب كامل مروة كلمة مؤثرة في الصفحة الأولى من الحياة يوم الثلاثاء في ٢٦ كانون الثاني ١٩٥٤ هذا نصها:

«إلى رفاق الأمير عادل،

إذا كنا اليوم نكتب هذه السطور بحرية، وإذا كنت أيّها القارئ تطالعها بصورة طبيعية، وإذا كنا جميعاً نتعم بالاستقلال في وطننا، فالفضل في ذلك كله يعود إلى أولئك المؤمنين القلائل، الذين أطلقوا الفكرة العربية منذ أربعين سنة، وبذلوا شبابهم ودماءهم في سبيلها، ومنهم فقيدنا الكبير الأمير عادل أرسلان.

ومن المؤسف أن يكون تاريخ الحقبة الأخيرة من حياتنا، قد امتزج بالأحداث السياسية والأهواء الشخصية، فضاعت حقائق النهضة العربية، وحُرم الجيل الطالع من معرفة المصادر التي أُستمد منها وجوده القومي الحديث، وقد يأتي زمن يصبح فيه أسماء أبطال النهضة نكرات، وذلك منتهى العُقوق ونكران الأصل.

لقد كان الأمير عادل أرسلان، رحمه الله، موسوعة حيّة للتاريخ العربي. وإنه لمن المؤسف أن يكون القدر قد طواه، دون أن يُخلف لنا مؤلفاً يضمّنه أحداث القضية العربية، وقد عاشها وعاصرها من ألفها إلى يائها».

ورثاه الأديب والشاعر بدوي الجبل بكلمة مؤثرة جاء فيها[٦٤]: «من بدوي الجبل إلى روح عادل أرسلان، أولئك الذين صنعوا التاريخ...

هذه الغربة الأخيرة لك أيّها الزعيم العربي المؤمن، فلقد غرّبتك العلى بعبقريتك عن الناس، وغرّبك الكفاح لحرية وطنك عن وطنك، ثم بذهنك غربة الموت تطوي جفونك على أحلامها، وسريرتك على آلامها، ولعلّها أحنى من رفيقتها، وأنعم أفياءً وأندى ظلالاً، ولعلها الغربية الحانية الهانئة يلوي إلى حنانها الفارس المعلم بعد أن دقّ قناته في الصدور حتى تحطمت، وبعد أن هدته المعركة اللاهبة، وتلقى تحياتها في جبهته وفي صدره رشقاً وطعناً وضرباً. وجراحك في معارك الوطن معدن من معادن الجنة، وجوهر من جواهر سدرة المنتهى، فهي وسيمة كريمة، معطرة منورة، تتألق أنفة واستكباراً، وتصمت حياء وإيثاراً».

كما كتب عنه سلامة عبيد ما يلي[٦٥]: «عمِل الأمير عادل أرسلان في صفوف الثورة جندياً لا قائداً، يفترس الأرض ويلتحف السماء مع رفاقه، يجوع معهم ويعرى معهم. يقاتل حيث يقاتلون، ويتجه حيث يتوجهون بابتسام دائم. ومع ذلك فقد كان شاعراً مرهفاً تغضبه الإساءة وقد تخرجه عن طوره، وحاول أن يكون قاسياً شديد العقاب مع كل مُسيء أو خائن، ولكن العقلية العشائرية السائدة لم تسمح له بأن يضرب وبأن ينظف من الداخل، كان بعض الزعماء الجبليين وغير الجبليين يشعرون تجاهه بالحسد والغيرة، لا سيما وهو ابن أرسلان الحسيب النسيب، وكان هذا يضايقه، ولكن دون أن يغيّر شيئاً من جوهر الفدائي المجاهد».

أما أدهم آل الجندي فقال فيه[٦٦]: «لقد ناضل هذا الأمير النبيل في سبيل حرية بلاده واستقلالها، وأشترك فعلياً في الثورة السورية، وكان من دعاتها ومؤسسيها وقاد جيوشها في كثير من المواقع وأُصيب بجراح، وأقام مع إخوانه المجاهدين في النبك بعد انتهاء الثورة، ثم سافر إلى أوروبا وبقي فيها مشرداً مع القادة الوطنيين، وطاف البلاد العربية بمهام استقلالية واستمر على الكفاح والنضال إلى أن عقدت المعاهدة الفرنسية – السورية عام ١٩٣٦ فعاد على أثرها إلى سوريا عام ١٩٣٧، حيث عُيّن في العهد الوطني وزيراً مفوضاً لسوريا في أنقرة من عام ١٩٣٧ إلى عام ١٩٣٨، ولما انهار الحكم الوطني بانهيار المعاهدة، اعتقله الفرنسيون وأبعدوه إلى تدمر، ثم أطلقوا سراحه ورجع إلى بيروت».

هوامش الأمير عادل أرسلان

١ مذكرات الأمير عادل أرسلان، تحقيق د. يوسف أيبش، الدار التقدميّة، بيروت، ط١، ١٩٨٣، ص ٩٣٧.

٢ إبراهيم حرفوش، دلائل العناية الصمدانية في ترجمة معلي الطائفة المارونية، جونيه، لبنان، ١٩٣٥م، ص ٥٨٣.

٣ يوسف الحكيم، سورية والعهد الفيصلي، دار النهار للنشر، ط٣، ١٩٨٦، ص ٣٥.

٤ مجلة الضحى، عدد كانون الثاني ١٩٥٦، ص ٦ – ١٣.

٥ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٢٦٤.

٦ مذكرات سلطان باشا الأطرش، مطبعة الشرق العربية، القدس، ١٩٧٩، ج١، ص ٧٤.

٧ مذكرات سلطان باشا الأطرش، مطبعة الشرق العربية، القدس، ١٩٧٩، ج١، ص ٨١.

٨ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٣، ص ١٣٦٧.

٩ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج١، ص ٨١.

١٠ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ١٨٧.

١١ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٢٦٤.

١٢ مذكرات سلطان باشا الأطرش، مرجع سابق، ج٢، ص ١٢١.

١٣ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٣٩٩.

١٤ مذكرات سلطان باشا الأطرش، مرجع سابق، ج٢، ص ١٣٩.

١٥ مذكرات سلطان باشا الأطرش، مرجع سابق، ج٢، ص ١٥٣.

١٦ مذكرات سلطان باشا الأطرش، مرجع سابق، ج٢، ص ١٥٥.

١٧ حديث مسجّل مع صهره رجا سلوم حماده في منزله في بعقلين بتاريخ ١٠/١٠/٢٠٠٢.

١٨ جريدة لسان الحال، عدد ٢٥ تموز ١٩٢٨.

١٩ مجلة الشورى، عدد ١٧ نيسان ١٩٢٩.

٢٠ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٣، ص ١٣٢٦ – ١٣٢٧.

٢١ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج١، ص ١.

٢٢ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج١، ص ٢٧.

٢٣ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج١، ص ٨٠.

٢٤ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج١، ص ٩٨.

٢٥ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج١، ص ١١٧.

٢٦ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج١، ص ١٥٨.
٢٧ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج١، ص ١٨٦.
٢٨ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج١، ص ١٨٧.
٢٩ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج١، ص ٢٧٠.
٣٠ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج١، ص ٢٧٤.
٣١ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج١، ص ٢٧٥.
٣٢ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج١، ص ٢٨٤.
٣٣ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج١، ص ٣٠٣.
٣٤ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج١، ص ٣٠٤.
٣٥ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج١، ص ٤١٢.
٣٦ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج١، ص ٤٢٢.
٣٧ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج١، ص ٥٦٣.
٣٨ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٢، ص ٦٢٢.
٣٩ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٢، ص ٦٢٥.
٤٠ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٢، ص ٦٥٣.
٤١ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٢، ص ٦٥٨.
٤٢ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٢، ص ٦٦٤.
٤٣ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٢، ص ٦٦٦.
٤٤ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٢، ص ٦٧٤.
٤٥ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٢، ص ٦٨٠.
٤٦ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٢، ص ٦٨٥.
٤٧ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٢، ص ٧٠٤.
٤٨ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٢، ص ٧٨٦.
٤٩ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٢، ص ٨٠٤.
٥٠ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٢، ص ٨٠٥.
٥١ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٢، ص ٨١٦.
٥٢ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٢، ص ٨٦٣.
٥٣ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٢، ص ٨٧٦.

٥٤ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٢، ص ٩٠٤.
٥٥ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٢، ص ١٠٢٦.
٥٦ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٢، ص ١٠٢٩.
٥٧ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٢، ص ١٠٦٩.
٥٨ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٣، ص ١٠٨٨.
٥٩ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٣، ص ١١٠٠.
٦٠ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٣، ص ١٢٤١.
٦١ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٣، ص ١٣٧٩.
٦٢ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٣، ص ١٤٥٧.
٦٣ مذكرات الأمير عادل أرسلان، ج٣، ص ١٥٠٣.
٦٤ جريدة الحياة، ٢٦/١/١٩٥٤.
٦٥ سلامة عبيد، الثورة السورية الكبرى على ضوء وثائق لم تنشر بعد، سوريا، ط١، ١٩٧١، ص ١٩٦.
٦٦ أدهم آل جندي، تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، سوريا، ١٩٦٠، ١٩٦٠، ص ٢٤١.

٢

عادل النكدي

١٨٩٣ - ١٩٢٦م



عـادل النكـدي

هـذا الـذي غـدُ قـومـه مـن أمسـه ثـارت حـفـيظتـه فـجاد بنفسهِ
نـال الخلـود بموتـه لحيـاتهـم فغدت فريضتهم تحية رمسه[1]

عـادل بن جـميل بن بشير بن نـاصيف، سليل العشيرة النكدية العربية الحجازية المحتد، وُلد في عبيه بجبل لبنان عام ١٨٩٣[2]، وتلقى علومه الأولية في مدارس عبيه، ثم انتقل إلى بيروت، فالتحق بالكلية العلمانية الفرنسية، فنال الشهادة الثانوية عام ١٩١٣، ثم التحق بمعهد الحقوق الفرنسي، فدرس السنة الأولى عام ١٩١٤، ليتوقف عن المتابعة بسبب الحرب العالمية الأولى، التي دخلتها السلطنة العثمانية في الخامس من تشرين الثاني ١٩١٤، فرجع عادل النكدي إلى الجبل، ومارس مهنة التدريس في بلدته عبيه ما بين ١٩١٥–١٩١٧، في دار العلم العثمانية وهي مدرسة أنشأها العثمانيون آنذاك.

في العام ١٩١٧، أقفل العثمانيون المدرسة في عبيه، فانصرف عادل إلى الكتابة والتأليف، كما اهتم بالزراعة[3]، فأشرف على ممتلكاته الزراعية شخصياً، في وقت كان الجراد يفتك بالمواسم الزراعية، وكان الحصار البحري على أشدّه، للسواحل اللبنانية والسورية، فانقطعت المواد الغذائية والتموينية، وحلّت المجاعة، وانقطعت معظم الطرقات ما بين سوريا ولبنان، فكان لعادل النكدي اليد البيضاء في مساعدة المحتاجين، وتقديم الغذاء لهم، كما أسهم في ذلك قريبه المغفور له عارف النكدي الذي تسلّم مديرية الإعاشة في مساعدة المواطنين. وبعد هزيمة العثمانيين وإخراجهم من بلاد

العرب ودخول البريطانيين والفرنسيين إلى سوريا ولبنان وفلسطين، أعلن مجلس إدارة جبل لبنان برئاسة حبيب باشا السعد استقلال جبل لبنان الإداري، وفي هذا الوقت توجهت الأكثرية الدرزية، إلى الالتفاف حول فيصل والحكومة العربية في دمشق. وقد تمثل الدروز في معظم المؤسسات الرسمية والحكومية، ولا سيما في المؤتمر السوري الذي عُقد في ٣ حزيران ١٩١٩، وكان من أعضائه عارف النكدي والأمير أمين أرسلان ورشيد بك جنبلاط، والذي نادى بالوحدة السورية[٤].

عادل النكدي ومؤتمر عيناب ١١ تموز ١٩١٩

حضرت لجنة كينغ – كراين الأميركية إلى بلاد الشام لاستفتاء الناس حول تقرير مصيرهم، بعد أن نشبت خلافات عدة في مؤتمر الصلح في باريس، بين الأمير فيصل والأمير أمين أرسلان من جهة ووفد مجلس إدارة جبل لبنان من جهة ثانية، وفي الحقيقة كان الصراع بين تيارين، تيار وحدوي عربي يقوده فيصل وتيار انفصالي يقوده وفد مجلس إدارة جبل لبنان، تدعمه وتحرّضه فرنسا.

ما هو دور عادل النكدي؟

التقى عادل النكدي مع عارف وفؤاد النكدي، وعلي ناصر الدين ورشيد جنبلاط والأمير أمين أرسلان وعلي وأسعد تلحوق، على خلق تيار عربي في الجبل خصوصاً، ولبنان عموماً يقف في وجه تيار الانفصال بقيادة حبيب باشا السعد. قام عادل النكدي برفقة قريبه عارف وعلي ناصر الدين، بجولات ميدانية في جبل لبنان، شملت قرى عديدة، فكانوا يجيّشون الناس في رفض الانتداب الفرنسي، ويدعونهم إلى الوحدة وعدم الانفصال عن سوريا. وقد نجح عادل ورفيقاه في خلق تيار كبير وخصوصاً في الطائفة الدرزية، حيث ظهر ذلك في مؤتمر عيناب، وتكلم باسم هذا التيار رشيد جنبلاط وأسعد وعلي تلحوق، وتمكنوا من إيصال رأي الأكثرية الدرزية، متحدّين بذلك سلطة الانتداب التي حاولت عبثاً عبر أزلامها تفشيل المؤتمر وافتعال المشاكل[٥].

عادل النكدي في دمشق

جاءت محاولة اغتيال حبيب باشا السعد في ٦ تشرين الأول ١٩١٩[٦]، حجة استغلها حبيب لضرب خصومه السياسيين في جبل لبنان، وبالتحديد آل النكدي، حيث إن هناك اختلافاً كبيراً في التوجهات السياسية بين عارف النكدي المؤيد للحكومة وللوحدة العربية وحبيب السعد الداعي لاستقلال جبل لبنان ولفصله عن حكومة دمشق العربية.

بعد الحادثة، أعلن حبيب باشا السعد أمام زوّاره، «إن المجموعة التي داهمت منزله، لا يحمل أفرادها خصومة شخصية له، وهم مسيّرون غير مخيّرين». ويشير بذلك إلى أن قائد المجموعة، المجاهد فندي أبو ياغي زهر الدين من بلدة كفرفاقود، يعمل في أملاك آل النكدي. فتنازل حبيب السعد في المحكمة عن حقه الشخصي في بداية تشرين الثاني ١٩١٩، طالباً الرفق بالمعتدين، لجهة الحق العام، وقد تراوحت الأحكام التي صدرت ما بين السجن عشرين سنة وخمس عشرة سنة إلى النفي.

وقد اتهم حبيب السعد المجلس العرفي في دمشق، الذي يرئسه رضا الركابي بتحريض العصابات على اغتياله، كما اتهم النكديين ومنهم عارف وعادل ووجيه وجميل ورؤوف بالتخطيط والتمويل، ودليله أن قسماً من المجموعة المهاجمة تعمل في أملاكهم في المناصف. وقام حبيب بتأليب الفرنسيين «بدعوى أن الاعتداء عليه كان بسبب الانتماء إليهم». فقامت السلطة الفرنسية بعزل عارف النكدي من رئاسة محكمة الجنايات في جبل لبنان تمهيداً لمحاكمته، إلا أنه فرّ إلى دمشق يرافقه عادل ورؤوف وجميل وشريف، وقد أوقفت السلطة وجيه النكدي وحكمت عليه بالسجن ١٥ سنة مع الأشغال الشاقة[٧]. والحقيقة أن آل النكدي لا دخل لهم في هذه الحادثة لا من قريب ولا من بعيد، على الرغم من الخلاف السياسي مع آل السعد، ومع حبيب السعد بالتحديد.

عودة عادل النكدي إلى لبنان

غادر عادل لبنان في أواخر تشرين الأول ١٩١٩ إلى دمشق، فعمل هناك في حقل التدريس، فعلّم الفلسفة وعلم النفس، واستمر حتى العام ١٩٢١،

حيث عاد إلى لبنان بعد أن هدأت الأحوال، وأصدر الجنرال غوزو عفواً عن المحكومين.

وعندما عاد انتسب إلى معهد الحقوق كي يتابع دراسته الجامعية، وفي الوقت نفسه أخذ يدرّس اللغة العربيّة في المدرسة العلمانية الفرنسية، فكان طالباً مجتهداً نبيهاً ومدرساً فاضلاً وقوراً. وفي العام ١٩٢٢، تولى إدارة مدرسة عين قني الشوف، التي أسسها صديقه شفيق بك الحلبي(٨)، ولكنه لم يستمر طويلاً في إدارة المدرسة، فعُزل من إدارتها لأسباب سياسية، حيث لم يتراجع عن مواقفه الشخصية المؤيدة للوحدة العربية، وللاتحاد مع سوريا، والمناوأة الصلبة للسياسة الفرنسية، إضافة إلى وقوفه ضد النزاعات العائلية والغرضيات الضيقة والأحقاد الطائفية. وفي هذه الفترة نشر مقالات سياسية واجتماعية وأدبية في صحف عدة منها: المنبر والحقيقة والرأي العام، وكان يذيلها أحياناً باسم مستعار هو عبيد الله بن عبد الله.

مغادرته لبنان مجدداً

بعد صرفه من إدارة المدرسة في الشوف، وجد عادل النكدي أن النضال الفكري على صفحات الجرائد والمجلات جيد، ولكنه لا يكفي، بل يجب أن يقترن بالعمل الثوري العسكري ضد الاحتلال الفرنسي وأعوانه. فاتفق مع الضابط البيروتي عبد الحميد حماده وقسطنطين يني، على نسف النصب التذكاري لقتلى جيش الشرق، الكائن في محلة الزيتونة على ساحل البحر في بيروت، حيث دُفن الكولونيل برانه مرافق الجنرال غورو في حادثة القنيطرة ١٩١٩. إلا أن السلطات الفرنسية، علمت بالأمر قبل تنفيذ العملية من أحد عملائها، فألقت القبض على بعض الشباب الذين كانوا يتهيأون للاشتراك في تنفيذ العملية. ومن ثم لاحقت عادل النكدي، ففر من لبنان إلى دمشق، ومنها إلى الحراك في حوران، فرافقه إلى حدود شرقي الأردن، المرحوم لطفي العسلي(٩)، ومن هناك اتصل بالأمير عادل أرسلان وقصّ عليه ما جرى معه، وأقام في ضيافة الأمير عادل أرسلان في عمان أيّاماً عدة، فالتقى بالقادة الثوار، ومنها توجّه إلى فلسطين ومنها فإلى أوروبا، ووصلها في حزيران ١٩٢٤.

التحق عادل بجامعة لوزان في سويسرا، ونال شهادة الإجازة في

الحقوق، ثم شهادة الدكتوراه عام ١٩٢٦. وكانت أطروحته بعنوان: «لمحة في الأصول الإدارية في الإسلام». حُذف منها المقدمة التي عزا فيها إهمال العمل بالفقه الإسلامي إلى ضغط الغرب على الشرق، بضغط من أحد الأساتذة المشرفين على الأطروحة.

وفي لوزان، كان عادل يلتقي دائماً بالأمير شكيب أرسلان، وكان يساعده في التعريب والنشر، ولا يغيب عنه أكثر من يومين في تلك الفترة[١٠]. وما إن اندلعت الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥، حتى بدأ عادل النكدي بنشر المقالات السياسية المؤيدة للقضية العربية في جريدة لومانيتيه l'Humanité الفرنسية، وكان يلتقي مع المسؤولين الفرنسيين ومنهم النائب الشيوعي الفرنسي المسيو مارسل كاشان، ومدير سياسة المجلة البرلمانية هنري دي شامبون، الذي اعترف على صفحات مجلته تلك، إن القضية السورية «قضية كائنة، إن لم تحلّ حلاً موافقاً للمطالب السورية، فإن الاضطراب الفكري الحاضر يزداد تمكناً وقوة». مستشهداً بكلام عادل النكدي بقوله «أخبرني بهذا مسيو نكد، وإن لي في كلامه الثقة المطلقة».

وفي باريس، انتسب عادل إلى الجمعية العربية السورية، فقام بلمّ شملها وإعادة توحيد جهودها وصفوفها، وبثّ فيها روح التضحية والعطاء، ولكن الثورة في سوريا بدأت تؤثر على فكره وقلبه، فآثر العودة إلى الوطن ليشارك أهله في القتال. وحاول الأمير شكيب أرسلان رده عن قراره بجميع الأساليب فلم يستطع. وفي ذلك يقول الأمير شكيب أرسلان: «كنت أريد أن أدخّره لما هو أجدر به وما لا يقيّض لنا منه كثيرٌ مثله من المجاهدة بالقلم والمكافحة بسلاح العلم والسياسة»[١١]. وقد بلغ من شدة تعلق الأمير شكيب به، أن وعده عادل بالذهاب إلى القدس، لتسنم أخبار المجاهدين والثورة عن قرب، مدة شهر فقط على أن يعود إلى لوزان لاستلام شهادته.

عادل النكدي في قلب الثورة

زوّد الأمير شكيب أرسلان عادل النكدي بكتاب إلى المجاهد رشيد بك طليع[١٢] وودّعه. تابع عادل طريقه إلى فلسطين، ولم يعرّج في طريقه إلى عبيه لوداع أهله مخافة أن يقعدوا به عن مواصلة جهاده بنفسه وروحه وقلبه.

وصل عادل إلى القدس، فنزل في ضيافة ابن بلدته فؤاد بك حمزة، فبات ليلته، وفي الصباح الباكر، ودّعه ليتابع سيره إلى شرق الأردن، فجبل الدروز في آذار ١٩٢٦، فوصل إلى قرية الهويا، حيث التقى بقائد الثورة سلطان باشا الأطرش، وقد قدّم له تبرعات مادية حملها معه من أوروبا، فشكره سلطان على عمله الجليل، طالباً منه مشاركته في المهام السياسية والاجتماعية في قيادة الثورة.

قام عادل النكدي بتكليف من سلطان باشا الأطرش بالتجوال في القرى الدرزية في المقرن الشمالي والشرقي، لتشجيع المقاتلين وبث روح العزيمة والكفاح. وقد التقى بالموفد الأميركي دوصن، الذي جاء إلى جبل الدروز برفقة الدكتور منير شيخ الأرض، وتحدث معه بحضور القادة: سلطان باشا الأطرش، أحمد مريود، نجم الأطرش، نزيه مؤيد العظم، الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، وقد نقل الموفد الأميركي تقريراً إلى السلطات الأميركية حول ما شاهده في جبل الدروز من تعسّف الفرنسيين وارتكابهم للفظائع.

استطاع عادل النكدي في خلال فترة وجيزة، أن يكون من القادة الرئيسيين، الذين يُعوّل عليهم في قيادة الثورة بكل شؤونها السياسية والمادية والعسكرية، وفي ٢١ نيسان ١٩٢٦، وصلت رسالة من رشيد طليع إلى علي عبيد يقول فيها[١٣]: «وإذا لزمكم في بادئ الأمر بضعة ليرات، فخذوهم من الأمير عادل أرسلان أو من سلطان باشا أو من عبد الغفار باشا أو من عادل بك نكد وأنا أحاسبهم به»، وفي ذلك إشارة إلى أهمية الدور الملقى على عاتق عادل على رغم حداثة إقامته في الجبل. وفي ذلك الحين، كان رشيد طليع صلة الوصل ما بين اللجنة المركزية في القدس لجمع التبرعات والإعانات للثورة، وبين اللجنة التي تشكلت في الجبل.

عادل في غمار المعارك

يقول محمد عز الدين الحلبي: «ألحّ عليه عطوفة القائد العام والبطل الفذ سلطان باشا الأطرش وشهيد الوطن الكبير السياسي رشيد طليع، بوجوب البقاء في مركز القيادة للانتفاع بمواهبه، فأبى إلا أن يخوض غمار المعارك ويلازم خطوط القتال»[١٤].

انضوى عادل تحت لواء محمد عز الدين الحلبي ليقاتل في معارك اللجاه، إلى أن توجه، بناء لطلب سلطان باشا الأطرش، على رأس كوكبة من الفرسان إلى الغوطة، لمعالجة الخلاف الناشب بين قادتها على تشكيل المجلس الوطني الثوري فيها، وخصوصاً ما بين نسيب البكري والدكتور عبد الرحمن الشهبندر وأتباعهما. فلقد حفلت الثورة وخصوصاً في الغوطة بأعداد من القادة منهم: حسن الخراط ورمضان شلاش وجمعة سوسق وعبد القادر آغا سكر والشيخ محمد الأشمر والأمير عز الدين الجزائري ونزيه المؤيد العظم ومصطفى وصفي وشوكت بك العائدي وأبو عمر ذيبو وزكي بك الحلبي وزكي بك الدروبي وصادق بك الجركسي ومشاركة فوزي القاوقجي ومحمد عز الدين الحلبي. فقد ارتأت القيادة العامة للثورة أن تجعل من عادل النكدي الحَكم لحل ما قد يشجر بين الثائرين من قضايا، وعلى أن يبقى على اتصال دائم معها. وقد استطاع هذا القائد الشاب، بعد ثلاثة اجتماعات متواصلة من حل المشاكل بين قادة الثورة في الغوطة والتوصل إلى اتفاق فرضه على الجميع وقبلوا به، ووقعوا على وثيقته التي أُرسلت إلى قيادة الثورة في الجبل، بواسطة مرافقه محمد أمين سلوم حماده من بلدة بعقلين الشوف[١٥].

كانت منطقة الغوطة تعتبر الميدان الرئيسي للثورة بعد جبل الدروز، فهي على أبواب ثكنات المدينة ومخافرها الرئيسية الأمامية، وإن طبيعة بساتينها الغضّة الكثيفة تصلح للكمائن التي ترصد حركة العدو، وكان الثوار كثيراً ما يستدرجون الجنود الفرنسيين إلى اللحاق بهم باتجاه البساتين، وينتقلون حينها من عملية الدفاع والتصدي إلى عملية الهجوم، وكانوا بهذه الطريقة يمزقون قواته شر تمزيق، يفرّقون بينه وبين ثكناته وذخائره.

في العشرين من تموز ١٩٢٠ زحف الفرنسيون إلى الغوطة بحملة عسكرية كبيرة تقدّر بأكثر من ثمانية عشر ألف عسكري، توزعت على محاور الغوطة، للقضاء على الثورة فيها، وجرت معارك عنيفة مع الثوار الذين استبسلوا وصمدوا في وجه عدو تدعمه الدبابات والمدافع والطائرات الحربية.

معركـة بـالا

كانت المعارك على أشدّها في موقعة كفربطنا، حيث أنزل الثوار المجاهدون الهزيمة بالقوات الفرنسية، وتقدم المجاهدون الأبطال ومنهم عادل النكدي، شوكت العائدي، الأمير عز الدين الجزائري ورمزي الحمصي إلى روزبالا[١٦] لوقف تقدم القوات الفرنسية على هذا المحور، حيث كانت متمركزة في تل الذهب وحوش خرابو، وتقدمت نحو سقبا، وتقدم الثوار في منتصف الليل وأخذوا مواقعهم القتالية. وفي الصباح الباكر تقدمت القوات الفرنسية في عملية مباغتة لاحتلال بالا لكن الثوار وعلى الرغم من قلة عددهم في هذه المعركة، اشتبكوا مع الفرنسيين في دفاع مستميت وثبتوا في مواقعهم ولم يتزحزحوا على رغم زخات الرصاص الكثيفة، وقد استبسل في هذه المعركة العظيمة القادة عادل النكدي وشوكت العائدي وعز الدين الجزائري وبشير الهندي، واستمر العدو يضغط على الثوار، فتراجع المجاهدون من روزبالا إلى وادي خير القريب من جسر المطير، وفي هذه الأثناء وصلتهم نجدات تقدر بحوالي ستين مقاتلاً من مجموعة الشاغور ومنطقة جرمانا، فبقيت القوات الفرنسية تطاردهم واستدرجوها إلى قرب نهر المليجي[١٧]، ودارت هناك معركة طاحنة كبّد فيها الثوار قوات العدو خسائر بشرية ومادية فادحة، وقد غنم المجاهدون سلاحاً وعتاداً وخيولاً، وتقهقرت القوات الفرنسية وأعوانها المتطوعة نحو دمشق، واستطاع المجاهدون إسقاط طائرة حربية في هذه المعركة.

وفي هذا التصدي جُرح القائد عادل النكدي في كتفه، وأبى أن يتوقف عن المعركة، في أشد ضراوتها على الرغم من إلحاح رفيقه على سحبه من المعركة، واستمر يجاهد حتى اندحر العدو وسقط هو على الأرض، مغمياً من كثرة النزف. فقام رفيقه محمد أمين سلوم حماده، بحمله ونقله إلى مكان آمن في الغوطة لإسعافه، يرافقه عارف محمد أبو عجرم من بلدته بعقلين الشوف[١٨].

معركـة سقبـا

وصلت إلى الغوطة نجدة من الثوار بقيادة متعب باشا الأطرش تقدّر بمئة فارس[١٩]، فاجتمعوا بادئ الأمر في قرية الهيجانة بشوكت بك العائدي

والأمير عـز الدين الجزائري وعبد الله أمين التركي، ثم انتقلوا إلى مسرابا حيث كان يتواجد المجاهد فوزي القاوقجي واجتمعوا به وذلك في مساء ٢٦ تموز ١٩٢٦.

في هـذه الأثنـاء، قام الدكتور أمين رويحة وعادل النكدي وجميل شاكـر، وهم من طليعـة القيـادة في مركز مسرابـا بجولـة استطلاعية لكشف القوات الـفـرنسيـة، ولـدى وصـولـهـم إلى قـريـة حـمـورة، تـفـاجـأوا بـقـوات العـدو الفرنسـي تزحـف بين أشجـار الزيتـون وتقوم بالتغلغل إلى داخل قرية سقبا. وفوراً عادوا وأبلغوا الثوار، فتقدموا إلى قرية سقبا وتركوا خيولهم قرب مسرابا وكلفوا عدداً من الثوار الاهتمام بها. وقد دخل ما يقارب ٣٠٠ مجاهد سقبا لصد القوات الفرنسية. قام العدو بخديعة الثوار، فلم يطلق النار إلا بعد دخول الثوار إلى البلدة وأصبحوا على مرمى حجر منهم، ففتحوا النار ودارت المعركة، فتشتت الثوار ولم يصمد سوى خمسين مسلحاً، وقد استمرت المعركة زهاء ثلاث ساعات متواصلة، فجُرح عشرة مجاهدين تمّ نقلهم إلى خارج أرض المعركة، واستبسل في هذه المعركة كذلك عادل النكدي على الرغم من عدم شفائه من الإصابة. وانسحب بعد ذلك الثوار إلى مركز مسرابا. بعد هذه المعركة انسحب متعب الأطرش مع قواته إلى جبل الدروز، على أمل أن يأتي بعدد كبير من الثوار لمنازلة الفرنسيين في الغوطة، لأن هذا العـدد القليل من المجاهدين، لا يستطيع الصمود طويلاً أمام جحافل الـفـرنسيـين الـمـدعومة بكل أنواع الأسلحة. وبقي في مركز مسرابا من المجاهدين حوالي ثمانين مجاهداً لم ينسحبوا، ودافعوا دفاع الأبطال في معظم المعارك التي تلت هذه المعركة.

معركة سيدي الناس واستشهاد عادل النكدي

تقدمت القوات الفرنسية نحو جرمانا بجحافل كبيرة، فتحصن المجاهدون في مواقعهم، وكان على رأسهم القائد عادل النكدي[٢٠]، والقائد مصطفى وصفي على رأس مجموعة من مجاهدي الشاغور وجرمانا، والقائد عبد الله بك أمـين الـتركي، الـذي طلب من عـادل الـنكـدي أن لا يـدخل الـمعـركة ويستـريـح، ولـكـنـه لـم يقبل نصيحة صديقه، وكأنه على موعد مع القدر

المحتوم. تقدمت القوات الفرنسية بآلياتها وجندها، وبدأ الاشتباك الرهيب. فكان الثوار يتحصنون وراء الأشجار، والقائد عادل ينتقل من شجرة زيتون إلى أخرى، يواجه العدو ويتقدم صفوف المجاهدين، ويحثهم على الصمود، وإلى جانبه البطل الشيخ مصطفى سيف، حيث سقط الاثنان شهيديْ الواجب والكرامة في هذه المعركة العنيفة، إضافة إلى عدد من المجاهدين الشهداء، واستمرت قوات المجاهدين تقاوم وتستبسل إلى أن نفدت الذخيرة منهم، فاضطروا إلى الانسحاب.

نقل جثمانه إلى مقبرة بابيلا وشُيد قبره بلون أحمر بسيط وحضر حفل تأبينه القائد مصطفى وصفي باشا[٢١]، وقد تمّ إرسال حوائجه ومذكراته وأوراقه الثمينة إلى الأمير عادل أرسلان وتمّ توزيع ما وُجد معه من المال على رفاقه الأبطال.

لقد أبّنه القائد عبد الله أمين التركي قائلاً: «إن الشهيد عادل النكدي من طراز الأمير عز الدين الجزائري في بطولته النادرة، كانت له مواقف مشرّفة في معارك الغوطة، وقد اشترك في معظم المعارك التي وقعت عند حركات التطويق الأخيرة، وكان له يوم مشهود في معركة بالا تجلّت فيها شجاعته وجرأته»[٢٢].

وقد قال المؤرخ أدهم آل الجندي: «ذهب إلى الموت وفي يده أعلى الشهادات ليدحض حجة القائلين إن ثورة سوريا من فعل الغوغاء، لا الأنجاب، وإن مثقفي الأمة راضون بنعمة الانتداب، أتى الشهيد البطل ليبطل مزاعم هؤلاء المستعمرين المرجفين، ويعلن للملأ أن الذين يملأون ساحات القتال هم من أرقى الرجال، وأنهم يهبون أرواحهم ثمناً حلالاً للاستقلال، وقد فاز آخر المطاف بالبغية التي تمناها، فكان له شرف الاستبسال في ساح النضال، وشرف الاستشهاد في سبيل الاستقلال، وكان للناشئة أكرم مثال»[٢٣]. وما إن أُعلن نبأ استشهاد القائد عادل النكدي حتى نُعي على صفحات المجلات والجرائد في لبنان والعالم ومنها مجلة الزهراء في مصر والبيان في الولايات المتحدة وغيرها. ونقل رفاته من مقبرة بابيلا قرب دمشق إلى مسقط رأسه في عبيه في الثامن من أيلول ١٩٤٦م.

هوامش عـادل النكـدي

١ بيتان من الشعر على تمثاله في بلدة عبيه، من تأليف الشاعر المهجري الياس عبد الله طعمة.

٢ أدهم آل جندي، تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، مطبعة الاتحاد، سوريا، ط١ ١٩٦٠، ص ٥٣٥.

٣ حديث مع الشيخ أبو عصام سليم ملحم زهر الدين في ٢٠٠٢/٨/١٠.

٤ يوسف الحكيم، سورية والعهد الفيصلي، دار النهار للنشر، بيروت ط٣ ١٩٨٦، ص ٩٥.

٥ جريدة الحقيقة، عدد ١٥ أيار ١٩٢٠.

٦ جريدة لسان الحال، عدد ١٩١٩/١٠/٨.

٧ جريدة الحقيقة، عدد ١٩١٩/١١/٣.

٨ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٥٣٥.

٩ مذكرات الأمير عادل أرسلان، تحقيق د. يوسف إيبش، ط١ ١٩٨٣، ج٣، ص ١١٢٣.

١٠ جريدة البيان، صاحبها سليمان بدّور في الولايات المتحدة الأميركية، عدد ٢٠٠٠، تاريخ ١ تشرين الأول ١٩٢٦.

١١ جريدة البيان، مرجع سابق.

١٢ جريدة البيان، مرجع سابق.

١٣ سلامة عبيد، الثورة السورية الكبرى على ضوء وثائق لم تنشر بعد، سوريا ط١ ١٩٧١، ملحق رقم ٣٥، ص ٣٠٨.

١٤ من كلمة القائد محمد عز الدين الحلبي، في تأبين الشهيد عـادل النكـدي في عبيـه في ٨ أيلـول ١٩٤٦.

١٥ مقابلة أُجريت في بعقلين في منزل صهره محمد سلوم حماده بتاريخ ٢٠٠٢/١٠/١م.

١٦ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٤١٦.

١٧ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٤١٦.

١٨ مقابلة أُجريت في بعقلين مع صهره رجا سلوم حماده بتاريخ ٢٠٠٢/١٠/١٠.

١٩ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٤٢٦.

٢٠ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٤٢٧.

٢١ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٥٣٦.

٢٢ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٤٢٧.

٢٣ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٥٣٦.

٣

رشيد طليع

١٨٧٦ - ١٩٢٦م



رشيد طليع

رشيد بن علي بن الشيخ حسن طليع شيخ عقل الطائفة الدرزية، وُلد في جديدة الشوف سنة ١٨٧٦[١]، حيث نشأ وترعرع في أحضان والديه، ودخل مدرسة البلدة، فتلقى علومه الابتدائية فيها لينتقل بعدها إلى مدرسة الداودية في عبيه، وتخرّج فيها عام ١٨٩٢. ثم انتقل إلى بيروت لمتابعة الدراسة في المكتب الإعدادي، فسجّل تفوقاً في دراسته حيث تشهد علاماته على ذلك، فتخرّج في العام ١٨٩٥، سافر بعدها إلى الآستانة لمتابعة دراسته العالية[٢]، وعاد بعد تخرّجه إلى بيروت.

في ميدان الإدارة

عندما رجع رشيد طليع إلى لبنان عام ١٨٩٧، عينته السلطة العثمانية «مأمور معية»[٣] لولاية سوريا من العام ١٨٩٧ حتى ١٩٠٠، ثم عُيّن في ٢٥ شباط ١٩٠٠ وكيل قائمقام بعلبك حتى التاسع من نيسان ١٩٠١، ثم نقلته السلطة العثمانية إلى الزبداني، فعيّنته قائمقاماً أصيلاً واستمر في مركزه لمدة سنة ونيف، انتقل بعدها إلى قائمقامية راشيا مباشرة، ممسكاً بزمام الإدارة فيها حتى شباط ١٩٠٣، ليُنقل بعدها إلى حاصبيا مستمراً في مركزه حتى التاسع من تشرين الأول ١٩٠٦. في أواخر تشرين الأول ١٩٠٦، عيّنته السلطة العثمانية قائمقاماً في جبل الدروز ومركزه بلدة عاهرة حتى ٣١ تموز ١٩٠٨، ليُنقل بعدها إلى الممية قائمقاماً حتى شهر آذار ١٩٠٩[٤].

في جميع هذه المناطق التي تولّى الإدارة فيها، استطاع رشيد طليع، بحنكته الإدارية، وذكائه السياسي، ونزاهة كفه، أن يستقطب الجميع،

وخصوصاً في الفترة الأخيرة في جبل الدروز، حيث أحبه الجميع وتقرّب إليه القادة على مختلف مشاربهم وأهوائهم، هذه الصفات التي تحلّى بها، والتي زادت ثقة الناس وتعلقهم به، أهّلته وهو الرجل المناسب أن يختاره الدروز نائباً عنهم في مجلس المبعوثان، وأن يمثل لواء حوران في هذا المجلس، وبعد ذلك، عاد إلى درعا متصرفاً عن هذا اللواء عام ١٩١٣(٥).

إبّان وجوده في درعا، تعرّف إلى سلطان باشا الأطرش لأول مرّة، حيث زاره سلطان طالباً منه الإسهام في حل مشكلة مستعصية، كادت أن تؤدي إلى صدامات مسلحة بين أهل القريّا وأهل بصرى، فاستطاع رشيد طليع، التدخل مع والي الشام وإنهاء الخلاف وإقامة صلح بين الطرفين، وفي ذلك يقول سلطان باشا الأطرش في مذكراته: «كان من واجبي أن أجد حلاً فورياً مناسباً لهذه المشكلة الخطيرة، لأعيد الثقة إلى النفوس المترددة الحائرة، وأذود عن بلدتي وأحمي حماها، فقررت الذهاب ذات يوم، إلى درعا لمقابلة المتصرف رشيد طليع ومراجعته بخصوص الأرض... .

ويبدو أن رشيد طليع قد أدرك هذه المرة خطورة الموقف، فأقنع الوالي بدمشق بضرورة تكليف الأمير علي الجزائري للتوسط في الموضوع، فحضر هذا على عجل إلى بصرى، وتمكن بقوة شخصيته وسلامة طويته من النجاح بمهمته، وإيجاد حلول مناسبة لقضايا أخرى معلقة بين حوران والجبل، في جملتها مقتل عمي هلال»(٦).

ومنذ ذلك الحين توطدت الصداقة بين رشيد طليع وسلطان باشا الأطرش، ولم تنقطع على الرغم من ابتعاد رشيد عن جبل الدروز فترة من الزمن.

قامت السلطة العثمانية بنقله من درعا إلى مدينة طرابلس في شمال لبنان(٧)، وقد سجّل في هذه المدينة مآثر طيبة في علاقاته مع رجالها ومفكريها وأدبائها الذين أحبوه وأكرموه. بعد ذلك، عُيّن متصرفاً في اللاذقية، وفي هذه المنطقة التي شهدت أواخر حكم السلطة العثمانية لبلاد العرب وبدء قيام الحكم العربي في دمشق، سجّل رشيد طليع مواقف قومية نبيلة، حيث قام بدعم ومساعدة رجالات القضية العربية سراً، ومد يد المساعدة لهم في محاربتهم للسلطة العثمانية وتحرير البلاد من قبضتهم، مما ترك أثراً طيباً في نفوس أبناء هذه المنطقة، قادة ومناضلين، حيث رفضوا أن

يقوم بمغادرة المنطقة، وطلبوا إليه الاستمرار في مركزه، وأن يكون تحت لواء الحكم العربي الجديد، يتقدمهم في موكب النصر والابتهاج، لكنه أصرّ على مغادرة اللاذقية، والعودة إلى مسقط رأسه بلدة الجديدة في الشوف، حيث قام بزيارة أهله وأقاربه، واستطاع صديق العائلة حبيب باشا السعد إسكات الفرنسيين مؤقتاً عنه(٨).

رشيد طليع متصرفاً في الحكومة العربية الأولى

في اللاذقية، تعرّف المناضل الكبير محمد الشريقي على رشيد طليع، وكان ابن مدينة اللاذقية البار محمد عضواً في حزب الاستقلال العربي، فخبر عن كثب نفسية رشيد الوطنية ومواقفه القومية العربية، في مساعدته للحركات الثورية السرّية في مقاومتها للاحتلال العثماني، وبعد دحر العثمانيين من دمشق وأنحاء سوريا، قام المجاهد محمد الشريقي في دمشق، بالتحدث عن رشيد طليع أمام أعضاء حزب الاستقلال العربي بحضور الأمير فيصل، وطلب من الجميع الاستفادة من مواهب رشيد وقدرته الإدارية، فوافق الجميع على طلبه، وكلّفوه بالاتصال به في أقرب وقت، ودعوته للحضور إلى دمشق.

شكّلت دعوة المناضل محمد الشريقي ورفاقه الاستقلاليين إلى رشيد طليع بالتوجه إلى دمشق، فاتحة عمل سياسي كبير، دخل بها رشيد إلى عالم رجالات السياسة الكبار في المشرق العربي، فأثبت جدارته في تحمّل المسؤوليات الجسام، باذلاً الغالي والنفيس في سبيل تحقيق مبادئه وأهدافه.

انتقل رشيد طليع إلى دمشق، فالتقى بقادة حزب الاستقلال، وأصبح عضواً فيه، ثم التقى فيصل ومعاونيه، وقد تمّ تكليفه مسؤولية متصرف مدينة حماه، وفي هذه المدينة، ساعد رشيد طليع على تثبيت أقدام الحكم العربي، واستطاع أن يجمع حوله قادة المدينة ووجهاءها، وأن يستقطب رضى الجميع في فترة لم تتجاوز ستة أشهر، وفي أثناء وجوده في حماه، مدّ يدّ العون إلى الشيخ صالح العلي في ثورته ضد الفرنسيين(٩)، حيث تعرّف إليه إبّان وجوده السابق في اللاذقية، وكان خير معين له. وفي هذه المدينة كذلك، برز رشيد طليع ركناً مهماً من أركان حزب الاستقلال العربي، وقائداً لا يستهان به في إدارة دفة الحكم العربي في سوريا، نظراً لما اتصف به من سعة الحلم والعلم والكياسة.

رشيد طليع مديراً للداخلية في الحكومة العربية الأولى بدمشق

كلّف الأمير فيصل رضا باشا الركابي الحاكم العسكري، تأليف حكومة تعنى بشؤون المنطقة العربية المحررة في لبنان وسوريا وفلسطين وشرق الأردن والعراق، فشُكلت هذه الحكومة في الرابع من آب ١٩١٩ واستمرت حتى الثامن من آذار ١٩٢٠[١٠]. وقد تمّ تسليم رشيد طليع مديرية الداخلية، فسمّيت حكومة المديرين وقام بمهامه على أكمل وجه. بقي رشيد طليع متصرفاً لحماه على الرغم من مسؤوليته في الحكومة وذلك حتى أواخر شهر كانون الأول ١٩١٩، وفي أثناء توليه مديرية الداخلية قام رشيد طليع بحل اشكالات عدة، وتمكن من إدارة داخل البلاد بجدارة وأسهم في بث روح التعاون والمحبة بين أبناء البلاد كافة، وقد كلفته الحكومة القيام بمهام عدة نجح فيها. وتشير جريدة الحقيقة في الواحد من كانون الثاني ١٩٢٠ قائلة: «ذهب رشيد بك طليع إلى بعلبك وهو وزير الداخلية لإصلاح البين وجهوده ستنجح»[١١].

رشيد طليع خارج الحكومة ومتصرفاً في حلب

بعد مبايعة الأمير فيصل ملكاً على سوريا، قدمت حكومة المديرين استقالتها، وكلّف الملك فيصل في الثامن من آذار ١٩٢٠، رضا باشا الركابي تأليف الحكومة الثانية[١٢]، فألفها بسرعة وتمّ استبعاد عدد من الوزراء السابقين عنها ومنهم رشيد طليع. لكن الملك فيصل والحكومة العربية، على الرغم من إبقائها رشيد خارج الحكومة، قاما بتكليفه والياً على مدينة حلب، في ظل ظرف دقيق، حيث كان الزحف الفرنسي الساحلي نحو شمال سوريا يتصاعد، وحيث الوضع يتطلب رجلاً إدارياً صلباً حازماً في مواقفه، راسخاً في إيمانه وعقيدته، فكان اختيارهم رشيد طليع اختياراً مناسباً حكيماً. وفي فترة قصيرة، استطاع رشيد طليع أن يقدم خدمات كبرى للقضية العربية، بعد أن خوّلته الحكومة كل الصلاحيات في الثامن من نيسان ١٩٢٠. قام بدعم تحركات الثائرين الكبيرين صالح العلي وإبراهيم هنانو الذي اعترف بهذه المساعدة أمام سلطان باشا الأطرش[١٣]، وكان إبراهيم هنانو رئيس ديوان الولاية في حلب ومدير الشرطة السيد نبيه العظمة[١٤].

ويقول أدهم آل الجندي: «وكان الأمير ناصر مُقيماً في حلب، وقد اتفق مع الوالي رشيد طليع، وإبراهيم هنانو، على القيام بثورة ضد الفرنسيين، فانسحب عندئذ هنانو من المؤتمر السوري، وتوجّه والحاج نجيب باقي إلى جبل الزاوية وأنطاكية واسكندرون، وقاما بتسليح أهلها للدفاع عن حوزة الوطن واستقلاله، ثم عاد نجيب باقي إلى حلب لوحده»(١٥).

وبعد الإنذار الفرنسي من قِبل الجنرال غورو في ١٤ تموز ١٩٢٠ للملك فيصل، يقول أدهم آل الجندي: «ولما قبِل الملك فيصل، بالشروط الواردة في إنذار الجنرال غورو، المنطوية على الوقيعة والمكر، أصدر أمره بإلغاء الدفاع الوطني بحلب، بسبب الاتفاق بينه وبين الفرنسيين، ثم كان الإنذار الأخير بشروط لم تقبل، فزحف الجنرال ديلاموت لاحتلال حلب، عن طريق إسكندرون، وزحف الجنرال غورو لاحتلال دمشق، وقد فرّ والي حلب رشيد طليع ورافقه المجاهد المعروف الأستاذ سامي السراج، صاحب جريدة لسان العرب في حلب آنئذٍ، وتوجها إلى حماه»(١٦). ومن مدينة حماه، انتقل رشيد طليع إلى جبل الدروز(١٧)، بعيداً عن أعين الفرنسيين، حيث مكث مدة وجيزة، انتقل بعدها إلى شرق الأردن، الذي تأسست فيه أول إمارة عربية بقيادة الملك عبد الله بن الحسين في العام ١٩٢١.

رشيد طليع رئيساً لحكومة شرق الأردن

بعد احتلال فرنسا دمشق وسقوط معظم المدن السورية في قبضتها، انتقل القادة والمفكرون الأحرار إلى شرق الأردن، خوفاً من بطش الفرنسيين، وسعياً إلى إعادة تنظيم الصفوف تهيئة لجولة نضالية جديدة ضد المستعمرين. وفي هذه الأثناء، قام الأمير عبد الله بالتقرب إلى هؤلاء القادة الأحرار، واستمالتهم إلى جانبه، حيث عرفهم في وقوفهم إلى جانب شقيقه الملك فيصل في دمشق، وعرف فيهم مواقفهم المشرّفة نحو القضية العربية التي آمن بها يومذاك(١٨).

طلب القادة الأحرار من الأمير عبد الله، أن يبعث رسولاً إلى جبل الدروز لكي يبلغ رشيد طليع ضرورة الالتحاق بهم ومشاركتهم الآراء فتمّ ذلك في وقت قريب.

وصل رشيد طليع إلى شرق الأردن، فالتقى بالأمير عبد الله ورفاقه في الحزب، حيث أجمعوا على أن يتولى رئاسة الحزب، وأن يقوم بتأليف حكومة في هذه الإمارة الفتية، تستطيع إعادة إحياء الأمل العربي في نفوس الأحرار العرب، الذين خُذلوا بسقوط حكومة دمشق العربية المريع. فلم يتأخر رشيد عن تلبية رغبة رفاقه الملحة، ورغبته الشخصية في إعادة تكوين خلية ثورية للأحرار العرب المجاهدين، بعيداً عن أعين الفرنسيين، يستطيع عبرها إقلاق راحة المستعمر الفرنسي، آملاً في طرده من الأرض العربية يوماً ما. شكل رشيد طليع حكومته من أفضل الرجال وأخلصهم للقضية العربية وهم: أحمد مريود وحسن الحكيم وخير الدين الزركلي وزيد بن شاكر ومحمد خضر الشنقيطي ومظهر رسلان وعلي خلقي بك، إضافة إلى تسلمه شخصياً الرئاسة والداخلية(١٩).

الدور القومي لرشيد طليع في شرق الأردن

وقف رشيد طليع بصلابته وجرأته المعهودة في رئاسة الحكومة أمام تمرير المشاريع والمخططات الإستعمارية البريطانية – الصهيونية المشتركة. وبعد فترة وجيزة على تسلمه السلطة في ١٧ نيسان ١٩٢١، أجبر المفوض السامي هربرت صموئيل على تعديل خطاب له ألقاه فيما بعد في مدينة عمان، وأعتبر هذا العمل نصراً لسياسة رشيد طليع القومية من جهة والصدمة الأولى للسياسة البريطانية في إمارة شرق الأردن من جهة ثانية. وما كادت هذه الصدمة السياسية تتراخى في أذهان الإنكليز، حتى جاءتهم صدمة ثانية أشد وأقسى، عندما رفض رشيد طليع استهتار المندوب السامي، وقال له: «إنني سأتصرف تصرف الدولة المستقلة، وبصفتي رئيساً للحكومة، سأطلب من المعتمد البريطاني مغادرة البلاد، وقطع العلاقات مع سلطات الاحتلال والحكومة البريطانية»(٢٠).

كل ذلك، قام به رشيد طليع لإثبات حقوق المملكة في عائداتها من الجمارك، بعدما رفض المندوب السامي في القدس، إعطاء المملكة حصتها، وبعد أن لمس رشيد طليع تراجع الملك عبد الله بن الحسين عن مطالبته، وبعد أن قام شخصياً بالذهاب إلى القدس، فرأى تعنّت هربرت صموئيل اليهودي

الأصل، في استخفافه بالحكومة العربية، فاضطر رشيد طليع أن يقف هذا الموقف الحازم، وأن يتحمل تبعاته فيما بعد.

إزاء هذا التصعيد وارتفاع وتيرة الصدام السياسي الذي دفعه رشيد إلى أعلى مستوى، اضطر المندوب السامي إلى الموافقة على اقتطاع حصة للمملكة من عائدات الجمارك، مسجلاً بذلك نصراً سياسياً بارزاً، انزعج منه الملك كذلك وليس فقط الإنكليز.

وفي موقف قومي آخر يدلُّ على جسارة رشيد، ومواقفه القومية المبدئية، وعدم تخاذله أمام الضغوط، احتجاجه الشديد لدى المعتمد البريطاني، عندما عاد من جولة برفقة الملك عبد الله، ووجد قرب مضارب الأمير، خياماً للجنود البريطانيين وطائرتين عسكريتين، طالباً من المعتمد البريطاني سحبهما فوراً[٢١]، ولكن الإنكليز أبلغوا عبد الله بضرورة إسكات رشيد وإبلاغه موافقته على هذا الإجراء مسبقاً، وقد تخاذل وقبِل هذا الموقف الذي لوّمه عليه رئيس الوزارة، طالباً منه إبلاغ الحكومة ووضعها في الصورة قبل أي إجراء.

أمام هذه المواقف المزعجة للمستعمرين، انبروا إلى إثارة البلبلة والمشاكل في أرجاء المملكة، بحجة أن الأمن غير مستتب، وأن الحكومة عاجزة عن القيام بحفظه، في محاولة من البريطانيين لإمساك الأمور أمنياً، ولكن رشيد طليع وعى لهذه الأمور، وأعلم الأمير عادل أرسلان وفؤاد سليم بذلك، وقد ساعداه على ضبط المشاكل على الرغم من قلة الرجال المولجين بحفظ الأمن في المملكة. وفي ذلك، يقول رشيد طليع في تصريح صحفي لجريدة لسان العرب بما يأتي:

«من السهل حفظ الأمن في منطقة أهلها عُزّل من السلاح، ولكن من أصعب الأمور حفظه في بلاد أهلها من ابن عشرة أعوام إلى الشيخ يحمل البندقية كما يحمل ابن المدينة عصاه، ويراها من ألزم لوازم الحياة. فإذا كانت فلسطين العزلاء تحتاج إلى ألوف الرجال من البوليس والدرك والجند النظامي، لحفظ الأمن والراحة فيها، فهل يُعقل أن حكومة شرق الأردن تستطيع حفظها بمئات قليلة من الدرك غير منظمة؟ إن الذي يطالبها بذلك، كأنه يسأل إدارتها ما هو فوق طاقة أي إدارة كانت»[٢٢].

استقالته من حكومة شرق الأردن

على الرغم من دعم بريطانيا لهذه الأمارة وللأمير عبد الله شخصياً، لم يحلُ لهم أن يتربّع على عرش السلطة التنفيذية رئيس حزب الاستقلال، المدعوم من مجموعة من شبان العرب الأحرار، الذين يقفون في وجه تنفيذ السياسة الاستعمارية الإنكليزية بالتعاون مع الفرنسيين. فحاول الإنكليز بشتى الطرق والأساليب، إثارة المتاعب في وجه هذه الحكومة الفتية، وافتعال الأحداث المسلحة في محاولة دنيئة وساخرة، ترمي إلى جرّ الأمير عبد الله للارتماء في أحضانهم، في ضربة تهدف إلى إبعاد القوميين العرب عنه، وإظهار دورهم في الحفاظ على عرشه المهزوز، فضغط الإنكليز على عبد الله، بعدما فشلت كل محاولاتهم في إبعاد رشيد طليع، حيث طلب عبد الله من رشيد طليع تقديم استقالته بصورة غير مباشرة، بحجة أن وزير المستعمرات البريطانية سيوقف المساعدات المادية إذا بقي رشيد في رئاسة الحكومة. علِم المجاهد الكبير بحيلة الإنكليز ومسايرة الأمير لهم، فقدّم استقالته فورا من رئاسة الحكومة، (حيث قدّمها) في أوائل شهر آب ١٩٢١[٢٣]، ليتسلم الرئاسة مظهر رسلان وهو عضو في حزب الاستقلال كذلك، ولكنه لم يكن في مستوى المسؤولية التي أرادها رشيد طليع ورفاقه في الحزب.

ولكن رشيد طليع، رغم تقديم استقالته، لم يغادر شرق الأردن، فبقي حتى أواخر عام ١٩٢٢، ثم انتقل إلى القدس بعد ذلك، ومنها إلى مصر، بعد مضايقته من قِبل جواسيس صموئيل. وفي هذه الفترة، استمر يناضل في حزب الاستقلال مع رفاقه الأحرار، باذلاً جهوداً كبيرة للوقوف في وجه المخططات والمؤامرات التي يُحيكها الإنكليز والفرنسيون. ففي صيف ١٩٢٢، استطاع بمؤازرة الأمير عادل أرسلان والقائد الشهيد فؤاد سليم، إفشال محاولة الإنكليز إلقاء القبض على الثائر أدهم خنجر وتسليمه للسلطة الفرنسية، وتمّ تهريبه إلى جبل الدروز بواسطة المجاهد شكيب وهاب. ولكن أدهم خنجر أُعتقل في غياب سلطان عن منزله في محاولة خسيسة قام بها أحد أزلام الفرنسيين، فثارت ثائرة سلطان، وقام بثورته الأولى عام ١٩٢٢ في وجه الفرنسيين، ولم تنجح محاولاته في الثورة، ففرّ إلى شرق الأردن، واستقبله رشيد طليع والأمير عادل أرسلان وفؤاد سليم وأكرموا

وفادته. ويشيد سلطان باشا الأطرش في مذكراته، بمواقف رشيد طليع والأمير عادل أرسلان فيقول: «ولم يفتنا أن نعلم الحكومة الأردنية بنزولنا في أرضها، وقد كتبنا لها رسالة بهذا الخصوص، نقلها أخي علي إلى عمان، وعاد يحمل إلينا جواباً يتضمن الموافقة والترحيب. غير أن السلطة الإنكليزية لم تكن راضية عن ذلك، فحاولت إخراجنا وتسليمنا إلى الفرنسيين، لو لم يعمل الأمير عادل أرسلان على إحباط مساعيها بالتعاون مع رشيد طليع، وحديثة الخريشة ومثقال الفايز وطراد بن زين وغيرهم من رؤساء العشائر. وفي تلك الأثناء، ازدادت أواصر الصداقة متانة بيني وبين الأمير عادل أرسلان ورشيد طليع، فكنت أجد فيهما كل مزايا الصدق في القول، والإخلاص في العمل، والاندفاع في خدمة القضية العربية»[٢٤].

أمام هذه المواقف البطولية للقادة الأحرار العرب، دفع الإنكليز قادة العشائر إلى التوقف عن دفع الضرائب وإعلان الثورة في منتصف تموز ١٩٢٢، فثار كليب الشريدي ومعه مجموعة من المسلحين، فسحق القائد الشهيد فؤاد سليم هذا التمرّد، بالتعاون مع رشيد طليع وحكمته السياسية على الرغم من وجوده خارج السلطة. هذه المواقف المتعددة، دفعت الأمير عبد الله بالتواطؤ مع الإنكليز إلى عزل القائد فؤاد سليم ورفاقه من قيادة الجيش في ١٩٢٣/١٢/٢٠[٢٥]، حيث غادروا إلى مصر، وفي العام ١٩٢٤ التحق بهم رشيد طليع، وألفوا حلقة ثورية تخطط من أجل قيام ثورة مسلحة في سوريا ولبنان تحرر البلاد من الاستعمار.

رشيد طليع مجاهداً في الثورة السورية

بعد خروج القائد الشهيد فؤاد سليم من شرق الأردن إلى مصر، انتقل رشيد طليع من القدس إلى الإسكندرية ثم القاهرة، والتقى هناك مع ابن عمه الدكتور سعيد طليع والأمير عادل أرسلان، وسامي السراج وخير الدين الزركلي، وعبد المحسن الكاظمي وعباس المصفي وأسعد داغر وآخرين لجأوا إلى تلك الديار بعيداً عن الدسائس الاستعمارية. ولكن رشيد طليع استمر يتنقل سرّاً ما بين مصر وفلسطين، يستطلع الأخبار الواردة من سوريا ولبنان، حيث بدأت تلوح بشائر الثورة في سوريا، نتيجة التصرفات السيئة للإفرنسيين في

جبل الدروز خصوصاً وسوريا عموماً. وعندما بدأت الثورة في جبل الدروز بقيادة سلطان باشا الأطرش في منتصف صيف ١٩٢٥، انتقل رشيد إلى القدس، حيث اجتمع بالأديب والمؤرخ عجاج نويهض، كما التقى بالدكتور الشهيد عادل النكدي[٢٦] الذي ترك سويسرا، وجاء إلى فلسطين يحمل رسالة من الأمير شكيب أرسلان لرشيد طليع، متابعاً سيره إلى جبل الدروز. في هذه الأثناء، كان القائد الشهيد فؤاد سليم قد استطاع الوصول إلى فلسطين خفية عن أعين الإنكليز، والتقى برشيد ورفاقه، وتابع سيره كذلك نحو جبل الدروز للإلتحاق بالثورة.

أما رشيد طليع فوصل إلى جبل الدروز متخفياً ومتنكراً في زي مهندس، فساعده المجاهد عوني عبد الهادي الذي سهّل مروره بصحبة قريبه فؤاد عبد الهادي، فاجتاز نهر الأردن، وقطع حواجز الشرطة البريطانية ولم يكتشفوا أمره، فوصل إلى الجبل بأمان[٢٧].

لدى وصوله إلى جبل الدروز، التقى رشيد طليع بسلطان باشا الأطرش، الذي تعرّف إليه قبل اثني عشر عاماً، يوم كان متصرفاً في درعا، كما أشرنا سابقاً. رحّب سلطان بضيفه المجاهد الذي خَبِر مكانته وقدراته الإدارية والسياسية، فانتظم رشيد في مجلس قيادة الثورة إلى جانب الأمير عادل أرسلان وفؤاد سليم، وكان قدومهم إلى الجبل بعد معركة المزرعة المشهورة، وفي ذلك يقول سلطان باشا: «وفي تلك الأثناء بدأت النجدات تصل إلينا تباعاً من إخواننا بجبل لبنان ومن مناطق أخرى، فكان على رأس القادمين منهم: الأمير عادل أرسلان، رشيد طليع، والعقيد فؤاد سليم، الذين أفادوا الثورة بخبراتهم ومؤهلاتهم العالية، واشتد بهم أزرنا إثر انضمامهم إلى هيئة أركان القيادة العليا للثورة»[٢٨].

وفي موضع آخر من مذكراته يقول سلطان: «أما إخواننا في جبل لبنان ووادي التيم وإقليم البلان والغوطة، فقد شاركت أكثريتهم الساحقة بالثورة، وكان في طليعتهم السادة: الأمير عادل أرسلان، رشيد طليع، عادل النكدي، فؤاد ونصري سليم ...»[٢٩].

وعلى الرغم من تجاوز رشيد طليع التاسعة والأربعين من العمر، فإنه لم يتوانَ أبداً ولو لساعة واحدة عن العطاء، وكانت جهوزيّته الدائمة التي تميّز

بها في ميدان الثورة، محط دهشة وإعجاب الجميع. فكان بحق ركناً أساسياً من أركان الثورة السورية إلى جانب سلطان باشا الأطرش والأمير عادل أرسلان والقادة المجاهدين الكبار، حيث قام بمهام إدارية وعسكرية وإعلامية تكللت بالنجاح. هذا الدور الكبير لهذا القائد الكبير أزعج الفرنسيين وفي ذلك يقول الجنرال أندريا: «توالت الأخبار من الجنوب والشرق عن أن دعاية تعمل لدوام الثورة ينشرها أجنبي اسمه رشيد طليع»[٣٠].

ويتابع الجنرال أندريا فيقول: «وصل إلى صلخد في ١٢ حزيران رسول أعلن أن زعماء الثورة، من دروز ودمشقيين، عقدوا اجتماعاً في مطحنة قريبة من بلدة الهويا برئاسة شخصية يكتنفها الغموض هي رشيد طليع. وقد أكّد طليع الإشاعة التي نشرها سلطان أن حوران في طريق الثورة، وأن على الدروز أن لا ييأسوا من النصر النهائي. وقد جعل المجتمعين يوقعون على عريضة مضبطة، موجّهة إلى ملك الأردن، يطلبون أن تخضع البلاد لانتداب غير فرنسا»[٣١].

إذاً، رشيد طليع شخصية قيادية فذة، يأتمر بأمره قادة ورؤساء المجموعات المجاهدة في جبل الدروز ودمشق وجوارها، وذلك باعتراف الأعداء، ويشير الجنرال أندريا في مكان آخر إلى الدور القيادي الذي مارسه رشيد طليع، وجعل قائد الثورة سلطان باشا الأطرش، لا يبت في مسألة دون مشورته، فكان على اتفاق تام في مواصلة الثورة، واستنهاض الهمم على متابعة القتال، وفي ذلك يقول نقلا عن لسان نجم الأطرش[٣٢]: «قابلت سلطان فسألني عن سبب زيارتي؟ فأجبته أنني جئت للبحث في قضية الشعب الدرزي، والحالة الداخلية في الجبل. فالفلاحون يطلبون السلم، ولذلك فعليكم أن تتركوا لهم حرية الاستسلام حفاظاً على مصلحة البلاد. فقاطعني رشيد طليع الذي لم يتوقف عن السباب للدور الفرنسي وسيرة الجنود الفرنسيين صارخاً: إن الفرنسيين يخدعونكم، إذ ليس لهم إلا هدف واحد وهو تجريد البلاد من السلاح، والقضاء على حريتها وجعلها مستعمرة فرنسية. وقد فسّر المفوض السامي استقلال الدروز حين قال: إن الاتفاق الفرنسي الدرزي، ما هو إلا حبر على ورق.

وقبل أن أنصرف، صرّح لي سلطان ورشيد أنهما سيبحثان الأمر مع شهبندر رئيس حزب الشعب الدمشقي، لكني في الحقيقة كنت موقناً (أن سلطان ورشيد) لن يوقفا القتال».

ويشير قائد الثورة سلطان باشا إلى دور رشيد طليع البارز فيقول: «لم يكن باستطاعتنا في الحقيقة تنظيم الإدارة حسبما تقتضيه الأصول أثناء تلك الظروف الصعبة، التي كانت تمر بنا، وإنما كنا نتعاون مع شيوخ العقل الثلاثة أحمد الهجري، حسن جربوع وعلي الحناوي، ومع بعض الشخصيات القيادية البارزة كرشيد طليع ومحمد عز الدين، وسليمان نصار وعمّي عبد الغفار في كل ما تتطلبه الإدارة من أعمال وجباية أموال»[٣٣].

وبعد انعقاد مؤتمر شقا المشهور في تاريخ الثورة السورية الكبرى، تمّ تشكيل المجلس الوطني وكان لرشيد طليع دور أساسي فيه، وبذلك يقول سلطان في مذكراته: «أما المجلس الوطني، فقد اختير لرئاسته الشيخ يوسف الهجري ولأمانة السر فيه السيد رشيد طليع»[٣٤].

هذه المسؤوليات التي تمّ اختيار رشيد طليع لتحمّلها، تدلّ على ثقة سلطان والمجاهدين في توليته أمانة سر المجلس الوطني الذي كان له الكلمة الفصل في متابعة الثورة ودعمها في مختلف المجالات العسكرية والمادية والإعلامية. ومما يدلّ على أهمية دور رشيد طليع، ما يثبته المؤلف أدهم آل جندي حيث يقول: «اجتمع القائد سعيد العاص بالقائد العام سلطان باشا الأطرش في قرية الخازمي، وأسفر الاجتماع عن اتفاق تام، وتناول المضابط المرسلة باسمه، وأدار شؤون المخابرات رشيد بك طليع، ورافق مصطفى عاشور وعبد القادر مليشو وسعيد الترماني، العاص، مع سلطان الأطرش حتى العانات»[٣٥].

مهام كبرى قام بها رشيد طليع بعد مضي عام على نشوب الثورة السورية، وأصبحت المهمة أصعب وأدق في ظل الضغط الفرنسي السياسي والمادي والعسكري، حيث بدأت جموع كبيرة بالتراجع عن دعم الثورة، فكان لرشيد طليع إلى جانب سلطان باشا الأطرش دور كبير في استنهاض الهمم ودفع اليأس من النفوس، فقام سلطان بذلك في المقرن القبلي ورشيد طليع في المقرن الشمالي، وبذلك يشير المؤرخ سلامة عبيد في كتابه، فيقول[٣٦]:

«سعادة الأخ الفاضل رشيد طليع المحترم.

سلاماً وتحية. وبعد عندما تفارقنا نحن وأنتم من قرية نمره. كنا أوعدناكم سنحضر على اللطخة (قنوات) في هذا النهار الأحد. فعندما وصلنا للمقرن القبلي وجدنا أن لبقائنا شأناً عظيماً لكي نبث روح الوطنية فيهم ونحثهم على إتباع خطة الدروز. ولا يخفى سعادتكم أن الروح الوطنية فقدت منهم مبدئياً طبعاً يلزم لإرجاعها وقت. لذلك قررنا إجتماع لكافة وجوه القوى على أمل أن يحضروا لعندنا ونعلمهم مواقع الخطأ من الصواب. وأفتكر أن نحصل منهم على فائدة. سننفذ قرار المجلس الوطني بهم، وهذا أمر ضروري لأن لا يمكن قيام البعض من القرى سوا بقوة السيف. فالرجاء أن تفهّموا كافة زعماء البلاد التي تجدوهم في مراكز الجرود عن كيفية عملنا في المقرن القبلي. وبالطبع أن قيام الأهالي في الوقت الحاضر، يفيدنا أكثر من مقابلة الحكومة وإنشاء الله سنتوقف لجمع قوة ونتوجه بها فوراً للمقرن الشمالي إذا لم يكن لزوماً لبقائنا في المقرن القبلي. هذا والأمل منكم الإفادة عن كل ما يحدث نواحيكم ودمتم باحترام».

في ٢٣ محرم سنة ١٣٤٥-٢ آب ١٩٢٦.

أخوكم سلطان الأطرش. محرره صباح الأطرش يهديكم سلامه.

لم يكن رشيد طليع قائداً عادياً في مجلس أركان الثورة أو في أمانة سر المجلس الوطني، بل كان شريكاً لسلطان في كل القرارات المصيرية، وقد علِم الفرنسيون دوره الكبير، فبعثوا يرصدون تحركاته في القرى كافة، وتعرّض مرات عدة إلى قصف مكانه بالطائرات الحربية، وذلك نتيجة العيون التي بثها ودعمها المستعمر والتي قامت بدور مخزٍ وحقير. مما جعل القائد المجاهد علي عبيد يرسل كتاباً إلى سلطان الأطرش يتخوف فيه من أن يطال شخص رشيد طليع الأذى، فيرد قائد الثورة بعزم وإيمان على عبيد بكتاب هذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

لحضرة الأخ الفاضل المجاهد علي بك عبيد المحترم.

تحية وسلام وبعد، أخذت كتابكم الكريم وما به صار معلوماً...

بخصوص خوفكم على رشيد بك طليع أفتكر ناتج عن تصور عقلي منكم.

وأما اعتقادي الشخصي طالما يوجد عند رشيد بك ثوار مثل محمد بك عز الدين وجبر شلفين وشاهين المحيثاوي ونايف نصر وجماعتهم. لا لزوماً للخوف عليه لأنه في مأمن من كل شيء، أنتم تعلموا رشيد وسعة إدراكه وعلو أفكاره، فلو كان وجد نفسه غير آمناً على حياته بتلك المنطقة لكان حضر إلينا بسرعة. فقط أفتكر أنه واجد لزوماً لبقائه هناك.

لقد سلمنا المحررات التي إلى رشيد بك إلى الجنود من الثوار الذين من أشبكي وأوعدوا بأنهم صباح هذا اليوم يتوجهوا لعنده. فإذا كان للآن لم يذهبوا لزّموا عليهم وأدعوهم يمشوا».

٥ صفر ١٣٤٥-١٤ آب ١٩٢٦

أخوكم سلطان الأطرش

وفاة رشيد طليع ١٩٢٦/٩/١٣

استمر رشيد طليع يتنقل في المقرن الشمالي، يجمع الكلمة على مواجهة الفرنسيين ومواصلة الثورة، وذلك من قرية إلى قرية، ولكن القدر كان له بالمرصاد، فقد أُصيب في منتصف أيلول بمرض معوي في بلدة الشبكي، وقد حاولوا إسعافه، ولكن المنية وافته، ويذكر ذلك أدهم آل جندي فيقول: «جُرح عبدو الكلاس في معركة الشبكة في جبل الدروز برجله اليسرى، وكان يعالج المرحوم رشيد طليع في غرفة واحدة وفي أثنائها وافاه الأجل»[٣٧].

وعندما أُخبر سلطان باشا بوفاة رشيد بك طليع هاله فقدان رفيق دربه، وأحد أركان الثورة الذين عوّل عليهم في مهمات خطيرة وجسيمة، فقال في مذكراته المنشورة في القدس، الجزء الثاني ص ٢٥٤ ما يلي: «وفي أواخر أيلول عام ١٩٢٦ فجعنا بوفاة المجاهد الكبير والبطل المقدام والإداري الحكيم رشيد طليع ببلدة الشبكة أثر مرض معوي أصابه بصورة مفاجئة. ففقدنا بوفاته ركناً من أركان الثورة السورية ورجلاً من خيرة رجالات العرب الأفذاذ».

هوامش رشيد طليع

١ أمين طليع، الشهيد رشيد بك طليع، ملخص حياته وجهاده، ط ١٩٨٢، ص ٩.

٢ أمين طليع، مرجع سابق، ص ١٠.

٣ أمين طليع، مرجع سابق، ص ١٠.

٤ أمين طليع، مرجع سابق، ص ١٠.

٥ أمين طليع، مرجع سابق، ص ١١.

٦ مذكرات سلطان باشا الأطرش، مطبعة الشرق العربية، القدس، ط١ ١٩٧٩، ص ٢٧.

٧ أمين طليع، مرجع سابق، ص ١٤.

٨ أمين طليع، مرجع سابق، ص ١٤.

٩ أدهم آل جندي، تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب، سوريا، مطبعة الاتحاد، ط١ ١٩٦٠، ص ٣٦.

١٠ يوسف الحكيم، سورية والعهد الفيصلي، دار النهار للنشر، ط٣ ١٩٨٦، ص ١٠٩.

١١ جريدة الحقيقة، عدد ١٩١٩/١٢/٢٣.

١٢ يوسف الحكيم، مرجع سابق، ص ١٤٤.

١٣ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ص ٧٠ يقول: «وكذلك فقد أبدى لي إعجابه بموقف رشيد طليع الجريء، وتقديمه المساعدة القيّمة له ولقادة ثورته، على الرغم من مراقبة الفرنسيين الشديدة له، وتتبعهم لحركاته، بصفته والياً على حلب منذ أن أُسند إليه هذا المنصب في العهد الفيصلي».

١٤ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٦٣.

١٥ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٦٣.

١٦ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٦٣.

١٧ أدهم آل جندي، ص ٥٤١، يقول: «ولما احتلّ الفرنسيون البلاد السورية انسحب نبيه العظمة ورشيد طليع والي حلب وذهبا إلى جبل الدروز». ويذكر أدهم آل جندي في الصفحة ١٧١: «إن رشيد طليع وعدد من المجاهدين قد حوكموا غيابياً بالإعدام، وذلك بقرار صدر عن المجلس الحربي في بيروت بتاريخ ٩ آب ١٩٢٠».

١٨ أدهم آل جندي، ص ٣٩١، يقول: «وأخذ الرعيل تلو الرعيل يزحف إلى البلاد الأردنية أولاً فأولاً، وفي طليعة أولئك الزاحفين السادة: رشيد طليع والأمير عادل أرسلان، والشيخ كامل القصّاب وحسن حكيم وخير الدين الزركلي ورشدي الصفدي ونبيه العظمة وسامي السراج وغيرهم».

١٩ أمين طليع، مرجع سابق، ص ٢٨.

٢٠ أمين طليع، مرجع سابق، ص ٢٩.

٢١ أمين طليع، مرجع سابق، ص ٣٠.

٢٢ جريدة لسان الحال، الاثنين ٢٥ تموز ١٩٢١.

٢٣ أمين طليع، مرجع سابق، ص (٣٣ – ٣٤).

٢٤ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ص ٨١.

٢٥ جريدة لسان الحال، عدد ١٩٢٣/١٢/٢٣.

٢٦ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٢١٧.

٢٧ أمين طليع، مرجع سابق، ص ٣٧.

٢٨ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ص ١٧٨.

٢٩ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ص ١٧٠.

٣٠ الجنرال أندريا، ثورة الدروز وتمرّد دمشق، ترجمة حافظ أبو مصلح، ص ٢٢٢.

Andréa, le Général: la révolte Druze et l'insurrection de Damos, 1925-1926, Paris 1937.

٣١ الجنرال أندريا، مرجع سابق، ص ٢٥٢.

٣٢ الجنرال أندريا، مرجع سابق، ص ٢٦٨.

٣٣ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج٢، ص ١٢٤.

٣٤ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج٢، ص ١٢٥، «عقد اجتماع شقا المشهور بتاريخ ١٠ تموز ١٩٢٦»، راجع كذلك أدهم آل جندي، ص ٤١٠.

٣٥ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٤١٠.

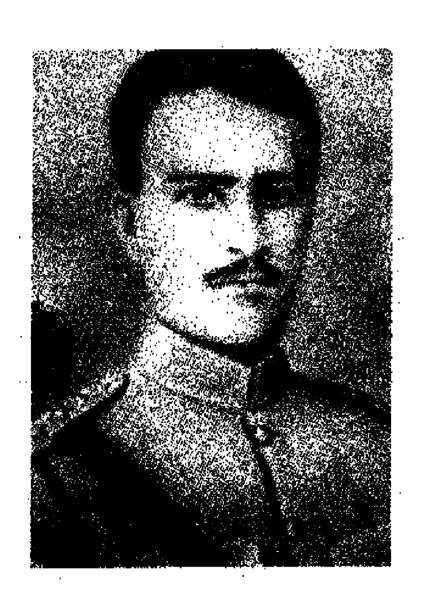
٣٦ سلامة عبيد، الثورة السورية الكبرى على ضوء وثائق لم تنشر بعد، ط١، ١٩٧١، ص ٣٤٨.

٣٧ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٥٤٥.

٤

فؤاد سليم

١٨٩٤ - ١٩٢٦م



فؤاد سليم

وُلد الشهيد البطل القائد فؤاد بن يوسف بن حسن بن سليمان ابن حسون سليم في ١١ تشرين الثاني عام ١٨٩٤ في بلدة بعقلين في قضاء الشوف[1]، وتنقل في طفولته ما بين المختارة وجباع وبعقلين، وكان والده الدكتور يوسف طبيب القضاء، تخرّج في الكلية السورية الانجيلية (الجامعة الأميركية اليوم) عام ١٨٨٤. وقد درس أعمامه الثلاثة الطب في الكلية نفسها.

أما فؤاد فكانت نشأته ثورية في بداية حياته، حتى وهو طفلٌ في المدرسة، كان يذهب مع رفاقه في الدراسة إلى ساحة البلدة، يتجمعون ثم ينطلقون ليهجموا على مواقع وتجمعات الجيش التركي ويرموها بالحجارة، وكان يومئذٍ في سن مبكرة لم يتجاوز الإثني عشر عاماً.

درس فؤاد في طفولته في المختارة على يد أحد المعلمين المسيحيين، ثم انتقل إلى صيدا، ثم إلى مدرسة الداودية في عبيه، بعد ذلك انتقل إلى الكلّية السورية الإنجيليّة في بيروت، ولكنه لم يتابع الدراسة فيها لأسباب صحية، بسبب تعرضه لحادثة أليمة، حيث سقط عليه وعاء ماء ساخن، احترق معظم جسمه، مما اضطره إلى ترك الدراسة فترة وجيزة. ثم تابع دراسته في الكلية العثمانية على يد الشيخ عباس الأزهري في بيروت وأصبح مدرساً فيها، ثم انتقل إلى مدرسة بسكنتا، فكان أستاذاً ثم مديراً لها بين أعوام ١٩١٣ - ١٩١٦م.

نضاله العسكري في الثورة العربية

عندما أعلن الشريف حسين بن علي الثورة في ١٠ حزيران ١٩١٦، انتشرت أصداؤها في البلاد العربية، فراح فؤاد يتابع أخبارها، وكان قلبه يخفق شوقاً

للإلتحاق بها. فصمم على الانضمام إلى الثوار، ولكن والده رفض هذه المشاركة بعد أن كاشفه بها، وعند إصرار فؤاد، وافق والده وطلب منه زيارة أقاربه في جبل الدروز في قرية المجيمر – السويداء قبل أن يلتحق بالثورة[٢].

وكان فؤاد مع والده في بلدة شحيم في إقليم الخروب يومئذٍ، فذهب إلى بلدته جباع لتوديع والدته، ثم عاد إلى شحيم فودّع والده وانطلق مع إحدى القوافل إلى جبل الدروز. عندما وصل إلى الجبل، حلّ ضيفاً عند أقربائه في المجيمر، وأخبرهم بما ينوي فعله. ثم ودّعهم وانطلق عبر الصحراء السورية إلى شرق الأردن ميمماً بلاد الحجاز كي يلتحق بجيش الثورة الذي كان يرابط ما بين العقبة ومعان.

هجر فؤاد منزل والديه حيث العز والجاه مستبدلاً ذلك بحياة مليئة بالأهوال والمخاطر، فقطع المسافات الطويلة في الصحراء، وقبل أن يصل تعرّض للاعتداء على يد قطاع الطرق، الذين انقضوا عليه بغتة، فسلبوه جميع ما يحمله من مال وزاد وسلاح فردي، بعد أن اشتبك معهم وأُصيب بجراح خطيرة، فتركوه ينزف وولوا الأدبار، على أمل أن يكون فريسة للوحوش الكاسرة وينتهي مصيره في تلك الصحراء المقفرة. ولكن شاء القدر مرور قافلة من العربان التجار الذين كانوا يتنقلون من العراق إلى الحجاز، وذلك بعد أن حصلت معه الحادثة بقليل من الوقت، فأسعفوه على الفور، ونقلوه إلى أقرب المنازل في الحجاز، بعد أن أوقفوا النزف من جراحه. فارتاح بعض الوقت، وبعد أنْ تماثل إلى الشفاء، ودّع مضيفه وواصل رحلته إلى عرين الشريف حسين بن علي. في هذه الأثناء، انقطعت أخباره بالكامل عن أهله وأقاربه، وسرت شائعات بأنه ربما قتل أو افترسه الوحوش، فلبست عائلته الأسود حداداً عليه في لبنان.

ويقول الأستاذ سليمان موسى في كتابه صور من البطولة الذي نُشر في عمان – الأردن عام ١٩٦٨، ما يلي: «اشتبه الأمير فيصل بأمره في بادئ الأمر، وخشي أن يكون عيناً لعدو. لكن الدكتور ثابت الذي كان يعمل مع الثورة عرفه وكان صديقاً لأبيه. فاطمأن فيصل وألحقه بعمل كتابي في قيادة الجيش»[٣].

وفي الحقيقة أن الشهيد فؤاد سليم، عندما وصل إلى مضافة الشريف

حسين، وكان يتمتع بشخصية فذة أخاذة، وعينين زرقاوين، أخذ الشريف الشك، فظن أن يكون فؤاد ضابطاً ألمانياً أو عثمانياً مكلفاً بأمر ما.

قدّم الشريف حسين إلى فؤاد خيمة خاصة بعد أن حكى له قصته، وطلب من نجله فيصل تكليف أناس يراقبون تصرفاته. فأوعز فيصل إلى الدكتور جورج ثابت طبيب العائلة الخاص، إضافة إلى المجاهد صبحي الخضرا، مراقبة تحركات وتصرفات هذا الزائر الجديد، وطلب منهما تقريراً في أقرب وقت. التقى الدكتور جورج ثابت بفؤاد سليم، ودون أن يسأله عرفه، إذ كان الدكتور على علاقة وثيقة وحميمة مع أهل فؤاد وأقاربه في لبنان، وخصوصاً أنه تخرّج في الكلّية السورية الإنجيليّة، وكان والد فؤاد زميله في الدراسة كذلك. فرفع فوراً كتاباً إلى الشريف حسين وإلى فيصل يعلمهما أن فؤاد سليم رجل عربي مخلص، تحمل المشاق الصعبة والأخطار الجسام في طريقه ما بين لبنان والحجاز ليس إلا لمحاربة الاستعمار التركي وتحرير وطنه العربي الكبير. وقام الدكتور ثابت بتعريف الشريف على فؤاد، فقرّبه منه، بعد أن أشاد مجدداً بمزايا أهله ومواقفهم وأرومتهم العربية الصرفة.

على أثر ذلك، طلب الشريف حسين من فؤاد سليم إدارة مجلة الثورة والإشراف على البيانات السياسية والعسكرية، فاستمر فؤاد لفترة وجيزة يحرر المجلة، وقد رأى الخلاف العشائري والانقسامات والصراع على النفوذ في الحجاز، يقوم بتغذية ذلك الأتراك، فوجد أنه لا بدّ من أخذ مبادرة يقطع فيها دابر الفتنة، فرفع شعار الدين لله والوطن للجميع. فتوّج به جميع مقالات ومناشير الثورة العربية، وأوضح أهدافها، مُعتبراً أن ثورة ١٩١٦ هي ثورة عربية شاملة وواجب على جميع الأقطار العربية المشاركة فيها[٤].

وبعد فترة على تسلّمه إدارة المجلة، رأى فؤاد أن موقعه ليس في المكاتب والإدارات، وذهب إلى الشريف وأبلغه رغبته في المشاركة في المعارك، وأنه لم يأتِ من لبنان ليجلس في الخيام أو وراء المكاتب، فلبّى الشريف رغبته فوراً. في تلك الأثناء، علِم أهل فؤاد أنه ما زال حيّاً في الحجاز، فانتقل أخوه عارف وابن عمه سامي من لبنان إلى الحجاز لرؤيته وبقيا معه. وكان ابن عمه سامي سليم إضافة إلى أنه صيدلي بارع، فهو كاتب وصحافي لامع وخطيب

جريء، سنأتي على ذكره لاحقاً. فطلب فؤاد من الشريف تسليم إدارة المجلة إلى ابن عمه سامي، فوافق كذلك الشريف على طلبه. بعدئذٍ التحق فؤاد بفرقة المتفجرات التي كان يقودها الأمير شاكر بن زيد(٥)، وأصبح في فترة وجيزة ساعده الأيمن، فقام فؤاد بالأعمال البطولية، حيث هاجم القوات التركية المرابطة على جسور السكة الحديدية من معان إلى عمان، فأبلى بلاء حسناً، وبرهن عن بطولة نادرة، فكان يقوم بتلغيم الجسور والقلاع، وينزع السكة الحديدية بعد أن يزرعها بالألغام وينسف القطارات الحديدية التي تمر عليها، وكل هذه الأعمال البطولية سجّلها في فترة لم تتجاوز الشهور الأربعة، فكانت أعماله محط إعجاب وتقدير من قادة الثورة العربية وخصوصاً من الشريف حسين والأمير فيصل.

شارك مع فؤاد في فرقة المتفجرات ابن عمه نسيم سليم، وقد ترك نسيم البلاد وذهب إلى قبرص بطريق البحر بواسطة مركب استقله من قرب برج البراجنة، ومن هناك إلى فرنسا ثم الولايات المتحدة الأميركية. وإن السبب لتلك المغادرة هو مشاركته بعمليات عسكرية عدة ضد ضباط الجيش التركي، حيث أُكتشف أمره، وكاد أن تُعلق مشنقته لولا فراره.

في الولايات المتحدة درس نسيم الطب، ثم درس هندسة الميكانيك، ويعود السبب في هذه الدراسة الثانية، إنه يستحيل عليه العودة إلى لبنان بسبب صدور حكم بالإعدام بحقه، ولا يُسمح له للبقاء في أميركا دون أن يدرس، فاختار دراسة الهندسة الميكانيكة، فبرع فيها(٦).

إن حكم الإعدام شمل فؤاد وعارف وسامي ونسيم، الذين شاركوا في عمليات عسكرية عدة استهدفت الضباط الأتراك، الذين استباحوا الغلال وأعراض الناس وكراماتهم، وولّد ذلك شعوراً لدى جماعات ثورية ومنهم أبناء عائلة آل سليم، في التصدي للاحتلال التركي وضرب مواقعه. فكانت معظم العمليات تتم باستدراج الضباط الأتراك إلى سهرات حمراء، بكل ما تعنيه هذه الكلمة، وكانت تتم تصفية الضباط بعد عودتهم إلى مراكزهم في نهاية السهرات المراقبة والموجّهة.

وعندما بدأت ثورة الحجاز، ووصلت مسامعها إلى أقطار الدنيا كافة، غادر نسيم الولايات المتحدة متوجّهاً فوراً إلى الحجاز، دون أن يمرّ بلبنان،

فالتحق عام ١٩١٦ بركب الثورة إلى جانب فؤاد مساعد رئيس فرقة المتفجرات، وكان لنسيم دور كبير في تركيب المتفجرات، فكان يأتي بالرصاص ويذيبه في قوالب متعددة الأحجام، ويُضيف إليه شظايا القنابل والمسامير، ثم يصنع الصواعق، وقد فاقت هذه المتفجرات التي صنعها نسيم المتفجرات التي كان يستعملها الحلفاء قوة وفعالية. وقد كان يقوم فؤاد بزرعها بنفسه في الجسور ومقاطع سكك الحديد وقلاع الأتراك، وقد شملت عمليات هذه الفرقة بلاد الحجاز وصولاً إلى العقبة.

احتلال الجيش العربي لشرق الأردن وسوريا

بعد الانتصار الكبير للثورة العربية في بلاد الحجاز، ودحر العثمانيين سياسياً وعسكرياً، عقد البريطانيون والفرنسيون اتفاقية ثنائية هي اتفاقية سايكس – بيكو، وعلى أثرها، تنادى الضباط الأحرار في الجيش الفيصلي عام ١٩١٧ إلى عقد اجتماع سرّي وهام جداً، فتداولوا الأمر فيما بينهم، واختاروا فؤاد يوسف سليم رئيساً لتجمعهم، وقد سُمّي تجمع الضباط الأحرار.

ومن بلاد الحجاز، تقدّم فؤاد سليم ورفاقه نحو شرق الأردن، فطردوا الجيش العثماني وأعوانه من الشركس، وبعض قبائل البدو المتعاونة معهم كلياً، ثم تقدموا بعد ذلك نحو درعا فدمشق في خريف ١٩١٨. وفي دمشق التقى فؤاد سليم مع القادة: نسيب البكري، عبد القادر الجزائري، رضا الركابي، سعد الله الجابري، شكري القوتلي، ويوسف العظمة. وقبل أن يدخل الملك فيصل مدينة دمشق، التقاه فؤاد في منطقة القدم، فترجّل الملك فيصل عن جواده، وقبّل فؤاد في جبينه قائلاً له: «أقبّل في جبينك شرف هذه الأمة ووحدتها»[٧]. حيث كان يعتبر الملك فيصل إن فؤاد سليم من أشدّ المخلصين لوحدة الأمة وتحررها. بعد ذلك، شُكلت الحكومة العربية برئاسة رضا الركابي في دمشق، وأُنيط بفؤاد تسلم فوج المشاة السيّار[٨]. ولكن فؤاد لم يكتفِ بالفوج المذكور، بل قام بانتقاء فريق من الشجعان، اختارهم فرداً فرداً، وكان هؤلاء من معظم الطوائف، وأطلق على هذا الفريق فرقة المغاوير الفدائية، حيث بدأت تنفذ هذه الفرقة عمليات عسكرية، أشغلت الجيش الفرنسي في مواقع عدة على الحدود اللبنانية والسورية وفي البقاع[٩].

وقد شكّل فؤاد سليم الفرقة على الشكل الآتي:

الاسم	الرتبة	الاسم	الرتبة
فؤاد سليم	قائد	محمود برازي	نائب وكيل
عارف سليم	نائب قائد	مصطفى ملحم بشير	عريف
نسيم سليم	طبيب ومهندس	درويش حمود باز	عريف
بديع سليم	طبيب	فارس شاكر	عريف
سامي سليم	مدير مجلة	حسن عبد الله حماده	عريف
عبد الهادي العرب	رئيس	مرعي حسن شيخو	عريف
حسيب ذبيان	ملازم أول	محمد بن أحمد	عريف
حسن الجركسي	ملازم أول	شاه إبراهيم راغب	عريف
حقي زكريا	ملازم ثان	صبري بن خالد	جندي مشاة
محمود ذهني	ملازم ثانٍ	إبراهيم قاسم غريزي	جندي مشاة
يحيى الجركسي	وكيل ضابط	السيّد القشوع	جندي مشاة
يوشع بن قاسم	وكيل ضابط	عجاج الراضي	جندي مشاة
سلمان ذبيان	وكيل ضابط	علي رسول	جندي مشاة
سعيد ملحم بشير	وكيل ضابط	فهمي داود	جندي مشاة
أحمد رمزي مكاوي	وكيل خرج	هاشم شركس	جندي مشاة
حسين درويش	كاتب	محمد خير العرب	جندي مشاة
حمد صعب	نائب وكيل	أحمد خليل شحاني	جندي مشاة
شكري طاهر آغا	نائب وكيل	محمد صالح بك	جندي
طاهر زكريا	نائب وكيل	رشيد حميده	جندي
ملحم بشير	نائب وكيل	علي إبراهيم بشار	جندي
مصطفى السيد حسن	نائب وكيل	موسى سعدو	جندي
فريدا الخضرا	نائب وكيل	أحمد حسين سعدو	جندي
عبد الرحمن درويش	جندي	مصطفى ذبيان	جندي
احمد محمد بكيه	جندي	نجيب حماده	جندي
أحمد علي رمضان	جندي	كامل حماده	جندي
بشار يوسف	جندي	سلمان حسن الحسنية	جندي

الاسم	الرتبة
عباس فرحات	جندي
حسين محمد عرب	جندي
مصطفى جمال الدين	جندي
سيد محمد إبراهيم	جندي
ياسين مير خان	جندي
ناصر سليم العاكوم	جندي
عبد الكريم درويش	جندي
عبد القادر مقصف	جندي
صاحب زكريا	جندي
عمر حاجي حسن	جندي
علي حمد جدوع	جندي
عبد الحميد سنجابي	جندي
محمد محمود تمر	جندي
عمر علي عجوع	جندي
علي زلفو الأرشي	جندي
أحمد محمد شيخو	جندي
سعيد مرعي يونس	جندي
محي الدين غزي	جندي
إبراهيم حسن ظاظا	جندي
محمد طاهر حليقين	جندي
فاخوقا شوقا	جندي
يوسف اسحاق	جندي
إسماعيل نعوت	جندي
أمين بن حسين	جندي
حسن علي الشقور	جندي
محمود محمد برغوت	جندي
رشيد محمد حيفاوي	جندي
أحمد محمود	جندي
سليمان جنبلاط	جندي
ناصيف ذبيان	جندي
فارس محمد الحسنية	جندي
إبراهيم أبو زور	جندي
سعيد البراذعي	جندي
إبراهيم بيطار	جندي
سليمان قاسم بوداي	جندي
نعيم محمود	جندي
نجيب ذبيان	جندي
محمد أمين بارتي	جندي
خالد حسن أيوبي	جندي
محي الدين ريحان	جندي
عزو حمو ليلى	جندي
حسين علي كيكي	جندي
سليم حسين شحاده	جندي
مخمد مطلق	جندي
علي يوسف فاضل	جندي
إسماعيل أزرق	جندي
شعيب اسحاق	جندي
حميد حسن	جندي
طاهر حاج يوسف	جندي
نسيب سعيد عويدات	جندي
نجيب إبراهيم	جندي
صبحي فارس يونس	عريف
عزيز بكير	عريف

جاء تشكيل هذه الفرقة العسكرية الفدائية من قِبل القائد فؤاد سليم بعد تحرير دمشق رداً على النوايا العدوانية المبيّتة للحلفاء البريطانيين والفرنسيين، والتي تجلّت بتوقيع معاهدة سايكس – بيكو، التي أولدت سرطاناً خبيثاً في المنطقة العربية نجم عنه وعد بلفور. فبعد أن تنكر الحلفاء للوعود والعهود التي قطعوها للعرب، الذين كان لهم الفضل الأكبر في اقتلاع الجيش التركي والعثماني من بلاد العرب، بعد أن بقي نير استعماره لمدة تزيد عن أربعة قرون، لم يقبلوا أن يجلسوا تحت نير جديد، فكانت ردة الفعل عنيفة عند الثوار المناضلين الأحرار، فبدأ فؤاد على رأس فرقته بقيادة المعركة الجديدة ضد الفرنسيين بعزيمة مماثلة وأشد من معركته السابقة ضد الأتراك، حيث أسهم في التصدي للمواقع العسكرية الفرنسية في البقاع اللبناني، وعلى امتداد الحدود السورية اللبنانية، امتداداً من جبل عامل ووصولاً حتى جبل العلويين شمال سوريا مدة من الزمن.

معركة ميسلون

لم يأبه فؤاد للمفاوضات السياسية الجارية بين الشريف حسين والإنكليز وبين الأمير فيصل والفرنسيين، فكان يجهّز العدّة والعدد المطلوب، لمواجهة الغزو الفرنسي الجديد لبلاد العرب. وضع القائد فؤاد سليم ورفاقه الضباط الأحرار، خطة حربية خارقة الذكاء، لكي تكون الجبال المحيطة بميسلون، قلاعاً يحتلها رجال حرب العصابات والثوار العرب المدرّبون جيداً على الكر والفر في القتال، والذين أشعلوا فتيل الحرب على الحدود، بانتظار القوات الفرنسية المتواجدة في لبنان وسوريا لإيقاعها في كمين شبيه بفكي كمّاشة، تنقضّ منه القوات العربية على الجيش الفرنسي فور استكمال تجمعها، كي تكون معركة ميسلون النهاية الحتمية للوجود الفرنسي في سوريا ولبنان، وإن تنظيمها لا يقل كفاءة عسكرية عن أشهر المعارك التاريخية، حيث وصفها بعض المؤرخين بخط ماجينو أو معركة واترلو الشهيرة.

وفي هذه الخطة، اتفق فؤاد سليم مع وزير الحربية في الحكومة العربية يوسف العظمة[١٠]، ووافق وزير الحربية على مخططات فؤاد في التصدي للقوات الفرنسية، وأن تسانده وحدات من المدفعية والمشاة في الجيش

العربي في صد الهجوم الكبير. قام فؤاد سليم بزرع المتفجرات في تلال ميسلون المحيطة بالمضيق الذي سيمر منه جيش غورو وقواته المدجّجة بالأسلحة الثقيلة والمدفعية والمصفحات الحربية وسواها. وفي ساعة الصفر قام القائد فؤاد سليم وأعوانه بتفجير الديناميت المزروع في جوانب الممر، فتم القضاء على أعداد كبيرة من الجنود والمعدات، مما رمى الهول والرعب في قلوب الجيش الفرنسي، لا سيما أن تلك العملية تسببت في ردم الصخور والأتربة، فأقفلت مضيق المرور من ميسلون، مما سهّل انقضاض الثوار على الناجين من هذا الجيش ولاذت مؤخرته بالفرار نحو البقاع. تلك العملية كانت مجزرة لمقدمة الجيش الفرنسي، الذي أعاد تجميع قواته في سهل البقاع واقتحم مضيق ميسلون في اليوم نفسه بآليات ضخمة وجيش جرار، وذلك في الرابع والعشرين من تموز ١٩٢٠، حيث اشتبكت فرقة فؤاد سليم مع الفرنسيين في معركة قاسية غير متكافئة، من ناحية العدّة والعدد، فتحولت المعركة إلى مجزرة للقوة العربية المرابطة في المضيق، التي استبسلت في الدفاع والمقاومة في قتال مرير ضد الجيش الفرنسي، فاستشهد العديد من الأبطال، الذين كان يقاتل الواحد منهم عشرات الجنود المدججين بالسلاح، إلى أن ينفد ما لديه من ذخيرة حربية، فيلجأ بعدها إلى السلاح الأبيض حتى الاستشهاد، وحيث لا يستطيع أحد من رفاقه انتشال جثمانه، وجثمان رفاقه الشهداء، وهكذا بقيت رفاتهم معانقة حجارة وتراب ميسلون، ومنهم الشهيد الطبيب بديع سليم، الذي تخرّج حديثاً في الجامعة الأميركية والتحق بصفوف الثورة، ولا زالت روحه وروح البطل يوسف العظمة وباقي الشهداء الأبرار، تتردد أصداء صرخات أرواحهم، مستصرخة نخوة هذه الأمة المجيدة. كاد القائد فؤاد سليم أن يقع في قبضة غورو، ولكنه نجا بأعجوبة، واستطاع الإفلات من قبضة الفرنسيين، عبر التحرك السريع من المنفذ الجنوبي مع مجموعة من رفاقه. ولكن فؤاد الذي نجا من الأسر، لم ينجُ من الإصابة حيث اخترقت شظيّة قنبلة فرنسيّة فخذه من الركبة حتى الورك، وأوشك النزيف والتسمم أن يقضيا على جسده النحيل. وقد بادر طبيب الثوار نسيم سليم لإسعافه ووقف نزيف جراحه، عبر استعماله أعشاب الطيّون ودقها ومزجها بالتراب الناعم، بعد أن نضبت العقاقير التي

استهلكها في معالجة المصابين والجرحى. فقد تمكن رفاقه الثوار من نقله على حمّالة حضّروها من أغصان الشجر، وكانوا يسيرون به ليلاً وينامون في النهار في المغاور البعيدة عن عيون الفرنسيين وجواسيسهم، إلى أن وصلوا إلى بلدة في آخر جبل الدروز من ناحية شرق الأردن، فأرسلوا مَن أحضر من الأردن بعض العقاقير الطبية التي أمّنها الطبيب سعيد عمون ابن دير القمر الشوف، من الطائفة المارونية الكريمة في لبنان الذي كان مخلصاً ومؤمناً بالقضية العربية.

انتقل فؤاد إلى بلدة أقاربه المجيمر، فأحاطوه بكل تكريم وأبعدوه عن أعين الجواسيس. في هذه المحنة التي يتخبط فيها، كشف طبيبه وابن عمه نسيم عن جراحه، فوجد العظم ملتهباً وبدأ يهترىء، فقال لفؤاد: «لا بد من بتر الساق من تحت الورك، وإلا سيضرب الاهتراء باقي الجسم». رفض فؤاد رفضاً قاطعاً، وسحب مسدسه وصوبه إلى رأسه، فاجتمع الرفاق بعد تعالي الصراخ، فقال لهم فؤاد: «وصيتي لكم أن تدفنوني وأنا منتصب القامة كي لا أشعر بالانخذال حتى في مماتي»[١١]. لكن رفاقه طلبوا من الطبيب عدم قطع رجله ومعالجتها. فقام الطبيب بتنظيف الأجزاء الملتهبة، وقحطها بالمشرط (سكين حاد)، حيث لا يوجد مخدر يُسكن الألم لإجراء العملية. وقد استطاع الطبيب شفاءه.

فؤاد سليم في شرق الأردن

واستمرت إقامة فؤاد الجبرية تلك لمدة شهرين ونيف في المجيمر، وفي تلك الأثناء، هيّأ الطبيب سعيد عمون، الطبيب الخاص للأمير عبد الله بن الحسين، آنذاك، قدوم فؤاد سليم ورفاقه إلى عمان، لكونه على معرفة بهم على مقاعد الدراسة في الجامعة الأميركية في بيروت، مع الأمير، فرحّب بهم واستضافهم، وتشاور معهم في تأليف حكومة وطنية، فاستلم المناضل رشيد طليع رئاسة الحكومة[١٢] وكانت غالبية أعضائها من الضباط الأحرار، الذين أسس معهم وبهم فؤاد سليم الجيش العربي الأردني وتبوّأوا المراكز العسكرية والإدارية الحساسة. فكان شقيقه عارف قائداً لكتيبة الفرسان[١٣]، ثم تسلم رئاسة أركان الجيش العربي الأردني، وهو المنصب الثاني في الجيش بعد

القائد الإنكليزي بيك باشا. شغل فؤاد سليم هذا المركز بكل ثقة وجدارة وذكاء، وأبرز مرونة جيدة في التعامل مع البريطانيين، فكان على اتصالات ولقاءات دائمة مع الضباط الأحرار للقيام بعمل ثوري يُعيد كرامة الأمة بعد معركة ميسلون، ويتم إخراج الفرنسيين من سوريا ولبنان. فبدأت الاستعدادات للقيام بالعمليات العسكرية ضد القوات الفرنسية في بلاد الشام.

أرسل الضباط الأحرار المناضل الثائر البطل أدهم خنجر لاغتيال قائد القوات الفرنسية في الشرق الجنرال غورو، في خطة مرسومة تستهدف القيادات الفرنسية في حملة اغتيالات متتابعة، تؤدي نتائجها إلى انهيار القيادة الفرنسية وإضعاف هيبتها ومعنويات جيشها، ويسهّل بالتالي الانقضاض عليها وطردها من أنحاء البلاد. لكن الثائر أدهم خنجر فشل في هذه العملية الأولى في القنيطرة، حيث لم تصب رصاصاته الجنرال غورو إصابة قاتلة، في ٢٣ حزيران ١٩٢١م، فأصيب غورو برصاصتين في يده اليمنى المقطوعة فخرقتا القماش ولم يُمس بأذى وقد أُصيب الضابط برانه وهو الترجمان فقتل على الفور، كما أُصيب حقي بك بثلاث رصاصات واحدة في شفته وأخرى في زنده والثالثة في ساقه، ووقعت الحادثة بين قريتي سعسع وجباتا الخشب على طريق القنيطرة(١٤).

تمكن أدهم خنجر ورفاقه من الهرب والعودة إلى شرق الأردن في مكان إقامته حيث منزل القائد فؤاد سليم، وقد تسبب هذا الحادث في فضح أهداف السلطتين السياسية والعسكرية في شرق الأردن. وعندما علم الإنكليز بوجود أدهم خنجر في منزل فؤاد سليم، طلب منه الجنرال بيك الإنكليزي تسليمه، لكي يسلّموه إلى حلفائهم الفرنسيين. ولكن فؤاداً نفى وجود أدهم في عمان، ولكي يتخلص من هذه المشكلة ولا يُغضب الإنكليز، سارع إلى تهريبه، وأوكل هذه المهمة إلى شكيب وهاب الذي كان يثق فيه وكان مقرباً لديه، وطلب منه أن يضعه في إحدى المغاور في جبل الدروز ويقابل سلطان باشا الأطرش ويعلمه بالأمر. تمكن شكيب وهاب من إيصال أدهم خنجر إلى منزل سلطان الأطرش في بلدة القريّا، فلم يكن سلطان موجوداً في المنزل، فوضع شكيب وهاب الثائر أدهم في عهدة أسرة سلطان وعاد إلى بلدة أم الرّمان لإخبار سلطان بالموضوع(١٥).

كان منزل سلطان مراقباً من قِبل أعين السلطة الفرنسية، وخصوصاً مدير الناحية صياح الأطرش وأعوانه، فاقتحموا مضافة سلطان واعتقلوا أدهم، ونقلوه فوراً إلى السويداء[١٦] ومنها إلى الشام بطائرة عامودية وأعدموه من غير محاكمة.

في هذه البلبلة، تحرك سلطان عسكرياً واستطاع ضرب قوات فرنسية عسكرية، مما أزعج الفرنسيين، فقصفوا بالطيران دار سلطان في القريّا وعدداً من المنازل الأخرى، حيث استشهد العديد من المواطنين، وقد نجا سلطان بأعجوبة واضطر إلى مغادرة الجبل نحو شرق الأردن، في محاولة للتخطيط مجدداً لضرب الفرنسيين. فاستقبله على الحدود رئيس الحكومة رشيد بك طليع، وقائد الجيش فؤاد سليم، وجاء الجنرال أللنبي وأراد اصطحاب القائد سلطان بسيارته لكنه اعتذر وركب سيارة فؤاد سليم، حيث لم يشأ أن يركب سيارة يرفرف فوقها علم أجنبيّ.

لم يمكث سلطان طويلاً في شرق الأردن، وقبِل نصيحة فؤاد سليم بالذهاب إلى الجبل، لأن الداخل في حاجة إلى سلطان، وأفضل له أن يكون بين أبناء قومه، ليقوم بإعداد الخطط المناسبة، وخصوصاً بعد تملّق الفرنسيين والسماح له بالعودة دون أن يمسوه بأذى.

في هذا الوقت كلّف فؤاد سليم شقيقه نصري قائد الدرك[١٧]، جمع كمية كبيرة من السلاح الإنكليزي وإرساله إلى جبل الدروز وتسليمه إلى سلطان الأطرش. قام نصري بهذه المهمة على أكمل وجه، وقد نقل السلاح على جنح الظلام، وقد ألبس حوافر الخيول اللباد حتى لا يُسمع صوت تحركاتها في الليل، وقد علِم الإنكليز فيما بعد بخطة فؤاد في نقل السلاح، فغضبوا من فؤاد وأيقنوا أن بقاءه في هذا المنصب يشكل خطراً جسيماً عليهم مع أعوانه، وخصوصاً إخوته ورفيقه رشيد بك طليع، فعملوا جاهدين على التخلص منهم.

كان فؤاد سليم ورشيد طليع على علاقة وثيقة مع الأمير عبد الله بن الحسين، ولم يكن بوسع البريطانيين يومذاك ضرب الإمارة مباشرة، فقاموا بتحريض القبائل والعشائر البدوية في شرق الأردن ضد حكومة عبد الله، فقامت خمس ثورات باءت بالفشل وأهمها ثورة فواز بركات شيخ الرمثا، وكليب الشريدي زعيم قبائل عجلون وقد أعلنا العصيان المدني في منتصف

شهر تموز عام ١٩٢٢ وامتنعوا عن دفع الأموال الأميرية[١٨]، وقبل ذلك قامت مجموعات من الوهابيين بالإغارة من منطقة الجوف على شرق الأردن باتجاه عمان وإربد، وحصلت معارك قوية بين هذه الفئات مع الحكومة، فاستطاع القائد فؤاد سليم، على الرغم من إصابته، أن يسحق هذا التمرد وأن تعتقل قواته كليب الشريدي وابنه عبد الله وابن أخيه رشيد الجرزان وفواز بركات وراشد باشا الخزاعي، وأن يسوقهم إلى مدينة إربد لتقديمهم للمحاكمة في أواخر شهر تموز ١٩٢٢.

وفي الخامس والعشرين من شهر آب ١٩٢٢[١٩]، عفا الأمير عبد الله عن خافي وفواز البركات، وراشد باشا الخزاعي، وأطلق سراحهم. بينما حكمت المحكمة على كليب الشريدي وابنه وابن أخيه بالإعدام، وعلى بعض زعماء القبائل بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً، وقد أُرسلت عرائض كثيرة من القبائل تدعو الأمير للعفو عنهم.

وفي هذه الفترة، تمّ إسعاف فؤاد سليم ومعالجته، ولم يعلم بمكان إقامته سوى رشيد طليع، وذلك خوفاً عليه من مكائد الإنكليز والبدو. وقد ظنّ أهله وأقاربه أنه مات، حيث انقطعت أخباره. فأقاموا له مأتماً كبيراً في سوريا، حضرته حشود من المواطنين السوريين واللبنانيين والأردنيين. ولكن الجميع تفاجأ بظهور فؤاد من جديد على مسرح قيادة الجيش، وعودته سالماً معافى، مما أزعج الإنكليز، وبدأوا يفكرون بطريقة إزاحته من قيادة الجيش والتخلص منه، ليسهل عليهم تطويع الأمير عبد الله كما يشاؤون.

أسباب إزاحة فؤاد سليم من أركان الجيش العربي عام ١٩٢٣

يقول الأمير عادل أرسلان في مذكراته: «فلما ثارت قبائل البلقا على عبد الله بزعامة الشيخ سلطان العدوان وقيادة صايل الشهوان شيخ العجارمة، وانضم إليهما بنو حميدة وأفخاذ من بني حسن وغيرهم، وخذله الناس، أخذ يستنجد بأهل عمان ويبكي أمامهم، حتى رقّ له مرزا باشا فجاءه بمئة جركسي، وجاءه أحمد علي باشا رئيس الوزراء بالنيابة مسلحاً يشدد عزمه، فيبقى يبكي، ثم علِم أن الثوار اجتمعوا في عين صويلح، فأخذ يخاطب سلطاناً العدواني بالهاتف متوسلاً راجياً ويقول له: «أنت في مقام والدي...».

وكان المستر فيلبي المعتمد البريطاني في عمان قد شجّع العدوان على الثورة، واستكتب وكيل قائد الجيش أمراً إلى فؤاد سليم ضابط أركان حرب الجيش بألا يجمع الجيش في غيابه، ثم غاب هو وفيلبي ذاهبين إلى بيروت، بينما كان قائد الجيش غائباً في إنكلترا، فقال الاستقلاليون خصوم عبد الله إن الثورة دسيسة إنكليزية دبّرها فيلبي، فكتبوا إلى زعماء عجلون والسلط والكرك، وحذروهم سوء العاقبة، فأسقط في يد الثوار، لكنهم صمموا على القتال وحصار عمان، وأقسم صايل الشهوان أن يشرب دم عبد الله بكفه، وإذا بفؤاد سليم يدخل سرادق عبد الله ويقول له: «هذا هو الأمر الذي تلقيته من قائد النيران الإنكليزي وكيل بيك باشا، لكنني ضابط عربي لا أعرف لي وللجيش قائداً غير أمير البلاد، فمرني بما تريد فقفز عبد الله من مكانه وعانقه وأشهد الحضور على أنه لن ينسى لفؤاد تلك المنّة ثم قال له أن يأمر الجيش بتحصين المقر الأميري والدفاع عنه، وما كاد الأمير عبد الله يمسح دموعه حتى سمع صوت ضابط يرتفع بإيعازات عسكرية، فخرج ومَن معه من السرداق، فرأوا سعيد عمون أمام سريته، وحسيب ذبيان أمام سرّية أخرى، وقد اتجهتا إلى الغرب من المقر، وبدأتا بحفر الخنادق وتهيئة المكان للدفاع، وفي أثناء ذلك، سار ضابط ايرلندي بمصفحة إنكليزية ليكشف حركة الثوار في عين صويلح بين عمان والسلط، فلما رآها سلطان العدوان اضطرب، أما صايل فقد صاح بقومه: اركبوا، وركب هو فرسه وشهر سيفه وأغار على المصفحة ووراءه إخوته وبعض العجارمة والحميديين، فأطلق الضابط الإرلندي رشاش المصفحة على المغيرين، فسقط صايل وأخوه وأربعة آخرون قتلى، فانهزم سلطان العدوان بمَن معه لا يلوي على شيء. وكان فؤاد في مكان قريب على قوة من فرسان الجيش، فطارد المنهزمين إلى وادي السير، ثم إلى أرض حميدة وراء مأدبة، فكاد عبد الله يطير فرحاً، ثم أمر بنهب العجارمة والعدوان وبني حميدة. فأُخذت خيولهم وأغنامهم، وانتهت بذلك الحركة واستتب الأمن عبد الله.

بعد ذلك بأيام قليلة، أمر بطرد الضباط الذين نصروه وهم فؤاد سليم وسعيد عمون وصبحي العمري وحسيب ذبيان ومحمود الهنيدي ومحمد مريود، وأحمد أبي راس، فأسرع محمد حلمي يقول له: «كيف تطرد هؤلاء

وقد شهّدتنا على أنك لن تنسى منّتهم، وقد علمت أنهم جمعوا الجيش لك وهزموا أعداءك، فأجاب: «مَن استطاع جمع الجيش لي استطاع جمعه عليّ، فلا بدّ من طردهم»[٢٠].

«بعد ذلك بسنة أمر بإخراج رؤساء الاستقلاليين من بلاد شرق الأردن، فخرجنا إلى معان، ومنها أخذنا الملك حسين إلى الحجاز ضيوفاً وهو ينوي اعتقالنا، فما بلغنا جدّة حتى أخذ الوهابيون الطائف ثم مكة»[٢١].

أما القائد فؤاد سليم، فبعد عزله من قيادة الجيش، تدخل العديد من المخلصين لدى الأمير عبد الله بعدم إزاحة فؤاد سليم، فعيّنه برتبة أميرالاي في القصر، ثم مرافقاً له من دون صلاحيات. رفض فؤاد هذا الأمر كلياً، وحاول القيام بتمرد، ولكن الإنكليز كانوا بالمرصاد، فتوجهت قوة كبيرة إلى حيث يقيم فؤاد، وطلبت منه مغادرة شرق الأردن خلال ٤٨ ساعة، وقد نُفي إلى مصر، ونُزع جواز سفره وأوراقه، ووُضع في أحد الفنادق في شبه إقامة جبرية.

فؤاد سليم منفياً إلى القاهرة

في القاهرة، لجأ فؤاد إلى الصحافة ينشر المقالات فاضحاً السياسة البريطانية والفرنسية، منها صحف المقتطف والمقطم وكوكب الشرق والشورى[٢٢]. فثارت حفيظة الإنكليز، وحاولوا أن يشتروا ولاءه بالمال، فقام الجنرال أللنبي ولورانس باللقاء معه في مقر إقامته، وقدموا له شيكاً موقعاً من الجهات الرسمية، يكتب فيه فؤاد الرقم الذي يريده، ولكنه قام بتمزيق الشيك، ووضعه في منفضة السجائر أمامهم. فاعتقد الإنكليز أنه طامع في السلطة، فعرضوا عليه أن يختار أي ولاية في الهند واقعة تحت حكمهم، يتصرف بها ويكون حاكماً عليها، فرفض فؤاد هذا العرض الجديد، قائلاً لهم: «إنه لن يساوم على أمته ووطنه».

وهنا خاب ظنهما، فلم يبقَ أمامهما إلا تصفية فؤاد سليم جسدياً، وشدّدا المراقبة عليه في الفندق. اتصل فؤاد بصديقه وزميله في الدراسة الدكتور نايف حمزة وهو من بلدة عبيه، فأطلعه على ما هو فيه من خطر، وأن بقاءه محفوف بالمخاطر. فقام الدكتور نايف بإحضار جلابية مرقعة له وصبغة لتغيير لون شعره وشالوخ (شبشب) على أن ينتظره في مكان معين في القاهرة

أحد الوطنيين المخلصين ومعه جمل ينقل فؤاد عليه إلى صحراء سيناء. غيّر فؤاد ملابسه، واستطاع الخروج من الفندق وتخطي المراقبة، وتوجه نحو الصحراء، فكان يسير ليلاً وينام نهاراً كي لا يكتشف سرّه الإنكليز الذين رصدوا جائزة كبيرة مالية لمَن يرشدهم إلى مكانه أو يسلّمهم إياه[٢٣].

في وسط صحراء سيناء، تعرّض فؤاد إلى مهاجمة قطّاع الطرق، فسلبوه زاده وماله والجمل، وأوسعوه ضرباً، ثم رموه على الرمال ينزف، إلى أن قدّر الله مرور قافلة من التجار الذين أسعفوه، ونقلوه إلى أحد مضارب البدو، حيث تمّ إسعافه، وبعد أن شُفي تابع رحلته الشاقة بعزيمة قوية وتصميم على النضال ومتابعة مشوار الكفاح مهما كانت الصعاب وهذه المزايا لا تتوفر إلا في نوعية هؤلاء الرجال الكبار.

تابع فؤاد مشواره المحفوف بالأخطار، فوصل إلى نهر الشريعة في شرق الأردن الذي يرتفع منسوب مياهه في أقسى أيام الشتاء الباردة، ويستحيل قطعه إلا لمَن يحاول الانتحار، وكان لا بد من قطع النهر للوصول إلى شرق الأردن، فجازف فؤاد ونزل في الماء، فقذفه التيار وأصبح في عراك معه، وقدّر له أن تقذفه المياه إلى الضفة الثانية، فتعلق بشجرة هناك، واستطاع أن يتسلقها بصعوبة وأن يرمي بجسده على ضفة النهر الثانية. وبعد ساعات عدة من الغيبوبة، استفاق فؤاد ليجد نفسه في خيمة بدوي أسعفه وقدّم له الغذاء.

في هذه الفترة، انقطعت أخبار فؤاد مدة طويلة، فظن الأهل أن الإنكليز قتلوه. فأقاموا له مأتماً تقاطر أحرار العرب على حضوره ولبسوا الأسود حداداً عليه في الأردن. ولكن فؤاد استطاع، بعد أن أسعفه البدوي في خيمته، أن يتابع سيره قاصداً منزل أهله في شرق الأردن، فوجده مطوقاً بقوة عسكرية كبيرة، تنتظر وصوله لاعتقاله حيث أن هذه القوات فتشت الصحراء فلم تجد له أثراً، وأيقنت القوات الإنكليزية إنه لا بدّ عائد إلى المنزل إن كان حيّاً.

وصل فؤاد إلى قرب منزله، وكان يرتدي جلابية ممزقة تظهر عليها آثار الدماء، فتنبّه قائد القوة العسكرية المكلفة بمراقبة المنزل وهو الضابط الجركسي أحمد شيخاني، وكان سابقاً في تجمّع الضباط الأحرار الذي ترأسه فؤاد سليم، فتقدم من فؤاد وناوله قطعة نقدية بحجة أنه يقوم بالتحسّن

على متسوّل، وهمس في أذنه قائلا: «عرفتك يا سيدي القائد... ألف حمد الله على سلامتك، رعاك وحماك الله كي تبلغ أهدافك السامية... أدركُ إلى أين تتوجه، ضمّد جراحك جيداً واسترح وأنا سأكون أميناً على حراستك كي ترتاح بعد رحلتك الشاقة... ولا تطل المكوث أكثر من يومين فقط، لئلا يكتشف أمرك البريطانيون والعملاء، وسيكون لي شرف مرافقتك إلى جبل الدروز، حيث تقصد رفاقك الثوار على أرض المعركة...»[٢٤].

كان دخول فؤاد إلى المنزل مفاجأة كبرى لأهله، الذين فقدوا الأمل بنجاته، فقام الدكتور نسيم سليم بتضميد جراحه، وسهر الضابط أحمد شيخاني على حراسته. فبات ليلتين، وقام بعدها الدكتور سعيد عمّون بإيصاله بسيارته إلى حدود جبل الدروز يرافقهم الضابط أحمد شيخاني والدكتور نسيم سليم. وقد ارتدى فؤاد ونسيم أزياء نسائية حتى لا يكتشف أمرهما عملاء الإنكليز ويعتقلوهما.

بعد ذلك، وصل فؤاد إلى قرية المجيمر، وأقام له أقاربه احتفالاً كبيراً ولم يصدقوا أنه ما زال على قيد الحياة، بعد ذلك انتقل إلى قرية القريّا، حيث التقى بسلطان باشا الأطرش وكان يجتمع بالقادة السادة: مصطفى السمّان، زكي الدروبي، زكي الحلبي، سعيد العاص، نزيه المؤيد، يحيى حياني، رمضان شلاش، شوكت العائدي، حمدي السمّان، خطار أبو هرموش، عبد الكريم المدفعي وحسين المدفعي، مظهر السباعي، فؤاد أرسلان، سعيد اليماني، صادق المغربي وإبراهيم أبو مصلح. وفي هذا اللقاء تمّ التشاور حول التصدي للحملة الفرنسية الجديدة على الجبل بعد انهزامهم في معركة المزرعة الشهيرة في أوائل شهر آب ١٩٢٥.

قبل وصول فؤاد سليم إلى جبل الدروز، تمّ عقد لقاء قيادي في ريمة الفخور سُمّي مؤتمر ريمة الفخور في أول أيلول، وتمّ تشكيل مجلس حربي لقيادة العمليات العسكرية وهو مؤلف من: حمد عامر، فضل الله الهنيدي، محمد عز الدين الحلبي، عقلة القطامي، سليمان نصار، حسين مرشد، يوسف العيسمي، علي عبيد، علي الملحم، قاسم أبو خير. وصادف وصول فؤاد سليم إلى جبل الدروز[٢٥]، وصول الأمير عادل أرسلان والسيد رشيد طليع، فانضم الثلاثة إلى مجلس القيادة وكان لفؤاد سليم دور كبير في المجلس.

توجه الجيش الفرنسي إلى المسيفرة بقوة كبيرة، فنقل السيد محمد عز الدين الحلبي رسالة إلى سلطان باشا والقيادة بهذا التحرك وأنه يجب مهاجمة المسيفرة وصد تقدّم القوات الفرنسية، ولكن فؤاد سليم لم يوافق على مهاجمة المسيفرة وشاركه في الرأي سلطان باشا والأمير عادل أرسلان والسيد نسيب البكري وعقلة القطامي والدكتور عبد الرحمن الشهبندر والسيد نزيه المؤيد العظم[٢٦]، لأن الفرنسيين يريدون استدراج الثوار إلى هذا السهل لإبادتهم. ولكن الثوار الدروز، لم يكترثوا لرأي القادة وصمموا على منازلة الفرنسيين، وساروا في طريقهم نحو المسيفرة. عند ذلك كان لا بد للقيادة من الإشراف على المعركة. فتوجه فؤاد سليم على رأس مجموعات من المجاهدين[٢٧] وتقدّم إلى المواقع المقابلة للفرنسيين من جهة الشرق واستلم كل قائد محوراً، وعادوا يطبقون مباشرة على الفرنسيين في منتصف الليل. وعند وصولهم إلى نقطة قريبة من المواقع الفرنسية، قام أحد الخونة بإطلاق رصاصة في الهواء وهرب على جواده، فتيقظ الجيش الفرنسي، وفتح النار مباشرة على القوات المجاهدة[٢٨]، فسقط عشرات القتلى والجرحى في غضون عشر دقائق. وعلى الرغم من القصف المركز للرشاشات الفرنسية والمدفعية، استطاع المجاهدون التقدم واقتحام متاريس الفرنسيين. وتقدّم فؤاد سليم بمجموعاته من جهة الشرق واستطاع الوصول إلى وسط البلدة ومقاتلة الفرنسيين بالسلاح الأبيض أحياناً، وكان النصر على قاب قوسين أو أدنى لو لم يلتهِ البعض بالغنائم ويتركوا الفرنسيين يتجمعون من جديد ويتابعوا المعركة. وقد أبدى فؤاد سليم بطولة عظيمة في المعركة، واستطاع أن يسحب معظم جرحى فرقته إلى خارج البلدة، حتى لا يأسرهم الفرنسيون وينكلوا بهم، وقد استشهد العديد من مجاهدي فرقته في هذه المعركة وخصوصاً في يوم السادس عشر من أيلول ١٩٢٥.

ولدى وصول القائد فؤاد سليم إلى الجبل بعد معركة المزرعة، قام بمعاونة بعض الضباط بإصلاح ثلاثة مدافع من أصل عشرة كسبها الثوار في معركة المزرعة وخرّبوها. فأصلح مدفعاً من عيار ١٠٥ ملم وآخر من عيار ٦٥ وآخر من عيار ٧٠ ملم[٢٩]. وطلب من الأهالي في القرى أن يبيعوه القذائف التي بحوزتهم لكي يستعملها من جديد في ضرب الحصار على

قلعة السويداء. واستطاع بمساعدة الضابط سعيد اليماني رفيقه في ثورة الشريف حسين في الحجاز من إخفاء المدافع الثلاثة في أحراج السويداء وتمويهها، وقد كان للمدفع الكبير تأثير مهم في دك أسوار القلعة. وللأسف فقد استطاعت القوات الفرنسية تجنيد أحد عملائها الذين يعملون مع الضابط سعيد اليماني على هذا المدفع فقام بتفجيره وقد أُصيب الضابط سعيد وطاقم المدفع بجراح خطيرة، وقد طلب العقيد فؤاد سليم وسلطان باشا الأطرش فتح تحقيق لمعرفة أسباب انفجار المدفع ومَن يقف وراء هذا العمل الجبان، ولكن لم يُتابع التحقيق في الحادث[٣٠].

وفي الرابع والعشرين من شهر أيلول ١٩٢٥ تقدمت القوات الفرنسية نحو قرية أم ولد وكناكر بقيادة الجنرال غاملان، وكان الدروز يعتقدون أن القوة الفرنسية لن تتقدم قبل أسابيع لما أصابها من خسائر في المسيفرة. ولكن الحامية المحاصرة في قلعة السويداء أرسلت برقية إلى غاملان تطلب منه إنقاذها وإلا ستهلك في خلال ٤٨ ساعة. فتقدم غاملان على الرغم من نقص استعداداته وقام الطيران الفرنسي بحرق المنطقة زارعاً الخراب والدمار في معظم القرى، قاطعاً طرق الإمداد للثوار، فاحتلت القوات الفرنسية أم ولد وكناكر وتقدمت نحو السويداء وقامت بأعمال تدمير وحشية وقد حرقت معبد الدروز الرئيسي في السويداء معبد عين الزمان، وأعملوا النهب والسلب في مخازن وبيوت السويداء، مما يدلّ على حقد الفرنسيين وانتقامهم لخسارتهم الكبرى في المزرعة ثم المسيفرة.

ورغم من نجاحه في إنقاذ حامية السويداء، قرر الجنرال غاملان الانسحاب نحو حوران وإعادة تجميع قواته، لأنه منهك ولا يستطيع إخضاع قرى الجبل على الرغم من خضوع بعض المشايخ وقسم آخر من صغار النفوس الذين اشتراهم الفرنسيون بالعملة. فبادر إلى الانسحاب في صباح ٢٦ أيلول نحو حوران، ولم يكتشف المقاتلون الثوار هذا الانسحاب إلا بعد وصوله إلى أم ولد بينما كان الدروز يتحصنون في جهة الكفر ورساس والقريّا لصدّه عن التقدّم. عند ذلك، قام العقيد فؤاد سليم بالطلب إلى سلطان باشا والقيادة الحربية بوجوب تفجير قلعة السويداء لأن الجيش الفرنسي سيعود إليها. فوافق الجميع على رأيه[٣١]. وقام فؤاد سليم

شخصياً بتفجير جدار القلعة وأبراجها. وعلى الرغم من جهوده الكبيرة فإن القلعة لم تتهدم بكاملها لأنها كانت تحتاج إلى أطنان من المتفجرات لتدميرها، وقد استطاع تدمير قسم كبير من أسوارها وأبراجها[٣٢] وجعلها في حالة سيئة تحتاج إلى مجهود كبير في المستقبل كي تصبح صالحة للسكن والمقاومة في حال استعمالها.

عقد قادة الثورة في ٢٩ أيلول ١٩٢٥ اجتماعاً في قرية المجيمر، في دار الأمير سليم الأطرش، وشارك في الاجتماع فؤاد سليم والدكتور عبد الرحمن الشهبندر وجميل مردم ومنير الريّس ونزيه المؤيد العظم[٣٣] وغيرهم، وذلك لدراسة الوضع الميداني على صعيد الثورة في الجبل وفي المناطق السورية، وخصوصاً في منطقة حماه، التي كانت تنتظر جواب سلطان باشا الأطرش، حيث وافق سلطان على عدم عقد صلح مع الفرنسيين وأنه مستمر في الثورة حتى تحقيق الاستقلال، وذهب المبعوثون نحو حماه لإبلاغ الرسالة.

في هذه الأثناء، كان الجنرال غاملان يجمع قواته، وتوالت إليه النجدات من لبنان فقرر الزحف مجدداً نحو السويداء وإخضاع القرى المقاومة وبسط سلطة الانتداب كما كانت في عام ١٩٢١. فتقدم بجيشه في ٢ تشرين الأول ١٩٢٥ فاحتلّ قرية خربا ثم تابع تقدمه فاحتلّ عرى وتعرضت قواته لمناوشات بسيطة، فيما كانت قوات الثوار تتمركز في قرية رساس في محاولة لصد هجومه. وفي الثالث من تشرين الأول عام ١٩٢٥ دارت في رساس معركة رهيبة استمرت لمدة يومين، وعلى الرغم من سيطرة جيش غاملان عليها، فإنه لم يعرف طعم النوم، حيث قام الثوار بقيادة فؤاد سليم وحمزة درويش ومتعب الأطرش وزيد الأطرش وسعيد العاص ومحمد عز الدين الحلبي مع قادة آخرين، بحرب عصابات نكلت بالقوات الفرنسية، واستعملت حرب الكر والفرّ، فلم تهدأ جفون الفرنسيين طيلة ستين ساعة متواصلة، ولشدة المقاومة التي أبداها الثوار، قام الفرنسيون بالاقتصاص من العُجّز والنساء المسنات، فأعدموهم، إضافة إلى حقدهم الأعمى حتى على الشجر والحجر، فهدموا دار الأمير متعب الأطرش[٣٤] لأنه رفض الاستسلام وقاومهم، وهدموا بيوتاً عدة في القرية

بينها بيوت لآل حمزة وعكوان والهادي حتى أن بيت المجاهد فندي أبو ياغي قد سُوّي بالأرض[٣٥]. وعلى الرغم من شراسة المعركة واستشهاد العديد من المجاهدين، فإن الخسائر الفرنسية كانت كبيرة جداً، وقد أوقف الجنرال غاملان تقدمه وبدأ في اليوم السابع من تشرين الأول ١٩٢٥ تقهقره نحو أم ولد ثم حوران. وفي انهزامه، قامت القوات الثورية بقيادة فؤاد سليم وسعيد العاص بالانقضاض على مؤخرة جيشه، وتمّ الفتك بمعظمها وكسب الثوار غنائم وفيرة من ذخيرة وأسلحة وخيول. وفي هذه العملية في مطاردة جيش غاملان أُصيب القائد فؤاد سليم[٣٦] بجرح بسيط في كتفه، أما القائد سعيد العاص فأُصيبت فرسه فقط ونجا بأعجوبة. وفي هذه المعركة الكبيرة التي تعددت مواقعها، استشهد القائد حمد عامر وهو من أركان القيادة في المزرعة.

حملة الإقليم ومشاركة فؤاد سليم

كان دروز إقليم البلان يرسلون دوماً الرسل إلى سلطان باشا الأطرش يشدّون أزره في المعارك، ويبلغونه أنهم على استعداد لمعاونته، ويطلبون إليه مساندتهم في حال تعرّضهم لأذى. وطيلة فترة الثورة بقيت الحالة شبه مستقرة، إلى أن تراجع غاملان في ٧ تشرين الأول ١٩٢٥ نحو حوران، فبدأت مضايقات الفرنسيين للدروز في وادي التيم عبر عملائهم، وأدى ذلك إلى مصادمات فردية وشبه جماعيّة بين الطرفين. وقد أرسل دروز وادي التيم رسولاً إلى سلطان على وجه السرعة، يعلمه بأن القوات الفرنسية في صدد تجريد حملة كبيرة على منطقة وادي التيم وإقليم البلان بالكامل. في هذه الأثناء، كانت قيادة الثوار في الجبل تلقت رسالة من السيد نسيب البكري[٣٧] في دمشق، يطلب فيها نجدة الثوار الدروز لاحتلال العاصمة دمشق وتطهيرها من الفرنسيين. وقد تألفت الحملة بقيادة زيد الأطرش وفؤاد سليم[٣٨] ونصري سليم وصياح وحسن الأطرش وسعيد اليماني وحمزة درويش وغيرهم، وزهاء ألف وخمسماية مقاتل، وتقدموا نحو دمشق، ولكن قسماً كبيراً من الأهالي عند وصول الحملة، طلبوا منها عدم دخول العاصمة كي لا يدمّرها الفرنسيون بالطائرات، وهم مستعدون

لتقديم أي مساعدة للثوار خارج المدينة. عند ذلك لم تدخل الحملة إلى مدينة دمشق. وبعد وصول كتائب دروز وادي التيم إلى سلطان كانت الحملة على مشارف دمشق، فأرسل مبعوثاً يطلب من قادة الحملة ترك دمشق والتوجه إلى وادي التيم والإقليم. عند ذلك تحركت الحملة باتجاه الإقليم، وتوزعت إلى فرقتين، الأولى بقيادة زيد الأطرش وفؤاد سليم وحمزة درويش، والثانية بقيادة صياح الأطرش وحسن الأطرش ونزيه المؤيد العظم.

في طريقها إلى وادي التيم، تقدمت عبر طريق صحنايا – عرنة الواقعة في سفح جبل الشيخ فاستقبلهم الأهالي بالزغاريد[٣٩]، وكان في مقدمة المستقبلين المجاهد القائد شكيب وهاب على رأس مجموعة من المقاتلين اللبنانيين والسوريين، ثم تابعوا تقدمهم إلى مجدل شمس فوصلوها في الخامس من تشرين الثاني ١٩٢٥.

السير إلى حاصبيا

وصلت أخبار عبر بعض الأشخاص إلى المجاهدين في مجدل شمس، أنّ القوات الفرنسية تتقدم من الشام بحملة كبيرة نحو الإقليم ووادي التيم، وأن هذا التقدّم على محورين: سعسع وبانياس. فاجتمعت القوة، وقرر فؤاد سليم إرسال حمزة درويش إلى جسر بانياس وأن يتقدم هو مع مجموعات إلى جسر سعسع، وذلك لمناوشة القوات الفرنسية وإلهائها كي يتم الاستعداد للتصدي لها.

ذهب فؤاد سليم إلى جسر سعسع[٤٠]، وبعث مجموعة من قواته تقدمت مسافة طويلة، فلم يجد أثراً للقوات الفرنسية، فعاد إلى قرية مجدل شمس. بينما حمزة درويش لم يرجع، بل تقدم نحو وادي التيم، ودخل بلدة حاصبيا في ١٩٢٥/١١/٨ بدون أي مقاومة، وقد أرسل رسولاً للقيادة في مجدل شمس يعلمها بذلك. فطلبت منه القيادة البقاء في حاصبيا وأن لا يغادرها إلا بأمر منها. وهنا طلب القائد فؤاد سليم من القيادة أن ترسل تعزيزات إلى منطقة حاصبيا وتدعم قوة حمزة درويش، لأن الفرنسيين لا يقبلون بذلك، وسيشنون حملة كبيرة من راشيا لإخراج القوات المجاهدة.

فوافق أعضاء القيادة على طلبه، وأرسلوا قوة كبيرة على رأسها شكيب وهاب وسعيد الأظن وحمد حبيب وأسد الأطرش ونزيه المؤيد العظم، فوصلوا مساء ١٩٢٥/١١/٩ إلى حاصبيا. وذلك لأن فؤاد سليم يعلم أن منطقة حاصبيا وراشيا ومرجعيون تدخل ضمن نطاق دولة لبنان الكبير وهذه الأجزاء سلخت عن سوريا بموجب إعلان غورو أيلول ١٩٢٠، ولا تقبل فرنسا بامتداد الثورة إلى لبنان فهي تحاول خنقها في سوريا ولذلك، كان رأي فؤاد سليم دعم القوات في حاصبيا وسحبها من مجدل شمس.

وفي حاصبيا عقد المجاهدون اجتماعاً كبيراً ضمّ قادة الحملة ووجهاء حاصبيا، حيث أوضح القادة أن همّ الحملة هو تحرير الأرض من الفرنسيين وليس إذلال الناس وخصوصاً المسيحيين، كما يبث لهذه الدعاية الفرنسيون وعملاؤهم. وقد ارتاح الناس إلى هذا اللقاء. ولكن شرذمة من الجهلاء المتعصبين والمتفرنسين، لم يرقهم وجود الثوار، فحاولوا التصدي لهم والتحرش بهم، مما أدى إلى ضربهم بعد أن قاموا بقتل عدد من المجاهدين في قرية كوكبا وكان ردّ الثوار قاسياً بإحراق معظم منازل هذه البلدة، وقد تركت هذه الحادثة أثراً سيئاً واستغلها الفرنسيون في بثّ سمومهم[٤١]. وقد أصدرت قيادة الحملة بياناً طلبت فيه من كل المسيحيين في وادي التيم عدم مغادرة منازلهم وأن الثوار في خدمتهم، وأن لا يستمعوا إلى الدسائس الفرنسية، فاستجاب بعضهم للنداء وقسم آخر نزح إلى خارج المنطقة.

نسف جسر الخردلة

بعد احتلال كوكبا وتقدم المجاهدين نحو مرجعيون واحتلالها، عقد المجاهدون اجتماعاً في ١٩٢٥/١١/١٦ طلبوا فيه عدم التقدم نحو لبنان الصغير[٤٢]، والاكتفاء باحتلال منطقة حاصبيا وراشيا وعدم التقدم نحو جبل عامل والنبطية على الرغم من إلحاح أهل تلك الديار وترحيبهم بالثوار. فرأت قيادة الحملة ضرورة تدمير جسر الخردلة لعرقلة تقدم القوات الفرنسية من النبطية نحو حاصبيا ومرجعيون. وقام القائد فؤاد سليم بتنفيذ هذه المهمة[٤٣]، فجلب قذائف الطائرات غير المنفجرة،

واستعمل حشوتها، وقام بزرعها بنفسه في أسفل الجسر، وكانت تحرسه حامية فرنسية، فطار الجسر مع الحامية في ١٩٢٥/١١/١٧ وعاد بعدها إلى مرجعيون.

معركة راشيا واقتحام قلعتها

لم يمضِ على المجاهدين فترة وجيزة من الراحة، حتى وصلت إلى حاصبيا في ١٩٢٥/١١/٢٠ مجموعة من دروز راشيا روت لهم ما يقوم به الفرنسيون من أعمال تنكيل وتعذيب بالأهالي بحجة أنهم موالون للثوار(٤٤) ويقدمون لهم العون. وقد أسفرت المواجهات بين الدروز في راشيا مع الفرنسيين وأعوانهم إلى صدامات قوية سقط فيها العديد من الشهداء والجرحى في صفوف أبناء راشيا المقاومين للانتداب الفرنسي وأزلامه. فاجتمع المجاهدون وقرروا السير إلى راشيا واحتلال قلعتها، وسار في قيادة الحملة شكيب وهاب وفؤاد سليم وأسد الأطرش وحمزة درويش وصبري فريد البديوي، ونزيه المؤيد العظم ومجموعات كبيرة من مجاهدي لبنان وسوريا ووادي التيم، إضافة إلى مجموعات كبيرة من عرب الفاعور وأهالي منطقة العرقوب.

وعلى الرغم من المقاومة العنيفة للجنود الفرنسيين في قلعة راشيا واستبسالهم في الدفاع عنها، فإن المجاهدين تقدموا نحوها واستطاعوا دخولها من محورين؛ وقد سقط منهم عشرات الشهداء والجرحى، ولكنهم في النهاية استطاعوا احتلال معظمها، ودخلها شكيب وهاب وفؤاد سليم وحمد صعب ومجموعاتهم. ولكن قسماً كبيراً من الثوار غادروا القلعة يحملون الغنائم وتلهّوا بها، وبقي في القلعة شكيب وهاب وحمد صعب وفؤاد سليم وأحمد هاني وملحم سلوم وسعيد أبو تين وفندي أبو ياغي وغيرهم. في هذه الأثناء، لمح شكيب وهاب غباراً نحو ظهر الأحمر، فعلِم إن القوات الفرنسية تتقدم نحو راشيا، لفك الحصار عن القلعة، فتحرك فؤاد سليم(٤٥) وشكيب وهاب وحمد صعب ومجموعات المجاهدين بسرعة، لصد الفرنسيين عن التقدم والسماح في هذه الفترة للأهالي بمغادرة راشيا وجوارها نحو الجبال. تقدمت القوات، وناوشت مجموعات المجاهدين

هذا الزحف الجرار واستطاعت تأخيره، وعدم تحقيق أهدافه بسرعة، في أثناء ذلك، كانت مجموعات المجاهدين الباقية، تنسحب من راشيا نحو شبعا، إذ ليس بإمكانها مواجهة هذه القوات الكبيرة، واستطاعت القوات الفرنسية من التقدم واحتلال راشيا في أواخر تشرين الثاني ١٩٢٥.

وبعد أن استعادت القوات الفرنسية قلعة راشيا، وتقدمت باتجاه بلدة لبّايا، وحشدت قواتها من محاور عدة وتقدمت باتجاه حاصبيا ودخلتها في الخامس من كانون الأول ١٩٢٥[٤٦]. وبعد ذلك بدأت تستعد لدخول مجدل شمس.

معركة مجدل شمس واستشهاد القائد فؤاد سليم

كانت قوات المجاهدين تتمركز في مجدل شمس وهي القاعدة العسكرية الكبيرة التي تحصّن بها الثوار، وقد أشرف القائد فؤاد سليم شخصياً على وضع الخطة العسكرية والتحركات القتالية للثوار في مواجهة هذه الحملة الجرارة التي دفعها الفرنسيون من محورين: محور القنيطرة ومحور النبطية. وفي السادس من كانون الأول ١٩٢٥، قامت مدفعية ودبابات الجيش الفرنسي تواكبها الطائرات الحربية، بقصف برّي وجوّي عنيف، فدمرت عشرات المنازل، وسقط قسم كبير من الشهداء في صفوف المجاهدين والأهالي.

وتقدمت المدرعات الفرنسية نحو الخطوط الأمامية للثوار، وحاولت تخطي المواقع والدخول إلى البلدة لكنها لم تفلح، واستطاع المجاهدون صدّها على الرغم من القصف العنيف والمتواصل، وقد اشتبك الثوار مع المقاتلين المرتزقة مع الفرنسيين في مواقع عدة في أطراف مجدل شمس بالسلاح الأبيض، وعبثاً حاول الجيش الفرنسي استعمال الدبابات للدخول، ولكنه فشل، فاستطاع الثوار تعطيل ثلاث دبابات ومصفحتين على مدخل القرية. واستمرت المعركة ساعات عدة طوال النهار، وفشل الفرنسيون وأعوانهم في اقتحام مجدل شمس، فجمع فؤاد سليم رجاله، وقام بهجوم معاكس ومباغت لم يكن ينتظره الفرنسيون، فاستطاع دحر القوات الفرنسية وإخراجها من المنطقة، وواصلت قوات فؤاد سليم تقدمها، تطارد فلول

القوات الفرنسية المنهزمة، وصولاً إلى بلدة سحيتا وحتى التلال المجاورة والبعيدة، وكانت معه نخبة ممتازة من المقاتلين. وبعد أن أمّن فؤاد سليم على رفاقه، وأحسّ بطعم النصر في هذه المعركة المهمة، كان القدر له بالمرصاد، فبينما كان يحاول أن يمتطي صهوة جواده ليتقدم نحو التلال ويتابع مطاردة الفرنسيين، وإذ بقذيفة مدفعية تسقط قرب منه، وتنفجر، فتطاير شظاياها في الجو، واتجهت واحدة نحوه، فأصابت منه مقتلاً في بطنه، فارتمى على الأرض، يصارع الموت، في هذه اللحظة اقترب منه رفيقه في النضال والجهاد حمد صعب، فحمله على ذراعيه، وأبلغ الثوار، فتمّ نقله إلى تلة قريبة في التل الأسود في سحيتا، أُطلق عليها تلة فؤاد وقام بدفنه رفاقه في قيادة الحملة زيد الأطرش وصياح الأطرش(٤٧).

وبموت فؤاد سليم، انطفأت شمعة وهّاجة وشعلة متوقدة في سماء الثورة السورية الكبرى، وفي ميدان الثورة العربية. وكان لغيابه المفاجئ أثر بالغ في نفس قائد الثورة الكبرى وحامل رايتها سلطان باشا الأطرش، حيث قال عندما وصله الخبر: «مات فؤاد وماتت روح الثورة، وذهبت آمالنا بالثورة معه»(٤٨). وقد نقلت جريدة لسان الحال الناطقة باسم الانتداب بتاريخ ١٩٢٥/١٢/٩ تحت عنوان: «حوادث الثورة – تطهير الجنوب – مقتل فؤاد سليم»، ما يلي:

«أصبح جنوب لبنان آمناً بعد أن طهرته الجنود من العصابات والثوار، بعد معارك دامية متتالية، كانت خسائر الثوار فيها عظيمة. وقد احتلت القوات العسكرية جميع الجبال القائمة حول بلدة حاصبيا، وإن الثوار في تلك المعارك الشديدة تفرقوا في القرى البعيدة، وقد أصبح جنوب لبنان خالياً من الثوار. وقد كُتب إلينا من القنيطرة أن الضابط فؤاد أفندي سليم أركان حرب الثوار قتل بشظية قذيفة في معارك حاصبيا وقتل أيضاً ابن الشيخ كنج أبو صالح وعدد كبير من العصاة».

فكما ذكرنا، إن الشهيد القائد فؤاد سليم استشهد في سحيتا وهو يطارد القوات الفرنسية بعد أن هزمهم في مجدل شمس، ولم تستطع القوات الفرنسية الجرارة احتلالها، ولم يستشهد في حاصبيا، كما أن الفرنسيين لم يعترفوا بهزيمتهم النكراء في مجدل شمس في ٦ كانون الأول ١٩٢٥ رغم

خسائرهم الهائلة في الأرواح إضافة إلى الدبابات والمصفحات والطائرات الحربية.

ماذا قيل عن فؤاد سليم

لا شك أن شهادة رفاقه في النضال وشهادة مَن عرفه في لبنان وسوريا والأردن وفلسطين ومصر تبقى مفخرة لهذا البطل القومي أبد الدهر، لم تمحوها السنون ولا يطويها الزمان. ولعل أهم شهادة وأولاها شهادة القائد العام للثورة السورية الكبرى سلطان باشا الأطرش. لقد قال عنه[٤٩]: «فؤاد سليم قائد جيش الأردن ومؤسسه الأول، اجتمعت به في عمان، وقبل اجتماعي به عرفته وطنياً بنضاله في الحجاز وميسلون والأردن، وكان من موقعه في الأردن صاحب الفضل في إرسال السلاح لنا من الأردن، وهو شاب جامعي عربي مخلص إلى أبعد الحدود. رسمنا معاً خطة الثورة بمعزل عن الإنكليز وعملائهم، وأرسل لنا فؤاد السلاح فاستلمناه من شقيقه الضابط أبو هاني نصري سليم. فصبّ الإنكليز غضبهم على فؤاد وأبعدوه عن القيادة في الأردن، ونفوه إلى القاهرة التي تركها سرّاً. وفور عودته سالماً ووصوله إلى الجبل، سلمته ختمي لأني على ثقة تامة بجدارته العلمية والوطنية، لذلك كان يقاتل في الحقلين، سيفاً وقلماً، ببراعة وشجاعة وبلاغة ندر مثلها، ومهما قلت أو قيل فيه، نبقى جميعاً مقصرين في حق ذلك العملاق العظيم في كل مواقفه، التي ندر أن يجاريه أحد فيها، شجاعة وإقداماً. فلقد كان لا يحفل بالموت وهو القائل: السجن لي مرتبة، والقيد لي خلخال، والمشنقة يا أخي أرجوحة الأبطال ... وبناء على قناعتي هذه، سلمته ختمي، وكلفته بأن يكتب وينشر بيانات الثورة التي توّجها بشعاره الخالد: الدين لله والوطن للجميع».

وقد رثاه الشاعر الشيخ عبد المحسن الناظمي بقصيدة نشرت في جريدة الثورة لصاحبها المجاهد محمد علي الطاهر في ٧ رجب ١٣٤٤هـ تحت عنوان: «فقيد السيف والقلم فؤاد بك سليم شهيد الحرب الاستقلالية الناشبة في سوريا».

هوامش فؤاد سليم

١ أدهم آل جندي، تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، مطبعة الاتحاد، سوريا، ط١ ١٩٦٠، ص ٢١٦.

٢ مقابلة مع السيد أسعد نسيم سليم، ابن شقيق المترجم له، في بلدة بقعاتا، بتاريخ ٢٠٠٢/٦/٢٢.

٣ سليمان موسى، صور من البطولة، عمان، الأردن، ط١ ١٩٦٨، ص ١٣٢.

٤ من أوراق أسعد سليم.

٥ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٢١٧.

٦ من أوراق أسعد سليم.

٧ من أوراق أسعد سليم.

٨ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٢١٧.

٩ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٢١٧.

١٠ من أوراق أسعد سليم.

١١ من أوراق أسعد سليم.

١٢ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٢١٧.

١٣ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٢١٧.

١٤ جريدة لسان الحال، بيروت، عدد ٢٧ حزيران ١٩٢١.

١٥ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ١٨٥. ويشير المؤرخ أدهم آل جندي إلى هذه الحادثة في كتابه «تاريخ الثورات السورية» ص ١٨٧، ولكنه يقع في خطأ تاريخي، حيث يقول عن أدهم خنجر ما يلي: «وفي أحد الأيام خلا جيبه من المال، فقرر هو والسيد شكيب وهّاب الدرزي ورفاقهما، السفر إلى جبل عامل للحصول على بعض المال من والدته، فغادر إربد بطريق الصحراء. ولمّا وصل إلى حدود الجبل أُصيب برمد في عينيه. فاضطر ورفاقه الاتجاه نحو قرية سلطان باشا الأطرش في الجبل المسماة (القريّة).

١٦ مذكرات سلطان باشا الأطرش، مطبعة الشرق العربية، القدس، ط١ ١٩٧٩، ج١، ص ٧٤.

١٧ من أوراق أسعد سليم.

١٨ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٢١٧، وجريدة لسان الحال، بيروت، عدد ١٥ تموز ١٩٢٢.

١٩ جريدة لسان الحال، بيروت، عدد ٢٦ آب ١٩٢٢.

٢٠ عُزل فؤاد سليم ورفاقه من قيادة الجيش في ١٩٢٣/١٢/٢٠ وذلك نقلاً عن جريدة لسان الحال، بيروت، عدد ١٩٢٣/١٢/٢٣.

٢١ مذكرات الأمير عادل أرسلان، تحقيق د. يوسف أيبش، الدار التقدمية، بيروت، ط١ ١٩٨٣، ج٣، ص ١٣٦٧ – ١٣٦٨.

٢٢ مقالات موجودة في حوزتنا منشورة في جريدة الشورى.

٢٣ من أوراق أسعد سليم.

٢٤ من أوراق أسعد سليم.

٢٥ مذكرات سلطان باشا الأطرش، مرجع سابق، ج١، ص ١٧٨.

٢٦ مذكرات سلطان باشا الأطرش، مرجع سابق، ج١، ص ١٧٩ – ١٨٠.

٢٧ منير الريّس، الكتاب الذهبي، دار الطليعة، بيروت، ط١ ١٩٦٩، ص ٢٠٢.

٢٨ منير الريّس، الكتاب الذهبي، ص ٢٠٣.

٢٩ منير الريّس، الكتاب الذهبي، ص ٢٢٦.

٣٠ منير الريّس، الكتاب الذهبي، ص ٢٢٧.

٣١ منير الريّس، الكتاب الذهبي، ص ٢٣٦.

٣٢ منير الريّس، الكتاب الذهبي، ص ٢٣٦.

٣٣ منير الريّس، الكتاب الذهبي، ص ٢٣٨.

٣٤ منير الريّس، الكتاب الذهبي، ص ٢٣٨. وأدهم آل جندي، ص ٢٠١.

٣٥ مقابلة مع صهره نايف معضاد زهر الدين في السويداء بتاريخ ٢٠٠٢/٨/٢.

٣٦ منير الريّس، الكتاب الذهبي، ص ٢٥١.

٣٧ منير الريّس، الكتاب الذهبي، ص ٣٠٠ وأدهم آل جندي، ص ٢١٧ وص ٢٠٤.

٣٨ منير الريّس، الكتاب الذهبي، ص ٣٠٠ وأدهم آل جندي، ص ٢١٧ وص ٢٠٤.

٣٩ منير الريّس، الكتاب الذهبي، ص ٣٠٣.

٤٠ منير الريّس، الكتاب الذهبي، ص ٣٠٧.

٤١ منير الريّس، الكتاب الذهبي، ص ٣٠٩.

٤٢ مذكرات سلطان باشا الأطرش، مرجع سابق، ج١، ص ٢١٤.

٤٣ منير الريّس، الكتاب الذهبي، ص ٣١٢.

٤٤ مذكرات سلطان باشا الأطرش، مرجع سابق، ج١، ص ٢١٩.

٤٥ مذكرات سلطان باشا الأطرش، مرجع سابق، ج١، ص ٢٣١.

٤٦. مذكرات سلطان باشا الأطرش، مرجع سابق، ج١، ص ٢٣٦.

٤٧. أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٢١٧.

٤٨. أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٢١٨.

٤٩. من أوراق أسعد سليم.

٥

سامي سليم

١٨٩٥ - ١٩٥٣م



سامي سليم

وُلد المجاهد الأديب سامي بن أسعد حسن بن سليمان بن خسون سليم في برج البراجنة قرب بيروت، وهو ابن عم الشهيد القائد فؤاد سليم. درس في مدارس بيروت، ثم انتقل إلى الجامعة الأميركية وتخرّج فيها صيدلياً في العام ١٩١٥، ولكنه لم يمارس هذه المهنة، بل قام بتأجير شهادته إلى أحد أبناء طرابلس، وتفرّغ إلى العمل السياسي انطلاقاً من منزله.

كان هذا الشاب الوسيم ذو تطلعات عربية وحدوية تحررية، فرأى بأم عينيه ماذا يفعل الأتراك في بلادنا، فدعا الشباب إلى التحرر والنضال من أجل الاستقلال، وذلك بالأساليب السليمة البعيدة عن العنف، حتى لُقب في حملته هذه بـ غاندي لبنان[1].

أصبح منزله في برج البراجنة موئلاً للثوار والمناضلين، فكان يقوم بإلقاء الخطب والندوات الداعية إلى الوحدة والتحرر من نير الاستعمار، كما دعا إلى نبذ التفرقة الطائفية والمذهبية التي يغذيها المستعمر بين أبناء الوطن الواحد، فالتفّ حوله عدد كبير من الشباب من جميع الطوائف، مؤمنين بآرائه، وقد قام بعمل وطني جريء، فنزع كلمة درزي عن المذهب ووضع أمامها كلمة إنساني، وقد قام عدد لا بأس به من أنصاره بشطب المذهب والإقتداء به.

وعلى الرغم من العز والجاه الذي كان يعيش فيه، فإنه نزع إلى حياة بسيطة بعيدة عن التكلف والتصنّع، وعاد إلى أصول العادات العربية القبلية القديمة، فكان يصرّ على رفض التقاليد الغربية التي بدأ يروّج لها المتفرنسون والمتبرنطون في لبنان، فألغى في لقاءاته تقديم القهوة والشاي والمرطبات،

واكتفى بتقديم التمور المحلية والمربيات المنزلية. أما من ناحية المأكل، فلم يتناول بتاتاً اللحوم، واكتفى بتناول الحليب واللبنة والزيت والزيتون، وبعض أنواع الخضار التي كان يزرعها بنفسه[٢]، ويشرف عليها، وقد سايره في تناول هذا النمط من الأطعمة عدد من رفاقه.

نشاطه السياسي ورحيله عن لبنان

اشتدت حملة الضغط التركي سياسياً وعسكرياً واقتصادياً على لبنان، وخصوصاً مع حلول العام ١٩١٥، فوقف المجاهد سامي سليم يندّد بالإجراءات القمعية التركية، ويدعو الشباب إلى الثورة والجهاد في سبيل الحرية والاستقلال. وفي هذه الفترة الحرجة، أعلن الشريف حسين ثورته في العاشر من حزيران ١٩١٦ في مكة، فوجد فيها سامي ورفاقه، نافذة أمل وإشراقة مضيئة في وسط هذه الظلمة المطبقة على المشرق العربي. فبدأ يستعد للإلتحاق بركب هذه الثورة، ويحضّ الأنصار على المشاركة فيها. وقد وصلت أخباره إلى مسامع رجال السلطة، فقام الجند بتطويق منزله في برج البراجنة، في محاولة يائسة لاعتقاله وإسكات صوته الهادر، ولكن سامي استطاع الإفلات من هذا الطوق، والانتقال إلى الجبل، إلى بلدة جباع الشوفية، ثم انتقل منها إلى سوريا وبعدها إلى فلسطين فالحجاز. وقد أصدر العثمانيون أحكاماً غيابية بالإعدام شملت سامي وشقيقه نسيم وأبناء عمه فؤاد وعارف سليم.

نضاله في الحجاز

وصل سامي إلى الحجاز، وبعد فترة وجيزة، اشترك إلى جانب البطل فؤاد في تحرير مجلة الثورة العربية في بادئ الأمر، وبعد انتقال فؤاد إلى العمل العسكري، تسلّم سامي إدارة المجلة وأصبح يحرر بنفسه مناشير الثورة وبياناتها العسكرية والسياسية، سائراً على طريق فؤاد في رفع شعار الدين لله والوطن للجميع[٣]. وبعد انتقال فؤاد إلى سوريا ثم خروجه منها بعد معركة ميسلون إلى شرق الأردن، ذهب سامي إلى عمان وشرع في كتابة المقالات السياسية المناهضة للانتداب والمطالبة بتحرير البلاد العربية

واستقلالها دون وصاية أحد عليها. وعندما نشبت الثورة السورية الكبرى بقيادة سلطان باشا الأطرش، كان سامي خير مُعين لها، فكانت جريدته صدى الساحل تنقل الأخبار اليومية من عمليات عسكرية وبيانات سياسية، مما أزعج السلطات الفرنسية ووضعتها ضمن قائمة الممنوع دخولها إلى البلاد الواقعة تحت الانتداب الفرنسي، وقد أصدرت المفوضية العليا قراراً بمنع دخول الجرائد التالية: صدى الساحل، مرآة الغرب، الاتحاد العربي، اليرموك في ١٩٢٥/١١/٦، وذلك في ممارسة إرهابية إعلامية قاسية، وهذه الممارسة فرضتها سلطات الانتداب بحق جريدة الحقيقة بتاريخ ١٩٢٥/١/٧، حيث كانت دائرة المراقبة الأمنية للمفوضية العليا الإفرنسية، تفرض على الجرائد تزوير الحقائق، وإلا تهددها بالإقفال. وقد اضطرت تلك الجريدة إلى تكذيب إخبار صحيح وتلفيق الخبر الأمني الفرنسي المزيّف.

واستمر سامي سليم بعمله الدؤوب غير آبه بالأخطار، فكان الصحافي النزيه الجريء، لا يهاب المخاطر، ولا تفزعه التهديدات بالموت، وقد كلفه سلطان باشا الأطرش قائد الثورة السورية بتاريخ الأول من كانون الثاني عام ١٩٢٦، بنشر بلاغات الثورة في الصحف المصرية والفلسطينية ونفي ادعاءات وبيانات وبلاغات المفوضية العليا الفرنسية، وإيصال الحقيقة إلى الشعب العربي وإلى العالم أجمع. وقد قام المناضل الأديب سامي سليم بهذه المهمة خير قيام، وقد استطاعت هذه البلاغات والبيانات، بمساعدة زملاء أحرار عروبيين معه، إيصالها إلى الصحف البريطانية والأميركية وفضح السياسة الفرنسية وأساليب القمع العسكرية والبوليسية التي يمارسها الجيش الإفرنسي في سوريا ولبنان. وقد شنت الصحف الموالية للانتداب الفرنسي هجوماً عنيفاً على الصحف العالمية واعتبرتها بأنها تنقل أخباراً بعيدة عن الحقيقة لتشويه دور فرنسا العالمي.

نضاله على الصعيد الإنساني

بعد انتهاء الثورة في سوريا ولبنان، انتقل سلطان باشا الأطرش ورفاقه إلى شرق الأردن، وقد قاسوا العذاب والجوع والقهر، ولم يفكر معظم قادة الأمة

بهم، فبادر سامي سليم مع مجموعة مؤمنة بعقيدة القومية العربية، في العام ١٩٣١ إلى تأليف لجنة مكتب إسعاف أطفال الصحراء وهذا المكتب يهتم بتقديم العون المادي إلى أطفال الثوار الذين قضوا والذين ما زالوا أحياء مشردين في صحراء شرق الأردن والحجاز(٤). وقد افتتحت مكاتب في العديد من البلاد العربية والأجنبية لمساعدة هؤلاء الأطفال، وكانت الأموال تُصرف بأمانة إلى العائلات المتواجدة في لبنان وسوريا ومصر وفلسطين وشرق الأردن والعراق. وقد أسهم هذا الصندوق، في تعليم العشرات من أبناء الثوار في المدارس من خلال تأمين كلفة التعليم بكاملها لهم.

وكان المجاهد سامي سليم المدير التنفيذي لهذا المكتب لمدة طويلة وكان معه السيد فؤاد بك نكد أميناً للصندوق ومؤتمن على صرف الأموال التبرعات.

وفي فترة استلامه لمكتب اللجنة، قام بإرسال عشرات الرسائل إلى الملوك والزعماء والقادة العرب في كل البلدان، يحثهم على الدفع والتبرع، وفي مناسبة عيد الأضحى المبارك في ٣١ آذار ١٩٣٣ أصدر نداء مهماً وجهه إلى قادة الأمة ومفكريها لدعم صمود أبناء الثوار.

سامي سليم الصحافي أمام السلطة

على الرغم من التضييق الفرنسي على قلم سامي سليم، فإنه لم يتراجع، بل تابع شق مسيرة الحرية الإعلامية، حرية الكلمة الشريفة، وكان على امتداد فترة العشرينات يحمل شعلته المتوقدة غير آبه بالعواصف الهوجاء، هذه الشعلة حاولت السلطة بشتى الوسائل إطفاءها، فلجأت إلى القوانين، فأصدرت مرسوماً حمل رقم ٨٣٥ بتاريخ ١٩٣٢ يقضي بإقفالها(٥). ولكن هذا الإقفال لم يمنع المجاهد والكاتب والصحفي الثائر من مواصلة عمله المبدع في إيصال الكلمة الحرة إلى مَن يتلهف لسماعها وقراءتها، فنشر في العديد من الصحف آراءه تحت أسماء مستعارة، هذه الأسماء رافقته في مراحل كتاباته في أواخر الأربعينات وبداية الخمسينات. وكان يوقع بأسماء: الرجل المجهول، الرجل المُقيّد، والجندي المُقيَّد، والعربي التائه وغيرها.

وعند جلاء القوات الفرنسية المحتلة عن لبنان، قامت السلطة اللبنانية

بإصدار مرسوم حمل رقم ٣٨٠٩ بتاريخ ٢١ آب ١٩٤٥، ألغى بموجبه المرسوم السابق ٨٣٥، وبذلك استعادت جريدة صدى الساحل حريتها[٦].

ولكن الأديب سامي سليم لم يكن يملك المال اللازم لمتابعة إصدار الجريدة، فاكتفى بإصدار ملاحق عدة لفترة معينة، واستمر على هذه الحال حتى العام ١٩٤٨، في السابع من نيسان، حيث أصدر جريدة صدى الساحل بحلة جديدة واسم جديد منبر العرب، توّجها بشعار بلاد العرب للعرب.

مواجهته وتحديه للسلطة

نشر سامي سليم مقالات عدة في الجرائد طالب فيها السلطات اللبنانية بإزالة التمثال الباكي الكائن في ساحة البرج، مطالباً بإقامة تمثال يليق بكرامة الشهداء مكانه. ولكن بعد مراجعات ونشرات متلاحقة، لم يتوصل سامي مع السلطات إلى حلّ، فقرر أن ينفذ شخصياً إزالة هذا التمثال من ساحة الشهداء[٧].

في أحد الأيام من عام ١٩٤٨، أخذ المناضل سامي سليم مطرقة حديدية، ووضعها في كيس من الجنفيص، ودخل إلى محل السيد أحمد العريسي في ساحة الشهداء، وبعد وصوله بفترة قصيرة، قام بأخذ السلّم من محل السيد أحمد، وذهب إلى قرب التمثال، ووضع السلم على قاعدة النصب وتسلق إلى الأعلى، وكان التمثال يتألف من امرأتين، واحدة تمثل المرأة المسلمة، تضع على رأسها إيزاراً يغطي قسماً من وجهها وتقف في مواجهتها امرأة سافرة الوجه والرأس تمثل المرأة المسيحية. وهاتان المرأتان تبكيان الشهداء الأبرار.

أمسك سامي المطرقة بيده، وبدأ بتكسير التمثال الأول، حيث استطاع تكسير معظم أجزاء رأس المرأة المؤتزرة، وفي هذه الأثناء، تجمّع عشرات الشبّان حوله وبدأوا يصيحون[٨]: «يسلموا إيديك يا سامي بيك، كفّي على الباقي يا سامي بيك». ووصلت القوى الأمنية اللبنانية ومعها سيارة إطفاء كذلك، فطلبوا من سامي التوقف عن العمل، والنزول إلى الشارع، لكنه لم يمتثل لهم، فتابع عمله، فقام رجال الإطفاء بنصب سلالم آلية، صعدوا عليها وأنزلوا سامي عنوة، ونقلوه بسيارة الشرطة إلى السراي. وقد تهجّم على المسؤولين في أثناء اعتقاله، ودافع عن وجهة نظره. ولكن الشرطة أطلقت سبيله وأحالته إلى المحكمة. فقام العديد من المحامين بالتبرع الشخصي

للدفاع عنه، ومنهم المحامي الرئيس عبد الله اليافي ووديع نعيم ومحسن سليم وغيرهم. ولكنه رفض توكيل أحد، مع شكره للجميع، وأصرّ على الدفاع شخصياً عن نفسه أمام القضاء، الذي أصدر حكماً بالسجن، ولكن هذا الحكم استؤنف وتمّ إخلاء سبيله. بعد ذلك، تابع نشاطه الأدبي والسياسي، ونشر مقالات كثيرة في الصحف والمجلات حملت اسمه الشخصي أحياناً، وأسماء مستعارة أحياناً أخرى.

آراؤه القومية العربية والاجتماعية

تميّزت مواقف المجاهد الأديب سامي سليم سياسياً واجتماعياً بالصراحة والجرأة، فلم يتخاذل أمام الضغوط ولم يتراجع أمام التهديدات، فظل يرفع صوته عالياً، منادياً بتحرير بلاد العرب، فاضحاً سياسة الانتداب الفرنسي والبريطاني والإيطالي والإسباني، مشيداً في مقالاته بقائد ثورة سوريا الكبرى القائد سلطان باشا الأطرش، وكذلك مبدياً إعجابه بقائد ثورة الريف في شمال إفريقيا والمغرب العربي، القائد عبد الكريم الخطابي. وفي الذكرى الثالثة والعشرين لوعد بلفور المشؤوم، هاجم في مقالة مشهورة[٩] تقاعس القادة العرب في قوله: «يحق للأمة العربية أن تلبس الحداد، وحق أن يقال سلفاً لأولئك الملوك والأمراء والرؤساء والزعماء ما قيل لآخر ملوك بني الأحمر:

«إبكِ مثل النساء مُلكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال»».

ودعا سامي في مقالات أخرى إلى وجوب الإصلاح الاجتماعي في الفكر والتربية والتعليم والعادات، فدعا إلى النهوض من أطباق الجهل والانحطاط، إلى التقدم والرقي. كما دعا إلى وحدة الدفاع العربي، الدفاع القومي السوري اللبناني العربي من المشرق حتى المغرب العربي، وأن يتسلم قيادة الأمة أبطال نجباء وشرفاء مخلصين.

وفي التفاتة مهمة نحو المرأة، دعا إلى وجوب أن تتحمل مسؤولياتها الاجتماعية وأن ترفع راية الحرية والكرامة والحق فوق ربى لبنان إلى جانب الرجل، وشنّ حملة عنيفة على الرجال في مختلف الميادين السياسية والاجتماعية حيث ينتقصون من قدر المرأة ومكانتها[١٠].

وفاة سامي سليم

كان سامي سليم مثال المناضل الوطني القومي، يتحصن بمبادئ إنسانية واجتماعية وأخلاقية قويمة، مؤمناً بعقيدة عربية خالصة، حيث أزعجت آراؤه ومواقفه سلطة الانتداب الفرنسي وقبلها التركي، وحُكم بالإعدام، كما حاولوا كمّ فاه، فلم يفلحوا، فعطّلوا جريدته ومجلاته، لمنع نشر آرائه ومواقفه السياسية المعارضة للانتداب في جميع البلاد العربية.

وفي عهد السلطة اللبنانية الموقرة، لم يقف ولم يستزلم لأحد، وبقي قلمه الحرّ النزيه يعبّر عن تطلعات شباب الأمة العربية وآلامهم في رؤية بقعة مقدسة من أرضهم الغالية في فلسطين، تستبيحها وتدنسها عصابات صهيونية رعناء، ويقف قادة هذه الأمة متفرّجين عاجزين. فلم يسكت، وبقي مستمراً في نقده ونضاله، فلم يتنازل ولم يتراجع عن مبادئه قيد أنملة، حتى لحظة اغتياله أمام منزله في محلة برج البراجنة في حديقته في ١٩٥٣/٦/٢٠ . وبذلك استطاعوا إسكات صوته الهادر ولكنهم فشلوا في انتزاع ذكراه[١١] من قلوب المحبين المناضلين الأحرار.

هوامش سامي سليم

١ فهد سليمان فرحات، برج البراجنة وجاراتها، دار القماطي للطباعة والنشر، ط١ ١٩٦٠، ص ٣٩.

٢ يوسف صقر، من محاضرة أُلقيت في نادي الخريجين في الجامعة الأميركية في بيروت، بتاريخ ٢٠٠٠/٢/٢٤، ص ٤.

٣ من أوراق أسعد سليم.

٤ يوسف صقر، مرجع سابق، ص ٤ ووثيقة موجودة.

٥ وثيقة موجودة.

٦ وثيقة موجودة.

٧ يوسف صقر، مرجع سابق، ص ٨.

٨ يوسف صقر، مرجع سابق، ومن أوراق أسعد سليم.

٩ بيان موجود.

١٠ يوسف صقر، مرجع سابق ص ١٠ و ١١ و ١٢.

١١ فهد فرحات، مرجع سابق، ص ٤١.

٦

نصري سليم

١٩٠٣ - ١٩٨١م



نصري سليم

في قصر المختارة، أبصر نصري بن يوسف بن سليمان بن حسن سليم النور في الثامن عشر من كانون الثاني ١٩٠٣، فدرس حتى سن الخامسة عشر في مدارس محلية، ثم انتقل للدراسة في الشام في كلية الروم الأرثوذكس حتى أواخر سنة ١٩٢٠. وخلال عام ١٩٢٠ شارك مع أخيه القائد فؤاد سليم في الجيش العربي الفيصلي في دمشق، كما شارك في معركة ميسلون في ٢٤ تموز ١٩٢٠[١].

بعد سقوط الحكومة العربية، انتقل نصري إلى فلسطين، فأنهى دروسه الثانوية في كلية سنبل في مدينة صفد عام ١٩٢١، وفي العام ١٩٢٢، انتقل إلى شرق الأردن حيث كان أخوه فؤاد رئيس أركان الجيش العربي الأردني، فدخل الكلية العسكرية وعُيّن برتبة ضابط في ١٠ شباط ١٩٢٢. وفي فترة قصيرة تمّ تعيينه قائداً للدرك في مدينة إربد ثم قائداً عاماً للدرك في إمارة شرق الأردن. واستمر في هذا المنصب حتى عام ١٩٢٤، ذهب بعدها إلى العراق، نتيجة مضايقة البريطانيين للضباط العرب الأحرار وإبعادهم عن مراكز السلطة.

في هذه الفترة المهمة الحافلة بالتطورات والتغيّرات في المشرق العربي، حيث حاول الضباط الأحرار بقيادة القائد فؤاد سليم طرد المستعمرين الجدد من سوريا، بعد أن ظهرت نيّاتهم السيئة، واستغلالهم للثوار العرب ضد العثمانيين، لأجل تحقيق مصالحهم الدولية في بلاد العرب. قام فؤاد سليم بالاتفاق مع الأمير عادل أرسلان وسلطان باشا الأطرش، بإرسال السلاح إلى جبل الدروز، وتهيئة المناخ وتوفير المقومات المهمة للقيام بالثورة ضد الفرنسيين. وقد كلّف فؤاد سليم أخيه نصري سليم جمع السلاح وإرساله إلى جبل الدروز[٢].

قام نصري سليم بتنفيذ هذه المهمة على أكمل وجه، وقد استطاع جمع كميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة من المخازن والمستودعات، واستغل غياب بيك باشا الإنكليزي، فنقل الأسلحة على ضهور الخيل، وقد قام بخطة عسكرية مهمة في عدم كشف الفرنسيين لحركته في جبل الدروز، حيث وضع في حوافر الخيل اللبّاد، حتى لا يُسمع وقع حوافرها، واستطاع إيصال كمية وافرة من السلاح إلى سلطان باشا الأطرش، كان لها الأثر الفعّال في بداية ثورة ١٩٢٥ في جبل الدروز، في مواجهة القوات الفرنسية.

انتقل نصري سليم من العراق إلى فلسطين، وتنقل في مدن صفد وحيفا والقدس، وكان على اتصال دائم بقيادة الضباط في إمارة شرق الأردن، ومع القادة العرب الأحرار في فلسطين. كما كان على اتصال دائم ولقاءات متواصلة مع الشيخ حديثة الخريشة زعيم عشيرة بني صخر، هذه القبيلة التي ساعدت الحكومة العربية في شرق الأردن في مواجهة الدسائس والمخططات البريطانية، للإجهاز على هذه الإمارة الفتية، حيث لم تسر في ركابها في بداية تأسيسها، مما اضطر البريطانيون إلى إغراء الملك عبد الله وتمكنوا من جذبه إلى جانبهم، وكانت النتيجة إبعاد القادة الأحرار عن مواقع السلطة في عمان وإخراجهم فيما بعد من الأردن.

في العام ١٩٢٥، كان نصري في فلسطين، فعندما نشبت الثورة في جبل الدروز بقيادة سلطان باشا الأطرش، بدأ يستعد للإلتحاق بركبها، ووصل إليه خبر مفاده إن أخاه فؤاد وصل إلى شرق الأردن، ثم انتقل إلى جبل الدروز للمشاركة بالثورة. فانتقل نصري من فلسطين إلى عمان، ونزل في مكان إقامة الشيخ حديثة الخريشة، بعدها انتقلا معاً إلى شرق الأردن[٣]. والتقى نصري بالمجاهدين خير الدين اللبابيدي ومنير الريّس ومظهر السباعي في السابع عشر من أيلول ١٩٢٥. فاستقلّ هؤلاء الأربعة سيارة أمّنها لهم الشيخ حديثة الخريشة، وأوصلتهم إلى قرية ذيبين في جبل الدروز مساء ١٨ أيلول ١٩٢٥، حيث نزلوا في مضافة الشيخ حسن حاطوم[٤].

لدى وصولهم إلى المضافة، شاهد نصري عشرات المواطنين السوريين تؤم الدار، فسأل عن الحدث، فقيل له: إن صاحب الدار حسن حاطوم يستقبل التعازي بمناسبة استشهاد اثنين من أولاده أمس في معركة

المسيفرة. فأخبر نصري رفاقه، واستهجنوا كيف أن والدهم ووالدتهم صابرين على هذا المصاب، وكيف أنهم يقولون للناس كلنا فداء الثورة وعسى أن يكون النصر قريباً. وفي ١٩ أيلول ١٩٢٥، انتقل نصري ورفاقه من ذيبين إلى قرية المجيمر، فسأل عن أخيه فؤاد، فقالوا له إنه في قرية عرى، في منزل الأمير حمد الأطرش. انتقل الجميع إلى عرى، فوصلوا في المساء، إلى دار الأمير حمد، فنهض فؤاد وعانق أخيه نصري(٥) بعد افتراق ما يقارب السنتين، وكان المشهد مؤثراً. وفي عرى، كان يُعقد اجتماع لقادة الثورة للبحث في نتائج معركة المسيفرة، وما هي الخطة لوقف زحف الجيش الفرنسي إلى جبل الدروز.

في تلك الليلة شارك نصري في اللقاء القيادي الذي كان يضم: فؤاد سليم، الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، يحيى حياني، حسين صخر، وسعد الدين العظم، جميل مردم، منير الريّس، مظهر السباعي، خير الدين اللبابيدي.

اشترك نصري إلى جانب أخيه فؤاد في معظم معارك جبل الدروز ضد الفرنسيين، كما اشترك في حملة الغوطة والإقليم ووادي التيم(٦)، وبعد استشهاد فؤاد في معركة مجدل شمس في ٦ كانون الأول في ١٩٢٥، وسيطرة الجيش الفرنسي على معظم منطقة الإقليم وحاصبيا ووادي التيم، انتقل نصري إلى جبل الدروز مع الأمير زيد الأطرش، وتابع نشاطه في قرى الجبل، يحث الناس على الصمود والمشاركة وعدم التقاعس، والابتعاد عن دسائس الفرنسيين واغراءاتهم. كما اشترك نصري في معارك اللجاه ووادي اللوا، وكان مع الأمير عادل أرسلان في المجموعة السادسة التي تضم في صفوفها عدد كبير من مجاهدي الإقليم ولبنان.

وفي معارك اللجاه، كلف الأمير عادل أرسلان المجاهد نصري سليم، القيام بنسف الجسور أمام زحف القوات الفرنسية بقيادة الجنرال أندريا وإعاقة تقدمه(٧)، ثم اشترك في معارك عدة أشهرها بريكة وريمة الفخذ، والسجن وغبران. وكذلك اشترك في معركة شهبا التي استمرت لمدة أربعة أيام استطاع فيها الثوار تكبيد الجنرال أندريا خسائر كبيرة في صفوف قواته، واستبسل المجاهدون على هضبة شهبا ودحروا جيش أندريا الفرنسي، وكان نصري سليم على رأس مجموعة من مجاهدي لبنان والإقليم تقارع الجيش

الفرنسي بالسلاح الأبيض وتثبت صمود المجاهد العربي في ساحات القتال.

أبلى نصري سليم كشقيقه القائد الشهيد فؤاد سليم بلاء حسناً في معارك اللجاه، وكان مثال المناضل المخلص لقضيته، وبعد أن انتهت الثورة بسيطرة الفرنسيين على جبل الدروز انتقل نصري إلى شرق الأردن مع الثوار، ثم ذهب إلى عمان، وأعاد اتصاله بالسلطة في إمارة شرق الأردن، وتمّ تعيينه برتبة ملازم[٨]. وظلّ في الخدمة العسكرية حتى عام ١٩٣٧ فتسلم قيادة منطقة جرش الأردنية، وكان مثال القائد الأمين النزيه. ثم اشترك في الحرب في فلسطين، وكان على رأس قوة من مئتي ضابط وجندي في العام ١٩٤١، وتسلم قيادة مطار اللدّ المدني. بقي في الأردن حتى العام ١٩٦٤ حيث جاء إلى لبنان وسكن في بيروت إلى أن توفاه الله في ١٩ شباط ١٩٨١[٩].

هوامش نصري سليم

١ مقابلة أجريت بتاريخ ٢٠٠٢/٦/٨ مع ابن شقيقه السيد أسعد نسيم سليم في منزله في بلدة بقعاتا - الشوف.

٢ من أوراق أسعد سليم.

٣ منير الريّس، الكتاب الذهبي، مرجع سابق، ص ١٩٦.

٤ منير الريّس، الكتاب الذهبي، مرجع سابق، ص ١٩٧، ١٩٨.

٥ منير الريّس، الكتاب الذهبي، مرجع سابق، ص ١٩٩.

٦ أدهم آل جندي، تاريخ الثورات السورية، مرجع سابق، ص ٢٠٤. وكذلك منير الريّس، الكتاب الذهبي، مرجع سابق، ص ٣٠٠، ومذكرات سلطان باشا الأطرش، مرجع سابق، ص ٢٠١.

٧ من أوراق أسعد سليم.

٨ من أوراق أسعد سليم.

٩ من أوراق أسعد سليم.

القسم الثاني

المجموعات المقاتلة

١. مجموعة حسن ثابت (١٨٨٥-١٩٢٣م)
٢. مجموعة فندي أبو ياغي زهر الدين (١٨٨٨-١٩٥٨م)
٣. مجموعة أحمد هاني (١٨٩٠-١٩٢٧م)
٤. مجموعة شكيب وهاب (١٨٩٠-١٩٨٠م)
٥. مجموعة سعيد ملاعب (١٩٠٠-١٩٢٣م)
٦. مجموعة فؤاد علامة (١٩٠٥-١٩٣٥م)
٧. بعض الأحكام والإجراءات التي قامت بها السلطة المنتدبة في لبنان
٨. إسهام المجاهدون اللبنانيون الدروز في الثورات
   أ. مجاهدو المجموعات اللبنانية في الثورة السورية الكبرى
   ب. المجاهدون اللبنانيون الدروز في الثورة الفلسطينية
   ج. إسهام المجاهدين اللبنانيين في حرب فلسطين
٩. مجاهدون منفردون

مقدمة

أطلق المستعمرون وأعوانهم في لبنان وسوريا وفلسطين ألقاب غدّة على المجاهدين الذين واجهوا الاستعمار وقارعوا الانتداب. وما أن انطلقت الرصاصة الأولى في بلاد الحجاز ضد الحكم العثماني حتى تدافعت جموع المجاهدين من سوريا ولبنان وشرقي الأردن وفلسطين والعراق واليمن ومصر، إلى بلاد الحجاز، تدعم مسيرة الثورة، وتساند الشريف حسين في ثورته ضد السيطرة التركية.

وأمام صمود المجاهدين واستبسالهم، انهزم الجيش العثماني، ورحل عن جزيرة العرب متابعاً تقهقره نحو شرقي الأردن، وصولاً إلى شمال سوريا، يجر أذيال الخيبة، محملاً بثقل الضمير، فتقدّم الثوار العرب بقوّاتهم، فاتحين، ليرفعوا العلم العربي في دمشق، عاصمة الأمويين وعاصمة العروبة.

لم تدم طويلاً فرحة النصر، إذ إن نشوة الظفر العسكري لدى الفرنسيين والبريطانيين، في أعقاب الحرب العالمية الأولى، أعمتهم عمّا ينادون به من شعارات اجتماعية وإنسانية في بلادهم، فتجددت في أعماقهم روح استعمارية دفينة، وراودتهم نزعة السيطرة على العالم. فأرادوا استعمار بلاد العرب، وتقاسمها فيما بينهم، غير آبهين وبمساندة العرب لهم خلال الحرب، متناسين أن أقدامهم لم تكن تستطيع أن تطأ الأرض العربية، لو لم يقف أبناؤها إلى جانبهم في طرد العثمانيين.

ظنّ الفرنسيون أن بلاد الشام ستخضع لهم من ساحلها مروراً بجبالها، حتى باديتها وأطرافها الشمالية والشرقية والجنوبية، وأن شعبها سيقدّم الولاء لهم. لكن مجاهدين من هذه البلاد، من كل الطوائف والمذاهب، هبّوا

للدفاع عن عروبتها ووحدتها، وتلازمها في وحدة المصير مع سائر الأقطار العربية، رافضين الاستعمار الجديد المقنّع، فوقفوا يتصدّون لهذا الاستعمار في كل المدن والقرى والدساكر. فكانت المغاور والكهوف والأشجار مأواهم لشهور عدة، تنقلوا خلالها ما بين لبنان وسوريا وشرقي الأردن وفلسطين والحجاز.

ولقد كان للمجاهدين الدروز دور كبير في حمل راية الثورة ضد الفرنسيين وأعوانهم في لبنان وسوريا، وضد البريطانيين في الأردن وفلسطين والعراق، فأربكوا المستعمرين وأنزلوا بهم ما أنزلوا من خسائر مادية وبشرية، كما هاجموا الصهاينة في عقر مستعمراتهم في فلسطين، محاولين القضاء على هذا المرض السرطاني الجديد، الذي انتشر بدعم بريطاني وغربي، في قلب الوطن العربي.

استطاع هؤلاء المجاهدون الدروز ضرب المواقع الفرنسية العسكرية، وتكبيدها الخسائر، وحاول المستعمر التقليل من ذيوعها وانتشارها، كما قاموا بتصفية العديد من الرموز المتعاملة مع المستعمر، سواءاً كان ذلك في سلك الخدمة أم في خارجه، فزعزعوا هيبة سلطة الاستعمار الفرنسي في كل لبنان.

أمام هذا الواقع المرير الذي تخبط به الفرنسيون، في مواجهة مجموعات المجاهدين، لجأوا إلى تسليح بعض المسلحين المسيحيين في الجبل والبقاع، لضرب المجموعات الثورية المجاهدة وملاحقتها، وخلق فتنة طائفية يجرون البلاد إليها، ولكن قادة المجاهدين ورجالهم فطنوا إلى خطة الفرنسيين، فأفشلوها. عند ذلك، عمل الفرنسيون على محاولة ضرب المجاهدين في معاقلهم، بواسطة العملاء من أبناء طائفتهم من جهة، وعبر الضغوط على زعماء الطائفة ومخاتير القرى بإبعاد الثوار وملاحقتهم[1]. وفي حين حققت بعض النجاح في الناحية الأولى، فأنها فشلت في الناحية الثانية، حيث رفض القادة، وحتى المتعاونون مع فرنسا، جرّ الدروز إلى اقتتال داخلي، ففشلت خطتهم، وبقيت شعلة الجهاد متوقدة في سماء لبنان وسوريا وفلسطين.

وإننا، إذ نستعرض في هذه الفصول، المجموعات العسكرية المجاهدة

في جبل لبنان، والتي أربكت الفرنسيين لما يقارب العقدين من الزمن، فسوف نركز على قادة هذه المجموعات وأسماء أعضائها، مع نبذة عن حياة كل فرد منهم، كما سنتناول عدداً من العمليات العسكرية الهامة التي قاموا بتنفيذها.

(١) وثيقة موجودة، من أوراق الأستاذ غسان الغصيني.

١

مجموعة المجاهد حسن ثابت

أ. مجموعة المجاهد حسن ثابت

١. حسن محمود ثابت ١٨٨٥-١٩٢٣م

٢. شامل نجم عزام ١٨٩٥-١٩٢٣م

٣. محمود يوسف عبد الباقي ١٨٩٧-١٩٧٣م

٤. محمود قاسم نصر ١٨٩٧-١٩٢٣م

٥. إبراهيم قاسم أبو خزام ١٨٩٧-١٩٢٣م

٦. سعيد نجم الغصيني ١٩٠٠-١٩٦٥م

٧. محمد السناوي ١٩٠٥-١٩٢٣م

ب. المواجهات والحوادث العسكرية

١. حادثة جبل حرمون

١

المجاهد حسن محمود ثابت
١٨٨٥-١٩٢٣م

سيرته ونشأته(١)

وُلد في حزيران ١٨٨٥، من أسرة متواضعة، في بلدة باتر الشوف الواقعة في أقصى الجنوب الغربي لقضاء الشوف ولم يكد ينعم بطفولته، وتتفتّح عيناه على الحياة، حتى توفّي والده قبل أن يبلغ العاشرة من العمر، فربي في كنف جدّه إلى جانب أخيه الصغير محمود، الذي وُلد بعد شهر على وفاة والده، وسُمّي على اسمه.

منذ طفولته، عُرف بطبعه الهجومي وعدم تهاونه على الرغم من اليتم الذي يعيشه، فوفّر له جدّه وأقاربه العيش الكريم، فلم يحسّ كثيراً بفقدان والده، فكانت والدته إلى جانبه دائماً.

وعندما شبّ واشتدّ ساعده، عكف على مساعدة جدّه في الأعمال الزراعية، وقد امتاز بصلابته، وطول قامته، وسرعة حركته ووقاره. وفي العام ١٩١٥، انتقل مع أخيه محمود إلى السويداء، بعد اشتداد الأزمة الاقتصادية في لبنان، وفي جبل الدروز تنقّل في قرى عدة، واستمر حتى العام ١٩١٧، فالتحق بكوكبات المجاهدين، الذين أسهموا مع الشريف حسين في تحرير بلاد المشرق من الاستعمار العثماني. وفي هذه المرحلة، التقى بالأمير عادل أرسلان وسلطان باشا الأطرش وشكيب وهاب وعشرات المجاهدين، وبعد طرد الأتراك من سوريا، عاد إلى بلدته باتر، ولكنه بقي يتنقّل ما بين السويداء ودمشق ولبنان.

وما إن بدأت الاضطرابات في منطقة الجبل، في وجه الفرنسيين وأعوانهم، وما استتبع ذلك من إجراءات تعسفية صارمة، نفذها المستعمرون

وأعوانهم المتفرنسون، في صيف وخريف عام ١٩١٩، حتى انتفض حسن ثابت في وجه هذا الجور والقهر، فاستطاع في أواخر كانون الأول ١٩١٩ النجاح في طعن أحد العسكريين، وانتزاع بندقيته، في منطقة تقع ما بين بلدة عين ماطور وحارة جندل[٢].

شاهد أحد المواطنين العاملين في تلك المنطقة في الزراعة هذه الحادثة، وعرف حسن ثابت، فقام بإبلاغ مخفر درك المختارة بالأمر، خشية قيام السلطة باعتقال أهالي بلدتي عين ماطور وحارة جندل.

تحركت قوة على الفور وقامت باعتقال معظم أقارب حسن ثابت، وساقتهم إلى سجن بيت الدين، واستمرت فترة الاعتقال حوالي عشرة أيام، بينما اتجه حسن نحو البقاع، ومن هناك تابع سيره نحو دمشق فجبل الدروز.

ومن سوريا، انطلق حسن ثابت مع مجموعات من المجاهدين الأحرار، يثيرون الاضطرابات على امتداد الحدود اللبنانية – السورية. بدعم من الحكومة العربية في دمشق، فاشترك إلى جانب العقيد فؤاد سليم ورفقائه في عدد من العمليات، وكان يأتي خلسة إلى الشوف عبر جبل الباروك – المعاصر. وهناك في مطلع عام ١٩٢٠، التقى بالمجاهد إبراهيم قاسم أبو خزام، ثم المجاهد شامل نجم عزام، ليشكلوا ثالوثاً أرعب الفرنسيين طوال عامين من الزمن[٣].

وبعد سقوط الحكم العربي وحكومة فيصل في دمشق، انتقل حسن ثابت إلى السويداء، ثم عاد إلى منطقة راشيا وحاصبيا ومرجعيون والنبطية، مع رفيقيه شامل عزام وإبراهيم أبو خزام، ينفذون عدداً من العمليات ضد السلطة الفرنسية. وفي أواخر عام ١٩٢٠، كان حسن ورفيقاه يصحبهم بعض المجاهدين في محلة جسر الخردلي قرب النبطية يتنكرون بلباس الدرك، يقومون بتوقيف السيارات المارة، فيصادرون حمولتها، وصودف مرور سيارة عسكرية تقل ثلاثة عناصر من الدرك، فقاموا بتوقيفهم، وتجريدهم من سلاحهم، وساقهم حسن ثابت إلى ناحية تبعد قليلاً عن الطريق، بعد أن أوثق أيديهم وأرجلهم وأجلسهم في أحد الأمكنة بانتظار المزيد.

وفي هذه الأثناء، كان رفقاؤه يتابعون عملهم على الطريق العام، وإذا بأحد الأشخاص يحمل بندقية رشاشة فرنسية، في داخل إحدى السيارات، فأنزله

المجاهدون من السيارة، ولكنه ظنّ أنهم من العسكر الفرنسي، فقام بسحب ورقة من جيبه، وفيها تكليف خاص به، بالسماح له بالمرور بسلاحه على جميع الحواجز، وكانت مهمته مطاردة حسن ثابت. قام المجاهدون بانتزاع بندقيته، وندهوا حسن ثابت، فجاء إليهم للسؤال عن طلبهم، فقالوا له: «هذا الرجل مكلّف من قبل السلطة الفرنسية بمطاردتك وقتلك، فماذا سنفعل به؟» فقال لهم: «أطلقوا سراحه»، وبعد ذلك أعطاهم إشارة معينة، فتعقبوه، وأطلقوا الرصاص عليه، فأردوه قتيلاً، وعلقوا على صدره ورقة كُتب عليها: هدية من حسن ثابت للسلطة الفرنسية وأعوانها[٤].

بعد هذه الحادثة، قامت السلطة بتطويق المنطقة، ودفعت بأعداد كبيرة من الجند، ولكنها لم تعثر على شيء، حيث انتقل حسن ورفقاؤه إلى سوريا، بعد ذلك قامت السلطة بتطويق بلدة باتر، وفتشت منازلها، منزلاً منزلاً، وقامت بتخريب بعض المنازل المقربة من حسن ثابت، واستمرت لمدة عشرة أيام في ضيافة أهل البلدة، هم وخيولهم، وبعد ذلك رحلوا.

استمر حسن ثابت ورفقاؤه الذين تجاوز عددهم الثمانية، بتنفيذ العمليات العسكرية ضد الفرنسيين وأعوانهم في الشوف وحاصبيا وراشيا وجبل الشيخ في أعوام ١٩٢١ و١٩٢٢م، وكانت حادثة جبل الشيخ في حرمون في ٢٤ تموز ١٩٢٢، حيث استطاع حسن ثابت وشامل عزام، الإفلات من قبضة العسكر الفرنسي[٥]، وقد أُصيب حسن ثابت في ساقه، واستطاع متابعة السير، متجهاً إلى جبل المعاصر، ومن هناك انتقل إلى السويداء.

بعد عملية جبل حرمون، قام الضابط يوسف كسبار على رأس قوة عسكرية، بالتوجه إلى بلدة باتر، قاصداً منزل مختار البلدة الشيخ نجيب حمدان، فوقف العسكر خارج المنزل، ونزل يوسف كسبار عن حصانه متوجهاً إلى داخل الدار، فلاقاه المختار مرحباً به. وهنا قال له كسبار بصوت جهوري على مسمع من عساكره: «أين هو حسن ثابت، نريد هذا الشقي الآن». وحاول كسبار الضغط على المختار ليخبره عن وجود حسن ثابت، ولمّا استفاض هذا الضابط في استفزازاته ووقاحته، قال له المختار: «هل تريد أن تعلم أين هو حسن ثابت؟» فأجابه: «نعم». فقال له المختار: «تعال معي لأريك أين هو حسن ثابت». وهنا أمسك المختار بيد يوسف كسبار وقال

له: «إتبعني، حسن ثابت موجود في تلك المغارة في سفح هذا الجبل». وأشار إلى إحدى المغاور. وهنا، قال له كسبار: «اخفض صوتك، لا تُسمع العساكر ذلك، لا أريد أن أذهب إلى هناك». فقال له المختار: «حسن ثابت ليس عندي، اذهب إلى تلك المغارة واعتقله». فانصرف يوسف كسبار منهزماً، ولم يجرؤ على الذهاب إلى تلك المغارة وعاد إلى بيت الدين، وقد طلب من المختار إذا سُئل حول هذا الموضوع، فيقول: «إن الدورية جاءت وفتشت ولم يكن حسن موجوداً ولا نعلم عنه شيئا»[٦].

كان حسن على علاقة جيدة مع الضابط نعمان أبو شقرا، وفي كثير من الأحيان، كان الرجلان مع مجموعتهما يتناولون الغداء والعشاء ولعب الورق سوياً. وكانت عشرات الدوريات المكلفة بمطاردتهم، تخشى الاصطدام بهم، فتغيّر وجهة سيرها، عندما تعلم بوجوده. وفي أحيان كثيرة تطلب منه الأمان.

في شهر كانون الأول ١٩٢٢، قام حسن بإرسال ليرتين ذهبيتين إلى ابن عمه سعيد أحمد ثابت الذي توفّي والده وربى في كنف جدّه، ولم يتجاوز العاشرة من العمر. وبعد أسبوعين، جاء حسن إلى البلدة متنكراً بزي أحد رجال الدرك، فشاهد ابن عمه سعيد راكباً على ظهر دابة في طريق القرية، وكان ابن عمه لا يعرفه وخشي منه في هذا الزي، حيث كانت باتر ومنازل آل خطار وثابت عرضة لانتهاكات الفرنسيين المتواصلة. فقال حسن لابن عمه: «هل شاهدت عسكريين اليوم في القرية؟» فأجابه بالنفي. بعد ذلك غاب حسن ساعات عدة، ليعود بعدها إلى منزل أحمد ثابت جدّ إبن عمه سعيد، مصطحباً رفقاءه، حيث رحّب بهم أحمد ثابت ووضع لهم العشاء، وهنا قام حسن بنزع البزة العسكرية، وقام بأخذ إبن عمه سعيد إلى غرفة ثانية وقال له: «قريباً سأرسل لك مبلغاً كبيرا». ولكن لم يصل المبلغ ولم يعد حسن إلى باتر بعد ذلك اليوم[٧].

في مطلع كانون الثاني ١٩٢٣، توجه حسن إلى السويداء، فزار عدداً من المجاهدين، وتوجه إلى بلدة رساس، فالتقى مع فندي أبو ياغي زهر الدين، ونزل في ضيافته أياماً عدة، وحاول فندي ثنيه عن الذهاب إلى لبنان، لأن السلطة عازمة على التخلّص منه بشتى الوسائل، ولكن حسن أصرّ على العودة إلى لبنان، فودّع فندي وكان الوداع الأخير[٨].

وصل حسن إلى منطقة حاصبيا وراشيا في مطلع شهر شباط فالتقى مراراً مع الضابط نعمان أبو شقرا وغيره، وكان يستضيفهم على مائدته. في نهاية الشهر، أبلغ حسن الضابط نعمان، أنه سيقوم في الأول أو الثاني من آذار بعملية كبيرة في المنطقة، طالباً منه غض النظر، وعدم التوجه إلى المكان. وشاءت الصدف، أن يستمع أحد العسكريين المناوئين للثوار والمتعاملين مع الحاكم العسكري في الشوف، إلى ما قاله حسن للضابط، فنقل هذا الجندي الكلام إلى القيادة، فأبلغت الأمير توفيق أرسلان بالعملية، وأرسلت القيادة في بيت الدين بطلب نعمان، وابلغته ضرورة تسليم حسن ثابت أو قتله، وإلاّ ستتم محاكمته ويُطرد من وظيفته.

استشهاد حسن ثابت ورفيقه شامل عزام

توجه الضابط نعمان أبو شقرا على رأس قوة عسكرية إلى جسر البرغوت، حيث كان حسن ثابت، يسلخ جلد أحد الخراف التي ذبحها، وكان رفيقاه شامل عزام ومحمود قاسم نصر بعيدين عنه يراقبان المنطقة. ولما أطلّت القوة، حمل حسن بندقيته، وشهرها بوجه القوة، فقال له نعمان: «نحن قادمون لتناول الطعام معك». واقترب نعمان وعساكره، من حسن ثابت ولم يتصرفوا بشيء يسيء إلى خطتهم. فتناولوا الفطور معه، بينما بقي رفيقاه بعيدين في مكانهما.

بعد تناول الفطور، ودّع نعمان حسن ثابت، وركب مع عساكره على خيولهم، وابتعدوا قليلاً إلى وراء إحدى الأكمات، فربطوا الخيل، وعادوا خلسة إلى المكان. في هذه الأثناء، توجّه حسن نحو المغارة القريبة من هذا الجسر، للاستراحة، وإذا بالرصاص ينطلق من أحد العسكريين، فتخترق إحدى الرصاصات كتفه من الوراء وتخرج من صدره الأيمن، فصرخ حسن محاولاً رفع بندقيته، فلم يستطع، فأدار وجهه ليرى نعمان أبو شقرا يصوّب عليه ويطلق الرصاص، فسقط حسن شهيداً. سمع شامل عزام إطلاق الرصاص، فتطلع إلى المكان، فلم يجد أحداً، فقال لرفيقه محمود نصر: «لقد قُتل حسن». فهاج شامل كالجمل، وهبط من مكانه للاشتباك مع العسكر، فوصل إلى قبالة نعمان، فرمى بندقيته، وهجم على نعمان يريد طعنه

بالخنجر، ولكن العسكر عاجلوه بطلقات عدة، فسقط شهيداً في ساحة المعركة. نهض محمود وقام بإطلاق الرصاص، فردّ عليه العسكر، فأُصيب في يده، وإصابة طفيفة في قدمه، فاستطاع الانسحاب والإفلات من الطوق العسكري[٩]. وبذلك استطاعت السلطة القضاء على رئيس هذه المجموعة التي أذاقها طعم العلقم لمدة ثلاث سنوات ونيف.

بعد ذلك، تم نقل الجثتين إلى بيروت، وتم دفنهما في تربة الدروز في بيروت، وقامت السلطة بتطويق باتر، ولم تسمح لأقارب حسن ثابت بإقامة الصلاة على روحه، خوفاً من ردات الفعل على نعمان أبو شقرا وأزلامه من الشوف[١٠].

٢

المجاهد شامل نجم عزام
١٨٩٥- ١٩٢٣م

وُلد المجاهد شامل عزام في بلدة معاصر الشوف، في أسرة تمتهن الزراعة مكسباً للعيش. فنشأ وشبّ في البلدة، وعندما أصبح يافعاً عمل إلى جانب والده وإخوته. وقد عُرف منذ صغره بصلابة موقفه، وجرأته، وشجاعته. وحين نشبت الثورة العربية بقيادة الشريف حسين ١٩١٦، التحق شامل في أواخر عام ١٩١٧ بالمجاهدين الأحرار، وذهب مع قوافل الثوار إلى دمشق ومنها إلى شرق الأردن، فدخل في هذه الكوكبات المجاهدة، وأسهم معهم في تحرير بلاد المشرق من الاستعمار العثماني[11].

بعد دخول القوات العربية دمشق، عاد إلى لبنان لمتابعة عمله، ولم يتطوع في الجيش العربي آنذاك، إذ رأى أنه أدّى بواجبه وصار من حقه متابعة مسيرة حياته. وفي بلدته، تزوج في العام ١٩١٩ من خزما الداهوك من بلدة بعقلين وأنجب منها ولدين هما نجم وفندي.

في هذه الفترة، بدأ الفرنسيون في الجبل، وخصوصاً في الشوف بتنفيذ إجراءات قمعية صارمة، أرادوا فيها تثبيت وجودهم، وفرض هيبتهم، مما حمل العديد من أبناء الجبل على التصدي لهم، والانخراط في مجموعات مجاهدة عسكرية شبه نظامية، في محاولة ردع للفرنسيين وأعوانهم عن متابعة هذه الإجراءات ووقفها.

لكن الفرنسيين، بتحريض من بعض الأيادي السوداء، عمدوا إلى زيادة تعسفهم، وغض النظر عن تصرفات بعض أعوانهم، المسيئة إلى العيش المشترك في الجبل، مما دفع عدداً من أبناء الجبل، إلى الرد عن قصد أو غير

قصد على تلك التصرفات، التي أغرقت الجبل بفوضى لمدة زادت عن ثلاث سنوات، وكادت أن تؤدي إلى إشعال فتنة طائفية.

كان شامل عزام أحد هؤلاء المجاهدين الوطنيين الذين وقفوا ضد هذه الأعمال، وشاءت الصدف أن يلتقي مع حسن ثابت من بلدة باتر وإبراهيم قاسم أبو خزام من بلدة كفرحيم، ليشكلوا ثالوثاً صلباً أعيا الفرنسيين، وأرعبهم، فسعوا بشتى الطرق والوسائل العسكرية والسياسية، إلى التخلص من هذا الثالوث القاهر.

قام شامل ورفيقاه بتنفيذ عدد من العمليات ضد السلطة ورموزها في منطقة الجبل، وصولاً إلى البقاع والجنوب، وبعد فترة وجيزة، انضم إليهم عدد من المجاهدين، فقاموا في سنتي ١٩٢١ و١٩٢٢ بتنفيذ عدد من العمليات، ومواجهة القوات الأمنية في جبل حرمون، ومجدل عنجر، والبقاع، والدامور، والخط الساحلي، وباتر، وتومات نيحا. فكانت هذه المجموعة إلى جانب مجموعة المجاهد فندي أبو ياغي زهر الدين، مصدر قلق وإزعاج للفرنسيين وأعوانهم، فسعوا للتخلص منهما.

وبعد حادثة جبل حرمون التي وقعت في ٢٢ تموز ١٩٢٢، استطاع حسن ثابت وشامل عزام الإفلات من قبضة السلطة، حيث استشهد في هذه الموقعة المجاهد محمد ملاعب من بيصور، وأُصيب سعيد الغصيني واستسلم محمود يوسف عبد الباقي[١٢]، فانتقل المجاهدون إلى منطقة جبل المعاصر وأحراج باتر يتخفّون بعيداً عن أعين السلطة.

وفي مطلع سنة ١٩٢٣، ضغطت السلطة الفرنسية على الموظفين العسكريين الدروز، من أجل اعتقال مجموعة حسن ثابت أو تصفيتها، وقد خيّرت هؤلاء وعلى رأسهم نعمان أبو شقرا، ما بين المحاكمة والطرد من الوظيفة، أو مطاردة المجموعة والتخلص منها. وكان نعمان أبو شقرا يلتقي مرات عدة مع حسن ثابت وشامل عزام، ويبلغهما نية الفرنسيين، والضغط عليه، ويطلب منهم تجنّب بعض المناطق التي سيقوم بدوريات فيها. وفي نهاية شهر شباط، التقى حسن ثابت وشامل عزام مع نعمان أبو شقرا، وأبلغاه أنهما سيذهبان إلى منطقة البقاع الغربي، وعليه أن يغض الطرف، ولكن أحد العسكريين المناوئين للثوار كان يتجسس على الضابط نعمان، فقام بنقل ما

سمعه إلى قائد الشوف العسكري روزنفالون، الذي أرسل بطلب الضابط نعمان على الفور، وأبلغه بوجوب التحرك إلى تلك المنطقة والقبض على حسن ثابت وشامل عزام.

إضافة إلى ذلك، تمّ إبلاغ متصرف لواء الجنوب توفيق أرسلان، وتمّ حشد قوة كبيرة توجهت إلى هذه المنطقة بقيادة الضابط نعمان أبو شقرا فوصل إلى حيث حسن ثابت فجلس الضابط وعساكره يتناولون طعام الغذاء معه وأنكر نعمان ما كان يخطط له. بعد ذلك، ذهب العسكر ونزل حسن ثابت نحو المغارة التي كان يأوي إليها دائماً. قام العسكر بربط خيولهم بعيداً ورجعوا فوراً مع نعمان يتعقبون حسن ثابت، فأطلق أحد العسكريين النار عليه فأصابه في كتفه، وحاول حسن ثابت أن يرفع بندقيته ليطلق النار فلم يستطع، فقال للضابط نعمان أبو شقرا: «غدرت بي يا نعمان». بعد ذلك، أطلق نعمان النار شخصياً عليه فقتله. في هذه الحادثة، كان شامل نجم عزام ومحمود قاسم نصر يجلسان بعيداً عن حسن ثابت، وقد شاهدا العسكر يتناولون الطعام مع رفيقهم. وعندما سمعا إطلاق الرصاص قال شامل لرفيقه محمود: «لقد قُتل حسن ثابت». فهرول شامل عزام مسرعاً ورمى بندقيته، واتجه نحو العسكر يريد طعنهم بالخنجر وكأنه فاقد الوعي، فعاجله أحد الجنود بإطلاق الرصاص فاستشهد على الفور. أما محمود نصر فاشتبك معهم وقد أُصيب في يده واستطاع الفرار والتوجه نحو البقاع.

وقد وردت عملية استشهادهما في جريدة لسان الحال كما يلي:

«وردت برقية من صيدا تُفيد، أن حضرة متصرف اللواء الجنوبي، استدرج بخدعة رئيس عصابة الأشقياء، حسن ثابت وبعض رجاله من المصادمة مع رجال الجندرمة عند جسر البرغوث. فقُتل حسن ثابت الشقي الكبير ورفيقه سامي العذان، وأُلقي القبض على شقيق حسن ثابت حياً. وقد أُرسلت جثة القتيلين اليوم إلى بيروت ليراها دولة الحاكم العام. وهكذا فقد قُضي على رأس تلك العصابة التي ما فتئت منذ سنتين ونيف، تقلق الأمن وتفتك بعباد الله، تسلب وتنهب متغنّية بارتكابها الجرائم.

لقد قلنا إن هذه العصابة الأثيمة لا يكتفي شرها بغير الحزم والعزم، ويسرنا أن نرى الحكومة عازمة جازمة. أما الآن وقد ذهب الرأس، فإن الذنب تابعه

بإذن الله، فتستريح البلاد من شرور أهل الشر. ولا بد في هذا الموقف من توجيه كلمة ثناء إلى حضرة الأمير توفيق أرسلان، لتمكينه بنشاطه من القضاء على رجال هذه العصابة»[١٣].

ومن أجل تعزيز التفرقة، ودفع الدروز إلى الاقتتال الداخلي دفاعاً عن السلطة، وهذا ما فشلت فيه فشلاً ذريعاً، عمد الحاكم العام القومندان ترابو الذي زار صيدا في ١٨ آذار ١٩٢٣، وتغدّى على مائدة المطران خرياطي برفقة عقيلته، إلى زيارة المقرّ العسكري في صيدا، وتعليق أوسمة وتوزيع مكافآت مالية على الجند الذين اشتركوا في عملية قتل حسن ثابت ورفيقه ومنهم يوسف أبو شقرا ومحمد مصطفى وغيرهم[١٤].

أما بالنسبة إلى جثتي الشهيدين، فإن السلطة الفرنسية رفضت تسليمهما إلى ذويهما، وتمّ إرسالهما تحت حراسة أنفار من الدرك، إلى تربة الدروز في بيروت، حيث دُفن الشهيدان، وأُقيم للشهيد في معاصر الشوف مأتم حاشد رغماً عن أنف السلطة الفرنسية، حيث وقف آل عزام وأقاربهم، فرفضوا الضغط الفرنسي، ووُجهت رسائل إلى قرى الشوف، فتقاطرت الوفود للتعزية بالشهيد شامل عزام.

٣

المجاهد محمود يوسف عبد الباقي
١٨٩٧-١٩٧٣م

وُلد المجاهد محمود عبد الباقي في بلدة عينبال – الشوف، في أسرة تمتهن الزراعة، فتعلّق بحب الأرض والدفاع عنها في وجه الغزاة. وحين رحل الأتراك مهزومين عن بلادنا، جاء المستعمرون الجدد الفرنسيون، وراحوا يمارسون استفزازاتهم ضد الوطنيين والقوميين، حيث شهد عام ١٩١٩ أحداثاً مهمة في جبل لبنان عموماً والشوف خصوصاً، فقامت انتفاضات في وجه المحتلين، فهبّ محمود عبد الباقي إلى جانب عشرات المجاهدين لمقارعة الاستعمار،وبذلك كان له شرف التصدي والتحدي في آن واحد.

في أواخر عام ١٩١٩، التقى محمود مع المجاهد حسن ثابت وشامل عزام، كما التقى في منطقة نهر الحمام (بعقلين) مع المجاهد فندي أبو ياغي وشكيب وهاب ورفقائهما[١٥]، فقام بتنفيذ عدد من العمليات العسكرية معهم، وأسهم في ضرب معاقل السلطة وأعوانها.

في شهر أيار في العام ١٩٢٠، انتقل إلى حوران، سعياً وراء الارتزاق، فكان يعمل في الحصاد طيلة الموسم، ويعود في منتصف الصيف إلى بلدته، بعد أن يكسب ما يزيد عن عشرين مدّاً من الحنطة. وفي أواخر عام ١٩٢٠ تزوّج محمود من إحدى قريباته في عينبال.

اعتقلته السلطة في شهر آب ١٩٢١ بعد اغتيال فؤاد جنبلاط في وادي عينبال مع عشرات من أبناء عينبال وغريفة وعترين، وتعرّض للتعذيب، ولكنه لم يقرّ عن أحد من رفاقه[١٦].

بعد إطلاق سراحه، عاد إلى مزاولة عمله في الزراعة في عينبال، وفي مطلع الصيف ذهب إلى سوريا، إلى بلدة سهوة البلاط القريبة من رساس فعمل عند

أحد الأشخاص من آل الحناوي، ثم عاد إلى لبنان في أواخر شهر حزيران ١٩٢٢، محملاً بالحبوب والمؤونة.

وفي منتصف شهر تموز ١٩٢٢، انتقل إلى جبل الباروك، فالتقى مع رفيقه حسن ثابت، وخططوا لتنفيذ عملية عسكرية كبيرة، تطال رأس السلطة. وفي ١٩ تموز ١٩٢٢، انتقل مع مجموعة من رفاقه إلى جبل حرمون، وكمنوا لدورية عسكرية آتية من بعيد، فلما وصلت اشتبكوا معها، في قتال عنيف دام أكثر من ساعتين، اضطرت تلك القوة إلى طلب النجدة، إذ تواكب متصرف اللواء شعراوي بك وقائمقام القضاء حسين بك المعصراني والقوميسير الخصوصي المسيو روك والقومندان الشيخ حسيب عبد الملك، وذلك في محلة تُدعى كهف العنب. وقد تكاثر عدد الجنود الفرنسيين، فاستطاعوا تطويق المجاهدين، فاستشهد محمد علي ملاعب، وجُرح سعيد نجم الغصيني، وسلّم محمود عبد الباقي نفسه للسلطة، واستطاعت المجموعة الباقية من المجاهدين الانسحاب(١٧).

نُقل محمود ورفيقه إلى صيدا ثم إلى بيروت، وتعرّض للتعذيب الشديد جسدياً ونفسياً، وقد حُكم بالسجن خمس عشرة سنة، ولكنه استطاع الفرار من السجن في أواخر عام ١٩٢٢، فانتقل إلى بلدته عينبال، فزار عائلته، ثم ودّعها وانطلق نحو البقاع فجبل العرب. وفي سوريا، ذهب إلى السويداء، ومنها إلى بلدة سهوة البلاط، فعمل في الزراعة وفي جني المحاصيل على أنواعها(١٨).

وفي شهر نيسان ذهب سرّاً إلى لبنان، فزار عائلته وأقاربه، ثم عاد إلى سوريا. ومرةً استوقفه في جبل الباروك عدد من المسلحين ومنهم محمود قاسم نصر ومحمد السناوي وغيرهم، وكان هو برفقة قافلة من بلدة عينبال وغريفة متجهة إلى جبل العرب، فعاد هؤلاء إلى قراهم بعد تلك الحادثة في جبل الباروك، أما محمود عبد الباقي فتابع سيره إلى جبل العرب، إلى سهوة البلاطة.

في تلك الفترة، استطاعت السلطة إلقاء القبض على محمود نصر ورفاقه في جنوب لبنان(١٩)، وقد اعترف أحد الشهود في حادثة جبل الباروك أن محمود عبد الباقي كان معهم، فأرسلت السلطة في لبنان إلى سوريا بياناً تطلب فيه القبض على محمود. وقد استطاعت السلطة في سوريا إلقاء القبض

عليه، في ٢ آب ١٩٢٣، وإرساله مخفوراً إلى لبنان، حيث وُضع في سجن واحد مع مجموعة محمود رفاعه ووُضع في غرفة محمد السناوي[٢٠].

وبعد المحاكمة التي جرت لمحمود نصر ومحمد السناوي ومحمود عبد الباقي في شهر تشرين الأول ١٩٢٣، تمّت تبرئة محمود عبد الباقي من تهمة الاشتراك في حادثة عين اللجة – الباروك، فأُطلق سراحه[٢١]، بعد ذلك، عاد إلى سوريا.

في سوريا شارك في معظم معارك الثورة عام ١٩٢٥[٢٢]، وبعد انتهاء الثورة عاد إلى بلدة حاصبيا، فسكن فيها، ثم انتقل إلى بلدة القريّا، بلدة سلطان باشا الأطرش. فعمل في تلك البلدة في الزراعة والتجارة، وكانت عائلته إلى جانبه، واستمرّ يعمل في سوريا حتى العام ١٩٥٩، عاد بعدها إلى بلدته عينبال – الشوف.

بعد تلك المرحلة، عمل مدة قصيرة في التجارة، وأمضى بقية عمره في بلدته، إلى أن وافته المنية في سنة ١٩٧٣، حيث أُقيم له مأتم حاشد شارك فيه المئات من أبناء جبل لبنان كما جاءت وفود من منطقتي حاصبيا وراشيا[٢٣].

٤

المجاهد محمود قاسم نصر
١٨٩٧-١٩٢٣م

في بلدة كفرفاقود، وُلد المجاهد محمود قاسم نصر، في أسرة تتعاطى أعمال الزراعة والتجارة مهنة لها في كسب العيش. وقد لُقّب في الأحداث التي جرت معه، بـ «محمود رفاعه» نسبة إلى أحد فروع العائلة، وقد غلب لقب «رفاعه» عليه، وفي كثير من الأحيان، لم يُذكر اسمه، بل يُذكر اسم رفاعه. توفّي والده عام ١٩٠٥، وفي عام ١٩٠٧ انتقل محمود برفقة أخاه وعمه أسعد محمود نصر إلى سوريا، فنزلوا في بلدة أشرفية صحنايا القريبة من دمشق، وعندما شبّ أخذ يعمل في الزراعة، يساعد عمه وأخيه، وبعد أن أمضى فترة من الزمن هناك، انتقل إلى جبل العرب، قاصداً بلدة «ملح» حيث نزل في ضيافة أحد الأقارب، وهناك عمل في الزراعة، وكان يتردد إلى أشرفية صحنايا لزيارة أخيه[٢٤].

بعد فترة وجيزة، عاد إلى الأشرفية، فوجد أخاه قد غادر إلى لبنان، فلحق به، في العام ١٩٢١، وفي طريقه من البقاع إلى جبل الباروك، التقى محمود نصر بالمجاهدين حسن ثابت وشامل عزام وإبراهيم قاسم أبو خزام، فتعرّف إليهم، وترافق وإيّاهم على الطريق، فطلب منه حسن ثابت الإسهام معه في العمليات العسكرية ضد الفرنسيين، فاستجاب لطلبه، قائلاً له: «سأذهب لأرى أخي ثم أعود إليكم».

وصل محمود إلى كفرفاقود، وذهب إلى منزل عمّه أسعد نصر[٢٥]، فسكن معه مدة من الزمن، ثم غادر سراً إلى جبل الباروك، فالتقى بالمجاهدين حسن ثابت ورفاقه، وبقي معهم لمدة أسبوع يتنقلون ما بين الباروك والبقاع والمتن، ثم عاد إلى كفرفاقود، ولم يُخبر أحداً عن تحركاته.

وفي العام ١٩٢٢، تعاطى الأعمال الزراعية، واستقلّ في السكن عن عمه، وقد اشترى أثاثاً لمنزله الخاص، واستطاع في فترة وجيزة كسب مبلغ لا بأس به من المال، ومع ذلك، بقي يتردد سراً على منطقة الباروك والمتن، حيث كان يجتمع مع حسن ثابت ورفاقه، ويسهم معهم في بعض العمليات العسكرية.

وفي نيسان عام ١٩٢٣، قامت العصابات المتعاونة مع السلطة الفرنسية، باغتيال حسين محمود سلوم زهر الدين، صهر المجاهد فندي أبو ياغي زهر الدين، وقد سبق لمحمود قاسم رفاعه نصر، أن التقى بفندي في جبل الدروز مرات عدة.

نُفّذت تلك العملية في خراج بلدة دير القمر، حيث قُتل المغدور ذبحاً، فهاجت منطقة المناصف بعد وصول الخبر، وكان فندي أبو ياغي في سوريا، بينما كان محمود رفاعه نصر في كفرفاقود.

قام محمود ببيع أثاث منزله إلى أحد أقاربه، واشترى بندقية ألمانية، دون أن يُخبر عمه بالأمر، ثم انطلق إلى جبل الباروك يرافقه عدد من مجموعة حسن ثابت، فقام بتنفيذ عملية في جبل الباروك، أخذاً بالثأر، حيث كانت تجري بعض الأعمال العسكرية الطائفية التي يغذيها الفرنسيون ويتغاضون عن منفذيها، فتؤدي إلى مزيد من الاضطرابات بين أبناء الوطن الواحد. هذه الحادثة التي جرت في عين اللجه في الباروك في ٢٨ نيسان ١٩٢٣، أحدثت ضجة كبيرة في لبنان[٢٦]، مما حدا بالسلطة إلى التدخّل لقمع هذه الأعمال، ولكنها لم تستطع وقف الخروقات بين الطائفتين الدرزية والمارونية، فبقيت أعمال الاغتيال والفتن مستمرّة، بينما ذهب محمود نصر ورفاقه إلى خارج المنطقة.

انطلق محمود نصر ورفاقه إلى فلسطين، وتجولوا في منطقة الجليل، فالتقوا بالعديد من المجاهدين من سوريا ولبنان هناك، فشرحوا لهم ما يتعرضون له من مضايقات على يد البريطانيين واليهود، فخطط محمود لضرب رأس السلطة، وهو المفوض هربرت صموئيل المندوب السامي اليهودي الأصل.

وصلت الأخبار إلى محمود أن المندوب السامي سيقصد منطقة الجليل، وسيزور المستعمرات الصهيونية في العاشر من حزيران ١٩٢٣[٢٧]، ثم ينتقل

إلى بحيرة الحولة. كمن محمود ورفاقه للمندوب السامي، وفي أحد الممرات أطلقوا النار على الموكب، فقتلوا عسكريين وأسروا واحداً وهرب اثنان مصابان بينما المندوب لم يكن في الموكب، حيث بات تلك الليلة في مستعمرة روش بينا الصهيونية، فألغى رحلته، وقفل عائداً بسرعة إلى حيفا، وقد قُتل فيما بعد الجريحان.

إثر تلك العملية النوعية، انتقل محمود وأفراد مجموعته إلى لبنان، فوصلوا إلى بلدة كفركلا، وهناك لجأوا إلى بيت مهجور، يستريحون بداخله، فرآهم راعٍ كان عميلاً للسلطة، فأخبر القوة الأمنية، فتوجّهت فوراً إلى المكان بتاريخ ١٩٢٣/٦/١٢[٢٨] بقيادة البكباشي حليم بك شقير، فاشتبكوا مع مجموعة محمود لمدة تزيد عن الساعتين، وأُصيب محمود في الاشتباك، ولما علم أنه سيموت إذا تمّ اعتقاله، وضع البندقية تحت ذقنه وأطلق النار بقصد الانتحار، ولكنه لم يمت، فسلّم رفاقه أنفسهم، وقامت القوة باعتقاله ونقله في سيارة إسعاف إلى مستشفى في بيروت حيث وُضعت حراسة مشددة عليه.

وقد بذلت السلطة جهوداً كبيرة لشفائه كي تتمكن من محاكمته وانتزاع الاعتراف منه، وبعد مدة شهرين تقريباً استدعي للتحقيق أمام المحقق الأستاذ راجي أفندي أبي حيدر مرات عدة. وفي شهر تشرين الأول، أُحضر محمود الرفاعه نصر ومحمود يوسف عبد الباقي ومحمد السناوي إلى المحكمة بتاريخ ١٩٢٣/١٠/١٧ وقد أخذت إفادتهم، واستمرت الجلسات أياماً عدة، صدر في نهايتها قرار قضى بإعدام محمود نصر ومحمد السناوي وتبرئة محمود يوسف عبد الباقي. وقد نُفّذ حكم الإعدام شنقاً بتاريخ ١٩٢٣/١٠/٢٧[٢٩].

٥

المجاهد إبراهيم قاسم بشير أبو خزام
١٨٩٧- ١٩٢٣م

في بلدة كفرحيم، وُلد المجاهد إبراهيم في عائلة كريمة ميسورة، تتألف من أربعة شبان وهم: محمد وإبراهيم وسعيد وخليل. في سن السادسة أدخله والده مدرسة البلدة، فاستمر لمدة ثلاث سنوات، ترك بعدها المدرسة، ليعمل إلى جانب والده في الأعمال الزراعية والتجارية. وكان إبراهيم الإبن الثاني بعد محمد ثم سعيد فخليل.

في تشرين الأول ١٩١٩، قامت القوات الفرنسية بمداهمة قرى المناصف بحجة اعتقال مجموعة فندي أبو ياغي زهر الدين، بعد محاولتهم اغتيال حبيب باشا السعد. وقد قامت تلك السلطة بإجراءات قمعية شملت كفرفاقود وديربابا وديركوشه وكفرحيم، حيث لجأت مجموعة فندي إلى الأحراج بين كفرحيم وديربابا لفترة وجيزة، وقام باستضافتها عدد من أبناء كفرحيم من آل أبو خزام وأبو ضرغم، مما عرّضهم للإهانة والاعتقال[٣٠].

استاء إبراهيم من تصرفات رجال السلطة وتعنتها، وما تفعله في قرى المناصف، فقام بمهاجمة أحد العسكريين على طريق كفرحيم – دير القمر بمدية، فأرداه قتيلاً، واستطاع انتزاع بندقيته، فرآه أحد المواطنين وسارع إلى إبلاغ السلطة، وذلك خوفاً من عملية بطش جديدة تطال المنطقة بأسرها.

قامت السلطة باعتقال جميع أقارب إبراهيم وساقتهم إلى سجن بيت الدين، وذلك لمدة تراوحت ما بين عشرة أيام وثلاثة أشهر. في هذه الأثناء فرّ إبراهيم إلى جبل الباروك، حيث التقى في منطقة كفريا بالمجاهد حسن ثابت، وانضم إليهما فيما بعد شامل نجم عزام من بلدة معاصر الشوف[٣١].

نفّذ إبراهيم أبو خزام عدداً من العمليات العسكرية ضد قوات السلطة

وأعوانها مع مجموعة حسن ثابت، في مناطق حاصبيا وراشيا وإقليم البلان، وجبل الشيخ، وقد أقلقت عملياتهم السلطة وزرعت الرعب في مناطق راشيا ومرجعيون خصوصاً، وكان إبراهيم يأتي خلسة إلى كفرحيم لزيارة أهله وأقاربه.

في الخامس عشر من كانون الثاني ١٩٢٣، حصل حادث على طريق كفرحيم دميت الدامور، حيث كانت سيارة تقل أربعة أشخاص من دير القمر وغزير، ولدى وصولها إلى محلة تقع ما بين دميت والبقيعة تدعى الشميس، أوقفها عدد من المسلحين، فلم يمتثل السائق، فأطلق المسلحون النار، فقتل ثلاثة وفرّ السائق يهرول في البراري متوجهاً إلى دير القمر، فوصلها منتصف الليل، وأخبر قائمقامها السيد عبد الله بك أفرام البستاني، حيث اتصل بالقوة على الفور.

في صباح اليوم التالي توجّهت قوة مؤلفة من ثلاثين سيارة عسكرية محمّلة بالجنود، ومفرزة من فرسان الجندرمة، إلى محلة الحادثة، يرافقها مدير الأمن العام فايق شهاب ورئيس مراقبة الأمن الكولونيل بيشتون والكولونيل فؤاد شقير، ومن هناك توجه القادة في اليوم نفسه إلى دير القمر لتطييب الخواطر وتهدئة الحالة[٣٢].

في هذه الأثناء، قام الجنود باعتقال مئة وستين شخصاً من قرى كفرحيم ودميت وديربابا وكفرفاقود وساقوهم إلى سجن بيت الدين، وتم استجوابهم وإهانتهم واستمر اعتقالهم لمدة تراوحت ما بين يومين إلى عشرة أيام، وقد قام العسكر بعمليات شنيعة، حيث كانوا يبعثرون أثاث المنازل، ويكسّرون الأواني المنزلية، كما قام بعضهم بقتل المواشي في بلدة كفرحيم، ومصادرة الغلال.

وخلال شهري كانون الثاني ومطلع شباط ١٩٢٣، تزايدت الأحداث الطائفية، وشهدت منطقة الجبل حوادث مأساوية، حيث كانت الطرق غير آمنة، ودخلت أيادي سوداء محاولة زرع الفتنة بين الدروز والمسيحيين في الجبل، حيث كان يتم اصطياد المكاريين وعابري السبيل كالعصافير، مما زاد في بلبلة الوضع. وفي مطلع شباط، قامت القوات الفرنسية بمداهمة منزل الشيخ قاسم بشير أبو خزام والد المجاهد إبراهيم، كما اعتقلت الشيخ زين الدين أبو خزام ونقلتهما إلى سجن بيت الدين، فطلب الحاكم

العسكري من قاسم أن يسلّمه ولديه سعيد وإبراهيم وأن يأتي ببندقية حربية في خلال يومين، كما طلب منه تسليم أحد أبناء سرحال أبو ضرغم ثم أطلق الحاكم سراحهما[٣٣].

توجه قاسم على الفور إلى كفرحيم وطلب الاجتماع إلى كلّ من: محمود علي شمس الدين أبو ضرغم مختار البلدة، داوود طي أبو ضرغم، سرحال ناصيف أبو ضرغم، علي يونس طي أبو ضرغم، أمين سلمان غنام، وأبلغهم طلب الحاكم العسكري منه، بعد ذلك، انتقل المجتمعون إلى منزل داوود طي أبو ضرغم فحضر عدد أكبر من أهالي كفرحيم، وهنا قال قاسم للحاضرين إنه سيشتري بندقية ويقوم بتسليم ابنه سعيد للسلطة، وسيتم لصق جميع المشاكل التي حدثت في المنطقة به، وذلك تخفيفاً من بطش الفرنسيين بالأهالي، فيكون هو كبش المحرقة.

حاول الحاضرون ثنيه عن ذلك، فرفض، وتوجه إلى بلدة كفرفاقود، فاشترى بندقية من الشيخ سعيد قاسم ضاهر زهر الدين بسعر رمزي[٣٤]، بعدما أخبره الواقع المستجد، ثم توجه بعد ذلك إلى بلدة بعقلين ومعه البندقية وابنه سعيد. وفي بعقلين توجه إلى منزل الشيخ محمود بك تقي الدين، الذي كان يشغل منصب قائمقام بعلبك. فأخبره بما يجري في منطقة المناصف، والقمع الذي تقوم به السلطة الفرنسية ضد الأهالي، فتوجه السيد محمود تقي الدين مع الشيخ قاسم أبو خزام وابنه سعيد إلى بيت الدين، فقابل الحاكم العسكري وتوسط للشيخ قاسم وولده، فتسلّم الحاكم البندقية وأطلق سراح سعيد وكفّت ملاحقته، كما قامت السلطة بتخفيف الإجراءات عن المنطقة.

وسأل الحاكم الشيخ قاسم عن ابنه إبراهيم، فقال له إنه لم يشاهده منذ سنتين ولا يعلم عنه شيئاً. وبعد إخلاء سبيل قاسم وولده، قام الحاكم العسكري، باستدعاء المختار أبو علي محمود شمس الدين أبو ضرغم إلى بيت الدين، وحاول الضغط عليه ليتعاون مع السلطة وأن يبلّغ عن مكان وجود إبراهيم أبو خزام، فقام الشيخ أبو علي بعد استفزاز الحاكم له، بسحب خاتم الهيئة الاختيارية من جيبه، ورماه بوجه الحاكم قائلاً له: «هذا لكم ولم يعد لي علاقة بكم، وليس في ذمتي شيء»، فلم يسمح له بمتابعة كلامه، فصرخ بالحرس، فدخل الحرس وطلب منهم اعتقال المختار، ووضعه في السجن فوراً.

استمرت عملية اعتقال المختار لمدة ثلاثة أشهر، فكان ولداه أمين وعلي يتناوبان يومياً إلى بيت الدين لحمل الطعام لوالدهما. أما المجاهد إبراهيم فلم يهدأ في منطقة راشيا ومرجعيون، وقام بأعمال أقلقت السلطة وأعوانها، فجهزت حملات عدة لاعتقاله مع رفاقه وفشلت. وفي منتصف شهر شباط ١٩٢٧، بينما كان يسير مع رفيقيه، حسن ثابت وشامل عزام في بلدة بقعسم، الواقعة في جبل الشيخ ناحية سوريا، وإذا بالرمانة اليدوية التي يحملها على وسطه، تدخل حلقتها في أحد الأغصان فتنفجر به ويسقط شهيداً. وكان رفيقاه بعيدين عنه قليلاً، فرجعا فوراً لينصدما بما شاهداه، فحملاه إلى مكان قريب، ودفناه هناك، وقد حضر مختار البلدة وقسم من الأهالي دفنه، على الرغم من الطقس المثلج والبارد يومذاك.

وبعد أسبوع، ذهب الشيخ قاسم أبو خزام والد الشهيد المجاهد إبراهيم إلى بلدة بقعسم، بعد أن علم بالخبر، فوصل إلى منزل المختار، وسأله عن رفاة ابنه، فرافقه المختار إلى المكان، مع وفد من أهل القرية، حيث كان يريد نقلها إلى البلدة، ولكن الشيخ وجد أن الجثة بدأت بالاهتراء، فآثر تركها في مكانها وعاد إلى بلدته[٣٥].

وفي كفرحيم، قام أقارب الشهيد بنعي قرى المناصف، فحضرت جموع غفيرة، وأُقيمت الصلاة عن روح المجاهد الشهيد، ثم تقاطرت وفود من مختلف قرى الشوف للتعزية به.

٦

المجاهد سعيد نجم الغصيني
١٩٠٠- ١٩٦٥م

وُلد المجاهد سعيد الغصيني في بلدة بعقلين الشوف، في أسرة ميسورة، فشبّ وترعرع في بعقلين، فأدخله أبوه المدرسة، ولكنه لم يتابع دراسته بسبب نشوب الحرب العالمية الأولى، فراح يساعد أباه في الأعمال الزراعية والتجارية.

وفي ٢٥ تموز ١٩١٩ حصلت حادثة اغتيال في وسط بعقلين، كادت أن تودي بحياة الجنرال مورنه الفرنسي، تلتها إجراءات تعسفية[٣٦]، ثم جاءت محاولة اغتيال حبيب باشا السعد في تشرين الأول ١٩١٩[٣٧]، وتبعتها أحداث مزرعة الشوف، لتضع الشوف في مواجهة السلطة الفرنسية، التي قامت بحملة اعتقالات كبيرة شملت المئات من أبنائه، رافقها إحراق للمنازل، ثم هدم بعضها، وتهجير بعض السكان إلى حوران[٣٨].

هذه الأحداث المتلاحقة، ولّدت في نفس سعيد شعوراً بالانتقام من هذا المعتدي الغاشم، فصمّم على مغادرة حياة العزّ والهناء، والانتقال إلى ميدان الجهاد، فحمل راية النضال، ومشى إلى جانب المجاهدين، فكانت ساحات الجنوب والبقاع والجبل ميداناً لعملياتهم ضد المستعمر، فزرعوا الرعب في نفوس جنوده وقادته، وجعلوه يعيش حالة من القلق والحيرة.

وفي العام ١٩٢٠، تعرّف سعيد الغصيني على حسن ثابت ورفقائه، فاشترك معهم في عمليات انقضاض متعددة ضد القوافل والمواقع الفرنسية في البقاع والجبل والجنوب وصولاً إلى الحدود السورية[٣٩]، وتوّج هذه العمليات، بالمواجهة البطولية مع السلطة في جبل حرمون في محلة تدعى كهف العنب في ١٩ تموز ١٩٢٢، فاستشهد رفيقه محمد ملاعب من بلدة

بيصور، وأُصيب سعيد في قدمه اليسرى، وعجز عن المشي، بينما اعتقلت القوة رفيقه محمود عبد الباقي، ثم اعتقلته شخصياً، ونجحت المجموعة الباقية من رفقائهم بالانسحاب إلى منطقة البقاع[٤٠].

تمّ نقله إلى سجن صيدا، ثم إلى بيروت، وتعرّض للتعذيب الشديد كي يعترف عن أسماء المجاهدين المشاركين في هذه العملية، ولكنه تحمّل الإهانة والجلد، فلم يتكلم ولم يعترف. وبعد فترة وجيزة، استطاع سعيد ومحمود عبد الباقي الفرار من السجن، فانتقل إلى بعقلين، ثم غادر إلى سوريا، وانتقل إلى مدينة السويداء، حيث التجأ إلى أحد الأقارب، فعمل في الزراعة والتجارة، ثم تزوج من السيدة نجلا الحلبي في السويداء وهي من بلدة بعقلين، قطن أهلها في السويداء بعد الحرب العالمية الأولى.

غادر سعيد الغصيني السويداء إلى الأردن، بعد أن شعر أن هناك محاولة لاعتقاله، فنزل في عمان، وعمل هناك في التجارة، واستمرّ حتى صيف ١٩٢٥، ثم عاد إلى السويداء، ليسهم في معارك الثورة إلى جانب المجاهدين الأحرار[٤١]، فاستمرّ يخوض غمار المعارك، إلى أن شارفت الثورة على نهايتها، فغادر إلى الأردن، ونزل في عمان ولم يذهب إلى الأزرق مع المجاهدين[٤٢].

مكث في الأردن فترة وجيزة، انتقل بعدها إلى فلسطين، فعمل في القدس وصفد، ثم لحقت به عائلته فسكن واستقرّ في بلدة شفا عمر. وفي فلسطين تعرّف على المجاهدين فؤاد علامة وإسماعيل عبد الحق وغيرهم، فساعدهم وقدّم العون لهم، واستضافهم ليالي عدة، دون أن تشك السلطة في أمره وتحركاته[٤٣].

بعد ذلك، عاد سعيد إلى الأردن، فانخرط في الجيش الأردني، ودخل في عداد حرّاس الملك عبد الله واستمر حتى العام ١٩٤٥. ذهب بعدها إلى سوريا، ثم قدِم إلى لبنان في العام ١٩٤٦، فعاد إلى بلدته بعقلين، حيث أقام مدة قصيرة، التقى فيها بالأهل والأقارب، ثم غادر إلى الأردن في ١٩٤٨، إلى مدينة عمان، واستمرّ مقيماً هناك، حتى توفاه الله في سنة ١٩٦٥، وما زالت عائلته حتى اليوم مستقرة في عمان.

٧

المجاهد محمد السناوي
١٩٠٥-١٩٢٣م

وُلد في بلدة السويداء في حوران في أسرة متواضعة، ولما شبّ انتقل إلى مدينة السويداء، فخدم في مضافة بعض البكوات من آل الأطرش، وراح يتنقل معهم في تجوالهم على أملاكهم في مختلف قرى جبل العرب. في تلك الأثناء تعرّف محمد السناوي على محمود نصر في السويداء وترافقا معاً إلى لبنان في عام ١٩٢٢[٤٤]. وقد التقى محمد السناوي ومحمود مع حسن ثابت، فتابع محمود سيره إلى بلدة كفرفاقود، بينما بقي محمد السناوي ملازماً لحسن ثابت فترة من الزمن.

بعد ذلك، انتقل محمد وعمل في الزراعة في قرى البقاع، ثم تردد إلى مكان وجود مجموعة حسن ثابت، حيث عاد فالتقى مع محمود نصر، واشترك معه في عملية الباروك. ثم انتقلوا إلى البقاع ثم حاصبيا ثم فلسطين، واشترك مع المجموعة في عملية إطلاق النار على موكب السر هربرت صموئيل حيث قتل أربعة عسكريين بريطانيين.

إثر هذه الحادثة، جندت السلطتين الفرنسية والبريطانية جميع الأجهزة العسكرية والأمنية لاعتقال المجموعة المجاهدة، حيث استطاعت السلطة الفرنسية اعتقالها في ٢١حزيران ١٩٢٣. في بلدة كفركلا وهم: محمود الرفاعة نصر، محمد السناوي، علي قاسم فليحان وصالح أبو حمزه. وقد تعرضوا إلى التعذيب الشديد في السجون، وأُحيلوا إلى المحكمة في ١٩٢٣/١٠/١٧ حيث صدر حكم بالإعدام على محمد ورفيقه محمود، وتمّ تنفيذ الحكم في ١٩٢٣/١٠/٢٧[٤٥].

المواجهات والحوادث العسكرية

١

حادثة جبل حرمون

في منتصف شهر تموز ١٩٢٢، التقت مجموعة حسن ثابت في بلدة الباروك، وضمّت كلاً من حسن ثابت، شامل عزام، محمد السناوي، سعيد الغصيني، محمد ملاعب، محمود عبد الباقي، عبد الكريم بو محمود. وقررت توجيه ضربة عسكرية كبيرة، إلى السلطة الفرنسية خارج منطقة الشوف، وبالتحديد في منطقة راشيا، حيث الإجراءات الأمنية مشددة، بحق أهالي تلك المنطقة، وحيث تتم مطاردة المجاهدين الذين اعتقلت منهم في شهر أيار المجاهد محمود قاسم نصر[٤٦]. لذلك أخذت المجموعة قراراً بالرد. ومن الباروك انتقل المجاهدون إلى منطقة راشيا، فنزلوا في قرية عين عطا إلى ناحية جبل الشيخ، فكمنوا في هذه المحلة زهاء يومين، وقام حسن ثابت بتوزيع العناصر، فوضع محمود يوسف عبد الباقي ومحمد علي ملاعب وسعيد نجم الغصيني في أحد الممرات بين التلال الصغيرة، وفي مسافة تبعد ما يقارب المئة متر ربض حسن ثابت[٤٧] وشامل عزام ومحمد السناوي وعبد الكريم بو محمود بانتظار أي قافلة عسكرية لضربها.

وفي صباح التاسع عشر من تموز ١٩٢٢، كان متصرف اللواء شعراوي بك، وقائمقام القضاء حسين بك المعصراني والقوميسير الفرنسي المسيو روك، وقومندان الجندرمة في راشيا الشيخ حسيب عبد الملك، يقومون بجولة في منطقة راشيا وجبل الشيخ، تواكبهم مفرزة من الجنود الفرنسيين والسنغاليين، إضافة إلى مفرزة من الدرك، فوصلوا إلى النقطة التي يتمركز فيها محمود عبد الباقي ورفيقاه، ولم يستطع المجاهدون تمالك أنفسهم، فنهضوا وصرخوا بالقائمقام الذي كان في المقدمة أن يترجّل ويسلّم نفسه،

فصرخ القائمقام بالجندرمة طالباً منهم التدخل، وإذ بالرصاص ينهمر عليه، فقفز على الأرض وانبطح وراء صخرة، فقُتل حصانه، فربض المجاهدون في مكانهم يوجهون الرصاص إلى الجنود والدرك. وقد قامت القوة بتطويق المجاهدين الثلاثة، حيث سمح العدد الكبير لهم بذلك، فاستبسل المجاهد محمد علي ملاعب، وقفز من مكانه مطلقاً النار على العسكر، فأُصيب اثنان منهم، ثم سقط شهيداً، إذ أُصيب بثلاث رصاصات في صدره. وثم أُصيب سعيد نجم الغصيني في قدمه، فلم يعد يستطيع السير، فوقف محمود رافعاً سلاحاً طالباً الأمان[٤٨].

في هذه الأثناء، كانت القوة المواكبة تتقدم من جهات ثلاثة لتطويق المجموعة الثانية التي بادرت إلى إطلاق الرصاص بغزارة، ولكنها لم تستطع الثبوت في موقعها، حيث تدفق أكثر من مئة عنصر، فآثرت الانسحاب بعد أن شاهدت ما حلّ بالمجموعة الأولى، تفادياً لخسارة أكبر.

والجدير بالذكر أن الضباط الفرنسيين والقائمقام، استمروا منبطحين على الأرض لمدة تزيد على الساعة، لا يأتون حركة، بينما كان الجنود يتولون مهمة الرد والتطويق. وقد استطاع حسن ثابت وشامل عزام ومحمد السناوي، الانسحاب نحو البقاع دون أن يصابوا بأذى، حيث لم تعترف السلطة بأي إصابة، أما الحقيقة فقد سقط لها من العسكر السنغالي، أربعة قتلى وستة جرحى في أرض المعركة. رآهم محمود عبد الباقي[٤٩]، قبل أن يتم نقلهم إلى السجن. أما عبد الكريم بو محمود، فقد أُصيب في كتفه، واستطاع السير مع رفاقه، حيث وصلوا بعد مدة إلى أطراف كامد اللوز، ونزلوا في مضافة أحد الأصدقاء، وتمّت معالجة جرحه، بعدها انتقلت المجموعة إلى جبل معاصر الشوف.

هوامش مجموعة حسن ثابت

١ مقابلة شخصية مع الشيخ يوسف سعيد أحمد ثابت في ٢٠٠٣/٥/٦ في بلدة باتر.
٢ المصدر نفسه.
٣ مقابلة شخصية مع السيد خليل قاسم أبو خزام في ٢٠٠٣/٥/٥ في كفرحيم.
٤ مقابلة مع الشيخ يوسف أحمد ثابت، مصدر سابق.
٥ راجع جريدة لسان الحال، عدد ١٩٢٢/٧/٢٤.
٦ الشيخ يوسف أحمد ثابت، والسيد فؤاد ملحم خطار مقابلة شخصية في ٢٠٠٣/٥/٦ في باتر.
٧ المصدر نفسه.
٨ صرّح بهذه الحادثة المجاهد فندي أبو ياغي إلى الشيخ سعيد ثابت في السويداء عام ١٩٤١، في صالون الشيخ أبو عزات يوسف صافي، وقال: «إنني نصحت حسن ثابت مرات عدة، بعدم الذهاب إلى لبنان، لكنه أصرّ على الذهاب».
٩ مقابلة شخصية مع شقيق المجاهد محمود نصر، الشيخ رشيد قاسم رفاعة نصر، في بيروت في ٢٠٠٣/٣/١.
١٠ الشيخ يوسف سعيد ثابت، مصدر سابق.
١١ مقابلة شخصية مع الشيخ أبو عاطف رشيد عزام في ٢٠٠٣/٢/٧.
١٢ لسان الحال، عدد ١٩٢٢/٧/٢٤.
١٣ لسان الحال، عدد ٢ آذار ١٩٢٣.
١٤ لسان الحال، عدد ١٩ آذار ١٩٢٣.
١٥ مقابلة شخصية مع الشيخ متعب فندي زهر الدين في ١٩٩٩/٨/٨، وقد ذكر لنا أن محمود عبد الباقي اشترك في عمليات عدة مع والده ومع المجاهد شكيب وهاب وحسن ثابت.
١٦ مقابلة شخصية مع ابنه فؤاد عبد الباقي في ٢٠٠٢/٩/١٤.
١٧ جريدة لسان الحال عدد ١٩٢٢/٧/٢٤ والبشير عدد ١٩٢٢/٧/٢٤.
١٨ السيد فؤاد عبد الباقي، مصدر سابق.
١٩ لسان الحال، عدد ١٣ حزيران ١٩٢٣..
٢٠ السيد فؤاد عبد الباقي، مصدر سابق.
٢١ جريدة لسان الحال، عدد ١٩٢٣/١٠/٢٠.
٢٢ مقابلة شخصية مع السيد جميل قاسم عبد الباقي في ٢٠٠٢/٩/٣ في عينبال في منزله.
٢٣ مقابلة شخصية مع السيد فؤاد عبد الباقي، نجله في ٢٠٠٢/٩/١٢ في عينبال.

٢٤ مقابلة شخصية مع شقيقه رشيد نصر في بيروت في ٢٠٠٢/٣/١ في منزله.
٢٥ مقابلة شخصية مع السيد وهيب فؤاد أسعد نصر في ٢٠٠٣/٣/١٩ في كفرفاقود.
٢٦ راجع لسان الحال، أعداد شهر أيار ١٩٢٣.
٢٧ راجع لسان الحال، عدد ١٩٢٣/٦/١٣ و ١٩٢٣/٦/١٥.
٢٨ جريدة المقطم عدد ١٩٢٣/٦/١١ ولسان الحال عدد ١٩٢٣/٦/١٥.
٢٩ راجع أعداد لسان الحال ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٣ و ٢٧ تشرين الأول ١٩٢٣.
٣٠ مقابلة شخصية مع الشيخ أبو سميح أمين محمد أبو خزام في ٢٠٠٣/٤/٧ في كفرحيم في منزله.
٣١ مقابلة شخصية مع أخيه خليل قاسم أبو خزام في ٢٠٠٣/٥/٥ في كفرحيم.
٣٢ راجع أعداد لسان الحال في ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٣.
٣٣ مقابلة شخصية مع أخيه، مصدر سابق.
٣٤ مقابلة شخصية مع أخيه، مصدر سابق.
٣٥ مقابلة شخصية مع أخيه، مصدر سابق.
٣٦ راجع أعداد لسان الحال ٢٦ و ٢٧ تموز و٤ آب ١٩١٩.
٣٧ راجع أعداد لسان الحال ٧ و ٨ و ١٠ تشرين الأول ١٩١٩.
٣٨ جريدة الحقيقة أعداد ١١ و ١٩١٩/١١/٢٤ ولسان الحال ١٩١٩/١١/٣.
٣٩ مقابلة شخصية مع السيد جميل خليل حرفوش في يعقلين في ٢٠٠٣/١/١٠.
٤٠ راجع لسان الحال عدد ١٩٢٢/٧/٢٠.
٤١ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج١، ص ١٧١.
٤٢ مقابلة مع السيد جميل حرفوش، مصدر سابق.
٤٣ مقابلة مع السيد جميل حرفوش، مصدر سابق.
٤٤ مقابلة مع الشيخ رشيد قاسم رفاعة نصر في ٢٠٠٢/٣/١ والسيد وهيب فؤاد نصر في ٢٠٠٣/٣/١٣.
٤٥ راجع أعداد لسان الحال من ١٧ تشرين الأول حتى ٢٧ منه ١٩٢٣.
٤٦ راجع لسان الحال عدد ٤ أيار ١٩٢٢.
٤٧ مقابلة شخصية مع الشيخ يوسف سعيد ثابت في ٢٠٠٣/٥/٦ في باتر.
٤٨ راجع لسان الحال عدد ٢٠ تموز ١٩٢٢.
٤٩ روى ذلك المجاهد محمود عبد الباقي لنجله فؤاد عن هذه الحادثة، فقال أن حوالي خمسين

عنصراً من العسكر السنغالي، كان الواحد منهم يرمي سلاحه ويهرب، بعدما أُصيب العديد منهم في هذه المعركة.

٢

مجموعة المجاهد فندي أبو ياغي زهر الدين

أ. مجموعة المجاهد فندي أبو ياغي زهر الدين

١. فندي أبو ياغي زهر الدين ١٨٨٨–١٩٥٨م
٢. فهد إبراهيم فهد زيدان ١٨٨٠–١٩٥٧م
٣. علي حسين أبو اسماعيل ١٨٨٨–١٩٥٠م
٤. يوسف قاسم حمندي مخيبر ١٨٩٠–١٩٥٠م
٥. علي يوسف حسين طربيه ١٨٩٢–١٩٧٣م
٦. حسين علي شبلي ضو ١٨٩٥–١٩٥٠م
٧. حمد دعيبس صبح ١٨٩٦–١٩٢٧م
٨. مطر سليم مطر ١٩٠٠–١٩٢٧م
٩. علي يوسف أبو هنا ١٩٠٠–١٩٦٥م
١٠. بشير سعيد جعفر ١٩٠٠–١٩٦٥م
١١. قاسم حسين زهر الدين ١٩٠٢–١٩٦٠م
١٢ أمين محمود مطر ١٩٠٥–١٩٢٧م

ب. المواجهات العسكرية

١. حادثة عين تراز
٢. محاولة تفجير جسر الخردلة على نهر الليطاني
٣. معركة عانوت
٤. حادثة بيصور

١

المجاهد فندي أبو ياغي زهر الدين
١٨٨٨- ١٩٥٨م

بطاقة تعريف

وُلد المجاهد فندي أبو ياغي زهر الدين في بلدة كفرفاقود في قضاء الشوف. والده أمين عارف زهر الدين، ووالدته صفا إبراهيم فهد كنعان زهر الدين. أبصر النور في شهر آذار ١٨٨٨، فكان أكبر إخوته عارف وسليم وسعدى[١].

نشأ في كفرفاقود، حيث كان والده يعمل شريكاً في مزرعة في أسفل البلدة، تعود إلى آل النكدي تسمّى منطقة «البحيري». إضافة إلى عشرات من أبناء البلدة يعملون في هذه المزرعة الكبيرة. وعندما أصبح فندي يافعاً، عمل على مساعدة والده في الأعمال الزراعية في المزرعة، كما عاونه في إنتاج الحرير في مزارع آل السعد في بلدتي رشميا وعين تراز[٢]. ورغم الأحوال الاقتصادية السيئة والمجاعة التي عمّت البلاد إبّان الحرب العالمية الأولى، فإن فندي وإخوته لم يتأثروا بذلك، حيث كان مخزنهم مليئاً بالحبوب، فأسهموا في مساعدة المحتاجين في تلك المحنة الكبيرة.

انطلاقته العسكرية

في ربيع ١٩١٦، طلبت منه أخته سعدى أن يرافقها إلى بيروت لزيارة أحد الأقارب، ولدى وصولهما إلى منطقة تقع بين عيناب وبشامون، التقيا بدورية عسكرية تركية، فأوقفتهما، وفتش عناصر الدورية فندي، فوجدوا معه سكيناً، فصادروه وحققوا معه لمدة ساعتين، ثم أخلوا سبيله، ولم يرجعوا السكين له[٣]. تابع فندي سيره إلى بيروت، فأوصل أخته وطلب منها كتمان ما حصل معهما، وفي اليوم الثاني غادر بيروت متوجهاً إلى قريته، عائداً على

الطريق نفسه. ولدى وصوله إلى جسر القاضي، الذي يربط قضاء الشوف بعاليه، رابط على جانب الجسر، وانتظر ساعات عدة، يترقب مرور أحد العسكريين ليأخذ ثأره.

وشاءت الصدف أن يمر أحد العسكريين ينقل البريد، حاول فندي التحرّش فيه، ليعرف هويته وجنسيته، ولكن هذا الجندي لم يتكلم، واستمر فندي بملاحقته والتحرّش فيه، فلم يجب، وبقي على هذه الحال إلى أن وصل إلى مشارف بلدة بشتفين. عند ذلك، أطبق عليه، فقتله وانتزع سلاحه. وشاهد قسم من الأهالي هذه العملية، فهرعوا نحو فندي طالبين منه تسليمهم البندقية، لكنه صوّبها نحوهم وأمرهم بالتراجع.

وعلى الفور، وصل الخبر إلى دير القمر وبيت الدين، فتحركت دورية عسكرية كبيرة إلى بلدة كفرفاقود، للقبض على فندي، فلم يجدوه، حيث توارى عن الأنظار. قامت القوة العسكرية العثمانية باعتقال عشرات الأقارب والأهل، فسيقوا إلى بيت الدين، وقد تعرضوا إلى الإهانة والضرب المبرّح، مما حمل بعض المخلصين لفندي على الاتصال به لتسليم نفسه. فقام بتسليم نفسه، وتمّ إطلاق سراح المعتقلين، وقد حُكم عليه بالسجن لمدة ست سنوات، بعد محاكمة سريعة ووساطات كبيرة، فقبع في سجن بيت الدين[٤].

لم يُمضِ فندي مدة الحكم بكاملها، فاستطاع بعد فترة أن يهرب من السجن بمساعدة أحد المأمورين الدروز الذي هرّبه وهرب معه، تاركاً خدمته العسكرية في العام ١٩١٧.

على أثر هذا الفرار، جرّدت السلطة حملات عسكرية عدة إلى كفرفاقود، بحثاً عن فندي، وأعادت الكرّة مجدداً، فقامت باعتقال عشرات المواطنين للضغط على فندي لتسليم نفسه، ولكنه لبث متخفياً في الوديان والمغاور. تدخّل أثناءها شخصيات من آل النكدي لدى السلطة، فتمّ الإفراج عن أقاربه، واستمرّ فندي متخفياً عن أعين السلطة إلى أن رحل الأتراك عن البلاد.

وفي نهاية عام ١٩١٨، قام بزيارة إلى سوريا، فالتقى بأقاربه في مدينة السويداء[٥]، كما زار قرى عدة، والتقى مع عدد من القيادات الدرزية هناك وعلى رأسهم قيادات من آل الأطرش والعسلي وجربوع، كما التقى بالأمير

عادل أرسلان وفؤاد سليم وشكيب وهاب. وانتقل إلى دمشق، فالتقى بالمجاهدين أحمد مريود ومصطفى الخليلي وغيرهما من القادة، وقد مكث هناك ما يقارب ستة أشهر، عاد بعدها إلى لبنان.

بعد عودته إلى لبنان، انتقل إلى المزرعة يعمل إلى جانب إخوته، لكن أفكاره كانت مضطربة، من خلال ما سمعه من أفواه القادة الثوريين، حول ضرورة العمل بشتى الوسائل، على إثارة المتاعب في وجه المستعمر الفرنسي. فكثيراً ما كان يجلس وحيداً شارد الذهن، حتى ظنّ أخوه عارف أن به مرضاً وطرح عليه السؤال مرات عدة، وفي كل مرّة كان يطمئنه بأنه بخير وسلام.

مرت فترة وجيزة على هذه العودة، ثم بدأت الاضطرابات تدب في الساحة اللبنانية، وفي الشوف تحديداً، حيث حصلت محاولة اغتيال المفوّض السامي الفرنسي المسيو جورج بيكو في بعقلين، وما رافقها من حملة اعتقالات ومداهمات طالت الرجال والنساء والشيوخ، إضافة إلى استمرار المداهمات لبلدة ديربابا من أجل اعتقال المجاهدين علي يوسف طربيه وعلي حسين أبو إسماعيل. لكن السلطة فشلت في إلقاء القبض عليهما، فعمدت إلى إلقاء القبض على زوجتيهما، درة أبو إسماعيل وأختها نبيهة ملحم أبو إسماعيل[٦]، وقد ساقتهما السلطة إلى سجن بيت الدين، ثم نقلتا إلى سجن عالَيه في أواخر شهر أيلول ١٩١٩.

قام المجاهدان علي يوسف طربيه وعلي حسين أبو إسماعيل، بزيارة فندي في المزرعة في كفرفاقود سراً، وأبلغاه ما قامت به السلطة الفرنسية، وبأنها لا تستجيب للوساطات، فيجب القيام بعمل يردع هذه السلطة عن تصرفاتها، ويساهم في إطلاق سراح النساء.

ثارت حفيظة فندي على تصرفات الفرنسيين، فرأى أنه لا بد من وقفها لا بد من مقاومة مشروعهم الاحتلالي الرامي إلى فرنسة لبنان، وضرب حركات المقاومة المناهضة لهم، وأنه إذا تُركت لهم حرية التصرف كاملة، فإنهم سيستبيحون كل شيء. عند ذلك، قال فندي لرفاقه: يجب ضرب رأس السلطة الذي يدعمه الفرنسيون، وينفذ سياستهم في لبنان، وهذا الرأس هو حبيب باشا السعد، رئيس مجلس إدارة جبل لبنان.

عقد فندي ورفاقه في منطقة المناصف اجتماعاً في بلدة ديركوشه بتاريخ ٢ تشرين الأول ١٩١٩[٧]، وخططوا للعملية، وشرعوا بتنفيذها في ليل السادس من تشرين الأول حيث هاجموا قصر حبيب باشا السعد في بلدة عين تراز، فاقتحموا المنزل ولكن حبيب باشا لم يكن موجوداً، فقام فندي بتوجيه إنذار إلى زوجته، طالباً منها إبلاغ حبيب باشا أن يطلق سراح النساء الدرزيات من السجون، وأن يكفّ عن ممارسة الأعمال السيئة بتوجيه فرنسي، وإذا لم يستجب لهذا الإنذار، «ستكونين في المرة القادمة سجينة لدينا، وكما دخلنا القصر هذه الليلة، سندخله مجدداً في ليال قادمة».

على أثر هذه العملية، قامت السلطة الفرنسية بتجريد حملات عسكرية كبيرة شملت منطقة المناصف، ولكنها فشلت في اعتقال أي من المجاهدين، واستتبع العملية العسكرية ردود فعل سياسية وإعلامية كبيرة في لبنان، ومن أبرزها تحميل حبيب باشا السعد مسؤولية تخطيط العملية إلى خصومه السياسيين، وأبرزهم آل النكدي في بلدة عبيه، في محاولة لكسب العطف السياسي والمادي للفرنسيين، إزاء شخصه ونهجه والمتعاونين معه. بعد حادثة عين تراز، توجّه فندي ورجاله إلى جبل الدروز، الذي كان زاره قبل ستة أشهر، فزار مدينة السويداء، وبلدات الصورة الكبيرة وشقا وميماس وكفر اللحف. وفي سوريا التقى بالقيادات الوطنية العربية، ومنهم الأمير عادل أرسلان ورشيد طليع وأحمد مريود، حيث اتفقوا على إثارة المتاعب بوجه الفرنسيين في لبنان.

وفي الفترة الممتدة ما بين أعوام ١٩٢٠ و١٩٢٤، قام فندي بعمليات عسكرية عدة ضد الفرنسيين وأعوانهم في منطقة الشوف وعالَيه والمتن والبقاع وراشيا، وحاولت السلطة الفرنسية اعتقاله، وباءت كلّ محاولاتها بالفشل. وكان يتنقّل في تلك الفترة، ما بين لبنان وسوريا، فاشترك مع سلطان باشا الأطرش في ثورته الأولى عام ١٩٢٢، ورافقه إلى شرقي الأردن، واشترك في موقعة خربة بُرد، حيث أنزل خسائر فادحة بالقوات الفرنسية مع رفقائه. وبعد ذلك رجع إلى شرقي الأردن واستمر حتى أواخر ١٩٢٢، وكان ينتقل سرّاً بعض الأحيان بين سوريا ولبنان.

فندي في الثورة السورية الكبرى

في جبل الدروز تعرّف فندي على الأمير متعب الأطرش[٨]، أحد أهم الشخصيات السياسية الدرزية. وعلى الرغم من ممالأة الأمير متعب للفرنسيين في بادئ الأمر، فإنه قام بتقديم قطعة أرض كبيرة وبنى عليها منزلاً متواضعاً للمجاهد فندي، نظراً لأعماله البطولية ومواقفه الشريفة، وحاجة الأمير إلى رجال مثله يعاضدونه.

وفي منزله في قرية رساس، تعرّض فندي لمداهمات عدة، واشتبك مراراً مع الجنود الفرنسيين المرسلين لاعتقاله، ولكنه كان يفلت منهم في كل مرة، دون أن يصاب بأي أذى[٩]. وقد استشهد في إحدى المواجهات بين فندي ورفاقه مع السلطة المجاهد يوسف أبو خزام الملقّب بيوسف الباسط في شباط ١٩٢٤ في بلدة رساس.

وما إن اندلعت الثورة السورية، حتى هبّ إلى ساحة القتال، فاشترك في معارك الكفر والمزرعة والمسيفرة، مع رفاقه. أسهم معه في معظم المعارك أخوه سليم أبو ياغي الذي انتقل من كفرفاقود إلى بلدة رساس في محافظة السويداء في منتصف شهر آب ١٩٢٥. واستمر فندي يتنقل من موقعة إلى موقعة، ويطوف في القرى إبّان الاستراحة، يحث الناس على القتال والجهاد، إلى أن ساقه القدر إلى بلدة ميماس، فنزل في ضيافة أحد وجهائها، فغدر به، وقام بتسليمه إلى السلطة الفرنسية، حيث كان نائماً في مضافته، وذلك في الأول من كانون الثاني عام ١٩٢٦.

فندي أمام المحاكمة

نُقل فندي من بلدة ميماس بحراسة أمنية مشددة إلى مدينة السويداء، ومنها تم نقله إلى دمشق في سيارة عسكرية مصفحة، وبعدها إلى بيروت فإلى سجن الرمل. وفي أقل من أسبوعين، جرت محاكمة سريعة له في المجلس الحربي، حيث صدر الحكم في ١٥ كانون الثاني ١٩٢٦ وجاء كما يلي: «حكم المجلس العسكري في الثغر على الشقي المدعو فندي أبو ياغي بالسجن المؤبد لجناياته الكثيرة في الشوف وجنوب لبنان»[١٠]. ومما يُذكر في هذه المحاكمة، قيام حبيب باشا السعد، بإسقاط حقه الشخصي، منوّهاً بأخلاق

فندي، قائلاً ما معناه، «إنه دخل منزلي بقصد قتلي، ولم أكن موجوداً، ولكنه منع رفاقه من التعدّي على حرم منزلي. وإنني إذ أسجّل له هذه الوقفة الشريفة، أطالب بالعدل في محاكمته».

بعد إصدار هذا الحكم، أُعيد فندي إلى سجن الرمل في بيروت، فقام قادة الدروز الوطنيون بتوكيل محامين كبار للدفاع عنه، منهم الأستاذ يوسف السودا، حيث استطاعوا تبرئته من كل التهم المنسوبة إليه، وتقرر إخلاء سبيله في ٣٠ تموز ١٩٢٦. فزحف الدروز من الشوف وعاليه والمتن إلى سجن الرمل في بيروت، للقاء البطل الشعبي القومي عندهم، واصطفت عشرات عربات الخيل أمام السجن وفي محيطه، بانتظار لحظة إخلاء السبيل. وإذ بالأمر يأتي من مقر السلطة الفرنسية في دمشق، يطالب بنقل فندي مخفوراً لمحاكمته هناك.

وصل إلى سجن المزّة في الأول من آب ١٩٢٦، ونُقل مكبّلاً إلى أمام مدير السجن الفرنسي، حيث كان مقرراً إجراء محاكمة سريعة وفورية له، بعد أن طلب المستنطق الفرنسي إنزال عقوبة الإعدام به فوراً. لكن بعض الضباط الفرنسيين طلبوا التريث في الأمر، علهم يستطيعون، في فترة وجيزة، انتزاع اعترافات منه تفيد التحقيق، فأجيبوا إلى طلبهم.

خروجه من سجن المزّة

تشاء الصدف أن يلتقي فندي في السجن مع ثلاثة من المجاهدين الأبطال، وهم الشيخ مصطفى الخليلي شيخ قرية المفيّر في شرقي الأردن، والشيخ ضيف الله الصالح شيخ قرية الشجرة، والمجاهد أحمد يقطيني من بلدة داريا غوطة دمشق. وهؤلاء سلموا إلى السلطة الفرنسية في العام ١٩٢٤، بعدما غدر بهم أحد شيوخ العرب قرب إمارة شرقي الأردن، وصدر الحكم بإعدامهم شنقاً في ساحة المرجة في دمشق في السابع من شهر آب ١٩٢٦. وكان وكيل السجن المجاهد الكبير زكريا الداغستاني[١١]، الذي رتّب عملية فرارهم من السجن إلى الجامع الأموي في الخامس من آب ١٩٢٦. ومن هناك انتقلوا إلى منطقة القابون ليلاً وباتوا هناك، مصطحبين معهم فندي أبو ياغي الذي سبق له أن تعرّف على الشيخ مصطفى الخليلي قبل ست سنوات في دمشق.

وفي منطقة الغوطة، التقى فندي مع قيادات الثورة السورية في دمشق، ومنهم زكي الحلبي، صادق الداغستاني، وفوزي الغزي، وفوزي القاوقجي وغيرهم. وفي هذه الأثناء، طلب منه رفقاؤه مرافقتهم إلى شرقي الأردن، لكنه اعتذر ليتابع مسيرته في الجهاد إلى جانب سلطان باشا الأطرش، ولذلك سينتقل إلى جبل العرب. قام قادة المجاهدين في الغوطة، بتقديم فرس وبندقية مع كامل ذخيرتها إلى فندي، وحمّلوه السلام إلى قائد الثورة العام سلطان باشا الأطرش، فودّعهم، وقام رفاقه الثوار الأحرار بمواكبته من الغوطة إلى مشارف الجبل تقريباً، فودّعهم كذلك على أمل النصر القريب.

انتقال فندي إلى جبل العرب

وصل فندي إلى قرية شقّا، حيث كان قائد الثورة يتجوّل فيها، فالتقى به، وأبلغه السلام، وتابع مسيرة النضال إلى جانبه، فخاض معارك الثورة الأخيرة، واستبسل فيها في وجه القوات الفرنسية المؤللة والمعززة بالطائرات، فكانت معارك اللجاه، ومعركة الرشيدة تحديداً، من أشرس المعارك التي خاضها المجاهدون وانتصروا فيها، وتفوقوا على الفرنسيين. وكان لفندي دور في هذا النصر الكبير(١٢).

بعد انحسار الثورة، انتقل فندي مجدداً إلى لبنان، يضرب معاقل الفرنسيين وأعوانهم، واستمرّ يتجوّل مع مجموعته في قرى الجبل والبقاع ما بين شهر تشرين الثاني ١٩٢٦ حتى شهر نيسان في العام ١٩٢٧، حيث سجّل في بدء شهر كانون الثاني ١٩٢٧، ذكرى أليمة في سجل الفرنسيين، حفرت في خلدهم وخلد وعملائهم صوراً مرعبة.

ففي منتصف شهر كانون الأول في العام ١٩٢٦، كان فندي في قرية رساس في سوريا، وإذ برسول يصل إلى منزله، يحمل أخباراً غير سارة، تتضمن ما يقوم به الباشجاويش سعيد عبد الساتر من تعديات وتجاوزات مع زمرة له في الشوف وعاليه، تستهدف المواطنين الدروز، وخصوصاً الوطنيين والمجاهدين(١٣). فهو يستغل وظيفته في تنفيذ هذه الأعمال، على مرأى ومشهد من أعين السلطة الفرنسية. أخبر فندي الأمير متعب الأطرش وأبلغه أنه سيذهب إلى لبنان ليقتص من هذا الضابط السيّئ، لكن الأمير حاول

منعه، خوفاً على سلامته. أما فندي فقال له: «أوصيك وصية واحدة وهي الاهتمام بزوجتي وابنتي الوحيدة إذا لم أعد حيّاً».

غادر فندي رساس يرافقه عدد من رفقائه إلى لبنان، وتوجّه إلى بلدة عانوت، وفي مساء ٣١ كانون الأول ١٩٢٦، حصلت المعركة الكبيرة بين فندي ورفاقه من جهة والقوة الفرنسية بقيادة الكولونيل روزنفالون وسعيد عبد الساتر من جهة ثانية. أسفرت المواجهة التي استمرت أكثر من أربع ساعات عن مصرع سعيد عبد الساتر، وعن استشهاد نور الدين الحلبي أحد أبطال مجموعة فندي.

هزّت هذه العملية السلطة الفرنسية في لبنان، فقامت بحملة عسكرية كبيرة شملت قرى عدة، وهي كفرفاقود، وديربابا، وعين وزين، وكفرمتى، والبنيه، والجاهلية. واستتبعها حملة اعتقالات وحشية كبيرة، بحجة إيواء الثوار ومساعدتهم، وأصدرت بحق قسم من أهالي هذه القرى أحكاماً تعسفية جائرة، وفرضت غرامات باهظة على البلدات المذكورة.

بعد هذه العملية، انتقل فندي إلى سوريا، ولكنه استمرّ بالتنقل ما بين سوريا ولبنان لمدة تزيد عن الشهور السبعة، مثيراً المتاعب في وجه الفرنسيين، مقلقاً راحتهم، حتى منتصف صيف ١٩٢٧، إذ التحق بعدها بالثوار المجاهدين في شرقي الأردن[١٤].

فندي في المنفى في شرقي الأردن

انتقل فندي مع عائلته إلى شرقي الأردن، وهناك رُزق في شهر أيلول ١٩٢٧ بمولود جديد، فسمّاه «متعب»، تيمناً بالأمير متعب الأطرش، وما لبثت عائلته أن عادت مع قافلة العائدين إلى جبل الدروز، حيث اهتم الأمير متعب الأطرش وأقارب فندي بتأمين العيش الكريم لها.

ورغم المراقبة الفرنسية والبريطانية المشددة راح فندي يتنقل سراً ما بين شرقي الأردن وسوريا، يزور عائلته. واستمر مقيماً في شرقي الأردن حتى العام ١٩٣٢، حين انتقل مع عدد من المجاهدين إلى فلسطين. فقام بتنفيذ عمليات عدة ضد الصهاينة، اشترك معه في تنفيذها المجاهدون فؤاد علامة، وإسماعيل عبد الحق، وقاسم حسين زهر الدين[١٥]. ومن ثم عاد إلى شرقي

الأردن فترة وجيزة، تفقّد فيها سلطان باشا ورفاقه، ليعود مجدداً إلى حلبة الصراع الكبرى في فلسطين، ويشترك في أعمال المقاومة ضد اليهود في عام ١٩٣٦، إلى جانب عشرات الثوار، الذين كان لهم شرف الدفاع عن عروبة فلسطين وصون مقدساتها، فبقي أكثر من عشرة أشهر يُسهم في ساحات الجهاد والقتال هناك(١٦).

العودة إلى سوريا

بعد صدور قرار العفو عن المجاهدين، عاد فندي مع موكب سلطان باشا الأطرش إلى دمشق، ومنها انتقل إلى قرية رساس، فرفض أوامر السلطة الفرنسية في جبل الدروز الداعية إلى منع حمل السلاح. ودخل إلى قلعة السويداء بسلاحه، واستطاع الوصول إلى مكتب الكولونيل أوليفيه، فدُهش هذا الحاكم من جرأته. وهنا طلب فندي من الحاكم، إمّا أن يسمح له بحمل السلاح، أو أن يعود إلى شرقي الأردن وفلسطين. فقبل الحاكم طلبه الأول، مشترطاً عليه عدم الإخلال بالأمن في جبل الدروز، وأن لا يغادره. وطلب من جميع الوحدات العسكرية عدم اعتراضه. وهكذا بقي فندي يتجوّل في جبل الدروز، على فرسه، يحمل بندقيته ومسدسه وخنجره(١٧).

زيارة الزعيمين كمال جنبلاط ومجيد أرسلان

بعد صدور العفو عن المجاهدين في لبنان، قام فندي بزيارة الزعيم كمال جنبلاط في المختارة، ثم انتقل إلى خلدة فزار الأمير مجيد أرسلان. وقد استُقبل في المناسبتين بكل مظاهر الحفاوة والإكرام. ثم عاد بعدها إلى سوريا في أواخر سنة ١٩٤٦، بعد أن مكث ما يقارب الشهرين في كفرفاقود.

وفي العام ١٩٤٨، اندلعت المواجهات بين العرب واليهود في فلسطين، فقرّر الإسهام فيها على الرغم من تقدمه في السن. ولكن نجله متعب طلب منه البقاء في المنزل قرب عائلته، والاهتمام بشؤونها، على أن يشترك فيها نيابة عنه. ولكن فندي أصرّ على الإسهام في هذه المواجهات بنفسه، فانتقل برفقة المجاهد شكيب وهاب إلى فلسطين وأسهم في معارك عدة ضد القوات الصهيونية والبريطانية، حيث مكث ما يقارب ثلاثة أشهر عاد بعدها

إلى جبل الدروز. أما نجله متعب الذي كان جندياً في الجيش السوري يومذاك، فأسهم في جيش الإنقاذ في معارك فلسطين، ونال أوسمة عدة على تضحياته وبطولاته وخصوصاً في معارك شبعا ومُغر شبعا والدردارة وجسر بنات يعقوب والحولة، ونال كذلك ترقيتين عسكريتين(١٨).

في العام ١٩٥٣، انتقل فندي إلى لبنان، فتجوّل في معظم القرى والبلدات والمدن، متفقداً الرفاق والأصدقاء، مستعيداً ذكريات السنين الماضية. واستمر في تنقله ما بين المختارة وبيروت والمعروفية وكفرفاقود إلى أن استقرّ في بلدته كفرفاقود، بشكل نهائي في العام ١٩٥٦. وفي عام ١٩٥٧ بدأ المرض يتثاقل عليه، فأُصيب بداء السكري ثم الضغط، واستمر في المعالجة إلى أن وافته المنية في أواسط حزيران ١٩٥٨. وعلى الرغم من الأحوال السياسية والعسكرية السيئة المضطربة حيث كانت معظم الطرقات مقطوعة، ولكن ذلك لم يمنع الوفود المتقاطرة من قرى الجبل من الوصول إلى بلدة كفرفاقود للمشاركة في تشييع المجاهد الكبير إلى مثواه الأخير، يرافقه بندقيته ومسدسه وخنجره.

٢

المجاهد فهد إبراهيم فهد زيدان
١٨٨٠-١٩٥٧م

في بلدة دميت الشوف، وُلد المجاهد فهد إبراهيم زيدان عام ١٨٨٠، في بيت عُرف بالكرم والشجاعة. كان أبوه من الملاّكين الكبار، وكان من المعروفين كذلك بمعارضتهم ومقاومتهم للانتداب العثماني، وميلهم إلى التحرر والاستقلال، ومناصرتهم للقومية العربية.

في وسط هذه الأجواء شبّ وترعرع المجاهد فهد زيدان، وذاع صيته أنه من الرجال الشجعان، وصاحب ذكاء متوقد، فعمل إلى جانب والده في الأعمال الزراعية والتجارية[١٩].

وبعد أن وضع الفرنسيون يدهم على البلاد، وبدأت المناوشات ضدهم، أسهم فهد إلى جانب المجاهدين في مقاومة الانتداب الفرنسي، دون أن يعلم بذلك أبوه أو زوجته أو أقاربه.

اشترك في العام ١٩١٩ في عملية اغتيال حبيب باشا السعد[٢٠] مع مجموعة المجاهد فندي أبو ياغي زهر الدين، وقد قام بعملية الحراسة الرئيسية للقصر في عملية اقتحام المجاهدين له، وفي تغطية عملية الانسحاب وإطلاق النار على الجنود الذين تراكضوا إلى قصر حبيب السعد، يشاركه في عملية التغطية رفيقه يوسف حمندي. وبعد انكشاف العملية العسكرية من قبل السلطة الفرنسية، سارعت قوة أمنية كبيرة بالتوجّه من دير القمر وبيت الدين، إلى بلدة دميت، وقامت بتطويق البلدة وسد جميع منافذها، يعاونها بعض الجواسيس والعملاء، ولكنها لم تستطع إلقاء القبض عليه، فقامت باعتقال أهله وأقاربه، ولكنه لم يسلم نفسه، وبعد فترة تمّ إطلاق سراح أهله وأقاربه.

بعد هذه العملية، شارك رفاقه المجاهدين حياتهم الثورية، فكان يتنقل معهم في معظم أنحاء الجبل، وذهب مع قسم منهم إلى جبل الدروز، مرات عدة، ثم عاد إلى بلدته دميت، يتحاشى أعين الجواسيس، وقام بتنفيذ عمليات عدة مع رفاقه ضد الفرنسيين وأعوانهم خلال الأعوام ١٩١٩- ١٩٢٤م.

وفي العام ١٩٢٥، استطاعت القوات الفرنسية اعتقاله، بعد أن غدر به أحد أبناء بلدته. فقام الفرنسيون بإخضاعه لعمليات الجلد والتعذيب الوحشي في سجن بيت الدين، ولكنه لم يتراجع ولم يستطع الجلاّدون انتزاع الاعتراف منه، ومعرفة ما هي العمليات التي نفذها ومن شاركه في ذلك[٢١].

وبعد صدور العفو الذي أطلقه المسيو دي جوفنيل، وكّل له والده وأقاربه العديد من المحامين، فاستطاعوا تبرئة ساحته، وأُخلي سبيله.

وعلى الرغم من إطلاق سراحه، فإن أعين السلطة بقيت دائماً ترصد تحركاته، وقد اهتدى على معظم العملاء، فقام بتهديدهم واقتحام منازلهم، داعياً إيّاهم إلى صحوة الضمير، والعمل في سبيل استقلال البلاد وتحررها. وبعد عملية إطلاق سراحه، لم يقم بأي عملية عسكرية، بناء على إلحاح من والده ووالدته وزوجته، وانصرف إلى متابعة الأعمال الزراعية والتجارية إلى جانب والده وأقاربه.

وفي حادثة كفرحيم ١٩٤١، هبّ منتفضاً إلى جانب الثوار في هذه الحادثة التي انتهت بسلام، كما شارك في معركة بشامون، معركة الاستقلال في تشرين الثاني ١٩٤٣[٢٢]، ورغم تقدمه في السن، فإن نفسه الثورية وروحه الحالمة بالاستقلال والحرية، أبت عليه أن يلازم منزله، فاشترك لمدة يومين، عاد بعدها إلى بلدته.

واستمرّ في البلدة إلى جانب عائلته، يتنقل في منطقة الجبل، إلى أن توفاه الله في العام ١٩٥٧.

٣

المجاهد علي حسين أبو إسماعيل
١٨٨٨- ١٩٥٠م

وُلد في بلدة ديربابا، وكان والده من الأشداء والمالكين الكبار في البلدة. زوجته نبيهة ملحم زين الدين أبو إسماعيل، شقيقها المحامي سليم ملحم أبو إسماعيل، وشقيقتها درّة زوجة المجاهد علي يوسف طربيه.

كان المجاهد علي أبو إسماعيل من الشبّان الأقوياء في المناصف، وقد شاء القدر أن تحصل حادثة عديله مع الفرنسيين، فاضطر إلى نجدته، وقام بتجريد سبعة عسكريين من سلاحهم في ديربابا، أمام أعين عشرات المواطنين، الذين تجمهروا لرؤية مشهد جديد من نوعه. كما قامت زوجته من قبله، بانتزاع بندقية أحد العسكريين، وجنادات الذخيرة، ورمتها إلى سلمان طربيه، شقيق المجاهد علي، الذي كانت بندقيته دون ذخيرة، ولا يعلم الجنود الفرنسيون بذلك[٢٣].

بعد هذه الحادثة في نيسان ١٩١٩، فرّ إلى البراري، ريثما تهدأ الأمور، ثم عاد علي وزوجته نبيهة إلى منزلهما، وبقيا يعيشان حالة من الاستنفار الدائم، في مواجهة المداهمات المتواصلة، إلى أن كان يوماً خارج المنزل في حقله، فداهمت القوات منزله، واستطاعت اعتقال زوجته، في محاولة للضغط عليه، كي يسلم نفسه. وبعد فترة اعتقلت شقيقتها درّة.

بعد هذه الإجراءات التعسفية، اشترك مع المجاهد فندي أبو ياغي زهر الدين وعلي طربيه، ويوسف حمندي وفهد إبراهيم فهد زيدان في عملية عين تراز[٢٤] في محاولة جيدة، زرعت الرعب في قلوب الفرنسيين وأعوانهم، وتمّ على أثرها بعد فترة وجيزة، إطلاق سراح النساء من سجن عاليه.

انتقل من مجموعة فندي أبو ياغي إلى مجموعة سعيد ملاعب في

بيصور[٢٥]، واستمرّ معه حتى العام ١٩٢٣، وبعد أن استشهد المجاهد سعيد عاد علي في أواخر ١٩٢٤ إلى مجموعة فندي. وبعد صدور قرار دي جوفنيل بالعفو عن المشتركين في الأحداث وإلغاء عقوبة الإعدام، سلم نفسه للسلطة وتولى قريبه المحامي سليم أبو إسماعيل وعدد من المحامين الدفاع عنه، إلى أن استطاعوا تبرئته فعاد إلى بلدته ديربابا في عام ١٩٢٦، ليقوم بعدها بمتابعة الأعمال الزراعية والتجارية إلى أن توفي في العام ١٩٥٠.

٤

المجاهد يوسف قاسم حمندي مخيبر
١٨٩٠- ١٩٥٠م

في بلدة ديركوشيه، وُلد المجاهد يوسف حمندي مخيبر عام ١٨٩٠، في كنف والد يعمل في التجارة، ويملك مصنعاً يدوياً لصنع الفخّار في أسفل البلدة، فشبّ في بلدته، وعمل إلى جانب والده في «الفاخورة»، وقد عُرف بالشدّة والبأس في أوساط بلدته. وكان الأحب لديه أن يسهر ويتسامر مع مجموعة من الرجال الشجعان الأشداء، من أبناء منطقة المناصف، الذي كان يلتقيهم قرب النهر، أو في «الفاخورة» أحياناً[٢٦].

اشترك مع المجاهدين فندي أبو ياغي وعلي طربيه وعلي أبو إسماعيل وفهد زيدان، في عملية عين تراز، وسبق تنفيذ العملية، أنه تمّ التخطيط لها في منزله، واجتمع أفراد المجموعة ليالي أربعاً يتدارسون كيفية تنفيذها، دون أن يشعر بهم أحد. بعد تنفيذ هذه العملية، استطاعت فرنسا عبر عملائها كشف هوية المشاركين، فقام وفد من أهالي بلدة عين تراز ورشميا، بالتوجه إلى بلدة ديركوشيه، وزاروا والده قاسم محمود حمندي مخيبر، حيث كان معروفاً لديهم عبر تجارته بالفخار والمواد الزراعية. فطلب منه الوفد المسيحي، أن يقوم أهل المناصف بتشكيل وفد من الوجهاء، والقيام بزيارة حبيب باشا السعد، واستنكار الحادثة، منعاً لأي فتنة طائفية قد تطرأ، أو قد يجرّ الفرنسيون السكان إليها. وقد قام وفد من أهالي المناصف بزيارة عين تراز ولقاء حبيب باشا السعد بعد مرور عشرة أيام على الحادثة، طالبين منه وقف الإجراءات العسكرية الفرنسية ضد القرى، وقد استجاب إلى طلبهم.

بعد ذلك، تنقل يوسف مع فندي ورفاقه ما بين لبنان وسوريا، وبعد العفو الذي أصدره عن دي جوفنيل، سلم نفسه، وتمّ توكيل محامٍ للدفاع عنه،

فسجن فترة قصيرة، ثم أُطلق سراحه، فعاد إلى العمل في مهنته، واستمرّ بذلك حتى وافته المنية في شهر شباط ١٩٥٠ إثر مرض ألمّ به[٢٧].

٥

المجاهد علي يوسف طربيه
١٨٩٢- ١٩٧٣م

في بلدة ديربابا الشوف، الواقعة في منتصف منطقة المناصف، وُلد المجاهد وفيها ترعرع، في ظل أبوين لهما مكانة جيدة في البلدة والمنطقة. قصد عبيه يافعاً ودرس في المدرسة الداودية، وعاد إلى بلدته ليُعيّن شيخ صلح في البلدة رغم صغر سنه، وقد عُرف بالحزم والقوة.

انطلاقته في الجهاد

في شهر نيسان ١٩١٩ قام المجاهد سعيد ملاعب من بلدة بيصور بزيارته، وطلب منه مرافقته لتنفيذ بعض العمليات ضد الفرنسيين وأعوانهم، فاعتذر منه قائلاً له: «إنني متزوج الآن ولديّ مسؤولية ولم يمضِ بعد عشرة أيام على زواجي، إضافة إلى أنني شيخ صلح البلدة، فكيف أذهب معك؟». فقال له سعيد: «إذا لم تذهب معي الآن ستذهب غداً غصباً عنك» وانصرف ثم قصد منطقة جسر القاضي، فقطع الطريق، وصودف مرور اثنين من المكارين من بلدة دير القمر، فاستوقفهما، فلم يمتثلا، فأطلق النار عليهما، فأُصيب أحدهما، إصابة طفيفة في قدمه، فاقترب منهما وقال لهما: «أنا علي يوسف طربيه، اذهبا وبلغا ما حصل ولا تتهما أحداً فأنا المسؤول»[٣٨].

وفي اليوم التالي، كان المجاهد علي طربيه يستقبل صباحاً في دارته المسؤول المالي في الشوف ومعه نفران. كانوا جالسين في باحة المنزل الخارجية، وإذ به يتفاجأ بدورية عسكرية كبيرة، بقيادة الضابط نجيب حبيب ديب من بلدة دير القمر، وهو يعرفه حق المعرفة، فطلب منه الضابط مرافقته

إلى بيت الدين، واحتراماً له لم يضع القيود في يديه، بل أمسكه من يده وطلب مرافقته فوراً.

سأل علي الضابط عن السبب فلم يجبه، وهنا طلب من الضابط الدخول إلى المنزل لانتعال حذائه، فكلف الضابط أحد العناصر فجاء له بالحذاء، ثم فتشوا المنزل، فصادروا منه بندقية خاصة به. وأحسّ الضابط بأن علي يحاول التملص، فقال له: «أسرع إنهم بانتظاري في بيت الدين». لكن علي بادره قائلاً: «إنني أطلب منكم قبل ذهابي، إبلاغ الشيخ شريف النكدي وهو يسكن في ديربابا»، فاستجاب الضابط له، ولما وصلوا إلى أمام دارة بشير النكدي، فوجيء بالحادثة، فقال وسأل الضابط عن سبب الاعتقال؟ فقدّم الضابط طلب الإحضار إلى الشيخ بشير فقرأه بنفسه، وتطلع إلى المجاهد علي طربيه، قائلاً: «اذهب معهم»، ولكنه كان يرسل له إشارات عبر عينيه وحاجبيه بعدم الذهاب.

تنبّه علي إلى ذلك، وقال للضابط: «أريد أن آخذ معي بعض المال، وهو موجود في سروالي في داخل المنزل»، فأرسل الضابط أحد الأنفار إلى منزله، فأحست زوجتِه بالخدعة التي ينفذها زوجها، فقالت للنفر، إن سرواله لبسه أخوه سلمان، وذهب إلى الحقل، فعاد إلى الضابط وأخبره. فقال الضابط له: «نحن نؤمن لك النقود»، في هذه الأثناء تجمّع قسم كبير من أهالي البلدة، فأسرعوا إلى تقديم المال له، لكنه رفض وقال للضابط: أريد نقودي الخاصة ورؤية أخي قبل ذهابي، فاستجاب الضابط كذلك لطلبه، وذهب أحد أبناء البلدة وراء أخيه إلى الحقل فأخبره الحادثة. انطلق أخوه فوصل إلى أحد منازل أقاربه، وأخذ منه بندقية، ثم اتصل بالمجاهد علي حسين أبو إسماعيل[٢٢] وهو زوج شقيقة زوج المجاهد علي طربيه، فأخذ بندقية من أحد أقاربه بالقوة، ونزل إلى مكان الحادثة. في هذه الأثناء، كان الضابط مع عسكرييه، يسوق علي باتجاه الطريق العام للذهاب إلى بيت الدين، بعدما تأخر عليه المكلف بجلب السروال. وهنا قام سلمان وعلي حسين أبو إسماعيل بشهر السلاح على الضابط وعناصره، وحاول علي الإفلات من يد الضابط، فأمسك به جيداً، وبدأ العراك، فاستطاع علي أن يرمي الضابط أرضاً، وينتزع منه مسدسه، ويضغط على الزناد، فلم تنطلق الرصاصات بسبب فساد

حشوتها، هنا ضرب علي الضابط بالمسدس ضربات عدة على رأسه، فأسال الدم على وجهه، بينما كان أخوه وعديله يجرّدون العساكر من سلاحهم، وقامت السيدة نبيهة أبو إسماعيل بتجريد أحد العسكريين من سلاحه كذلك وهي زوجة علي أبو إسماعيل[٣٠]. فطلب الضابط من علي طربيه أن يقتله فذلك أفضل له من أن يأخذ سلاحه، وتدخّل الشيخ بشير النكدي، مطالباً بإعادة السلاح للعسكريين، وبعد إلحاح شديد، ولتجنيب البلدة أعمالاً وحشية من قِبل الجيش الفرنسي، سلّم علي العسكريين بنادقهم فارغة من الذخيرة، وأخذ مسدس الضابط، ورجعوا على أعقابهم إلى بيت الدين.

في اليوم التالي، جرد الفرنسيون حملة كبيرة توجهت إلى بلدة ديربابا، لتأديبها، ولكن علي طربيه وأخاه وعلي أبو إسماعيل وزوجاتهم، غادروا منازلهم إلى الأحراش والأدغال القريبة من البلدة يراقبون الأوضاع. وقامت الحملة بعملية تفتيش واعتقالات، ولكنها لم تستطع القبض على أي من المجاهدين. بقيت الحملة لمدة أسبوع تقريباً، عادت بعدها إلى مركزها في بيت الدين، بعد ذلك عاد المجاهدون إلى منازلهم. واستمرت أعمال الكرّ والفرّ بين السلطة وبينهم. وفي أواخر شهر آب، قامت باعتقال نبيهة أبو إسماعيل زوجة علي أبو إسماعيل وساقتها إلى سجن بيت الدين، ثم إلى سجن عالَيه، وبعد فترة اعتقلت السلطة زوجة علي طربيه (زوجته). في هذه الأثناء، كان علي طربيه وعلي أبو إسماعيل يتجولان في منطقة المناصف، ويلتقيان السكان، ويزوران المزارع حيث معظم السكان يعملون في الزراعة. فالتقيا بالمجاهد فندي أبو ياغي زهر الدين في مزرعة البحيرة في كفرفاقود، وقد أضافهما في منزله ليالي عدة، بعيداً عن أعين السلطة، إلى أن حدثت عملية «اغتيال مورنه» في يعقلين وما استتبع ذلك من أحداث، ثم قيام السلطة باعتقال النساء والشيوخ والتنكيل بهم دون رحمة وضمير، ومن جملتهم زوجة علي أبو إسماعيل، ودرة زوجة علي طربيه فقرر فندي ورفاقه مهاجمة حبيب باشا السعد وتصفيته. وبعد اشتراكه في عملية عين تراز إلى جانب رفاقه المجاهدين، انتقل معهم في تنفيذ معظم العمليات العسكرية ضد الفرنسيين وأعوانهم، واستمرّ في تجواله الدائم بعيداً عن منزله حيث حُكم عليه بالسجن لمدة عشرين عاماً بعد عملية عين تراز[٣١].

قيام الثورة في سوريا

لدى قيام الثورة في سوريا، كان إلى جانب فندي في معظم المعارك البطولية في جبل الدروز، وكان معه إلى جانب القائد فؤاد سليم في معارك الغوطة وراشيا ومجدل شمس، وفي نسف جسر الخردلي لقطع الطريق على القوات الفرنسية[٣٢]. واستمرّ في النضال والمشاركة في الثورة إلى أن شارفت على النهاية، فعاد مع فندي إلى لبنان، مشاركاً معه في العلميات ضد الفرنسيين، وغادرا معاً إلى جبل الدروز ومنه إلى الأردن.

انتقل علي من الأردن مع الأمير عادل أرسلان إلى الحجاز، ثم عاد إلى مصر، بعد ذلك، أرسل والده بطلبه، فجاء إلى فلسطين ومنها إلى لبنان، حيث سلم نفسه للسلطة، وكلف والده أحد المحامين الفرنسيين وبعض المحامين اللبنانيين، ودفع أموالاً طائلة، وبرّأته المحكمة من كل التهم الموجهة له ولم يمكث إلا فترة وجيزة في السجن، أُطلق بعدها سراحه، وعاد إلى بلدته يعمل في الزراعة والتجارة، وكان مثال الرجل العادل النزيه الكريم، والمصلح الاجتماعي في بلدته، حيث عاش حياة عادية طبيعية إلى أن توفاه الله في العام ١٩٧٣م في بلدته ديربابا[٣٣].

٦

المجاهد حسين علي شبلي ضو
١٨٩٥- ١٩٥٠م

وُلد في بلدة بشتفين – الشوف، وفي مطلع شبابه عمل في الزراعة، ثم انتقل إلى العمل في مصنع للفخار في أسفل بلدة ديركوشيه، حيث توطدت صداقته مع المجاهد يوسف حمندي(٣٤). بعد ذلك، تعرّف على المجاهد فندي أبو ياغي ومجموعته في عام ١٩١٩، واشتهر عنه كتمانه للسر، وصمته المطبق، إذ كان يقوم بتأمين الطعام للثوار، وخصوصاً بعد حادثة عين تراز، فكان يحمل الزوادة والمؤن من بلدة ديركوشيه إلى «مغارة العبد» في أسفل كفرفاقود حيث كان يتواجد المجاهدون. كذلك، كان ينتقل أحياناً إلى مغارة في سفح بلدة مجدليا، تقع في أسفل بلدة بيصور، فيقوم بتأمين الطعام والذخيرة لهم. فكان مجاهداً صامتاً صبوراً، شهد له الثوار.

وعلى الرغم من شدة المراقبة التي فرضتها السلطة المنتدبة وأعوانها، فلم تستطع تلك المراقبة أن تلحظه، واستمرّ طوال خمس سنوات يقوم بهذه المهمة السريّة الكبيرة بعزم لا يلين.

وبعد نشوب ثورة ١٩٢٥، انتقل إلى سوريا وأسهم في معظم معاركها(٣٥)، ثم سكن في السويداء، بعد ذلك انتقل إلى سهوة الخُضر ثم الكفر. بعدها، عاد إلى لبنان، وانتقل من بلدة بشتفين إلى مدينة عالَيه، وعمل في ميدان التجارة، واستمرّ في عالَيه حتى وفاته.

٧

المجاهد حمد دعيبس صبح
١٨٩٦-١٩٢٧م

وُلد المجاهد حمد دعيبس صبح في بلدة مجدليا، والده دعيبس عز الدين صبح، وقد عُرف حمد منذ صباه بالقوة والشراسة. شبّ في منزل وضيع متسامح، وقد صادق منذ أيام الصبا رفيق دربه وجهاده مطر سليم مطر. فكانا يقضيان معظم أوقاتهما سوياً، وقد أحب مطر في حمد رجولته وإقدامه ومواقفه الشريفة، إلى أن حدث ما لم يكن بالحسبان، حيث قُتل محمد مطر شقيق مطر، فوقف حمد إلى جانبه في هذا المصاب، واستمر معه، يتحريان عن المسبب الحقيقي، حتى تمكنا من قتله، وقامت السلطة الفرنسية بمطاردتهما[٣٦].

قامت السلطة باعتقال أهله وأقاربه، إمعاناً في الضغط كي يسلم نفسه، ولكنه لم يستسلم، وتابع مسيرته الكفاحية، حيث اشترك مع المجاهد فندي أبو ياغي ورفاقه في العديد من العمليات العسكرية، التي أقضّت مضاجع الفرنسيين وأعوانهم. لقد اشترك إلى جانب فندي أبو ياغي في معارك الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥-١٩٢٦م، وكان مثال المجاهد الشريف المقدام، حيث اشترك في معارك الجبل والغوطة وفي معارك الإقليم، وانتقل بعدها إلى لبنان، متنقلاً ما بين المتن وعاليه والشوف والبقاع، كما تردد مرات عدة إلى السويداء وبلدة رساس مكان إقامة فندي أبو ياغي.

وفي نهاية العام ١٩٢٦ إشترك في عملية عانوت[٣٧]، حيث قُتل الباشجاويش سعيد عبد الساتر، كما نفذ قتل الأونباشي مهنا إبراهيم ريمان في بيصور في تموز ١٩٢٧[٣٨]، هذا النفر الذي أقسم أنه سيجلب رأس حمد ومطر وفندي إلى بيت الدين، أملاً في أن ترفع السلطة المنتدبة شأنه، وتُغدق

عليه المكافآت، ولكنه لم يعد إلى بيت الدين، فعاد محمولاً إلى بلدته معاصر الشوف في نعش فرنسي.

وخلال فترة الثورة السورية وقبلها، قام حمد بتنفيذ العديد من العمليات ضد السلطة الفرنسية وأعوانها، في الدامور وظهر البيدر، وعالَيه والشوف دون أن يُصاب بأذى، وقد شهد له رفاقه بالقوة والبسالة في مواجهة الأعداء والاقتصاص منهم.

استشهاده

استشهد في ١٣ آب ١٩٢٧في بلدة المجيدل مع المجاهدين مطر سليم مطر وأمين محمود مطر، دون أن يستطيع اللحاق بالثوار في شرق الأردن.

٨

المجاهد مطر سليم مطر
١٩٠٠ - ١٩٢٧م

وُلد المجاهد مطر سليم مطر في بلدة مجدليا - قضاء عالَيه، في بيت عزّ وجاه، إذ كان أبوه يملك عشرات الدونمات من الأراضي، وهو فارس مقدام، كان منزله في البلدة محطّاً للزائرين المتنقلين بين قضاء الشوف وعالَيه، حيث كانت ثلاث خادمات يقمن بالعمل المتواصل يومياً خدمة للضيوف. ولسليم ولدان هما: مطر ومحمد.

تزوّج ابنه البكر محمد الذي يكبر مطر بخمس سنوات من أبريزا يوسف علي حماده من بلدة بعقلين، ثم تزوّج أخوه مطر شقيقتها ريما حماده، وأنجب منها فتاة لم تعش إلا سنة واحدة[٣٩].

بدء انطلاقته النضالية

بعد حادثة عين تراز في ٦ تشرين الأول ١٩١٩، ومطاردة الفرنسيين للمجاهد فندي أبو ياغي زهر الدين ورفاقه، راح فندي يتجوّل في القرى متخفّياً عن أعين السلطة، وقام مع رفاق له في مجموعته وآخرين من مجموعات مجاهدة، بزيارة منزل سليم مطر ليلاً مرات عدة، حيث كان يقدّم لهم الطعام ويؤمن لهم بعض الذخيرة الحربية، وكان سليم مطر من أنصار الأمير عادل أرسلان والخط العربي.

في أواخر العام ١٩٢٢، حصل خلاف عائلي داخلي، فقُتل محمد سليم مطر ولم تهتم القوى الأمنية كثيراً لهذه الحادثة كما يجب، فصمم مطر على أخذ الثأر.

في هذه الأثناء قام فندي أبو ياغي بزيارة سليم مطر للقيام بواجب التعزية،

ووضع نفسه في خدمة ما يُطلب منه، فطلب منه مطر أن يساعده في الأخذ بثأر أخيه، والاقتصاص من المجرم الحقيقي الذي نفذ العملية.

وفي الخامس والعشرين من تشرين الأول ١٩٢٣، قام مطر سليم مطر وحمد دعيبس صبح من بلدة مجدليا وفندي أبو ياغي بقتل علي إبراهيم مطر في خراج بلدة مجدليا. على أثر هذه الحادثة تحركت قوة فرنسية كبيرة إلى مجدليا، ولكنها لم تتمكن من القبض على أي مجاهد، حيث غادروا إلى خارج المنطقة.

وقد ذكرت جريدة لسان الحال ما يلي[٤٠]: «وردتنا رسالة من مجدليا الشوف، تُفيد أن فيها أحزاباً تتطاحن على مشيخة الصلح، وقد قُتل أحدهم في العام الفائت بسبب هذا التطاحن، ومؤخراً حدث أنه بينما كان علي إبراهيم مطر من القرية المذكورة يصحبه ملحم حمد من... (اسم المكان ناقص في الأصل) ورجل آخر مسيحي، تعرّض لهم ثلاثة في مكان يُدعى «بركة شطره»، قرب بيصور، فأطلقوا النار على علي إبراهيم فقتلوه، وبعد أن وقع يتخبط بدمه، اقترب أحد الجناة منه، وأطلق رصاصة مسدس عليه، وتهددوا رفيقيه بالقتل إذا اعترفا بما جرى وفرّوا.

وعلى أثر ذلك، توجّه إلى محل الحادثة مدير الغرب الجنوبي إبراهيم بك تلحوق، وقومندان طاقم عالَيه الملازم سليم أفندي البستاني، وقاما بالتحقيقات، فتبيّن أن السبب الذي دعا إلى القتل، إنما هو الخلاف على المشيخة».

وقالت جريدة لسان الحال[٤١]: «فرض الحاكم العسكري ثلاثة آلاف ليرة سورية على المتهمين بقتل علي مطر من مجدليا». وسبق للمجاهد مطر سليم مطر قبل تنفيذ هذه العملية، أن اشترك مع فندي أبو ياغي ومعه أمين محمود مطر وحمد دعيبس صبح في عمليات عدة ضد الفرنسيين وأعوانهم في الشوف وعالَيه والبقاع.

في شهر تشرين الثاني في العام ١٩٢٣، وبعد هذه الحادثة، جاء سعيد عبد الساتر إلى بلدة مجدليا ومعه أكثر من عشرين نفراً، ونزلوا في دار سليم مطر، فأساؤوا التصرّف، حيث حاولوا تكسير أبواب المنزل، فوقفت بوجههم أمينة ملحم مطر شقيقة سليم مطر، وانتزعت بندقية أحد الجنود وضربته بها،

فتجمهر العسكر عليها، وأرادوا اعتقالها، ولكن مختار البلدة وهبه مطر، تدخّل بحزم ومنعهم من أخذ أمينة مطر، وهدد سعيد عبد الساتر بقوله له: «إذا أصرّيتم على اعتقالها، فلن ينجو أحد منكم بحياته». فتركها العسكر، وبقي في المنزل لمدة أكثر من أسبوعين، وقاموا بتخريب معظم أثاثه، ونهبوا الأواني النحاسية، ثم عثروا على كمية من الليرات الذهبية فصادروها بحجة تسديد الغرامة المفروضة. واستمرّت أعمال المداهمات لاعتقال مطر سليم مطر ورفاقه. وقد قام سليم مطر ببيع قسم كبير من أملاكه بسعر زهيد، لكي يستطيع القيام بأكلاف العسكر وخيولهم في كل مرة ينزلون داره.

بعد ذلك، قامت أبريزا مطر، بزيارة لأهلها في بلدة بعقلين، وأخبرتهم ما يقوم به سعيد عبد الساتر من أعمال سيئة، فاتصل آل حماده بالحاكم العسكري في الشوف، وسُحب سعيد إلى الشوف. ومن بعقلين، انطلقت أبريزا حماده مطر إلى المختارة، قاصدة السيدة نظيرة جنبلاط، وحصل تلاسن بين السيدتين، وطلبت أبريزا منها أن تكف عن التدخّل في موضوع مجدليا، ولا تنحاز للطرف المناوئ لزوجها سليم مطر.

وفي أواخر العام ١٩٢٤، تدخلت السيدة نظيرة جنبلاط لدى العديد من وجهاء قطاع الغرب والشحار، طالبة منهم أن يقوم مطر سليم مطر بزيارتها، وهي ستحل مشكلته مع الفرنسيين، شرط أن يتوقف عن القيام بالأعمال العسكرية ضدهم. وبعد محاولات عدة، قام مطر سليم مطر بزيارة قصر المختارة، على أمل أن تنتهي مشكلته ويعود إلى العيش بسلام وراحة بال، ولكنه لم يكد يصل إلى قصر المختارة، حتى فوجئ بكمين كبير منصوب له على الطريق، فتمّ اعتقاله وسيق مخفوراً إلى بيروت وأودع سجن الرمل. وفي السجن وُضعت الأغلال في قدميه ويديه وحول رقبته، نظراً لقوة عضلاته الكبيرة، وخوفاً من أن يهرب من السجن.

وفي أحد الأيام، قامت أبريزا مطر زوجة المرحوم أخيه محمد لزيارته في السجن، حاملة إليه الثياب والطعام. ولدى وصولها إلى السجن، كان أحد حراسه من بلدة رمحالا، فسألها: «ماذا تريدين؟» فقالت له: «إنني أحمل هذه الأغراض إلى مطر مطر». فقال لها: «اذهبي من هنا وإلاّ طعنتك بالسكين حالا»، إضافة إلى شتمها بكلام بذيء. سمع مطر مطر وهو داخل

السجن ماذا يقول الحارس. فانتفض داخل غرفته واستطاع قطع الأغلال وخلع الباب الحديدي، وخرج من السجن، واقترب من الحارس الذي أهان زوجة شقيقه فقتله وانتزع بندقيته، ثم اشتبك مع قسم من الحراس وقتل اثنين منهم واستطاع الهرب.

انتقل من بيروت إلى مجدليا سيراً على الأقدام، ينام نهاراً ويسير ليلاً متخفياً عن أعين السلطة، وفي هذا الوقت سبقته زوجة المرحوم أخيه، وأخبرت الأهل في مجدليا، فوصل الخبر إلى رفاقه، فانتظروه في مغارة في سفح مجدليا كانوا يتامون فيها، ولم يمضِ وقت قصير حتى أقبل عليهم، وانطلقوا منها إلى الجاهلية ثم إلى بعقلين، إلى منزل يوسف علي حماده في بعقلين، طلب مطر من رفاقه الاستئذان لأنه سيقوم بمهمة قصيرة وسيعود، ولكن رفاقه رفضوا أن يذهب بمفرده، وبعد إلحاح، أخبرهم أنه سيذهب إلى المختارة لمقابلة السيدة نظيرة جنبلاط. انطلق بمفرده وتبعه رفاقه سراً وخفية عنه، فوصل إلى قصر المختارة، فتفاجأت بقدومه السيدة نظيرة قائلة له: «شو جايي تصفي حسابك معي، أنا بعرفك رجّال». وهنا تراجع مطر مطر، طالباً منها الكف عن التعاون مع الفرنسيين، ومضايقة الثوار في الجبل، وقال لها: «إنه لا يريد التصرف معها بسوء لأنها امرأة.»

في الثورة السورية

وما إن بدأت الثورة في سوريا، حتى هبّ مطر مطر إلى جانب رفاقه للمشاركة في المعارك، فخاض معظم المواقع في السويداء والغوطة وراشيا إلى جانب فندي أبو ياغي، وأحياناً كان مع شكيب وهاب. وكان مثال المقاتل الباسل المغوار، كان له في المعارك الكبيرة صولات وجولات. ووقف في معارك عدة إلى جانب الأمير عادل أرسلان الذي أُعجب بقوة زنده وبرجولته، وأبقاه مرات عدة إلى جانبه لمرافقته في جبل الدروز. وعند انكفاء الثورة عاد إلى لبنان، يثير المتاعب في وجه الفرنسيين، ويتنقل ما بين سوريا ولبنان دائماً. وفي أوائل كانون الثاني ١٩٢٧م، اشترك في عملية عانوت في مجموعة فندي أبو ياغي حيث قُتل سعيد عبد الساتر فارتاح الناس منه[٤٢].

رفاقه المجاهدون

كان مطر في مجموعة فندي أبو ياغي في معظم الأحيان، واشترك في هذه المجموعة أمين محمود مطر وأمين يوسف ضاهر مطر وحمد دعيبس صبح وهم من بلدته مجدليا. كما شاركه علي أبو هنا من عين داره وسعيد جاطوم من كفرسلوان. كما كانت هذه المجموعة تجتمع مرات عدة في سفح مجدليا، ويشترك معهم شكيب وهاب من غريفة، وسعيد ملاعب من بيصور. ويظهر أن هناك تنسيقاً في العمليات بين مجموعة شكيب وهاب وسعيد ملاعب وفندي أبو ياغي. إضافة إلى أنهم كانوا يلتقون مع مجموعة طليع وفندي الأحمدية من بلدة شارون.

استشهاده

قامت السلطة الفرنسية وأعوانها بمطاردة مجموعة فندي أبو ياغي بعد حادثة عانوت، وعلى الرغم من كل الجواسيس والحواجز، استطاعت المجموعة الإفلات، وبقيت تطارد المستعمر وأعوانه امتداداً من البقاع وحتى الجنوب وصولاً إلى أعالي المتن، مروراً بالشوف وعاليه. وجاءت حادثة بيصور في شهر تموز ١٩٢٧ حيث قُتل الأونباشي مهنا إبراهيم ريمان[٤٣] من معاصر الشوف على يد هذه المجموعة، فبذلت السلطة جهوداً كبيرة لاعتقالها أو تصفيتها. وقد طلب فندي أبو ياغي من مطر وأمين وحمد صبح مرافقته إلى شرق الأردن، ولكنهم أبلغوه أنهم سيذهبون إلى فلسطين أولاً ثم ينطلقون نحو النبك ويلتقون هناك. فافترق الرفقاء بعد هذه الحادثة. وفي هذه الأثناء كانت الأعين تراقب تحركات المجموعة، واستطاعت رصدها في تنقلها ما بين مجدليا والجنوب، ولدى وصولهم إلى قرية المجيدل التابعة لمحافظة الجنوب، ودخولهم أحد البيوت التي كانوا يضيفون فيها، قامت ربة المنزل بوضع الطعام لهم ودسّت فيه السم، وانسلّت تخبر الفرنسيين بوجودهم. فجاءت القوة الفرنسية من صيدا، وطوقت المنزل وحصل الاشتباك بين الطرفين، حيث كان الثلاثة في حالة يُرثى لها، نتيجة تغلغل السم في أجسادهم، فلم يستطيعوا المقاومة، وقد استشهدوا سوية في هذه المواجهة، وتمّ نقل جثثهم إلى بيت الدين ومن ثم إلى مدفن في بلدة بعقلين.

وحول استشهاد مطر ورفاقه، أوردت جريدة البشير الخبر الملفق التالي[٤٤]: «مقتل ثلاثة أشقياء: في برقيات الحكومة أن ثلاثة من رجال العصابات الفارين من وجه الحكومة وهم حمد دعيبس ومطر سليم مطر من مجدليا وأمين ملحم بشير من البنيه المتهمين بالشقاوة وقتل الأونباشي مهنا إبراهيم من المعاصر والباشجاويش سعيد عبد الساتر من مزرعة الشوف، جاؤوا إلى قرية المجيدل التابعة لمحافظة صيدا، وقبل دخولهم إليها شاهدوا راعي ماعز منها يدعى جميل سعد عمره ٣١ سنة، فأطلقوا عليه النار فجرحوه في فخذه، واتصل الخبر بأهالي القرية، فلحقوا بالأشقياء الثلاثة وتبادلوا معهم إطلاق الرصاص، فقتلوهم واحداً بعد الآخر، وأبلغوا الحادث إلى الحكومة، فأصدرت أمرها بنقل جثثهم إلى بيت الدين وتشريحها حسب الأصول، ثم جرى عرضها على الأهلين طيلة النهار، وعند المساء أُمر بنقلها ضمن نعش إلى بعقلين حيث دُفنت بخفارة قوة من الدرك، وهكذا انتهى الأمر بمصرع هؤلاء الأشقياء وارتاح الناس من شرورهم وتعدياتهم».

هنا يظهر تلفيق الأخبار التي أرادت السلطة الفرنسية بثها، وإيهام الرأي العام أن المواطنين يواجهون الأشقياء بدافع الحرص على الأمن، وأنها تبارك هذه الخطوة. وقد أوردت الصحيفة خطأً في تسمية «أمين ملحم بشير من البنيه» والصحيح أن المجاهد الثالث هو: أمين محمود مطر من مجدليا وليس كما تدّعي الصحيفة.

ورغم استشهاد المجاهدين الثلاثة، ودفنهم في بعقلين، لم تسمح السلطة الفرنسية بنقل رفاتهم إلى بلدتهم مجدليا، نتيجة الحقد والكراهية لكل مَن يقف في وجه الانتداب وعملائه ويقاومهم. ولكن الإجراءات الأمنية التعسفية الفرنسية لم تحل دون إجراء مأتم لائق للمجاهدين في بلدة مجدليا، حيث جاءت الوفود من مختلف قرى الجبل للتعزية بالأبطال الشهداء[٤٥].

٩

المجاهد علي أبو هنا
١٩٠٠-١٩٢٧م

وُلد المجاهد الشاب علي أبو هنا في عين داره، وقد عرف اليُتم باكراً، مات والده وهو لم يتجاوز الخامسة من عمره، فقامت والدته على تربيته مع أخت له، ثم ما لبثت بعد مدة أن أصابها القدر ولم يكن علي تجاوز الثمانية عشر ربيعاً. فقام بمهام العائلة يعمل بجد من أجل تأمين لقمة العيش له ولأخته[٤٦].

في العام ١٩٢٣، طرقت مجموعة من المجاهدين باب منزله، مساء أحد الأيام الباردة في الشتاء، فأكرم وفادتهم، وقام بتأمين الطعام لهم. وقد انشغف هذا الفتى بهؤلاء الرجال الأشداء، بعدما حدّثوه عن أعمالهم ودورهم في مناهضة الاستعمار وخلال زيارة ثانية، عرّفوه بأنفسهم، وكانوا مجموعة فندي أبو ياغي، فاهتم بتأمين الطعام لهم، وطلب مرافقتهم، فرفضوا وطلبوا منه الاهتمام بأخته وتأمين الزاد لهم إذا أمكن بعدما أطلعوه على بعض أماكن تواجدهم.

في هذه الفترة، بدأ يُرسل لهم الطعام سراً، أحياناً يقوم بنفسه بهذه المهمة، ومرات عدة يُرسل شقيقته لتمويه العمل عن أعين الفرنسيين وجواسيسهم. وما إن اندلعت الثورة السورية الكبرى، انتقل إلى السويداء، بعد أن أمّن متطلبات أخته المعيشية، وأسهم في معظم معارك الثورة[٤٧]، إلى جانب مجموعة فندي أبو ياغي ورفاقه، وكان يردّد سراً إلى عين داره، حيث افتضح أمر مشاركته في الثورة ضد الفرنسيين، وأصبح في عداد المطلوبين للعدالة.

وفي نهاية عام ١٩٢٦ شارك بعملية عانوت، وأبلى فيها البلاء الحسن، وبقي حوالي الأشهر العشرة يتنقل في أنحاء الجبل، زارعاً الرعب في قلوب الفرنسيين وعملائهم مع رفاقه الثوار منفذين مهمات عدة ضد تواجدهم.

استشهاده

لم يذهب المجاهد علي إلى شرق الأردن مع المجاهدين النازحين إلى هناك، بل آثر البقاء في بلده، إلى جانب أخته وأقاربه، مع العلم أن السلطة كانت تطارده وتراقبه. وشاء القدر أن يأتي صباح الأحد في السادس من تشرين الثاني ١٩٢٧ إلى بلدة عين داره فجراً، ويدخل سراً إلى منزله، حيث كانت أخته بانتظاره.

لم تخرج أخته إلى البلدة، بل بقيت في المنزل تهتم بشؤون أخيها، وقد لفت بقاءها في المنزل أعين المراقبين المعاونين للسلطة، فقام أحد العملاء بإبلاغ الفرنسيين، وعلى الفور توجهت قوة كبيرة طوّقت المنزل. في هذه الأثناء، خرجت من المنزل، فتفاجأت بالعسكر يحيط بالمنزل ومعهم مختار البلدة الشيخ سليمان عطا الله وبعض الأهالي، فأسرعت إلى داخل المنزل وأخبرت شقيقها علي بالأمر.

اقترب علي من النافذة فشاهد المختار والعسكريين، فقام بإطلاق الرصاص على القوة العسكرية، فقُتل المختار في هذا الاشتباك. واستمرت المعركة بين علي والعسكريين ومَن معهم زهاء الساعتين، فقتل كذلك محمد عباس عطا الله وأحد العسكريين، واستبسل علي في التصدي، وما إن أوشكت ذخيرته على النفاذ، حتى قام بصب الكاز على أحد فرش المنزل وطلب من أخته أن تتمدد عليها، ففعلت، فقام بإطلاق النار عليها، ثم قام بإحراقها، كي لا يدنسها الفرنسيون وعملاؤهم، ثم قام بعد ذلك، بإطلاق رصاصة على رأسه، رافضاً تسليم نفسه للفرنسيين(٤٨).

وبذلك تكون قد انتهت مسيرة أحد المجاهدين الأبطال وهو في ريعان الشباب، مفضلاً الانتحار على الركوع للمستعمر وأعوانه.

أما حادثة استشهاد المجاهد علي أبو هنا فقد لفقتها جريد السلطة لسان الحال كما يلي: «مصرع الشقي علي بو هنا في عين داره(٤٩):

مختار القرية وشخص آخر يُقتلان في أثناء الحصار.

اتصل بحاكم الشوف العسكري صباح أول من أمس أن الشقي علي بو هنا المتهم باشتراكه مع عصابة علي الجردي بقتل الشرطي نقولا على طريق خلده، وباشتراكه مع عصابة فندي أبو ياغي بحادثة مصرع الباشجاويش سعيد عبد الساتر، لاجىء إلى منزل الشيخ محمد عباس عطا الله في عين

داره. فأوفد حالاً نور الدين أفندي الرفاعي على رأس قوة من فرسان الدرك لإلقاء القبض عليه، فلما وصلت هذه القوة إلى عين داره، اصطحبت معها مختار القرية سليمان عطا الله إلى البيت الذي قيل إن الشقي مختبئ فيه. ولدى وصول القوة أمام البيت، أحاط رجالها به من كل الجهات، ودخل إليه الضابط والمختار وإثنان من الدرك، وشرعوا يفتشون عن الشقي من غرفة إلى غرفة، فلم يقعوا له على أثر، فخطر لهم أن يفتشوا في قبو سفلي يختزن فيه التبن والحطب، فنزلوا إليه يتقدمهم المختار، وهو حامل مصباحاً، وأخذ المختار يفتش بنفسه بين أكداس الحطب، فأبصر الشقي مختبئاً وراءها. فقبض عليه من عنقه وطلب إليه الاستسلام، فما كان من الشقي إلا أن شهر مسدسه، وشرع يقذف الرصاص من الوجهة التي كان الضابط والدركيان فيها، ليمنعهم من الوصول إليه، ومساعدة المختار على اعتقاله، فبادلوه هم الرصاص أيضاً، فأصابت رصاصة يد المختار، فأفلت الشقي وسقط المصباح من يده، فانطفأ وبات القوم في ظلام دامس.

فأسرع الضابط والجنديان إلى خارج القبو، وأخذوا يبادلون الشقي الذي ظل في الداخل الرصاص، ودامت الحال على هذا المنوال زهاء ساعة ونصف، فأسفر الأمر في الأخير عن مصرع الشقي، ومقتل المختار الشيخ سليمان عطا الله، وصاحب المنزل الشيخ محمد عباس عطا الله.

ولما إتصل نبأ هذا الحادث برجال الحكومة، سيّرت قيادة الدرك العامة في بيروت قوة من رجالها، بقيادة ضابط إلى عين داره، واتصل الخبر بجورج بك ثابت وزير الداخلية، وهو في مصيفه في صوفر، فأسرع إلى عين داره، ووافاه أيضاً الكولونيل بوفان مفتش الدرك العام وباشروا التحقيقات. وينتظر أن تحوّل الحكومة أوراق هذه الدعوى إلى المجلس العدلي المختلط»[٥٠].

١٠

المجاهد بشير سعيد جعفر
١٩٠٠- ١٩٦٥م

وُلد المجاهد في بلدة بشتفين – الشوف، في أسرة فلاحية، تتعاطى أعمال الزراعة. وفي أثناء الحرب العالمية الأولى، انتقلت الأسرة إلى سوريا، إلى مدينة السويداء في العام ١٩١٥ بعدما ضاقت أحوال المعيشة في البلاد، وعمّت المجاعة، وقد استمرت أسرته في سوريا حتى العام ١٩١٩[٥١].

وفي السويداء، تعرّف بشير على مجموعة كبيرة من المجاهدين الأبطال، الذين أسهموا في الثورة العربية إلى جانب الشريف حسين، وتحرير البلاد العربية من الاستعمار العثماني، والتقى بسلطان باشا الأطرش وحمد البربور وغيرهم من قادة الثورة.

وفي منتصف ١٩١٩، عادت الأسرة إلى لبنان، فعاد بشير وأخوه محمد إلى ممارسة الأعمال الزراعية والتجارية. وفي هذه الأثناء، كانت المواجهات تندلع بين المجاهدين من جهة والفرنسيين من جهة ثانية في الجبل والبقاع، فاستهوته المواجهات ضد المستعمرين، وانجذب بكل أحاسيسه ومشاعره إلى مواكبة المجاهدين، فلم تمضِ فترة وجيزة حتى اتصل بالمجاهد محمود الرفاعة نصر وهاني الدلغان وحسن ثابت وأحمد هاني وفندي أبو ياغي، وأسهم معهم في عمليات عدة ضد الفرنسيين وأعوانهم، وقد شارك مع مجموعة فندي أبو ياغي زهر الدين، في عمليات في الشوف والبقاع والساحل ضد الدوريات الفرنسية ومراكزها في تلك المناطق[٥٢].

علمت السلطة بتحركاته فقامت بتطويق منزله مرات عدة، ولكنها فشلت في اعتقاله، وكان مع المجاهدين ينتقل من مجدليا إلى نهر الحمام (في بعقلين) إلى بعذران، إلى الباروك والبقاع.

وما إن اندلعت نار الثورة في السويداء، حتى أسرع لنجدة الثوار مع عشرات المجاهدين، إلى جانب الأمير عادل أرسلان وسلطان باشا الأطرش، فاشترك في معظم معارك الثورة، المزرعة، المسيفرة رساس والغوطة، وراشيا واللجاه. وقد نوّه سلطان باشا الأطرش في مذكراته ببطولات بشير جعفر وسواه في أكثر من معركة[٥٢].

والجدير بالذكر، أنه أُصيب في معركة المسيفرة، وبُترت ساقه اليمنى، ولكن ذلك لم يمنعه من متابعة القتال والتصدي للفرنسيين.

وبعد انتهاء الثورة، ذهب مع المجاهدين إلى شرق الأردن، واستمر معهم في المنفى حتى العام ١٩٣٧، فعاد إلى سوريا، وسكن في مدينة السويداء، لكنه لم يمكث طويلاً، فعاد إلى مسقط رأسه بلدة بشتفين، حيث أسس متجراً صغيراً يعتاش منه، واستمر في هذه الحالة حتى وفاته.

١١

المجاهد قاسم حسين زهر الدين
١٩٠٢-١٩٦٠م

وُلد قاسم حسين زهر الدين في بلدة كفرفاقود الشوفية، في أسرة فلاّحية، تسعى إلى كسب العيش بعرق الجبين، في صراع مع الطبيعة، وتشبث بالأرض لا يتزحزح، إلى جانب أشقاء ثلاثة هم أمين وفؤاد ومحمد[٥٤].

جهاده العسكري

مع بدء الانتداب الفرنسي، وقيام المواجهة القومية على امتداد الساحة اللبنانية - السورية له، وما تلاها من إجراءات قمعية قام بها رجال السلطة الفرنسية وأعوانهم في الجبل، وخصوصاً بعد محاولة اغتيال حبيب باشا السعد رئيس مجلس إدارة جبل لبنان، وأحداث مزرعة الشوف، هبّ المجاهد قاسم زهر الدين للدفاع عن الحق الوطني والقومي والكرامة والإنسانية، فانتقل من بلدته إلى جبل الدروز، ووصل إلى مضافة يوسف زهر الدين في السويداء (جبل الدروز)، حيث التقى هناك بالمجاهد القائد شكيب وهاب[٥٥]، في حضور عدد من رفاقه الثوار المجاهدين ومنهم فندي أبو ياغي زهر الدين وحمد صعب. لم يكن قاسم في تلك الأثناء في عمر يتجاوز العشرين ربيعاً، فقام برفقة المجاهد شكيب وهاب بتنفيذ عدد من العمليات ضد الفرنسيين، ومن ثم انتقل معه إلى شرق الأردن، حيث كان شكيب يتنقل ما بين السويداء وإمارة شرق الأردن، وعلى اتصال مع الأمير عادل أرسلان والشهيد القائد فؤاد سليم، ورشيد بك طليع، رئيس الوزراء يومذاك.

وفي خلال أعوام ١٩٢١- ١٩٢٥، اشترك قاسم مع المجاهد فندي أبو ياغي زهر الدين قريبه وابن بلدته، إضافة إلى مجموعته، بتنفيذ عدد من

العمليات العسكرية في منطقة جبل لبنان، ضد القوات الفرنسية وأعوانها، حيث أعيت هذه المجموعة القوات الفرنسية، بالتنسيق مع مجموعات ثورية مجاهدة وأهمها مجموعة حسن ثابت ومجموعة أحمد هاني ومجموعة فندي وظليع الأحمدية.

وما إن بدأت الثورة السورية الكبرى في عام ١٩٢٥ بقيادة سلطان باشا الأطرش، حتى نهض المجاهد قاسم إلى جانب رفاقه في خوض المعارك البطولية، ضد المستعمر الفرنسي، امتداداً من جبل الدروز وحتى وادي التيم والبقاع. فاشترك المجاهد قاسم إلى جانب فندي وشكيب وهاب والأمير عادل أرسلان، في حملة الإقليم، وإلى جانب الأمير في معارك اللجاه الأخيرة، حيث عبّر الأمير مرات عدة في مضافته، عن بطولة أبو عادل قاسم في ساحات الجهاد وشجاعته. بعد انتهاء الثورة السورية في منتصف العام ١٩٢٧، انتقل أبو عادل قاسم زهر الدين مع المجاهدين إلى وادي السرحان والنبك، حيث تعرّض مثل رفاقه إلى مرارة العيش وأهوال الصحراء. وينقل أبو عادل أن رفاقه الدائمين وخصوصاً في المنفى كانوا: فندي أبو ياغي زهر الدين، وحمد صعب، وسعيد أبو تين، وملحم سلوم، ورشيد وخليل رضي الدين وغيرهم من المجاهدين[٥٦].

جهاده في فلسطين

اندلعت المواجهات العنيفة في فلسطين، فانطلق أبو عادل ليشارك في معركة قومية ثانية ضد الانتداب الإنكليزي والعصابات الصهيونية في الأراضي المقدسة، فكان من رفاقه المجاهدون الكبار وهم: القائد فوزي القاوقجي، فندي أبو ياغي زهر الدين، سعيد أبو تين، صالح العسل، إسماعيل عبد الحق، خليل ورشيد رضي الدين، حسين محاسن، حمد صعب وغيرهم من المجاهدين الذين غادروا الصحراء وجاؤوا للالتحاق بالثورة في فلسطين[٥٧].

وفي فلسطين، التقى مع المجاهد الكبير الشيخ عز الدين القسّام، واشترك إلى جانبه في مواجهات بطولية عدة، إضافة إلى اشتراكه مع القائد القاوقجي، وكان معهم الشهيد المجاهد ملحم سلوم[٥٨] من بلدة بعقلين، الذي استشهد

على أرض فلسطين، في معركة بطولية، استبسل فيها المجاهدون، وسقط شيخ المجاهدين عز الدين القسّام إلى جانبه في تلك المواجهة البطولية.

عودته إلى سوريا

بعد صدور قرار العفو في العام ١٩٣٧، وعودة المجاهدين إلى سوريا، جاء أبو عادل مع رفاقه إلى سوريا، ونزل في مضافة الشيخ أبو سليمان يوسف زهر الدين في السويداء، ليلتقي بمجموعة من المجاهدين. وفي هذه الأثناء كان يقوم بزيارة لبنان سراً، ولا ينام ليلة واحدة في منزله، خوفاً من عيون السلطة التي كانت تراقب منزله ومنزل المجاهد فندي أبو ياغي في كفرفاقود.

كانت العلاقة بين القائد فوزي القاوقجي والمجاهد الكبير علاقة أخوة وجهاد، فكان القاوقجي يطلب منه مرافقته في المهمات الكبيرة والخطيرة، وفي بدء ثورة العراق، أرسل القاوقجي رسولاً إلى السويداء، يطلب من أبو عادل قاسم مرافقته إلى العراق، فلم يتوان هذا عن تلبية النداء، فروح الثورة تختلج في عروقه، هاجسه تحرير بلاد العرب من الاستعمار، والالتحاق بأي ثورة تقوم ضدهم. فاستأذن الشيخ يوسف زهر الدين ورفاقه وانطلق إلى جانب القاوقجي في المواجهات الجديدة في العراق. وفي غمار المعارك التي اندلعت كان المجاهد أبو عادل دائماً إلى جانب القاوقجي وحمد صعب في سيارة واحدة. وبتاريخ ٢٥ تموز ١٩٤١، قام الطيران البريطاني بشن غارة على قافلة عسكرية سيارة، يتقدمها القائد القاوقجي الذي كان يقوم بقيادة السيارة، وإلى جانبه البطل حمد صعب، وفي الخلف أبو عادل. قامت الطائرات بقصف عنيف، وسقطت قذيفة على مقربة من السيارة، فوثب المجاهد البطل المقدام حمد صعب، على القائد القاوقجي يحميه بجسده، فأصابت الشظايا هذا المجاهد المخلص الكبير، فسقط شهيداً في أرض المعركة، في حين أن شدّة الانفجار دفعت المجاهد أبو عادل خارج السيارة، ورمته أرضاً، وشاء القدر أن ينجو بأعجوبة، وأن ينجو القائد القاوقجي كذلك[٥٩].

إن أبا عادل كان يردّد اسم المجاهد الشهيد حمد صعب دائماً ويعتز ويفتخر ببطولاته ومواقفه، في ميسلون والحجاز وجبل العرب والغوطة ووادي التيم والإقليم وفلسطين والعراق حيث كانت رحلته الأخيرة.

عودته إلى لبنان

بعد استقلال لبنان عام ١٩٤٣، صدر عفو عن المجاهدين الذين حُكموا في عهد الانتداب بالإعدام، فجاء أبو عادل من سوريا إلى لبنان، إلى بلدته كفرفاقود، ونزل إلى المحكمة العسكرية في بيروت، حيث برأت هذه المحكمة جميع المجاهدين من التهم المنسوبة إليهم في عهد الانتداب وأصبحوا طليقين أحراراً.

وراح أبو عادل يتنقل في الجبل زائراً الأهل والأقارب وكان شيخ صلح في أماكن كثيرة، لا يفرق بين مواطن وآخر، ولا يتحزّب لأحد، بل يقف مع الحق، ويسعى إلى إقامة الصلح ولو على حسابه الخاص. فنال ثقة الجميع ومحبتهم إضافة إلى تقديرهم العظيم لمواقفه، واستمرّ في خدمة بلده إلى أن توفاه الله في ١٩٦٠/١٢/٢٦ في بلدته كفرفاقود.

١٢

المجاهد أمين محمود مطر
١٩٠٥- ١٩٢٧م

وُلد المجاهد أمين محمود مطر في بلدة مجدليا – قضاء عاليه، اشتهر منذ طفولته بالشجاعة والإقدام، ولم يكن قد تجاوز الثامنة عشرة من العمر، حين قام بتأدية خدمات كبيرة للمجاهدين، معرّضاً نفسه مرات عدة للأخطار، إذ كان يقوم بتأمين الطعام لهم ونقله إلى مغارة في أسفل جبل بيصور، كان الثوار يلجأون إليها، بعيداً عن أعين السلطة. وقد بدأ نشاطه هذا، بعد أن رأى ما يقوم به عسكر السلطة في بلدته من أعمال تعديات واستفزاز ضد منزل سليم مطر وأبنائه، وضد دعيبس صبح وذويه، مما أثار في نفسه ثورة عارمة ضد الفرنسيين وأعوانهم، ولم يبخل بالعطاء يوماً، فكان يلحق بالثوار إلى أماكن تواجدهم ويقوم بتأمين الذخيرة لهم[٦٠].

وقد اعتقله الفرنسيون مرتين، حيث كان ينقل طعاماً للمجاهدين، وحاولوا ردعه عن هذا العمل، ولكنه لم يرتدع، بل استمر في جهاده الصامت سنوات عدة. وعند اندلاع الثورة السورية الكبرى، اشترك في معاركها إلى جانب مجموعة المجاهد فندي أبو ياغي، وبقي يتنقل ما بين بيصور وسوريا والبقاع، وفي منتصف ١٩٢٦م، عاد إلى بلدته مجدليا، يلتقي بالثوار متخفياً عن أعين السلطة[٦١].

المهمة الكبرى

في منتصف شهر كانون الأول ١٩٢٦، قام المجاهد أمين مطر، بنقل رسالة خطيّة من بلدة مجدليا ومنطقة الغرب، إلى المجاهد فندي أبو ياغي في بلدة رساس محافظة السويداء، وقد تضمنت الرسالة، طلباً من فندي بالتوجّه إلى

لبنان والتصدّي لسعيد عبد الساتر الذي يقوم بالتنكيل بالمجاهدين وأقاربهم، وأن الحال لم يعد يطاق. وقد قام أمين بإخفاء الرسالة في حذائه خوفاً من اكتشافها وافتضاح أمر مهمته. واستطاع الوصول إلى رساس وسلم الأمانة، ثم عاد مع فندي ليشترك في عملية عانوت الكبيرة، وينال شرف الإسهام في القضاء على أحد رموز السلطة الفرنسية في الجبل بالتعاون مع رفاقه.

بعد عملية عانوت، لم يستطع أمين العودة إلى منزله، حيث افتضح أمر المشاركين بها، فبقي يتنقل مع المجاهدين طيلة ما يقارب ثمانية أشهر في الجبل، مكدّرين عيش العملاء وأسيادهم، إلى أن وافته المنية في ١٣ آب ١٩٢٧ في مواجهة بطولية مع الفرنسيين وعملائهم في بلدة المجيدل - محافظة صيدا[٦٢].

المواجهات العسكرية

١

حادثة عين تراز

شهد فصل الصيف في عام ١٩١٩، أحداثاً خطيرة، جرت معظم فصولها في منطقة الشوف، فبعد أحداث بلدة بعقلين وجوارها، قامت السلطة باعتقال عشرات المواطنين، رجالاً وشيوخاً ونساء، وساقتهم إلى المعتقلات، وفي هذه الأثناء، كانت حملات المداهمة متواصلة على بلدة ديربابا، لاعتقال علي يوسف طربيه وعلي حسين أبو إسماعيل.

وفي بداية شهر أيلول تمكنت السلطة من اعتقال زوجة علي طربيه وهي درّة أبو إسماعيل، كما تمكنت من اعتقال شقيقتها نبيهة أبو إسماعيل زوجة علي حسين أبو إسماعيل، ولم يكن أحد في المنزل سوى النساء.

أثار هذا العمل حفيظة المجاهدين المذكورين، ففكرا بالقيام بعملية عسكرية نوعية رداً على تصرفات الفرنسيين وأعوانهم. فقاما في أواخر شهر أيلول ١٩١٩، بالتوجّه إلى بلدة كفرفاقود، حيث قصدا منطقة البحيرة وهي مزرعة تخص آل النكدي، كان يعمل فيها عدد كبير من أبناء كفرفاقود. فالتقيا بالمجاهد فندي أبو ياغي، وأبلغاه بالأمر، ثم توجها إلى مغارة قرب النهر تُدعى «مغارة العبد»، كان يلجأ إليها المجاهد فندي يوم كان الأتراك يلاحقونه سابقاً. فاجتمع الثلاثة فيها بعيداً عن أعين المراقبين، وقرروا تنفيذ عملية تهز منطقة الجبل والحكم العسكري الفرنسي، فقد أشار فندي إلى نيته في ضرب رأس السلطة المتعاونة مع الفرنسيين، ألا وهو حبيب باشا السعد[٦٣].

من «مغارة العبد» توجّه المجاهد علي يوسف طربيه إلى بلدة دميت ليلاً، فالتقى بالمجاهد فهد زيدان وهو من الرجال الأشداء، وطلب منه المساعدة

في تنفيذ العملية، وشرح له ما يقوم به الجند الفرنسيون، من عمليات اعتقال وتعذيب وإهانة، لأهالي القرى الدرزية وإذلالهم. فدبّت النخوة في رأس فهد وقال له: «إنني مستعد لأي عمل يُطلب مني»، ومشى معه دون أن يودّع عائلته، وجاء الاثنان إلى «مغارة العبد» في أسفل كفرفاقود.

وفي الثاني من تشرين الأول ١٩١٩، انتقل المجاهدون الأربعة إلى بلدة ديركوشه، فقصدوا المنزل المجاهد يوسف قاسم حمندي، وأطلعوه على نيّتهم بعملية عسكرية ضد السلطة الفرنسية، بضرب أحد رموزها الكبار في لبنان، نتيجة التصرفات التي يقومون بها، فوافق معهم على الاشتراك في تنفيذ العملية[٦٤].

تخطيط العملية وتنفيذها

جلس هؤلاء الخمسة في منزل المجاهد يوسف قاسم حمندي في ديركوشه، قرب الفاخورة، وانضم إليهم المجاهد حسين علي شبلي ضو الذي كان يعمل في مصنع الفخار، وكانت مهمته مراقبة المنطقة والسهر على حماية المجاهدين، ولكنه لم يشترك بالتخطيط والتنفيذ. وفي يوم الجمعة مساء ٢ تشرين الأول ١٩١٩، اتفق المجاهدون بعد مشاورات مطوّلة فيما بينهم، على دراسة الطريق المؤدية من ديركوشه إلى قصر حبيب باشا السعد ورصدها، ورصد التحركات العسكرية في بلدة عين تراز وجوارها. وقد تمّ الاتفاق فيما بينهم على تنفيذ العملية مساء الاثنين، بعد أن تُدرس بدقة النقاط الأمنية[٦٥]، أما لجهة اقتحام القصر، فقال لهم فندي: «إنني خبير بكل مداخله، حيث كنت أعمل زمن الانتداب العثماني في تربية دود الحرير مع آل السعد، وأعلم مداخل القصر ومخارجه السريّة. وراح المجاهدون يراقبون ويسهرون طوال ثلاث ليال، يقطعون خلالها النهر ويصعدون في أحراج الصنوبر لرصد التحركات جميعها. وفي مساء الاثنين الخامس من تشرين الثاني انطلقت المجموعة من بلدة ديركوشه نحو عين تراز.

الساعة العاشرة ليلاً وصلوا إلى قرب القصر، فلم يجدوا أحداً من الحراس على مداخله، فطلب فندي من يوسف حمندي وفهد إبراهيم زيدان، البقاء على مداخل القصر لحمايتهم من أية محاولة عسكرية مفاجئة. وطلب من

علي طربيه وعلي أبو إسماعيل اللحاق به، فتسلق سور القصر الخارجي، وقفزوا إلى الباحة الداخلية، ثم قاموا بتسلق الحائط الخارجي على شجرة كرمة كبيرة، يعرفها فندي جيداً، ومنها قفزوا إلى داخل القصر، شاهرين السلاح، فلم يجدوا سوى الخدم وزوجة حبيب السعد. ففتشوا القصر جيداً، فلم يعثروا عليه، فقال لها فندي أين هو؟ قالت له: ذهب إلى عاليه ويمكن إلى بيروت لمعالجة شقيقه.

في هذه اللحظة، حاول أحد رفقاء فندي التقدم نحو حرم حبيب باشا وإهانتها، لكن فندي وبّخه ولم يسمح له بأن يمسّها، قائلاً له: «نحن نريد حبيب باشا وليس نساءه كما يفعل هو وأعوانه والفرنسيون. فقام فندي بانتزاع سيف كبير معلق على الحائط في صالون القصر، ووضعه إلى جانبه قائلاً للسيدة السعد: «هل يليق لي أكثر أم لحبيب؟» فقالت له: «يا تقبرني يلبقللك إلك أكثر»، من شدّة خوفها ورعبها[٦٦].

ثم قام علي حسين أبو إسماعيل بانتزاع عباءة ومسدس وكذلك أخذ علي طربيه مسدساً، وغادروا الصالون من الباب الرئيسي. في هذه الأثناء، قال فندي لزوجة حبيب: «بلغي حبيب أفندي أنه إذا لم يُطلق النساء الدرزيات من السجون ويتوقف عن الأعمال السيئة، سنعود ثانية، وستكونين أنتِ رهينة، وهذا الإنذار الأول والأخير، وعمره طويل لأنه لم يكن موجودا». ثم قال: «إننا لم نأتِ بقصد السلب والنهب، بل نريد رأسه وأبلغيه الأمر جيدا». وانصرفوا من القصر.

هذه العملية لم تستمر أكثر من ربع ساعة في داخل القصر، استطاعت في أثنائها إحدى الخادمات الهرب دون أن يراها أحد، وذهبت مسرعة إلى مخفر رشميا تخبر العسكر بالأمر، وفزع الأهالي، الذين هرعوا إلى ناحية القصر، يتقدمهم عناصر من الأمن. وهنا لدى خروج فندي ورفاقه من القصر، رأوا التحركات والمجموعات العسكرية، التي وقفت بعيدة نسبياً، حيث أطلق بعض عناصرها الرصاص على المجموعة المجاهدة. فردّ فندي ورفاقه بإطلاق نار كثيف على الجنود والأهالي، واستطاعوا الانسحاب نحو الوادي دون أن يصاب أحد بأذى، ولم يجرؤ أحد من عناصر القوة الأمنية على اللحاق بهم.

بعد ذلك، توجّه المجاهدون إلى منزل يوسف قاسم حمندي، فباتوا ليلتهم هناك، وقبل الفجر، انطلقوا نحو كفرفاقود، قاصدين مغارة العبد، وقد أخبروا المجاهد حسين علي ضو عن مكان وجودهم.

وطوال يوم الثلاثاء في ٦ تشرين الأول ١٩١٩، قبع الثوار في مغارة العبد بعيداً عن أعين الجواسيس، وساروا مساء الثلاثاء إلى منطقة الجاهلية، فوصلوا فجراً، ونزلوا في بيت المجاهد علي أحمد قرضاب، حيث مكثوا طوال النهار، بعدها انتقلوا إلى وادي الجاهلية.

ردة الفعل العسكرية

في نفس الليلة التي اقتحم فيها المجاهدون منزل حبيب باشا، تمّ إبلاغه بالأمر، وتوجّهت قوة عسكرية كبيرة إلى بلدة كفرفاقود وبلدة ديربابا. وقد قالت زوجة حبيب للقوة مساء، إن فندي أبو ياغي زهر الدين من كفرفاقود، هو قائد المجموعة، وتعرفه جيداً، لأنه كان يعمل سابقاً في أملاكهم. وفي صباح الثلاثاء كانت قوة كبيرة من الجنود الخيالة تداهم منازل كفرفاقود ومنطقة البحيرة والجربان والودايا في أسفل بلدتي كفرفاقود وديربابا بحثاً عن الثوار.

استمرت عمليات التفتيش طوال يوم الثلاثاء، فلم يستطع الجنود معرفة أماكن المجاهدين واعتقالهم، فقامت السلطة باعتقال معظم أبناء كفرفاقود[٦٧]، وقسم كبير من أهل بلدة ديربابا وساقتهم إلى بيت الدين ودير القمر، حيث تعرّضوا إلى عمليات تعذيب قاسية، كي يعترفوا عن مكان وجود الثوار، ولكن السلطة عادت بعد فترة إلى إطلاق سراح معظم الأهالي، وخصوصاً بعد قيام وفد من وجهاء منطقة المناصف، بزيارة حبيب باشا السعد في عين تراز، وتقديم الاعتذار له، وذلك في محاولة لمنع نشوب فتنة طائفية درزية – مسيحية في الشوف أو الجبل، حيث يستغل أعداء التعايش هذه اللحظة، ليقوموا بتنفيذ مآربهم، والقيام بعمليات تؤدي إلى زيادة الحقد وتمنع التفاهم.

وقد طلب الوفد المناصفي من حبيب باشا، التصرف بتعقل، وعدم الانجرار إلى عمل يؤذي البلاد، كما طلبوا منه تخفيف الإجراءات الأمنية القمعية، التي تمارسها السلطة في الشوف، وأن يطلق سراح النساء، لأن بقاء أي امرأة معتقلة سيؤدي إلى ثورة غير طبيعية، لا تُعرف نتائجها. فاستجاب

حبيب باشا إلى طلب الوفد، وتمّ بالفعل إطلاق سراح النساء، وقسم كبير من المحتقلين بعد ذلك مباشرة.

تعاطي وسائل الإعلام مع الحادثة

انبرت الصحف الناطقة باسم الانتداب الفرنسي وبعض الصحف المتشددة طائفياً بتضخيم الحادثة، وقد دأبت جريدة لسان الحال لمدة ثلاثة أيام في ٧ و٨ و١٠ تشرين الأول ١٩١٩، على تضخيم الخبر وتشويه عملية المجاهدين، وتحميل آل النكدي مسؤولية العملية، وذلك تحت عنوان: حادث مكدر، وحادثة عين تراز، وذلك لتأليب الرأي العام المحلي والفرنسي، ضد القوى الوطنية العربية الرافضة للانتداب الفرنسي في لبنان وسوريا. ولكن بعض الصحف المحلية الرزينة ردت على هذه الحملات متهمة زميلاتها في الإعلام بتضخيم الأحداث وتحميلها أموراً غير حقيقية، في رد مباشر على صحيفتي لسان الحال والبشير.

تحت عنوان «حادث مكدر» كتبت لسان الحال ما يلي(٦٨):

«أول من أمس حضر إلى عين تراز في لبنان جماعة مدججين بالسلاح، يزيد عددهم عن الثلاثين، وقصدوا دار حبيب باشا السعد رئيس مجلس إدارة جبل لبنان وسلبوا ما وجدوه في المنزل من الأسلحة القديمة والأواني الفضية والخزفية على مختلف أنواعها. وقد اهتمت الحكومة اللبنانية أشد الاهتمام لهذا الأمر. ونحن نأسف كثيراً لحصول مثل ذلك في دار اتصف صاحبها بالإخلاص والتفاني في خدمة بلاده وأمته. ولا ريب أن الحكومة ستجدّ في اقتفاء هذه العصابة، فتوقف رجالها عند هذا الحد وتجازيهم بما يفرضه عليهم القانون العادل».

حول حادثة عين تراز ذكرت الجريدة نفسها(٦٩):

«علمنا تفاصيل الحادثة وهي أنه دخل المنزل ستة أشخاص، فقالوا إن لديهم تحارير يريدون تسليمها إلى شقيقات حبيب باشا، فأجابتهم إحدى الخادمات أنه لا يوجد أحد. فلم يعبأوا بقولها ودخلوا إلى الغرف، وجعلوا

ينهبون. وفي خلال ذلك، خرجت الخادمة خلسة وأخبرت بعض أهالي البلدة، فحضروا وأطلقوا طلقاً في الفضاء، دعا إلى هرب الموجودين في المنزل والمقيمين خارجه. ولما اتصل الخبر بمدير رشميا وكان الضابط الموجود عرف واحداً من هؤلاء المعتدين، ذهب بصحبة أربعة أنفار، فقبض على الرجل وثلاثة من رفاقه، ووجد قسماً من المسلوب في أحد المنازل وقسماً في منزل آخر. فقبضوا على صاحب هذين المنزلين».

أما يوم السبت فذكرت جريدة لسان الحال تحت عنوان: «مسألة عين تراز»[٧٠]:

«كتبنا في عددي الأربعاء والخميس ما اتصل بنا معرفته في حادث التعدّي القبيح الذي ارتكبته شرذمة من الجهّال، ويسرّنا ما علمناه، من أن الحكومة المحتلة باذلة جهدها في تحقيق هذا الأمر الخطير، وأنها ستضع حداً لهذه الحوادث المقلقة التي أقل ما يقال فيها: أنها تفقد الأمنية العامة وتوقف حركة الأعمال، وتلقي المخاوف في القلوب. إن تأليف قوة من خمسين شخصاً أو زيادة مدججين بالسلاح الكامل لمن الأمور التي تستوجب أشد المجازاة، ليس فقط على هؤلاء الزعانف الذين مثلوا دوراً من أدوار القرون الوسطى، بل على مثيري هذه الفتنة، وإننا نخشى إذا لم تجازِ الحكومة الفاعلين والمشرفين بأشد ما يفرضه القانون، أن يتبع الخرق، وتتعدد الحوادث ويتفاقم الخطب».

وحول هذه الحادثة، ذكر إبراهيم الأسود في كتابه ما يلي[٧١]:

«بعد زمن يسير جرى بينه وبين المسيو جورج بيكو بحث يتعلق بالوحدة السورية، فأبى حبيب باشا الدخول معه في هذا الموضوع، فاضطر المسيو بيكو أن ينزل عند رأيه وهو استقلال لبنان تحت الانتداب الفرنسوي. ولما عرف الدمشقيون أن حبيب باشا كان حائلاً دون تحقيق أمانيهم، أعلنوا سخطهم عليه. ولم يمر ردح من الزمن حتى طوقت عصابة من الأشقياء بيته في عين تراز قاصدين الايقاع به، فنجا بعناية الله من هذه المكيدة، واضطربت البلاد لهذه الفظاعة، وأقبل أبناؤها يهنئون عطوفته بنجاته. ولما وفدت اللجنة الأميركية لاستشارة أبناء البلاد في قضية الانتداب، أجمع اللبنانيون على اختيار الدولة الفرنسية، وكان لحبيب باشا اليد القوية في ذلك».

أما السيد أنطون شعبان فذكر عن هذه الحادثة في جريدة الديار، تحت عنوان: «ملف العائلات اللبنانية... رحلة في جذور التاريخ[٧٣]:

حبيب باشا السعد عارض مقررات مؤتمر دمشق بعد المناداة على فيصل ملكاً على سوريا عندما نودي في السابع من آذار سنة ١٩١٩ بالأمير فيصل ملكاً على سورية، على أثر المؤتمر السوري في دمشق وما كان يرمي من إلحاق لبنان بسورية، قاد حبيب باشا المعارضة اللبنانية، في وجه هذا الإلحاق الذي يحرم لبنان من استقلاله «وقابل برفقة أعضاء مجلس الإدارة الجنرال غورو واحتج لديه على مقرارات المؤتمر السوري وأرسل برقية إلى رئيس الوفد اللبناني في مؤتمر الصلح في باريس المطران عبد الله خوري طالباً بموجبها الاحتجاج لدى مؤتمر الصلح والسلطات الفرنسية على هذه المقررات».

وبناء على موقف حبيب باشا المعارض للمقررات «قرر المجلس العرفي الدمشقي عندئذ اغتياله وعملت السلطات هناك على تحريض بعض العصابات المحلية على تنفيذ قرار الاغتيال، وعندما علموا بتاريخ ٧ تشرين الأول بقدوم الباشا من بيت الدين إلى داره في عين تراز عن طريق جسر القاضي. سعوا في اغتياله عند مروره بمنطقة المناصف، فأطلقوا الرصاص عليه لكنهم لم يتمكنوا من إصابته بأي ضرر، فتابع طريقه إلى عين تراز حيث وجد شقيقه فؤاد مصاباً بأوجاع شديدة فقرر في الحال نقله إلى بيروت عن طريق بحمدون، غير أن العصابات المدفوعة لقتله قررت مداهمة داره في عين تراز ليل ٧ – ٨ تشرين الأول ١٩١٩ وتمكنوا من الدخول إليه، ودارت اشتباكات بين أهالي البلدة والعصابات المتمركزة في الدار، وأسرع بعض الأهالي في التوجّه إلى القرى المجاورة، فقُرعت الأجراس وهبّ الأهالي بأسلحتهم إلى عين تراز من كل جانب فاضطر رجال العصابة إلى الفرار، غير أن فريقاً من الشبان الأشداء منهم يوسف شاهين بو سلوان مختار رشميا السابق، تعقبوهم وتمكنوا من القبض على بعضهم، والعودة بهم مكبلين إلى عين تراز...

وكان لهذا الاعتداء صدى استنكار بعيد في جميع أنحاء البلاد فتوافد على الباشا جمع غفير من أصحاب السلطات السياسية والدينية... يتفقدونه معبرين عن استيائهم مما حصل.»

الأحكام التي صدرت بحق المجاهدين

ذكرت جريدة الحقيقة تحت عنوان: «الإعدام في لبنان»[٧٣]، حكم المجلس العسكري في لبنان بحادثة عين تراز على كل من فندي أبو ياغي وأخيه عارف وعلي يوسف حمندي وفهد أمين فهد بعشرين سنة في الأشغال الشاقة. وعلى كل من وجيه بك نكد وجاهياً، وشريف بك نكد غيابياً بخمس عشرة سنة ورؤوف بك نكد خمس سنين، وحكمت أيضاً على عدة أشخاص بالحادثتين أحكاماً لا تتجاوز الستة أشهر».

أ. علي يوسف علي: أي علي يوسف طربيه – ديربابا.
ب. علي حسين أحمد: أي علي حسين أبو إسماعيل – ديربابا.
ج. يوسف حمندي: أي يوسف قاسم حمندي مخيبر – ديركوشه.
د. فهد أمين فهد: أي فهد أمين فهد زيدان – دميت.

٢

محاولة تفجير جسر الخردلة على نهر الليطاني

رأت قيادة حملة المجاهدين برئاسة الأمير زيد الأطرش وفؤاد سليم، أنه يتوجب قطع طريق الإمداد للفرنسيين، وفصل منطقة مرجعيون عن منطقة النبطية، بعد أن احتل الثوار مرجعيون، وحصول الاشتباكات في برغر بين مجموعة شكيب وهاب وفؤاد علامة من جهة، وعصابة بطرس كرم من جهة ثانية في ١٤ تشرين الثاني ١٩٢٥.

عهدت قيادة الحملة إلى العقيد فؤاد سليم بالتقدم نحو الجسر ونسفه بالمتفجرات في ١٦/١١/١٩٢٥[٧٤] من أجل إعاقة تقدم الفرنسيين على هذا المحور. فقام العقيد فؤاد سليم باختيار نخبة من المجاهدين علمنا منهم: نزيه المؤيد[٧٥]، صبري فريد البديوي، هاني عبد الله الحلبي، عبد الكريم وهبه الحلبي، عباس أبو حسون، شحاذه قريشة، قاسم الحلبي، محمود أبو يحيى، جاد الله الصحناوي، فندي أبو ياغي زهر الدين، علي يوسف طربيه، مطر سليم مطر، حمد دعيبس صبح، وعلمنا أنه كان في هذه المهمة خمسة وعشرون مجاهداً.

تنفيذ العملية

قام العقيد فؤاد سليم بجمع كمية من الديناميت، معظمها من حشوات القذائف الفرنسية غير المنفجرة في معارك الجبل والإقليم، وقد تمّ نقل هذه المواد المتفجّرة على ظهر الدواب من حاصبيا إلى قرب جسر الخردلة.

وقبل أن يصل الجسر بقليل، طلب العقيد فؤاد من نزيه المؤيد وصبري فريد البديوي استطلاع الموقع، ومعرفة ما إذا كانت هناك حامية فرنسية

تحميه. توجه المجاهدان إلى قرب الجسر، فوجدا أن هناك حامية كبيرة على الجسر يصعب القيام بأي عمل قبل القضاء عليها، فرجعا إلى مكان التجمّع وأبلغا القائد سليم بذلك.

هنا وضع العقيد فؤاد سليم خطة ناجحة نوردها كما حصل بالتالي: طلب العقيد فؤاد سليم من نزيه المؤيد أن يتقدم إلى قرب الجسر خلسة، ويرافقه صبري البديوي، محمود أبو يحيى، فندي أبو ياغي زهر الدين، ومطر مطر وعلي يوسف طربيه وعباس أبو حسون كمجموعة متقدمة.

بعد ذلك، يقوم نزيه المؤيد بالتقدّم من الخفر ويطلب منه بالفرنسية أن يعطيه سيجارة. بعد ذلك، يقوم بالإطباق عليه ويتقدم رفاقه ويقومون بالقضاء على الجنود الفرنسيين في داخل خيمهم.

تحركت المجموعة بسرعة، ونفّذت الخطوة الأولى، فاستطاع نزيه المؤيد أن يخدع الجندي الفرنسي، ويطبق عليه، فتقدمت المجموعة وشرعت بالدخول إلى الخيم العسكرية والإجهاز على العسكريين بطعنهم بالخناجر، وقد حدّث العديد عن بطش فندي أبو ياغي بسرعة بالعسكر الفرنسي. فكان يطعن الجندي منهم ويرميه أرضاً، بينما يقوم رفقاؤه بسحبه إلى خارج الخيم. بعد ذلك، استطاع المجاهدون قتل عناصر هذه الحامية الذين يبلغ عددهم العشرين، لتتقدم المجموعة الثانية وتزرع الديناميت، وتحاول تفجيره بعد أن ابتعدت مجموعة نزيه المؤيد وفندي أبو ياغي، ولكن الجسر لم ينفجر، حيث إن الكبسولات كانت سيئة.

في هذه الأثناء، أحسّ الفرنسيون المتمركزون بعيداً عن الجسر، أن هناك حركة غير عادية، فاتصلوا بالحامية، فلم يرد أحد على الهاتف، فقام الفرنسيون بإطلاق الأسهم النارية، ليروا أن الثوار متمركزون على الجسر، عندئذٍ، صب الفرنسيون نيرانهم بغزارة على الثوار، وأمطروا المنطقة بالقنابل على أنواعها، ولكن الثوار استطاعوا الانسحاب والنجاة ورجعوا إلى منطقة حاصبيا بسلام دون أن يصاب أحد بأذى[٧٦].

٣

معركة عانوت
نهار الجمعة ٣١ كانون الأول ١٩٢٦م

على الرغم من وقوف القيادات السياسية الدرزية في جبل لبنان، منذ مطلع عام ١٩٢٦، موقفاً مهادناً لسلطة الانتداب الفرنسي، في محاولة لإبقاء الجبل بعيداً عن الصدامات العسكرية مع فرنسا وأعوانها، ومنعاً لتجدد الفتنة الطائفية التي حاول الفرنسيون إعادة إحيائها، فإن الفرنسيين والمتفرنسين في جبل لبنان، قاموا بإجراءات عسكرية تعسفية سيئة، فصادروا أملاك الثوار الملتحقين بالثورة السورية الكبرى، إضافة إلى اعتقال أقاربهم والتنكيل بهم، ثم اعتقال معظم العائدين منهم، وساموهم مختلف أنواع العذاب في سجون بيروت وعاليه وبيت الدين وزحلة. ووصل الأمر إلى حدٍ لا يُطاق، عندما غضّت السلطة الفرنسية الطرف عن تصرفات الضباط والمحققين العدليين المسيحيين، في تعاطيهم السياسي والعسكري والاجتماعي مع أبناء الجبل، وقيامهم بأعمال استفزازية تسلطية، واتباعهم سياسة كيدية، لم توفر أحداً، وكان في طليعة هؤلاء الضباط، سعيد عبد الساتر، الذي قام بأعمال سيئة في القرى الدرزية، حيث قتل العديد من المواطنين الأبرياء دون ذنب، فلم تعد تصرفاته تحتمل الصبر والاستمرار في تقبّل الظلم.

أمام هذا الحال المتردّي، عُقد لقاء في بعقلين، في منزل الشيخ يوسف علي حماده، حضره عدد من وجهاء القرى الدرزية، وبحثوا الوضع الحالي في الجبل، ورعونة الفرنسيين وأعوانهم، فقرروا إيفاد رسول إلى جبل العرب، حمّلوه رسالة إلى المجاهد فندي أبو ياغي، يشرحون له المستجدات، أملاً منهم أن يتحرك فندي قريباً، ويقوم بعملية عسكرية تردع هؤلاء المتفرنسين، فتمّ تكليف المجاهد أمين محمود مطر، من بلدة مجدليا، بنقل الرسالة[٧٧].

قام المجاهد أمين محمود مطر بحمل الرسالة إلى المجاهد فندي أبو ياغي في منتصف شهر تشرين الثاني ١٩٢٦، فوصل إلى بلدة رساس بسلام، ونزع الرسالة التي خبأها في حذائه، خوفاً من عمليات التفتيش الدقيقة التي يقوم بها الفرنسيون. فُتحت الرسالة وقُرئت في مضافة المجاهد فندي، وقبل أن ينتهي أمين من قراءتها، هبّ فندي من مكانه، فاستأذن منهم، وانتقل إلى مضافة الأمير متعب الأطرش، في رساس، فأبلغه أنه سيذهب إلى لبنان لأمر خاص، لكن الأمير متعب رفض طلبه، محاولاً معرفة السبب الذي لم يشرحه فندي له. إلا أن فندي عاد إلى منزله، وطلب من عائلته توضيب بعض الحاجيات له، وفي أثناء هذه الفترة الزمنية القصيرة، إذ بصوت في الخارج يناديه، فخرج فندي إلى باحة الدار، ليرى جملين محمّلين بالمواد الغذائية، يقودهما أحد الخدم عند الأمير متعب. حاول فندي إعادة الجمال، لكن الخادم رفض طلبه، قائلاً له: لا يجب إغضاب الأمير متعب الأطرش. قبل المجاهد فندي الهدية على مضض، وذهب مجدداً إلى مضافة الأمير، فشرح له السبب الذي حمله على الذهاب إلى لبنان، وسلمه الرسالة التي نقلها المجاهد أمين مطر. فقرأها الأمير، وحاول مجدداً ثنيه عن الذهاب خوفاً على سلامته، لكن فندي أصرّ على القيام بتنفيذ عملية ضد الفرنسيين، وطلب من الأمير الاهتمام بزوجته وابنته في حال استشهاده. فودّع فندي الأمير ولم يتمالك الاثنان دموعهما، نظراً للعلاقة الحميمة بينهما[٧٨].

انتقال فندي إلى لبنان

ودّع فندي عائلته ورفقاءه، وانطلق في مهمته، فتوجه ليلاً إلى السويداء، ووصل فجراً إلى بلدة شقا، يرافقه المجاهد نور الدين الحلبي والمجاهد أمين محمود مطر، ومن بلدة شقا اصطحب معه المجاهد محمود أبو يحيى[٧٩] والمجاهد شاهين إسماعيل الصحناوي من بلدة الجنينة. فكان المجاهدون يسيرون ليلاً وينامون في النهار بعيداً عن أعين السلطة وحواجزها، حيث استطاعوا الوصول إلى بلدة مجدليا بسلام.

ومن المكان الذي تجتمع فيه المجموعة دائماً، أرسل فندي المجاهد أمين مطر، بطلب المجاهدين مطر مطر وحمد صبح وعلي أبو هنا. اجتمع

المجاهدون، فقرر فندي الانتقال إلى الشوف والتحرك في قراه لإرباك الفرنسيين وأعوانهم، فانتقلت المجموعة إلى بلدة الجاهلية، ثم إلى بعقلين فإلى بلدة عين وزين، ثم تحركت نحو بعذران، ومنها انتقلوا مجدداً إلى بعقلين. وفي أثناء تحركهم من بعذران إلى بعقلين، رصدت السلطة تحركهم، فأقامت كميناً عسكرياً لهم في «وادي الجديدة» بتاريخ ١٩٢٦/١١/٢٨[٨٠] بقيادة الباشجاويش سعيد عبد الساتر، ولدى وصول فندي الذي يتقدم المجموعة، توقفت الفرس، فنهرها، فلم تمش، فترجّل فندي وأحسّ بأن هناك كميناً لهم، فصاح: من هناك؟ فلم يجب أحد، فترجّل رفقاؤه، وبدأ إطلاق الرصاص، وذلك في منتصف الليل تقريباً، واستمرت المعركة زهاء الساعة، انسحب على أثرها سعيد عبد الساتر وعساكره نحو بلدة مزرعة الشوف، بينما تابع فندي مسيرته نحو بلدة بعقلين، وقد جُرح معهم المجاهد خطار المنذر الذي التحق معهم في بعذران، فتمّ نقله إلى بعقلين حيث خضع للعلاج، ولم تستطع السلطة الفرنسية القبض على أي واحد منهم.

بعد هذه الحادثة، جندت السلطة عشرات الجواسيس لملاحقة المجموعة، ومعرفة عدد عناصرها وأسلحتها، واستطاعت هذه العيون رصد تحركاتها بدقة، حيث كان يتم نقل خبر انتقال هذه المجموعة المجاهدة بسرعة إلى السلطة والصحف، مما زاد في بعث الرعب في نفوس الفرنسيين وأعوانهم. وقد ذكرت جريدة لسان الحال ما يلي[٨١]: «أخبر قادم من الشوف أن عصابة فندي أبو ياغي شوهدت على مقربة من نهر الحمام (بعقلين) في منطقة الشوف».

وقالت أيضاً[٨٢]: «أخبر قادم من الشوف أن عصابتي فندي أبو ياغي ومحمود القيسي، شوهدتا نهار الاثنين الماضي في مكانين من الشوف الساحلي والشوف الجردي».

ورغم من تواجد مجموعة فندي في منطقة الشوف عموماً، وفي وداي غريفة – بعقلين – سرجبال لمدة تزيد عن عشرين يوماً، لم تُقدم السلطة على إرسال أية قوة لاعتقالهم، أو الاشتباك معهم في تلك المنطقة الوعرة، المكتظة بالأشجار الحرجية، ذات الممرات الضيقة، والصخور العالية، بحيث لا تنجح عمليات المطاردة. حاول فندي ورجاله استدراج الفرنسيين إلى منازلة معهم

في هذه المنطقة، فلم تنجح المحاولة. عندئذٍ، صمّم فندي على مواجهة السلطة والاشتباك معها خارج الشوف، في إقليم الخروب، في بلدة عانوت.

تنفيذ العملية

اختار فندي بلدة عانوت القريبة من شحيم والبعيدة نسبياً عن مركز القوة الرئيسية في بيت الدين مسرحاً لعمليته العسكرية. فنزل مع مجموعته في ثلاثة منازل على أطراف البلدة، وهي تخص أفراداً من آل سرحال وغطمه. وقد أشار فندي إلى أحد أفراد المجموعة أن يبقى خارج المنازل يراقب الحركة.

ولدى جلوس فندي مع اثنين من رفقائه في أحد المنازل، يتناولون الطعام، انسلت زوجة صاحب الدار، وأبلغت أحد سكان البلدة دون أن يراها أحد، فأسرع ذلك الرسول إلى مخفر شحيم وأبلغهم بوجود المجموعة، وعلى الفور، تمّ الاتصال مع القيادة في بيت الدين، التي تحركت على الفور، بقيادة معاون الحاكم العسكري في الشوف الكولونيل روزنفالون، والباشجاويش سعيد عبد الساتر، برفقة مئة عسكري وخيّال.

توجّه روزنفالون بقوة من بيت الدين نحو السمقانية – عينبال، بينما توجّه سعيد عبد الساتر من بيت الدين نحو بعقلين – عينبال، وفي أثناء مروره في بعقلين، بدأ سعيد يُحدي حداءً مشهوراً ويقول:

«بـاروديتي حبوبتي يحلا لي لبس جنادها»

فيردّد العسكر وراءه هذا البيت، ثم يتابع ويقول:

«وإن ما قتلتك يا فندي يحرم عليّ نقالها»[٨٣]

ثم يتابع العسكر الحداء في عملية استفزاز وقحة للدروز في بلدة بعقلين، الذين كانوا يدعون له بعدم التوفيق والفشل في مهمته.

وصلت طلائع القوة الكبيرة إلى مشارف عانوت، وكان في انتظارها مجموعة عسكرية أتت من منطقة شحيم، فتقدمت القوة إلى مكان تواجد المجموعة المجاهدة، يصطحبهم الدليل «النبيل». في هذه الأثناء، كان فندي ورفيقاه نور الدين الحلبي وعلي أبو هنا يتناولون الحلوى، فشاهدوا صاحبة الدار تخرج مراراً إلى شرفة المنزل، فسألها فندي: «هل أنتِ مريضة؟» فلم تجب. بعد فترة لحق بها ابنها، فقال فندي للطفل: «أدخل يا بني، لماذا تقف

خارجاً في البرد»، فحاولت والدته إسكاته، ولكنه قال: «أتفرج على العسكر». علم فندي أن العسكر يطوقهم، فهبّ مع رفاقه وطلب منهم أخذ متاريس وراء النوافذ، ومناوشة القوة، بينما خرجت صاحبة الدار وابنها وزوجها، وفعل الشيء نفسه أصحاب البيتين الآخرين اللذين يتواجد فيهما باقي أفراد المجموعة.

في هذه الأثناء، كان الكولونيل روزنفالون يطوّق المنزلين الآخرين، بينما كان سعيد ومجموعة معه تطوّق المنزل الذي يتواجد فيه المجاهد فندي دون علمه. وبعد خروج أصحاب الدور، طلب سعيد بصوت جهوري من فندي وجماعته أن يخرجوا ويسلموا أنفسهم في خلال دقائق. ولكن الجواب على هذا الطلب جاء عسكرياً، فقام فندي برمي قنبلة دفاعية على القوة المتواجدة خارجاً، فتضعضع العسكر، وبدأ إطلاق الرصاص بغزارة على المنازل الثلاثة، فقام فندي ورفقاؤه بالرد المناسب والاشتباك الفعّال مع القوة المُحاصرة. حاولت هذه القوة التقدّم مرات عدة، في محاولة لاقتحام هذه المنازل ففشلت، على الرغم من هذا الحشد العسكري الذي تجاوز المئة وخمسين عسكرياً، فظهرت هشاشة الولاء للسلطة عند معظم العسكريين، أمام بسالة المجاهدين المدافعين عن الحق والكرامة.

استمرت المواجهة العنيفة أكثر من ساعتين، فلم يتوقف إطلاق الرصاص لحظة واحدة، فبدأت ذخيرة المجاهدين بالنفاد، فطلب فندي من رفقائه الخروج من المنزل، ومواجهة المعتدين وجهاً لوجه، وأنه لشرف كبير الاستشهاد في ساحة المعركة دفاعاً عن المبادئ والكرامة، من الموت ميتة رخيصة شنيعة، إن وقعوا أسرى في قبضة هؤلاء الوحوش الكاسرة.

حاول فندي أن يخرج من الباب مرات ثلاثاً، ولكنه لم يستطع نظراً لغزارة الرصاص المنهمر على مدخل المنزل ونوافذه، فتقدّم المجاهد نور الدين الحلبي نحو الباب وهمّ بالخروج، لكن القدر لم يمهله، فاخترقت صدره وبطنه رصاصات عدة، سقط إثرها على باب المنزل، فسحبه فندي إلى الداخل، حيث ثارت ثائرته، فقفز إلى الخارج كالسهم، وما هي سوى لحظات قليلة، حتى رمى أحد الجنود الرصاص عليه، فأُصيبت بندقيته وانشطر منها نحو عشر سنتيمترات من الأمام، بينما انتصب أمامه سعيد عبد

الساتر موجهاً الرصاص إليه، قائلاً له: «خذها من يد سعيد عبد الساتر». لكن هنا، ساعد القدر والرّب فندي على النجاة، حيث اخترقت الرصاصة «عقاله» الذي يرتفع مقدار بوصة واحدة عن رأسه، فانقطع «العقال» وارتمى فندي أرضاً وراء حائط صغير، فبدأ سعيد بالحداء، حيث ظنّ أن فندي قد قُتل، فاقترب منه ليراه، وللتأكد من موته، وعلى الفور، نهض فندي بسرعة لا توصف، فركع على ركبته، وصوّب بندقيته نحو سعيد قائلاً له: «خذها من يد فندي أبو ياغي»، وكان قدر سعيد مشؤوماً، فاخترقت الرصاصة جبينه، فخرّ على الأرض صريعاً، فهرب العسكر من حوله يولّي الأدبار[٨٤].

في هذه اللحظات، بينما كان فندي يجثم فوق جثة سعيد، حاول أحد العسكريين إطلاق النار عليه، فما كان من المجاهد الوطني المخلص، العسكري في صفوف حملة سعيد عبد الساتر، «بشير أبو شقرا» من بلدة عماطور، أن قام بانتزاع بندقية ذلك الجندي، وسلمه إلى فندي الذي عفا عنه ولم يقتله، وتركه يذهب في سبيله[٨٥].

أما رفقاء فندي لم يتلكأوا أبداً، بل استمروا بمناوشة القوات التي بدأت بالتقهقر، حيث هرب القائد روزنفالون أمام عساكره نحو بيت الدين يطلب النجدة. بعد ذلك، قام فندي يعاونه رفقاؤه في نقل رفيقهم الشهيد نور الدين الحلبي، حيث لم يستطيعوا نقله مسافة طويلة، بعدما تعرضوا إلى كمين كبير في وادي سرجبال، فتركوه هناك. في هذا الوادي حصل اشتباك عنيف بين مجموعة فندي وقوات الأمن الفرنسية، استمرّ لمدة ساعتين، استطاعت بعدها المجموعة فك الحصار المضروب عليها، وقد جرح في هذه المعركة المجاهد حمد صبح في قدمه، ولكن تلك الإصابة لم تمنعه من متابعة السير، ومتابعة القتال، واستمرت المجموعة في متابعة سيرها نحو بلدة كفرفاقود، التي فوصلتها في اليوم التالي للعملية عند العصر.

ولدى وصولهم إلى مزرعة البحيرة، أطلق فندي الرصاص في الفضاء، فسارع أهالي كفرفاقود وكفرمتى لاستقبال الأبطال، وقام أهل بلدة كفرمتى بحمل فندي على الأكف يحدون ويهزجون، وانتقلوا إلى السفح المطل على بلدة كفرفاقود، فجلسوا، وما هي إلاّ برهة قصيرة، حتى ذبحت الخراف، وكانت حفلة عظيمة، احتفاء بالنصر.

انتشر الخبر السعيد في الجبل انتشار النار في الهشيم، فانفرجت أسارير الوطنيين العروبيين، وتكدّرت خواطر الزاحفين المتآمرين.

بعد هذه الحفلة الكبيرة، هبط فندي مساء إلى مغارة العبد مع رفقائه، فباتوا ليلتهم فيها، وفي الصباح الباكر، غادر المجاهدون: حمد صبح ومطر مطر وأمين مطر وعلي أبو هنا وخطار المنذر، فودّعوا فندي واتجهوا نحو بلدة مجدليا، بينما بقي إلى جانب فندي المجاهدان محمود أبو يحيى وشاهين إسماعيل الصحناوي.

انتقل فندي مع رفيقيه إلى قاطع كفرمتى، مبتعداً عن المغارة، حيث أدرك أن القوات العسكرية ستداهمها. وما هي إلا ساعات معدودة، حتى شاهد فندي قوة كبيرة تقدّر بأكثر من أربعين جندياً تهبط إلى محيط «مغارة العبد»، ثم تغادر المنطقة بعد ساعة من الزمن.

ردّة فعل الفرنسيّين على العملية

بعد انهزام الكولونيل روزنفالون إلى بيت الدين، ومصرع سعيد عبد الساتر، جرّدت السلطة العسكرية في الشوف حملة كبيرة إلى بلدة عانوت، بقيادة نور الدين الرفاعي وعدد كبير من الضباط، حيث وصلوا إلى مكان الحادثة، فوجدوا الجثة ما زالت ممددة على الأرض، فاقترب منها بطرس عبد الساتر، شقيق سعيد، يولول ويشتم ويصرخ، فما كان من القائد نور الدين الرفاعي إلا أن سحبه إلى الوراء. وتمّ نقل الجثة إلى بيت الدين. وقد قام العسكر بحملة تمشيط واسعة، فلم يعثروا على شيء. ثم توزّعت القوة، فوضعت كمائن وحواجز في مناطق عدة، لاعتقال أفراد المجموعة المجاهدة، ولكن جهودهم ذهبت أدراج الرياح. وبعد يومين من تنفيذ العملية، قامت قوة كبيرة بالتوجّه إلى بلدة كفرفاقود، حيث تمّ اعتقال حوالي ٧٠٪ من سكانها وتمّ اقتيادهم إلى سجون دير القمر وبيت الدين. وروى لنا المعمرون[٨٦]، أن قسماً من رجال وشبّان البلدة، تعرضوا للتعذيب الوحشي، حيث جُلدوا عشرات المرات، وقام العسكر بإدخال السوط في أفواه بعضهم، حتى يقال: «لم يفلت إلاّ سماء حلقهم من الضرب»، وشملت الاعتقالات أفراداً من عائلات زهر الدين ونصر وأمان الدين. كما

تعرّض في الأسبوع نفسه، أهالي بلدات: كفرمتى، البنيه، عبيه، ديربابا، مجدليا، الجاهلية، عين وزين، لأعمال تعسفية وحشية، واعتقالات بربرية، مارس فيها الفرنسيون وأعوانهم أبشع أنواع التعذيب والقهر، بحق أبناء هذه القرى الدرزية.

أما حول مداهمة مغارة العبد، فيروي لنا السيد فؤاد حسين علامة، ابن أخي المجاهد الكبير فؤاد علي علامة ما يلي[٨٧]:

«قامت قوة عسكرية مؤلفة من أربعين نفراً بقيادة الكابتن الشيخ وديع الدويهي من بلدة زغرتا الذي كان يحب الدروز، لمواقفهم البطولية، يرافقه في هذه الحملة والدي حسين علي علامة، والشيخ محمود أبو حمزة، وبطرس عبد الساتر الذي أصرّ على المشاركة في هذه المداهمة، عله يشفي غليله.

وصلت القوة إلى أمام المغارة، فوزّع الكابتن الدويهي القوة، وهمّ بالدخول إلى المغارة، لكن والدي أصرّ على الدخول أولاً، ليبرهن عن حسن نيّته في الخدمة العسكرية، وكي لا يشك فيه أحد، بأنه يُغطي أفعال أخيه فؤاد علامة. في هذه الأثناء، لمح الكابتن الدويهي أن بطرس عبد الساتر يقوم بحركة مريبة، حيث انتقل من المكان الذي وضعه فيه، فنهره، وطلب منه التقدّم نحوه. فانتزع منه الكابتن بندقيته، وأجلسه جانباً، طالباً منه عدم الحراك».

قام حسين علامة بالدخول إلى المغارة بعد ذلك، ثم الدويهي ثم الشيخ محمود أبو حمزة، وانتقلوا من الغرفة السفلية إلى غرفة علوية، يُصعد إليها بدرج داخلي طبيعي، حيث توجد في هذه الغرفة نافذة صغيرة تطل على المنطقة الخارجية.

أضاء الكابتن الدويهي مصباحاً يدوياً ومرّر الضوء على الحائط، فدُهش لما رآه، حيث وجد عبارة محفورة بأصابع اليد على الحائط الغربي، تقول: «الله حق» وتحت هذه العبارة محفور اسم فندي أبو ياغي وأثني عشر مجاهداً تحت اسمه. قام الكابتن الدويهي بإزالة هذه الكتابة، وسجّل مكانها العبارة التالية: «الله حق، ينصر الدرك على العصابة». ثم خرجت المجموعة من المغارة، وانسحبت القوة بعد ذلك، إلى بيت الدين.

انتقال فندي إلى سوريا

بعد مغادرة القوة، انتقل فندي مع رفيقيه إلى كفرفاقود، ثم توجّه إلى بعقلين، بعدها انتقل إلى الباروك، وشرب نخب النصر على نبع الباروك مع عدد من الأصدقاء. وفي مسيرته من الباروك نحو بلدة عين زحلتا، التقى بالعسكري حسين علامة، فقال له فندي: «هل أنتَ مجنون حتى تقتحم المغارة، فلو كان أحد في داخلها، لما نجا أحدٌ منكم بحياته». فتعجّب حسين وقال له: «كيف عرفت أنني دخلت المغارة؟» فقال فندي له: «كنت أراقبكم من القاطع الثاني للنهر، وبعد رحيلكم انتقلت إلى بعقلين». بعد ذلك، ودّع فندي حسين علامة، متابعاً مشواره نحو البقاع فجبل العرب.

وصل فندي إلى بلدته رساس في العشرين من كانون الثاني ١٩٢٧، بعد رحلة شاقة مضنية، تعرّض فيها مرات عدة لخطر الموت، وقبل أن يدخل منزله، توجّه مباشرة إلى منزل الأمير متعب الأطرش، الذي هبّ إلى خارج المضافة فرحاً لاستقبال البطل الكبير. بعد ذلك، دخل فندي إلى المضافة، وسحب المحرمة من جيبه، وفتحها أمام الأمير بحضور حشد من الثوار والأصدقاء، فانهالت عبارات التكبير، وكلمات الثناء والفخر على بطولة فندي ومواقفه، وقام الأمير بذبح الخراف وأولم على شرف البطل مائدة كبرى، دعي إليها عدد من قادة الثورة في سوريا يومذاك.

صُعقت السلطة الفرنسية بمقتل سعيد عبد الساتر، حيث كانت تعتمد عليه في مهمات كبيرة في منطقة الجبل، وكان من أشد المتحمسين لتنفيذ إجراءاتها القمعية. لم تصدّق هذه السلطة أن مجموعة لا تتعدى عشرة أشخاص، استطاعت الإجهاز على أحد ضباطها، والإفلات من قبضة مئة وخمسين جندياً متواجدين في ساحة المعركة، فقامت بإرسال لجنة خاصة من الخبراء، لإجراء تحقيق ميداني حول هذه الحادثة، وفي ذلك، ذكرت جريدة لسان الحال ما يلي[٨٨]:

«أرسلت الحكومة إلى عانوت لجنة من الخبراء الفرنسيين، بصحبة المحقق العدلي يوسف أفندي شربل، لإعادة الكشف، ووضع تقرير مفصّل عن كيفية اغتيال الباشجاويش. أما عصابة فندي أبو ياغي التي اقترفت هذه

الجناية، فقد أخبر قادم من المتن، أنها شوهدت مؤخراً في منطقة المتن، على مقربة من قرية الشميسي».

كما كتبت جريدة لسان الحال، تحت عنوان: «عصابة فندي أبو ياغي»[٨٩].

«تلقينا من مراسلنا في الشوف، رسالة إضافية عن حوادث الشوف الأخيرة، عرف القرّاء حوادث عصابة فندي أبو ياغي الأخيرة في عانوت، واهتمام قيادة الدرك الشوف بمطاردتها. وقد اتصل بالسلطة العسكرية بعد وقوع هذه الحادثة، أن قرى الجاهلية وعين وزين وكفرفاقود، كانت تأوي العصابة وتخفي أمرها عن الحكومة. وأن شقيقي فندي أبو ياغي سليم وعارف موجودان في مزرعة البحيرة قرب كفرفاقود. فسيّرت دورية من الجند، تمكنت من إلقاء القبض عليهما، وعلى أربعة أشخاص آخرين، كانوا مجتمعين في منزلهما، وألقت القبض أيضاً على مختار بلدة الجاهلية، ومختاري قرية البنيه وعين وزين، وطلبت من الحكومة فرض غرامات مالية على القرى التي ثبت أنها كانت تأوي العصابات، وتخفي أمرهم عن السلطة.

أما عصابة فندي أبو ياغي، فإنها انقسمت بعد حادثة عانوت الأخيرة إلى قسمين: قسم تمكن بزعامة فندي أبو ياغي من الوصول إلى منطقة البقاع، والقسم الآخر انتشر في منطقة المتن».

أما جريدة البشير فإنها أوردت يوم الثلاثاء ما يلي[٩٠]: «عصابة فندي أبو ياغي في الشوف» — مقتل السرجان سعيد عبد الساتر. اتصل بحاكم الشوف العسكري أن فندي أبو ياغي الشقي الشهير لاجئ بعصابته إلى بيت في عانوت، إحدى قرى الشوف الجنوبي، فوجّه في الحال قوة دركية تتعقبه، وعلى رأسها معاونه القومندان روزنفالون. أطلت هذه القوة فجر يوم الجمعة على عانوت، وجعلت تتقدّم إلى بيت في ضاحيتها، قيل لها إن الأشقياء كامنون فيه قصد تطويقهم وسد باب الفرار في وجوههم. على أنه قبل أن تتمكن من إنجاز خطتها، ظهر عليها رجل ينساب في تلك البقعة، كانت العصابة على ما يظهر قد أقامته خارج المنزل للاستكشاف، فرمته القوة برصاصة أوقعته جريحاً، ولكنها نبّهت الأشقياء إلى الخطر المحدق بهم. فهبوا يطلقون الرصاص على الجند من خلال النوافذ، وحصلت إذ ذاك بين الفريقين شبه معركة عنيفة، انجلت عن مقتل السرجان سعيد عبد الساتر برصاصة اخترقت

صدره. أما العصابة فقد تمكنت من الفرار حاملة الرجل الجريح الذي سقط منها في أول المعركة، ويقول بعضهم أن هذا الجريح قد توفي.

وبعد هذه الحادثة، صدرت الأوامر إلى جميع القوات العسكرية في أنحاء الشوف وصيدا، أن تطوّق النقطة التي ظهرت فيها العصابة، سادة عليها الطرق ففعلت، وقد أدّت هذه الحركة إلى وقوع العصابة ثانية بين يدي الجند على مقربة من عانوت، حيث نشبت بين الفريقين معركة قُتل فيها من العصابة شقي لم يتصل بنا بعد اسمه.

أما السرجان القتيل فشاب في ريعان العمر، شجاع مقدام عُرف بمواقفه الجريئة في المواقع السابقة، التي حدثت بين الجند والعصابات، وهو الذي كان في المشرفة إلى جانب المرحوم الضابط إبراهيم الخوري، يوم ذهب ضحية واجبه العسكري، فكان الآن أن تبعه في الطريق نفسها. فالله المسؤول أن يتغمد روحه برضوانه، وأن يعزي آله الكرام على فقده.

أما الحكومة فنرجو منها إعلان بلاغ عن هذا الحادث تقول فيه، ماذا كان جزاء الناس الذين آووا الأشقياء إلى منزلهم في عانوت، وهل يجوز أن يحدث مثل هذا الحادث المؤسف في بيت من بيوت لبنان، ولا يُدمّر ذلك البيت على رؤوس أصحابه؟؟».

وكذلك كُتب في جريدة البشير تحت عنوان: «تكريم المرحوم سعيد عبد الساتر»[٩١]

«منح الباشجاويش على فرقة الفرسان المرحوم سعيد عبد الساتر من الدرك اللبناني نوط الاستحقاق اللبناني من الدرجة الثالثة، تكريماً له بعد الوفاة، وذلك لأنه كان ضابطاً ممتازاً أدى بنشاط عدة خدمات باهرة، وقد أرسل على رأس دورية للتحري عن عصابة، فعرف أنها في عانوت، فقصد إليها، فشاهدها وأخذ يقاومها إلى أن وقع ميتا».

٤

حادثة بيصور
يوم السبت ١٦ تموز ١٩٢٧م

بعد تنفيذ عملية عانوت، من قبل مجموعة فندي أبو ياغي زهر الدين، في الأول من كانون الثاني ١٩٢٧، قامت السلطة الفرنسية، بحملة مداهمات ومطاردة للمجموعة في جميع أنحاء الجبل والبقاع والجنوب، ولكن تلك الحملة لم تسفر عن نتيجة، فقط استطاعت اعتقال الأهالي في قرى عين وزين ومجدليا وكفرفاقود وديربابا وكفرحيم وبشتفين وديركوشه والجاهلية وبعذران، وفرضت غرامات على هذه القرى، إضافة إلى قيامها بمصادرة رؤوس الماشية والغلال، وقد اقترفت السلطة الفرنسية وأدواتها، أسوأ أنواع الممارسات اللاإنسانية في تعاطيها مع أبناء الجبل الدروز.

كل هذه الأعمال لم ترهب رجال مجموعة فندي، فبقيت المجموعة تتحرك في الشوف وعاليه والمتن والبقاع وصولاً إلى جبل العرب – السويداء، منفذين العديد من الضربات ضد الفرنسيين وأعوانهم، الذين أعياهم الأمر، فحوّلوا كل اهتمامهم إلى الجبل، وزرعوا منطقة المتن من الكنيسة وصولاً إلى تومات نيحا بالعساكر، ومخافر الشرطة ولكن دون جدوى.

وفي الخامس عشر من تموز ١٩٢٧، قام فندي ومطر مطر وحمد صبح بزيارة مجدليا سراً، فالتقوا بالأصدقاء والأقارب، وكانوا في النهار يجلسون في مغارة في سفح بلدة مجدليا، في أسفل بيصور، وفي الليل يسهرون في منزل سليم مطر في مجدليا. وفي السادس عشر من تموز ذهب المجاهد حمد صبح لزيارة صهره حسن العريضي في بلدة بيصور وأبلغ رفيقيه فندي ومطر مطر بالزيارة. ولدى وصول المجاهد حمد إلى منزل حسن أحمد العريضي، أبلغ الواشون السلطة الفرنسية، التي سارعت على الفور إلى

تجنيد قوة مؤلفة من عشرات الجنود وإرسالها إلى بيصور، لتطويقها واعتقال حمد صبح. وقبل وصول القوة بقليل إلى بيصور، لحق المجاهدان مطر مطر وفندي أبو ياغي حمد إلى منزل حسن العريضي الذي استضافهم وأكرم وفادتهم[٩٢].

عملية التطويق

قامت القوة الأمنية المرسلة من بيت الدين إلى بيصور عبر طريق جسر القاضي، بالتوزّع على محورين لدى وصولها إلى محلة قبرشمون: قسم كان بقيادة الملازم وهيب نور الدين الرفاعي، توزّع في أحراج قبرشمون وغرب بيصور وشمالها لجهة بلدة عيناب، لسدّ الطريق على المجاهدين. وقسم آخر دخل البلدة بقيادة الملازم أول سليم أفندي البستاني وكان معه حوالي ٤٠ نفراً وزّعهم على مفترقات الطرق، وبدأ بتفتيش المنازل، وقد وزّع عناصره إلى ثلاث مجموعات، وكان الأونباشي مهنا إبراهيم ريمان على رأس إحدى هذه المجموعات[٩٣].

مقتل مهنا إبراهيم ريمان

وصل مهنا إبراهيم ريمان إلى منزل الشيخ حسن أحمد العريضي وطوّقه على الفور، وقام بالاقتراب من الباب، وطلب من أصحابه فتح الباب للدخول، وعرّف عن نفسه. وهنا طلب فندي من حمد صبح أن يقفز من النافذة، ومن مطر أن يقفز من النافذة الثانية للمنزل وهو سيخرج من الباب، كما طلب من حسن وأهل بيته الانبطاح أرضاً، خوفاً من إطلاق الرصاص عليهم.

قام حمد فوراً بالقفز من النافذة، وهنا قام مهنا إبراهيم ريمان بإطلاق الرصاص عليه في الحال، فلم يصبه، فما كان من حمد صبح إلا أن بادره إلى إطلاق الرصاص، فأصابه في خاصرته، فسقط أرضاً، فما كان من أمر العسكريين إلا الفرار عند هذه المفاجأة، وقفز مطر مطر وفندي أبو ياغي فوراً إلى الخارج، يطلقون الرصاص، واشتبكوا مع القوة الأمنية، فرمى بعض الجنود أسلحتهم وركنوا إلى الفرار باتجاه الوادي. عند ذلك، اقترب حمد من مهنا إبراهيم ريمان دون أن يعرفه وأجهز عليه[٩٤]. وطلب حمد ورفيقاه

من حسن الالتحاق بهم، لكنه رفض وبقي في المنزل. بعد ذلك، قام فندي ورفيقاه بالتوجه إلى مجدليا ومنها إلى الوادي، ثم إلى منطقة عاليه فالمتن، حيث نزلوا في قرية رأس المتن عند أحد الأصدقاء.

إثر تلك العملية، قام أحد العسكريين الفارين بالتوجه نحو الأحراج، فأخبر القوة التي كانت ترابط في الأحراج، فأسرعت إلى المكان، وتم الاتصال بالقوة في بيت الدين التي أرسلت عدداً كبيراً من الجنود. وسار على رأسهم القومندان مراقب الأمن في الشوف الفرنسي روزنفالون والقومندان حليم شقير، فوصلوا إلى محلة الحادثة، ونقلت الجثة إلى بيت الدين.

وفي اليوم التالي الأحد ١٧ تموز ١٩٢٧، أُقيم في بلدة المعاصر مأتم عسكري للأونباشي مهنا إبراهيم ريمان، شاركت فيه السلطة بكثافة، وقام ممثل السلطة في بيروت الكولونيل الشيخ خليل الخازن، بتأبينه، وعلّق على النعش وسام الاستحقاق اللبناني من الدرجة الثالثة[٩٥].

ردّة الفعل العسكريّة الفرنسيّة

إثر ذلك، قامت السلطة باعتقال الشيخ حسن أحمد العريضي وزوجته عطارد شقيقة حمد صبح وابنته لميس وعبد الله العريضي وأمين أسعد العريضي والشيخ نجيب العريضي ونجيب مسعود صبح. كما قامت بتوقيف والد المجاهد حمد صبح ووالدته وسيقوا جميعاً إلى سجن بيت الدين.

وقد قام المحقق العدلي فيليب أفندي بولس بالتحقيق معهم في بيت الدين وأُخضعوا للتعذيب والضرب وأصدر مذكرة توقيف وجاهية بحقهم ما عدا والد حمد صبح ووالدته اللذين أُوقفا كرهينتين على ذمة التحقيق...[٩٦].

كيف تناولت الحادثة وسائل الإعلام التابعة للسلطة

ذكرت جريدة لسان الحال الخبر على يومين متتاليين حيث تناقض الخبر في اليوم الأول عن الخبر التالي وما جاء فيه تحت عنوان: «مطاردة شقي في بيصور»[٩٧].

قتل الجاويش إبراهيم مهنا من كفرمتى. تطويق الجنود لقرية بيصور. تفاصيل الحادثة.

«اتصل بالقيادة العسكرية في بيت الدين أن الشقي محمود الحمد موجود في بيصور فأرسلت قوة مؤلفة من أربعة أنفار يرأسها الجاويش إبراهيم مهنا للقبض عليه. وكان قد بلغ القيادة أيضاً أن الشقي مختبئ في بيت معين، فأوعزت إلى القوة المذكورة، بالتوجه مباشرة إلى ذلك البيت، ومفاجأة الشقي فيه. فتوجهت القوة وفقاً للأوامر الصادرة إليها، وطوّقت البيت الذي يقيم الشقي فيه، وكان موصد الأبواب. ثم تقدّم قائد القوة الجاويش إبراهيم مهنا ونادى أصحاب البيت طالباً فتح الباب، فردّت عليه امرأة تقول: «إن البيت خالٍ وأنها ذاهبة لفتح الباب».

وهنا اختلفت الرواية، فمن قائل أنه بعد فتح الباب، دخل الجاويش ليتثبت من وجود الشقي، فعوجل بطلقة نارية قتلته في الحال.

ومن قائل: أنه دخل وشرع يفتش في البيت إلى أن وصل إلى خزانة، فهمّ بفتحها، وعندها أطلق الشقي النار عليه فقتله.

وسواء أصحّت هذه الرواية أو تلك، فالواقع أن الجاويش قُتل ضحية جرأته وإخلاصه في الخدمة.

فلما رأت القوة أن رئيسها قد قُتل، خشيت مغبة الأمر، وقفلت عائدة أدراجها تعلم القيادة بما جرى، فأرسلت القيادة على الأثر، قوة من الجنود إلى بيصور، فطوقتها من جميع جهاتها، ومنعت الخروج منها والدخول إليها، وبوشرت مطاردة الشقي والتحقيق مع أهل المنزل الذي كان يختبئ فيه. أما الجندي القتيل، فقد أهدت الحكومة إليه وسام الاستحقاق اللبناني بعد الوفاة، اعترافاً بإقدامه وشجاعته، وتقديراً لتضحيته، وكلّفت حضرة الكولونيل الشيخ خليل الخازن بالتوجه إلى الشوف، لتعليق الوسام على صدره الهامد، رحمه الله وعزّى آله عن فقده».

وفي اليوم التالي ذكرت لسان الحال تحت عنوان: «حول حادثة بيصور» ما يلي[٤٨]: «إن مثل هذه الحادثة لا يؤبه لها، لأنها من الحوادث الإفرادية التي تحدث في كل مكان وزمان، وخلاصتها على ما ذكرنا أمس، أن الحكومة أرادت أن تلقي القبض على شقيين فارين من وجه العدالة، فكان من أمر مطاردتهما قتل أحد الجنود، فذهب ضحية الواجب.

وقد أُلقي القبض على شيخ قرية بيصور ومختارها وبعض أبنائها، وقد

أظهر الجند اللبناني، بقيادة الملازم الأول سليم أفندي البستاني، كل دراية، كما أن القومندان روزنفالون كان مثال الدراية والحكمة مع المحافظ محمود بك تقي الدين.

وبعد كتابة ما تقدم، تلقينا من مراسلنا في الشوف تفاصيل الحادث نرويها كما يلي: اتصل برجال السلطة في الشوف أن الشقي حمد دعيبس موجود في بيصور، فسيّرت قوة مؤلفة من أربعين دركياً لتطويق القرية والقبض عليه، فانقسمت هذه القوة إلى قسمين: قسم قصد بيصور وجوارها بقيادة الملازم الأول سليم أفندي البستاني، والقسم الآخر كمن في الأحراج المجاورة لقرية بيصور، بقيادة الملازم وهيب بك نور الدين الرفاعي.

فلما وصلت القوة الأولى إلى جوار بيصور، وزّع قائدها رجالها حوالي القرية، وأرسل قوة مؤلفة من إثني عشر دركياً بقيادة جاويش، لتفتيش منازل القرية منزلاً منزلاً، فقامت هذه القوة، وأخذت تفتش منازل القرية. فلما اقتربت من منزل حسن العريضي، خرجت من المنزل إبنة صاحبه، المدعوة لميس، فلما شاهدت الجنود يقتربون، أسرعت فأغلقت الباب باضطراب، فراب أمرها الجنود، وخشوا أن يكون الشقي الذي يفتشون عليه موجوداً في المنزل، وإن إسراع الفتاة لم يكن إلا لإنبائه بالأمر. فطوّقوا المنزل من جميع جهاته، وأسرع الأونباشي مهنا إبراهيم إلى الجهة القبلية ليحول دون فرار الشقي من تلك الجهة، وبينما يحاول أخذ استحكام في مكان أمين، رأى الشقي يقفز من النافذة ويحاول الفرار، فأسرع لمطاردته، فلم يشعر إلا رصاصة اخترقت جنبه الأيمن وخرجت من جنبه الأيسر، فسقط على الأرض، وأخذت دماؤه تسيل بغزارة.

وأسرع الجنود على صوت البارود، فشاهدوا رفيقهم على آخر رمق، فاهتموا بضمد جراحه، فاغتنمها القاتل فرصة وتوارى عن الأنظار. ولم يلبث الجريح أن فارق الحياة بعد بضع دقائق، ووصل النبأ إلى القومندان روزنفالون والقومندان حليم بك شقير، فأسرعا على رأس قوة إلى مكان الحادث، فنقلت الجثة إلى المعاصر، مسقط رأس القتيل، حيث أُحتفل بدفنها نهار الأحد المنصرم، بموكب مهيب، مثّل فيه الحكومة الكولونيل

الشيخ خليل الخازن، وأبّنه بخطاب مؤثر، وعلّق على نعشه وسام الاستحقاق اللبناني من الدرجة الثالثة».

إن التناقض واضح في هذين الخبرين، ويتضح هنا مدى عجز السلطة وخوفها من هذه المجموعة، حيث روى لنا المعمرون[٩٩] أن القوة التي قامت بالدخول إلى بيصور، ربطت خيولها في الأحراج، ودخلت إلى شوارعها كاللصوص، كأنهم يريدون سرقة شيء أو اقتناص غرض ما، ولكنهم لم ينجحوا، على الرغم من تعدادهم. وهنا يتّضح لنا تحرك روزنفالون وحليم شقير على رأس قوات إضافية إلى بيصور، لمساندة القوة الموجودة، وخوفاً على نفسيهما، حيث إن روزنفالون لم ينسَ حادثة عانوت، وفراره إلى بيت الدين على الرغم من وجود أكثر من مئة وخمسين جندياً بإمرته في ١٩٢٧/١/١.

هوامش مجموعة فندي أبو ياغي

١ و٢. حديث مسجّل في مقابلة شخصية مع نجله متعب في ١٩٩٩/٨/٨.

٣ حديث مسجّل مع الشيخ أبو جميل فرحان محمود زهر الدين في ١٩٩٧/٧/٦ والسيد رامز محمود زهر الدين ابن أخت المجاهد فندي في ١٩٩٧/٨/١٢.

٤ حديث مسجل مع الشيخ هزيمة سعيد زهر الدين في ١٩٩٦/٦/١٢.

٥ مقابلة شخصية مع الشيخ أبو شفيق سليمان يوسف زهر الدين في السويداء في ٢٠٠١/٩/١٨.

٦ مقابلة شخصية مع الشيخ علي يوسف طربيه في منزله في بلدة ديربابا في ٢٠٠٢/٦/٤.

٧ مقابلة شخصية مع السيد علي يوسف حمندي مخيبر في ديركوشه في ٢٠٠٢/٤/١.

٨ يسكن الأمير متعب الأطرش وأولاده حالياً في قرية رساس – محافظة السويداء – سوريا.

٩ حديث مسجّل مع الشيخ أبو صابر علي أمان الدين في رساس في ١٩٩٦/٨/١٢ وهو جار المجاهد فندي في السكن في رساس – السويداء.

١٠ جريدة البشير – بيروت، عدد ١٩٢٦/١/١٦.

١١ أدهم آل جندي، تاريخ الثورات السورية الكبرى، مطبعة الاتحاد، سوريا، ط١ ١٩٦٠، ص ٥١٠.

١٢ مذكرات سلطان باشا الأطرش، مطبعة الشرق العربية – القدس – ط١ ١٩٧٩، ج٢، ص ١٥٣.

١٣ مقابلة شخصية مع الشيخ أنور محمد مطر، في مجدليا في ٢٠٠٢/٨/١٣ وقد ذكر لنا أن الرسول كان أمين محمود مطر.

١٤ راجع أعداد جريدة لسان الحال في ٤و٦و١٠و١٢و١٤و١٧ كانون الثاني ١٩٢٧م.

١٥ مقابلة شخصية مع فؤاد حسين علامة في بعذران في ٢٠٠٣/١/٣١.

١٦ و١٧ و١٨. حديث مسجّل مع نجله متعب في ١٩٩٩/٨/٨.

١٩ مقابلة شخصية مع السيد فوزي زيدان في دميت في ٢٠٠٢/٦/٢٢.

٢٠ راجع أعداد جريدة لسان الحال في ٧ و ٨ و ١٠ تشرين الأول ١٩١٩م.

٢١ مقابلة شخصية مع فوزي زيدان في ٢٠٠٢/١٠/١٠ في دميت.

٢٢ مقابلة شخصية مع الشيخ هزاع طربيه في دميت في ٢٠٠٢/٦/٢٨.

٢٣ و٢٤. مقابلة شخصية مع حفيده خالد نجيب أبو إسماعيل في ديربابا في ٢٠٠٢/٦/١٢.

٢٥ مقابلة مع ابنته زوجة المجاهد رشيد شاهين نصر في كفرفاقود في ٢٠٠٢/٦/٥.

٢٦ و٢٧ مقابلة شخصية مع إبن عمه علي يوسف حمندي مخيبر في ديركوشه في ٣/١٦ و٢٠٠٢/٤/١.

٢٨ مقابلة شخصية مع غالب علي طربيه في ديربابا في ٢٠٠٢/٥/٢٧.

٢٩ مقابلة شخصية مع السيد خليل مجيد أبو عماد في ديربابا في ٢٠٠٢/٩/٣.

٣٠ مقابلة شخصية مع ابنته، زوجة المجاهد رشيد شاهين نصر في كفرفاقود في ٢٠٠٢/٦/٥.

٣١ راجع جريدة الحقيقة عدد ٣ تشرين الثاني ١٩١٩، بيروت.

٣٢ و٣٣. مقابلة شخصية مع صهره، هزاع طربيه في دميت في ٢٠٠٢/٦/٢٨.

٣٤ مقابلة شخصية مع السيد علي يوسف مخيبر، في ديركوشه في ٢٠٠٢/٢/١.

٣٥ مقابلة شخصية مع السيد فؤاد سعيد شبلي ضو في بشتفين في ٢٠٠٢/٦/٢٤.

٣٦ مقابلة شخصية مع الشيخ أنور محمد مطر في مجدليا في ٢٠٠٢/٨/١٣.

٣٧ راجع لسان الحال عدد ١٩٢٧/١/٤ وجريدة البشير عدد ١٩٢٧/١/٤.

٣٨ راجع لسان الحال عدد ٢٠ تموز ١٩٢٧.

٣٩ مقابلة شخصية مع الشيخ أنور محمد مطر في مجدليا في ٢٠٠٢/٨/١٣.

٤٠ جريدة لسان الحال، عدد ١٩٢٣/١٠/٢٩.

٤١ جريدة لسان الحال، عدد ١٩٢٣/١١/١.

٤٢ و٤٣. جريدة لسان الحال أعداد ١٩٢٧/١/٤ و ١٩٢٧/٧/٢٠.

٤٤ جريدة البشير، عدد ١٦ آب ١٩٢٧.

٤٥ مقابلة شخصية مع الشيخ أبو كمال نعيم سعيد مطر في مجدليا في ٢٠٠٢/٧/٢٧. مواليد ١٩٠٥م.

٤٦ مقابلة شخصية مع أمين سعيد أبو هنا، كفرمتى في ٢٠٠٢/٩/٢٦.

٤٧ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج١، ص ١٧٠.

٤٨ أمين سعيد أبو هنا، مصدر سابق.

٤٩ و٥٠. جريدة لسان الحال، عدد ١٩٢٧/١١/٨.

٥١ مقابلة شخصية مع السيد أبو رامز أمين جعفر في بشتفين في ٢٠٠٢/٤/١.

٥٢ مقابلة شخصية مع متعب فندي أبو ياغي زهر الدين في كفرفاقود في ١٩٩٩/٨/٨.

٥٣ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج١، ص ١٧١ و ٢٧٧ يذكر اشتراكه في اقتحام راشيا.

٥٤ مقابلة شخصية مع صهره الشيخ أبو عصام سليم ملحم زهر الدين في كفرفاقود في ٢٠٠٢/٦/١٥.

٥٥ لقاء شخصي مع الشيخ أبو شفيق سليمان زهر الدين – السويداء، ٢٠٠١/٩/١٨.

٥٦ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ص ١٧٠.

٥٧ و٥٨. مقابلة شخصية مع السيد رجا سلوم صهر المجاهد محمد سلوم في بعقلين في ٢٠٠٢/٨/٢٠.

٥٩ مقابلة شخصية مع صهره سليم ملحم زهر الدين في كفرفاقود في ٢٠٠٢/٩/٢.

٦٠ الشيخ أنور مطر، مصدر سابق.

٦١ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج١، ص ١٧٠.

٦٢ جريدة البشير ١٩٢٧/٨/١٦.

٦٣ متعب فندي أبو ياغي زهر الدين، مصدر سابق، ١٩٩٩/٨/٨.

٦٤ و٦٥. علي يوسف مخيبر، مصدر سابق، ٢٠٠٢/٣/١٦.

٦٦ متعب زهر الدين، مصدر سابق.

٦٧ مقابلات شخصية مع: الشيخ فرحان محمود زهر الدين، هزيمة سعيد زهر الدين، أمين إبراهيم نصر، حمد شاهين آمان الدين، سليم ملحم زهر الدين، حيث يروون أن أكثر من سبعين شخصاً من بلدة كفرفاقود من معظم عائلاتها سيقوا إلى سجن بيت الدين وبعقلين ودير القمر، واستمرّت فترة اعتقالهم ما بين أسبوع وشهر تقريباً.

٦٨ جريدة لسان الحال، ١٩١٩/١٠/٨.

٦٩ و٧٠. جريدة لسان الحال، أعداد ٩ و١٠ و١١/١٩١٩/١٠.

٧١ إبراهيم الأسود، تنوير الأذهان في تاريخ لبنان، مجلد ٢، ص ٣٦٥، دار يوسف صادر، بيروت، ١٩٣٠.

٧٢ أنطوان شعبان، مقال في جريدة الديار النبنانية، تحت عنوان: ملف العائلات اللبنانية، في ٦ آذار ١٩٩٨.

٧٣ جريدة الحقيقة ١٩١٩/١١/٣.

٧٤ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٢٠٩.

٧٥ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج١، ص ٢١٩.

٧٦ مقابلة شخصية مع الشيخ هزاع طربيه في دميت في ٢٠٠٢/١/٢٨ وقد رواها له عمه المجاهد علي يوسف طربيه كما حصلت معهم هذه العمنية.

٧٧ أنور محمد مطر، مصدر سابق، ٢٠٠٢/٨/١٣.

٧٨ مقابلات شخصية مع هزيمة سعيد زهر الدين ومحمود فرحان زهر الدين ونجله متعب في ١٩٩٩/٨/٨، و١٩٩٦/٦/١٢.

٧٩ مقابلة شخصية مع الشيخ أبو نواف حسين زهر الدين في بلدة شقا – السويداء في ١٩٩٩/٩/١٢.

٨٠ جريدة البشير، عدد ١٩٢٦/١١/٢٩.

٨١ و٨٢. جريدة لسان الحال أعداد ١٢/٢١ و ١٩٢٦/١٢/٣٠.

٨٣ مقابلة شخصية مع السيد أنور بك حماده في بعقلين في ٢٠٠٢/١٠/١٥.

٨٤ متعب زهر الدين، مصدر سابق.

٨٥ في لقاء مع السيد أنور بك حماده في ٢٠٠٢/١٠/١٥، روى لنا أن ذلك البطل بشير أبو شقرا، حُكم بالسجن سنة، وطُرد من الخدمة، ثم أرسله أهله إلى الولايات المتحدة خوفاً من عملية انتقام يقوم بها بطرس عبد الساتر شقيق سعيد ضده.

٨٦ مقابلة شخصية مع الشيخ سليم ملحم زهر الدين صهر المجاهد قاسم زهر الدين في ٢٠٠٢/١٠/١٠.

٨٧ مقابلة شخصية مع السيد فؤاد حسين علامة في بعذران في ٢٠٠٣/١/٣١.

٨٨ راجع لسان الحال عدد ١٩٢٧/١/١٠.

٨٩ راجع لسان الحال عدد ١٩٢٧/١/١٤.

٩٠ البشير، عدد ١٩٢٧/١/٤.

٩١ البشير، عدد ١٩٢٧/١/٨.

٩٢ مقابلة شخصية مع الشيخ أنور محمد مطر في مجدليا في ٢٠٠٢/٨/٢٠ في منزله.

٩٣ راجع لسان الحال عدد ٢٠ تموز ١٩٢٧ و١٩ تموز ١٩٢٧ والشيخ أنور مطر.

٩٤ مقابلة شخصية مع الشيخ أنور مطر في ٢٠٠٢/٨/٢٨ في مجدليا.

٩٥ جريدة لسان الحال عدد ١٩٢٧/٧/٢٠.

٩٦ جريدة لسان الحال عدد ١٩٢٧/٧/٢٧.

٩٧ جريدة لسان الحال عدد ١٩٢٧/٧/١٩.

٩٨ جريدة لسان الحال عدد ١٩٢٧/٧/٢٠.

٩٩ مقابلة شخصية مع الشيخ أبو كمال نعيم سعيد مطر في مجدليا في ٢٠٠٢/٧/٢٧ في منزله، وهو من مواليد ١٩٠٥م.

٣

مجموعة المجاهد أحمد هاني

أ. مجموعة المجاهد أحمد هاني

١. أحمد سليمان هاني ١٨٩٠-١٩٢٧م
٢. قاسم حمود خطار ١٨٦١-١٩٤٠م
٣. زين الدين شزبك ١٨٧٧-١٩٤٥م
٤. سعيد قاسم خطار ١٩٠١-١٩٧٧م
٥. سعيد شمس الحسنية ١٩٠٢-١٩٢٧م
٦. هاني يوسف الدلغان ١٩٠٥-١٩٩١م
٧. شمس محمود الحسنية ١٩٠٨-١٩٩٦م

ب. المواجهات والحوادث العسكرية

١. حادثة بوابة تاج الدين – بعذران

١

المجاهد أحمد سليمان هاني
١٨٩٠- ١٩٢٧م

ولادته ونشأته

في بلدة بعذران بالشوف، وُلد المجاهد أحمد سليمان هاني في أسرة متواضعة، فنشأ في بقعة جبلية صخرية صلبة، أضفت عليه من صلابتها عناداً وبأساً، وتشبثاً بالأرض، أهلته للدفاع وقتال الغزاة والمحتلين.

في صغره أدخله ذووه مدرسة البلدة المتواضعة، ولكنه لم يرغب في متابعة الدراسة، فانصرف في مرحلة شبابه إلى مساعدة الأهل في الأعمال الزراعية وغيرها في بلدته وفي بعض قرى الشوف.

انطلاقته النضالية

في ربيع ١٩١٦ كانت انطلاقته النضالية ضد السلطة العثمانية فسارعت هذه بإرسال قوة إلى بعذران، لاعتقاله مع بعض الشبّان، على أثر حادثة وقعت فاستطاع الفرار، واتجه نحو البقاع ثم سوريا. ومن هناك يمم وجهته نحو شرق الأردن، حيث كانت طلائع القوات العربية تتقدم من الحجاز، تتعقب القوات التركية، فأسهم أحمد ومعه قريبه فخر الدين إسماعيل هاني إلى جانب الثوار الأحرار في خوض غمار المعارك البطولية في شرق الأردن ودرعا، ووصلوا إلى مدينة دمشق، مع موكب سلطان باشا الأطرش في أواخر أيلول ١٩١٨[١].

بعد هزيمة العثمانيين، ورحيلهم عن سوريا ولبنان، عاد أحمد إلى بلدته بعذران، يعمل في الزراعة مدة من الزمن، ثم انتقل مجدداً إلى دمشق، واشترك في العمليات العسكرية التي كانت تخوضها المجموعات الفدائية

المجاهدة، بقيادة العقيد فؤاد سليم، ضد التجمعات الفرنسية في البقاع، وعلى امتداد الحدود السورية اللبنانية.

استمرّ أحمد يجاهد مع هذه المجموعات إلى أن وقعت معركة ميسلون الخالدة، فأسهم إلى جانب رفقائه في التصدي للقوات الفرنسية الغازية، وأنزلوا بادئ الأمر فيها خسائر فادحة، ولكن القوى لم تكن متكافئة، فاستطاع الفرنسيون التقدّم، ودخلوا مدينة دمشق في ٢٤ تموز ١٩٢٠، فانسحب أحمد مع رفقائه إلى السويداء، ومكث هناك ما يقارب ثلاثة أشهر، عاد بعد ذلك إلى بعذران[٢].

وفي العام ١٩٢١، كان أحمد قادماً من بلدة معاصر الشوف إلى بلدته بعذران، فوجد في خراج بلدة المعاصر، أحد رجال الدين وزوجته مقتولين، وجثتيهما معلقتين على شجرة تين، في مشهد يثير الحساسية، ويبعث الأحقاد الطائفية، وذلك على مرأى من أعين السلطة الفرنسية. فهاجت في نفس أحمد ثورة داخلية عارمة، فصمم على تنفيذ عمل عسكري ضد الفرنسيين الذين يشجعون هذه الأعمال، وضد أعوانهم الذين يقومون بتنفيذ تلك الأحداث المكدّرة، في سياسة أراد بها الفرنسيون تشتيت أبناء الوطن الواحد، لإطالة أمد وجودهم في لبنان والمنطقة.

قام أحمد بشراء بندقية حربية مع ذخيرة لها، من أجل تنفيذ ما صمم على القيام به، ولكن جواسيس السلطة الذين يسهرون على خدمة ولاتهم، لا ينامون، فأبلغوا القوة الأمنية في بعذران بأمر أحمد هاني، فتوجّهت قوة عسكرية، وطوّقت منزله، وصادرت البندقية وأصدرت مذكرة توقيف بحقه.

لكن أحمد لم يتراجع عن موقفه، فقام في اليوم التالي ببيع قطعة أرض، واشترى بندقية أخرى، ثم انتقل إلى منطقة مرج بسري، يرافقه يوسف أمين سليم من بلدته، وجهجاه أبو غنام من بلدة جباع الشوف، فاشتبك مع عدد من عملاء السلطة، فقتل اثنين منهم، ثم عاد إلى بعذران[٣].

علمت السلطة بواسطة مخبريها أن أحمد نفّذ تلك العملية، فقامت بتطويق بلدة بعذران، لكنه استطاع الإفلات، وانتقل إلى أحراج بلدة باتر واختبأ فيها مع رفيقيه.

بعد ذلك، قام أحمد بالتصدي للدوريات العسكرية والاشتباك معها في مناطق متعددة، وكان ينسلّ إلى بلدته، فينزل في ضيافة عدد كبير من أبنائها، من آل خطار وسلوم وهاني وشزبك. وفي تلك الفترة اشتدّ الضغط الفرنسي على بعذران، مما ولّد حقداً متصاعداً ضد المستعمر، فأدى إلى مغادرة قسم كبير من شبابها البلدة، والاشتراك مع أحمد في عملياته العسكرية، نذكر منهم: زين الدين محمود شزبك، أحمد سعيد شزبك وأخوه محمد، حسين علامة وفؤاد علامة، أحمد شاهين سلوم، نعيم خطار، حمود خطار وولده قاسم، هاني الدلغان، واتسعت مجموعة أحمد مجموعته لتضم مجاهدين من المتن وعاليه، نذكر منهم: محمود زيتونة، محمد وسعيد المشطوب، يوسف غزال، حسين ناصيف وداوود محاسن وغيرهم[٤]. تابع أحمد تحركاته في الجبل والبقاع والجنوب، فأقلق السلطة الفرنسية، فسعت جاهدة إلى التخلّص من مجموعته ومجموعة فندي أبو ياغي، ولكنها فشلت في القضاء عليهما.

أحمد في معارك الثورة

أسهم أحمد في معظم المعارك، فخاض معركة راشيا، وكفرمشكي وقطنا ومجدل شمس والغوطة، والسويداء، وشهد له الأمراء سلطان باشا الأطرش[٥] وزيد الأطرش وعادل أرسلان، حيث كان في هذه المعارك، يقود مجموعات مجاهدة كبيرة، تأتمر بأمره إلى جانب قادة آخرين، ومنهم فؤاد سليم وشكيب وهاب وحمد صعب وغيرهم.

وفي مطلع صيف ١٩٢٦، رأى أحمد أن القوات الفرنسية، بدأت تتدافع على مواقع الثورة في سوريا، وأن الثورة بدأت بالتراجع، فصمم على القيام بعمل عسكري كبير في لبنان، يقود الفرنسيين إلى سحب قواتهم من بعض الجبهات في سوريا، وذلك لتخفيف الضغوط عن سلطان باشا الأطرش ورفقائه.

زحف أحمد مع مجموعة تقدّر بأكثر من مئة مجاهد في أواخر شهر حزيران ١٩٢٦، من منطقة البقاع وتوجّه إلى بعذران، فعلمت السلطة الفرنسية بذلك، وعلى الفور، وجّهت حملة بقيادة حاكم الشوف العسكري

الكولونيل كليمانسون. أمام هذا الحدث الكبير، تحركت السيدة نظيرة جنبلاط وشيخا العقل حسين طليع وحسين حماده، فطلبوا من الحاكم العسكري وقف تقدمه، مقابل أن ينسحب أحمد ومجموعته من بعذران. بدأت المفاوضات مع أحمد شخصياً، فطلبوا منه الانسحاب وتجنيب منطقة الشوف الخراب، كما حصل في منطقتي حاصبيا وراشيا، كما ذكروا له أنهم مستعدون لتقديم كل دعم للثوار، على شرط أن يغادروا المنطقة. على أثر ذلك الإلحاح السياسي والديني، انسحب أحمد من بعذران نزولاً عند رغبتهم[٦]، وانتقل على مضض إلى سوريا. بعد ذلك بأسبوع عاد أحمد إلى بعذران لزيارة أحد أقاربه، وإذ برسول يخبره أن قوة عسكرية كبيرة قادمة لاعتقاله، فاشتبك أحمد معها واستطاع قتل أحد أفرادها المدعو سركيس المدوّر[٧]، وخرج سالماً من بعذارن عائداً إلى سوريا. فتابع خوض غمار معارك الثورة الأخيرة في اللجاه، ولكنه لم يرحل مع الثوار إلى الأزرق في شرق الأردن، بل عاد إلى لبنان، مفضلاً الاستمرار في مقارعة الاستعمار، والاستشهاد في أرض المعركة.

إصابة أحمد هاني

في أواخر شهر نيسان ١٩٢٧، كان أحمد يتنقل بين بلدتي مرستي وجباع في الشوف، يرافقه المجاهد هاني الدلغان وبعض المجاهدين، وإذا بقنبلة يدوية تسقط من جعبة هاني، فأُصيب إصابة طفيفة، بينما أُصيب أحمد سليمان هاني إصابة بالغة، وتمّ نقله إلى مغارة في سفح جبل عين قني واستمر يتعالج مدة ثلاثة أسابيع.

وفي تلك الأثناء، أحسّ أحمد هاني بالإحباط، فقد بات عاجزاً عن السير والحراك، فنظم بيوتاً من الميجانا أسمعها لرفيقه المجاهد شمس الحسنية وهي:

نزل دمعي على خدّي بمغرها
وشقف بومبات لعظمي مغرها
يوم راشيا أحد قبلي ما غرها
حرقتها وفتحت فيها بواب

ثم يتحسّر على وضعه الصحي، عندما كانت النساء تذهب إليه خلسة وتأتي له بالطعام إلى المغارة، كي لا تتنبه أعين السلطة إلى وجوده، فقال:[٨]

نـــزل دمـعـي عــا خـدّي بـــالــحــراج
وحـكـومـي خـايـنـة سارت بـالـحـراج
صـارت النسا تـجيب لـي أكل بالحراج
أكـل وشـراب مـــــن أجـل الــــغـذا

وقد ذكرت جريدة البشير معلومات ملفّقة حول هذه الحادثة فقالت تحت عنوان: «بشّر القاتل بالقتل»[٩].

«كان هاني الدلغان قاتل الأرمني وجارح أخيه في المختارة، يسير في عصابة أحمد سليمان هاني، على طريق بين قريتي مرستي وجباع في الشوف، فانفجرت معه قنبلة يدوية كان ينقلها، فقتلته وجرحت رئيس العصابة».

إن هاني الدلغان لم يُقتل بل أُصيب إصابة طفيفة كما ذكرنا.

استشهاده

كان أحمد هاني يتنقل ما بين الشوف وعاليه والبقاع وراشيا. وفي عام ١٩٢٧، كان يتردد إلى قرية كفرقوق، لدى صديق من آل العنداري.

قام سليم عربي الذي تربطه علاقة مع السلطة الفرنسية، بالوشاية على ابن بلدته، فقامت السلطة باعتقاله، وقد تعرّض للتعذيب كي يعترف عن أماكن تواجد أحمد هاني، لكنه لم يعترف، فاستمرت زمرة السلطة في القيام بعملية تعذيب وحشية، حتى مات ابن العنداري، في أحد أقبية تلك الزمرة، ثم دفعوا بجثته إلى بلدته كفرقوق.

علم أحمد هاني من زوجة المغدور تفاصيل ما حصل لزوجها، وتصرفات الفرنسيين وعملائهم، فقرر الانتقام من هذا العميل الحقير. اصطحب أحمد إلى كفرقوق رفيقيه هاني الدلغان وأمين يوسف سليم، فوصل مساء ٣ تشرين الأول ١٩٢٧[١٠] إلى منزل سليم عربي، فوضع رفيقيه خارج المنزل، وطلب منهما إطلاق النار على كل مَن يخرج من المنزل بعد أن يقتحمه.

طرق أحمد الباب مرات عدة الباب، ففتح له سليم عربي، فشهر أحمد السلاح عليه، وطلب منه في بادئ الأمر مبلغ مئة ليرة عثمانية، بدلاً عن روح المغدور كي يسلمها لزوجته.

لكن سليماً حاول خداع أحمد، فطلب من زوجته الانتقال إلى غرفة في الطابق العلوي، وأن تجلب المبلغ المطلوب. وفي تلك الغرفة، تقبع قوة أمنية، كانت تأتي كل مساء للحفاظ على حياة هذا العميل. أحسّ أحمد بالحيلة، فتقدّم من سليم ووضع السكين على رقبته، فصرخ سليم، عند ذلك، شاهد أحمد قوة من الدرك تنزل الدرج للقبض عليه، فقتل سليم، وفرّ من النافذة إلى الخارج. في هذه الأثناء، صودف وجود رفيقه هاني الدلغان أمام النافذة، فأطلق النار عليه، حيث ظنّه سليم عربي أو أحد العسكريين، فصرخ أحمد به: «قتلتني يا هاني». تقدّم هاني منه، فصُدم لما رآه، وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، طلب من رفيقه الانسحاب ولكن القوة اندفعت إلى الخارج، فاشتبك هاني ويوسف معها، فأُصيب هاني إصابة بالغة في كتفه، وعلى الرغم من ذلك، استطاع الانسحاب مع رفيقه من المنطقة والقدوم إلى الشوف، وعاد هاني إلى بلدته كفرنبرخ، وقامت والدته بمعالجته بمساعدة أحد الأطباء يومذاك[11].

رفضت القوة الفرنسية تسليم جثة الشهيد أحمد هاني إلى ذويه في بعذران، فقام آل العنداري في كفرقوق بإقامة مأتم له، وتمّ دفن جثته هناك في الرابع من تشرين الأول ١٩٢٧.

٢

المجاهد قاسم حمود خطار
١٨٦١ - ١٩٤٠

وُلد في بلدة بعذران، وعمل في الزراعة، حيث كان يملك أراضي شاسعة، فكانت أحواله المادية ميسورة، وقد اشتهر باندفاعه ومساعدته للمحتاجين في بلدته وخارجها، وعندما بدأت الثورة تعصف في جبل لبنان في وجه الفرنسيين، كان منزله موئلاً للمجاهدين والمناضلين، فكان يستضيفهم ويقدم لهم الطعام والشراب، ويؤمن لهم الذخيرة، ويقوم ولده سعيد بنقلها لهم إلى أماكن تواجدهم.

وعندما نشبت الثورة السورية الكبرى، لم يتأخر عن اللحاق بالمجاهدين، فاشترك في معارك راشيا وحاصبيا والغوطة على الرغم من تقدمه في السن.

وعلى أثر مقتل أحد المسؤولين العسكريين في بعذران على يد أحمد هاني[١٢]، قامت السلطة باعتقاله مع ولده سعيد، وسُجن لمدة سنة تقريباً ثم أطلقت سراحه. وقد اتهمته السلطة بالاشتراك في الثورة السورية الكبرى، حيث أُحضر من سجن بيروت إلى جديدة مرجعيون في ١٨ أيار ١٩٢٧[١٣] للتحقيق في حوادث تلك المنطقة إبّان الثورة. وبعد إطلاق سراحه، عادت السلطة في ٨ أيار ١٩٢٨[١٤] إلى اعتقاله ثانية، حيث وُجهت إليه اتهامات بإيواء المجاهدين ومساعدتهم. وقد سُجن لمدة سنة كذلك، ثم أُطلق سراحه، وبقي في بلدة بعذران إلى أن توفاه الله سنة ١٩٤٠[١٥].

٣

المجاهد زين الدين محمود شزبك
١٨٧٧- ١٩٤٥م

وُلد المجاهد زين الدين شزبك في بلدة بعذران، في أسرة ميسورة، فأدخله أهله المدرسة، فتعلّم مبادئ القراءة، ولكنه لم يتابع الدراسة. وعندما شبّ عمل في الزراعة لفترة، ثم هاجر في سنة ١٩٠٧ إلى الولايات المتحدة الأميركية، واستمر ما يقارب العشر سنوات، فكان يرسل المال إلى ذويه، الذين أشادوا له منزلاً متواضعاً في البلدة. وفي الولايات المتحدة، أتقن اللغة الإنكليزية، فأصبح يلمّ بها قراءة وكتابة وتحدثاً. وعاد إلى بلدته في عام ١٩١٧، ليعمل في الزراعة والتجارة، فكانت أحواله ميّسرة، وبعد ذلك تزوج في العام ١٩٢٠.

وعندما نشبت الثورة السورية الكبرى، أسهم زين الدين شزبك إلى جانب المجاهدين في التصدي للفرنسيين وأعوانهم، في منطقة راشيا وحاصبيا ومجدل شمس، وكان إلى جانب أحمد هاني وعدد من المجاهدين[١٦]. في تلك الأثناء كان يتردد إلى بعذران، ولم تعلم السلطة بتحركاته.

وفي ٣٠ تموز ١٩٢٦، قامت السلطة بمداهمة أحمد هاني[١٧]، الذي كان يزور صديقاً له في بلدة بعذران، في مقابل منزل زين الدين شزبك، وذلك في المساء، فاشتبك أحمد هاني مع الضابط سركيس المدوّر بالأيدي، حيث حاول سركيس اعتقاله، ولكن أحمد استطاع طعنه بالسكين، فأرداه قتيلاً، أمام منزل زين الدين شزبك.

أمام هذا المنظر هرب العسكر، ودخل أحمد هاني منزل زين الدين من الباب الأمامي وخرج من الباب الخلفي، حيث كان يربط حصانه، بعيداً عن هذا المنزل بقليل.

إثر هذه العملية، هرعت قوة كبيرة إلى بعذران، فطوقتها، وقامت باعتقال زين الدين شزبك وأقاربه[١٨]، حتى النساء سيقت إلى سجن بيت الدين، واستمر اعتقال النساء لمدة شهر تقريباً. ونُقل زين الدين مع عدد من المعتقلين من سجن بيت الدين إلى سجن الرمل في بيروت، ومثل أمام المجلس العدلي المختلط في ١١/٥/١٩٢٧، ووُجهت إلى زين الدين شزبك تهمة الاشتراك بالثورة، والإسهام في مقتل الضابط في بعذران، ومساعدة المجاهدين عبر تقديم الطعام والسلاح لهم وإيوائهم في منزله.

سُجن زين الدين شزبك ما يقارب عشر سنوات، خرج بعدها من السجن مريضاً، ليجد أهله انتقلوا إلى سوريا. فاهتم أهله به وأقاربه في بعذران وعالجوه، وبقي لمدة سنتين، انتقل بعدها إلى بلدة جرمانا في سوريا سنة ١٩٣٩، إحدى ضواحي مدينة دمشق. وفي أثناء الصراع على لبنان وسوريا بين الإنكليز وديغول من جهة وحكومة فيشي من جهة ثانية، عمل مترجماً مع الإنكليز فترة قصيرة، ثم جاء إلى لبنان، وعمل بعد ذلك، ناطوراً في حارة جندل، وبقيت عائلته في سوريا، فكان يتردد لزيارتها، ولكن صحته بدأت بالتدهور، فلم يعد يستطيع التنقل، فبقي طريح الفراش أشهراً عدة، إلى أن وافته المنية، ودُفن في بلدته بعذران[١٩].

٤

المجاهد سعيد قاسم خطار
١٩٠١- ١٩٧٧م

وُلد في بلدة بعذران في أسرة تتعاطى أعمال الزراعة، فشبّ وترعرع في بلدته، وكان في مطلع شبابه قد أحب الأعمال الثورية والعسكرية، فاستهوته أعمال أحمد هاني ورفقائه، فكان سعيد يقوم، بتكليف من والده، بتعقّب المجاهدين إلى المغاور والجبال، حاملاً إليهم الماء والطعام والسلاح. وقد اشتهر بكتم السر، وعمله السرّي يومذاك وعدم اعتقاله دليل على نجاحه في هذه المهمات.

استمرّ سعيد يؤازر المجاهدين، إلى أن نشبت الثورة السورية، فأسهم إلى جانب أحمد هاني ومجموعته في الصراع ضد المستعمر وأعوانه، في راشيا وإقليم البلان ومجدل عنجر والغوطة وغيرها. وكان من الرجال الأشداء الثابتين في مواقع الجهاد.

وفي أواخر صيف ١٩٢٦، عندما عاد إلى بلدته من معارك الثورة، قامت السلطة باعتقاله مع والده الشيخ قاسم خطار[٢٠] وأقاربهم سعيد سلوم وأمين سلوم، وسُجن لمدة سنة ثم أُطلق سراحه. ثم عادت السلطة واعتقلته مجدداً بتهمة مساعدة المجاهدين، وبتهم ملفقة التهم بحقه في زمن الثورة، ثم أطلقت سراحه. استمرّ سعيد يعمل في بلدته في الزراعة وتربية الماشية، إلى أن قام فؤاد علامة ورفقاؤه، فاستضافهم في منزله، وكان يقوم كذلك بنقل الطعام والذخيرة لهم إلى أحراج بلدة باتر، وسفح جبل عين قني في الشوف، ويخاطر بحياته، في سبيل استمرار شعلة المقاومة التي يقودها هؤلاء المجاهدون.

في العام ١٩٣٥ قامت السلطة باعتقاله بتهمة الاشتراك مع مجموعة فؤاد علامة وسُجن لمدة خمس سنوات، أطلق بعدها سراحه، فقام بالسفر إلى

الأرجنتين، واستمر هناك لمدة ١٥ سنة إلى أن رحلت قوات الاستعمار عن سوريا ولبنان، فعاد في سنة ١٩٥٤ إلى لبنان، فتزوج وأنجب شاباً اسمه صلاح خطار[٢١].

استمر في بلدة بعذران، يعمل في الزراعة والتجارة، إلى أن توفاه الله في سنة ١٩٧٧.

٥

المجاهد سعيد شمس الحسنية
١٩٠٢-١٩٢٧م

وُلد المجاهد سعيد في بلدة عين وزين في قضاء الشوف، شبّ وترعرع في أحضان والده، حيث تركت والدته المنزل في عمر لم يتجاوز السنوات الخمس. فلم يدخل المدرسة، وفي سن مبكرة عمل على مساعدة أبيه في الأعمال الزراعية والتجارية.

استمر المجاهد سعيد يعمل مع أبيه، حتى بدأت الأحداث العسكرية في الجبل تتصاعد، وبدأت العمليات القتالية ضد الفرنسيين وعملائهم في الشوف، تنتشر أخبارها في معظم القرى، فكان سعيد يتوق إلى المشاركة في هذه العمليات، إذ كان يتابع أخبارها في مجالس القرية الليلية. وفي العام ١٩٢١، التقى سعيد بالمجاهد أحمد هاني من بلدة بعذران، فالتحق به وترك المنزل، واشترك في العديد من المواجهات ضد الفرنسيين إلى جانب أحمد ومجموعته[٢٢].

وفي فترة ١٩٢٢-١٩٢٤م، كان سعيد، يلتقي مع المجاهدين: فندي أبو ياغي، شكيب وهاب، فارس سراي الدين وقد أقلقوا راحة الفرنسيين في لبنان خصوصاً في سنة ١٩٢٣، لينتقلوا بعدها إلى سوريا وشرق الأردن، ثم يعودوا مجدّداً إلى لبنان.

وما إن بدأت الثورة السورية الكبرى بقيادة سلطان باشا الأطرش، حتى هبّ أحمد هاني ومعه سعيد الحسنية ومجموعتهما، إلى الاشتراك في العمليات العسكرية والمعارك الضخمة، وأهمها قلعة راشيا والفالوج وكفرمشكي والحمارة. وكان معهم من بلدة عين وزين المجاهدون: حسين علي الحسنية، حسين داوود الحسنية، شمس محمود الحسنية، عباس حسين

علي الحسنية، ورشيد محمود الحسنية. وهؤلاء المجاهدون اشتركوا في معارك راشيا والإقليم وكان لهم دور فعّال في المعارك. بعد انتهاء الثورة أمعنت في مطاردة المجاهدين، ولكنها لم تستطع إلقاء القبض على سعيد الحسنية، فقد قامت القوات الفرنسية في الخامس والسادس من كانون الثاني ١٩٢٧، بتطويق بلدة عين وزين، واعتقال مختارها وعشرات الشباب والشيوخ والنساء، بعد مقتل السرجان سعيد عبد الساتر في عانوت، على يد المجاهد فندي أبو ياغي زهر الدين ومجموعته(٢٣). وقد قيل إن سعيد الحسنية اشترك في حادثة عانوت، فقامت السلطة بإجراءات تعسفية، وفرضت غرامات مالية على قرى عدة، بحجة إيوائها الثوار وتقديم الدعم المادي والعسكري لهم، ومنها بلدة عين وزين.

استشهاده

في أواخر شهر شباط ١٩٢٧، جاء المجاهد سعيد الحسنية إلى منزله خلسة، فطرق على الشباك بإشارة معينة، فردّ عليه أهله، وكان يتفق معهم على إشارة ما، إذا كان الفرنسيون يفتشون في البلدة، فيرحل، وإذا كانوا خارجها، يدخل منزله. وتلك الليلة، دخل منزله، وكانت ليلة ماطرة باردة، حيث كانت زوجته وابنته الصغيرة التي لم تبلغ السنوات الأربع، وأخوه شمس يجلسون قرب الموقد.

اقترب سعيد من النار، كي ينشف ثيابه، إذ لا يستطيع إبدالها، فهو معرّض في أي لحظة للمداهمة والاعتقال. وبينما هو يقوم بتجفيف ثيابه، وقد تمنطق سلاحه ومنها رمانة يدوية، فلمح الرمانة، ترسل شرارات بعد أن لذعتها النيران المتوهجة، فطلب سعيد فوراً من أهله الانبطاح على الأرض، ورمى نفسه على القنبلة، كي لا يصاب أحد من أهله بأذى(٢٤).

انفجرت القنبلة واستشهد سعيد على الفور، فتمزّق جسده، كما أصيب أخوه شمس وزوجته بجراح بالغة. وعند سماع صوت الانفجار، تحركت دورية عسكرية إلى المكان، وقامت باستجواب شمس وزوجة الشهيد سعيد، ولكنها لم تعتقلهم.

وقد أُقيم مأتم للشهيد في بلدة عين وزين، حضره أبناء القرى المجاورة، أشادوا فيه بشجاعة الشهيد وبسالته ودوره في الثورة السورية الكبرى.

٦

المجاهد هاني يوسف الدلغان
١٩٠٥- ١٩٩١م

وُلد المجاهد هاني بن يوسف الدلغان في بلدة كفرنبرخ الشوف، والدته فاخرة شمس الدين من كفرنبرخ كذلك. نشأ في أسرة متواضعة تمتهن الزراعة. وفي سن العاشرة رحل مع أبيه وأمه إلى سوريا، حين حلّت المجاعة وقاسى الناس من أهوال الظلم العثماني في العام ١٩١٥، وصلوا أولاً إلى بلدة صلخد ومنها انتقلوا إلى بلدة المشقوق. وفي أثناء سيرهم في منطقة تقع ما بين دمشق والجبل، رأوا امرأة تخبز على الصاج، فاقترب هاني منها وطلب منها رغيفاً، فرفضت وأهانته، فما كان منه إلاّ أن اقترب وخطف كمية من الخبز وهرب بعيداً، وقام بعد ذلك بتوزيع الخبز على أهله والقافلة المرافقة لهم، وذلك يدل على طبعه الهجومي على الرغم من حداثة سنّه.

مكثوا في سوريا لمدة أربع سنوات عادوا بعدها إلى لبنان، وبقي والده فترة من الزمن لا يعمل، فتركته زوجته، فانتقل إلى قصر المختارة يعمل مع فؤاد بك جنبلاط، في حديقة القصر.

ولكن هاني لم يذهب مع أبيه، بل بقي مع والدته التي تزوجت من عباس حسام الدين في كفرنبرخ[٦٥]، وكان في بعض الأحيان يتردد لزيارة والده في المختارة، فعطفت عليه السيدة نظيرة جنبلاط وطلبت منه البقاء مع والده في القصر، فقبل وكان ذلك سنة ١٩٢١.

لقاء هاني مع المجاهدين

كان هاني يساعد والده في قصر المختارة في النهار، ويقوم بالتجوال ليلاً في محيط القصر. وفي إحدى الليالي التقى بالثوار المجاهدين وكان منهم أحمد

سليمان هاني. فسأله أحمد عن عمله، فأخبره أنه يساعد والده. فطلب هاني من أحمد أن يرافقهم، ولكن أحمد رفض طلبه، وكلّفه بإرسال الطعام والشراب لهم، وأخبره عن المكان الذي يتواجدون فيه بشكل دائم. وهكذا أصبح هاني يقوم بتحضير الطعام، ويحمله إلى سفح جبل بعذران، حيث يتواجد الثوار دون أن يراه أحد من حراس القصر.

استمرّ هاني بتنقله ما بين القصر وبعذران، فرآه أحد حراس القصر، فأخبر السيدة نظيرة جنبلاط، فأبلغت القوة الأمنية في المختارة بمراقبته. وقد أدّت تلك المراقبة إلى اعتقاله، بعد عودته من بعذران فجراً في أحد الأيام. وقامت الدورية باقتياده، وساروا به نحو المختارة، يريدون تسليمه للسيدة نظيرة حسب طلبها. لكن هاني استطاع بخدعة ذكية الإفلات من الدورية، وفرّ في الوادي، ولم يعد إلى المختارة، بل عاد إلى بعذران، والتحق مع مجموعة أحمد سليمان هاني، فقدموا له بندقية حربية.

في السابعة عشر، من العمر، أخذ هاني يرافق المجاهدين في عملياتهم العسكرية، وتردد مرات عدة سراً إلى قصر المختارة لزيارة والده[٢٦].

مطاردة السلطة له

ذهب في أحد الأيام إلى كفرنبرخ لزيارة والدته، وبعد أن مكث ليلته هناك، عاد في صباح اليوم التالي عبر طريق كفرنبرخ بتلون عين وزين الجديدة، ولدى وصوله إلى منطقة تسمّى بدّه بين بلدة الجديدة وبلدة الكحلونية، اعترضه شخصان يحملان بضاعة، وهما أرمنيان أحدهما يُدعى حنا أطانيان. وكان هاني يحمل بندقيته، فأراد هذان الشخصان قتله وسلبه بندقيته وأمواله. فقام حنا بإطلاق النار عليه من مسدسه، ولكنه لم يصبه، وبسرعة فائقة أطلق هاني النار عليه رداً على ما فعله، فأرداه قتيلاً، ففرّ رفيقه الآخر، فأطلق عليه هاني النار كذلك، فأصابه في قدمه، ولكنه استطاع النجاة، ووصل إلى المختارة وأبلغ القوى الأمنية بالحادثة.

وقد رأى بعض المواطنين هاني ينفذ هذه العملية، فأبلغوا السيدة نظيرة جنبلاط، ومنذ ذلك الحين، امتنع هاني عن زيارة القصر خوفاً من اعتقاله، وبقي يتردد إلى بلدة كفرنبرخ، حيث تُقيم والدته.

هاني الدلغان في معارك الثورة

أسهم هاني الدلغان في معارك الثورة في سوريا ولبنان[٢٧]، وشارك في معركة اقتحام قلعة راشيا إلى جانب أحمد هاني وشكيب وهاب وعشرات المجاهدين، كما اشترك في معركة مجدل شمس الأولى والثانية، وأسهم في معارك اللجاه الأخيرة، وأظهر بطولة نادرة في هذه المعارك، التي خاضها المجاهدون بالسلاح الأبيض، وأنزلوا خسائر فادحة بالمستعمر الإفرنسي وأعوانه. وقد أُصيب هاني الدلغان مرات عدة، إصابات طفيفة، ولكن في معركة الرشيدة، أُصيب بطلقات نارية عدة، إلاّ أنه نجا من الموت بأعجوبة[٢٨].

هاني يقتل رفيقه أحمد هاني عن طريق الخطأ

كان المجاهد أحمد هاني يتردد إلى بلدة كفرقوق الدبس، حيث ينزل في ضيافة صديق له من من آل العنداري، كان يحضر له الطعام والمؤن. وفي أحد الأيام، شاهده العميل سليم عربي الذي كان يتعاون مع السلطة الفرنسية، فوشى به، فاضطرّت زوجته للهرب مع ابنتها الوحيدة نحو الأحراج خوفاً من اعتقالها. فشاهدها أحمد هاني فأبلغته بالحادثة.

صمّم أحمد على الاقتصاص من هذا العميل بيديه، فتوجّه إلى كفرقوق في ٢٩ كانون الأول ١٩٢٧، مصطحباً معه هاني الدلغان ويوسف أمين سليم. طلب من هاني ويوسف أن يبقيا خارج المنزل، ويدخل بمفرده، ثم طلب من هاني الدلغان أن يطلق النار على كل مَن يخرج من المنزل، حيث كان يتوقّع أحمد هاني أن يقوم سليم عربي بالفرار.

دخل أحمد، فقتل سليم عربي، ولكنه تفاجأ بوجود الدرك في غرفة ثانية في منزله، فحاولوا اعتقاله، فقفز من النافذة، فما كان من هاني إلا أن أطلق النار، فأرداه قتيلاً على الفور. بعد ذلك خرجت القوة واشتبكت مع هاني الدلغان، فأُصيب في كتفه واستطاع الانسحاب من كفرقوق. وفي خراج بلدة كفرقوق، التقى بأحد المكارين، فطلب منه نقله إلى بلدة مرستي، ففعل ودفع له أجرته. بعد ذلك، انتقل من بلدة مرستي إلى بلدة كفرنبرخ، فوصل إلى منزل والدته، فأخبرها بالحادثة. فقام زوج والدته بنقله إلى أسفل البلدة، وخبأه في مغارة اسمها نعصة الدلغان وكلّف الطبيب العربي حسين يوسف

حسام الدين بمعالجته. فكان يقصده يومياً أسفل البلدة يداويه ويحمل له الطعام، واستمرّ على هذه الحال لمدة ثلاثة أسابيع تقريباً، حيث تماثل للشفاء، فانتقل بعد ذلك إلى منزل والدته في كفرنبرخ.

في ذلك المنزل، رآه أحد العملاء، فبلّغ السلطة، فجاءت قوة كبيرة وطوّقت المنزل، ولكنه استطاع الرحيل قبل التطويق، فاقتحمت القوة المنزل وفتشته، فلم تجده. فقامت باعتقال والدته وزوجها عباس حسام الدين ونُقلوا إلى سجن بيت الدين، وأوقفوا لمدة شهر ثم أطلقت سراحهم. بعد هذه الحادثة انتقل إلى شرق الأردن، وقد اشتهر عن المجاهد هاني الدلغان، أنه بعد أن قتل رفيقه أحمد سليمان هاني بالخطأ، عضّ على إصبعه فقطعها، وهي التي كانت على الزناد في يده اليمنى[٢٩].

أما بالنسبة إلى السلطة الفرنسية، فإنها نسبت إلى أحد الدركيين الذي كان موجوداً في منزل سليم عربي آنذاك قتل المجاهد أحمد هاني، ومنحت هذا الدركي «فندي فرحات رقمه ١٨٢٠» من المشاة، المدالية البرونزية من أوسمة الاستحقاق اللبناني.

هاني الدلغان في شرق الأردن

بعد انتهاء الثورة وشفائه كما أسلفنا من إصابته، انتقل هاني إلى شرق الأردن، لكنه لم يذهب مع الثوار، إلى بلدة ناعور القريبة من عمان، وافتتح متجراً فيها مدة من الزمن، فاستطاع أن يجمع ثروة لا بأس بها، واستمرّ في تجارته حتى العام ١٩٣١، حيث تفاجأ بقيام السلطة البريطانية باعتقاله، وتسليمه للسلطة الفرنسية في لبنان، لمحاكمته في تهم متعددة.

التهم الموجّهة إليه والحكم الصادر بحقه

جرت محاولة اغتيال في بلدة كفرا الواقعة ما بين بلدتي عين زحلتا والبازوك، لأحد أبناء ملحم بك حمدان حيث كان يرافقه يوسف عسّاف من بلدة الورهانية. وتمّ إطلاق النار على السيارة، فقُتل يوسف عساف، وأُصيب ابن حمدان، ولكنه لم يمت، فظنّ المعتدون أنه مات. فقام أحد المعتدين، بغمس كفه بالدم ولصقه على السيارة وفرّ من المكان.

في ذلك الحين، وُجّهت التهمة إلى هاني الدلغان، وشهد زوراً اثنان من أبناء بلدته، قالا إنهما شاهدا هاني يقتل ابن عساف، وقد رصدت السلطة مكافأة مالية كبيرة، لمَن يرشدها إلى مكان تواجد هاني الدلغان لاعتقاله.

بعد ذلك، كان ملحم أبو علي من بلدة الفريديس الباروك، يتردد إلى عمان وشاهد هاني الدلغان هناك. في هذا الوقت كان محمود ابن ملحم أبو علي سجيناً لدى السلطة، لأنها كان من مناوئيها، فتقدم والده من السلطة، طالباً منها الإفراج عن ولده محمود، لقاء إرشادهم إلى مكان تواجد هاني الدلغان. وقد أبرّت السلطة بوعدها، فأطلقت ولده من السجن، وأطلعها على مكان تواجد هاني في عمان، فطلبته السلطة الفرنسية من الإنكليز وتمّ ذلك.

قامت السلطة بجلب هاني إلى كفرا مكبّلاً، وطلبت منه تمثيل الجريمة، في حضور الشاهدين من أبناء بلدته. فقال لهم: «إنني لم أفعل ذلك». ولكن الشاهدين قالا له: «أنتَ تكذب وإنك الفاعل». فما كان من هاني إلاّ أن ضرب بيديه المكبلتين أحد الشاهدين وألقاه على الأرض، فتدخلت القوة الأمنية، وأعادته إلى السيارة، ونُقل إلى السجن.

كلّفت السلطة المحامي إميل لحود كي يتولّى الدفاع عنه، فاتصل السيد ملحم بك حمدان بالمحامي لحود، وطلب إليه أن يتقدّم بطلب إلى المحكمة، يدعو فيه الأدلة الجنائية أن تذهب إلى مكان الجريمة، وتقارن ما بين بصمة الكف الموجودة على السيارة وبصمة كف هاني الدلغان. وقد قُبل طلب المحامي، وجُلب مجدداً هاني الدلغان إلى كفرا، وقورنت مقارنة البصمات، فتبيّن أن الكف المغمّس بالدم على السيارة ليست كفّه، وقد تعاون السيد ملحم حمدان والمحامي على تبرئته من هذه التهمة.

ولكن هناك عدداً من التهم الموجّهة إليه، ومنها مشاركته في معارك الثورة الكبرى، ومقتل الأرمني حنا أطانيان. وعلى الرغم من الضغط السياسي لتبرئته، فإن المحكمة أصدرت حكماً بالإعدام، وأُحيل إلى الرئيس حبيب باشا السعد للمصادقة عليه.

ويُقال إن السيدة نظيرة جنبلاط التي كانت تعطف عليه، تدخّلت مع حبيب باشا، حيث رفض توقيع مرسوم الإعدام، بحجة أنه في بداية عهده، لا يريد افتتاحه بتوقيع مرسوم إعدام. وقد أنزل الحكم إلى السجن المؤبد[٣٠].

قبع هاني الدلغان في السجن لمدة ثلاث عشرة سنة، خرج في العام ١٩٤٥ بعد قرار تبييض السجون. وفي نهاية العام ١٩٤٥، ذهب إلى الأردن يرافقه عمه سلمان الدلغان، فتوجّه إلى الزرقاء قرب عمان، وفي العام ١٩٤٨ اشترى منزلاً هناك، وتزوج من إحدى الفتيات من آل رستم السورية الأصل.

بعد ذلك، غادر إلى الكويت، فافتتح مطعماً، ولكنه لم يستقرّ طويلاً، فعاد إلى الأردن، وانتقل إلى مدينة المفرق، فافتتح فيها مطعماً، وبقي هناك، وقد قام بزيارة أهله في لبنان مرات عدة في مرحلة الثمانينات.

في أواخر سني حياته، تراجعت صحته، فلازم منزله إلى أن توفاه الله في الأردن في سنة ١٩٩١، وما زالت عائلته هناك[٣١].

٧

المجاهد شمس محمود الحسنية
١٩٠٨-١٩٩٦م

وُلد في بلدة عين وزين – الشوف، وترعرع فيها، ولما أصبح قادراً على الدخول إلى المدرسة، بدأت الحرب العالمية الأولى، لتلقي بظلالها المشؤومة على جميع نواحي الحياة في لبنان والمشرق، فحرم من الدراسة، ولازم إلى جانب والده، يساعده في أعماله المتنوعة.

وفي عمر لم يتجاوز الرابعة عشرة، بدأت معالم الثورة تتحرك وترتسم في داخله، حيث كان منزل والده موئلاً للمجاهدين في الشوف، فكان المجاهدون، أحمد هاني ومجموعته وحسن ثابت ومجموعته، يترددون إلى منزلهم في عين وزين، مما فتح شهية هذا الشاب اليافع، على تذوّق هذه الحياة، والغوص في سراديبها المجهولة[٣٢].

لم يطل الانتظار، فما أن اندلعت ثورة ١٩٢٥، حتى بادر إلى اللحاق بها، والسير إلى جانب المجاهدين في معارك راشيا والفالوج وغيرها من المعارك، وقد أُعجب به الأمير عادل أرسلان، وطلب من بعض الشباب الانتباه له، وعدم تركه يتصرف على هواه، خوفاً عليه من الاندفاع والحماس المتزايد لخوض المعارك... وقد اشترك إلى جانب سعيد الحسنية وأحمد هاني في هذه المعارك في الإقليم والغوطة.

بعد انتهاء الثورة، عاد إلى لبنان، وبعد استشهاد سعيد، تزوج من امرأته وقام بالعناية بها وبطفلتها، وعاد إلى العمل في البلدة. استمر في البلدة يعمل، حتى قدم فؤاد علامة إلى الشوف في العام ١٩٣٤، وكان قد عرفه إبان الثورة في راشيا، فقام باستضافته مع مجموعته، في أعوام ١٩٣٤ و١٩٣٥ ليالي عدة، فكان منزله ومنازل أقاربه، أمكنة آمنة لفؤاد ومجموعته. ولكن بعد

وقوع حادثة وادي الزينة في تشرين الأول ١٩٣٥، قامت السلطة بتطويق بلدة عين وزين، فاعتقلت شمس الحسنية وعشرات الشبان، وسيقوا إلى سجن زحلة، وتعرّضوا للضرب والتعذيب، وقد استمرت عملية اعتقالهم حوالي أربعة أشهر(٣٣).

بعد خروجه من السجن، كانت السلطة قد قضت على معظم مجموعة فؤاد علامة، قسم قُتل غدراً، وقسم آخر سُجن، فتولد لديه إحساس متزايد بكرهه للمستعمرين، وما إن نشبت الثورة في فلسطين، حتى قام شمس الحسنية وعباس الحسنية وغيرهما، بالاشتراك في هذه الثورة ودعمها، فكان يقوم بتهريب السلاح إلى الثوار، فيحمل بندقيتين وحوالي ثمانين مشطاً من الخرطوش ينقلها إلى فلسطين مع رفقائه الآخرين واستمر على هذا العمل حوالي السنتين، فاعتقلته السلطة مجدداً قرب القنيطرة، في مطلع ١٩٣٩ وسُجن في زحلة. وفي عام ١٩٤٠(٣٤)، حاول الانتحار بشنق نفسه، ولكن الحبل انقطع، فتم نقله إلى المستشفى، وهنا تدخلت السيدة نظيرة جنبلاط، وتم الإفراج عنه، شرط أن لا يقوم بأي أعمال مناهضة للانتداب. بعد ذلك، قام بالانتقال إلى المختارة، فأعطته السيدة نظيرة جنبلاط مسكناً له ولعائلته، استمر فيه حتى العام ١٩٤٣. ولما قامت السلطة في عام ١٩٤٣ باعتقال القادة في لبنان وسجنهم في راشيا، هبّ إلى بشامون على رأس مجموعة من أربعين شاباً، لنصرة ثورة بشامون بقيادة الأمير مجيد أرسلان، وبعد انتهاء تلك الثورة، عاد إلى المختارة، ثم غادرها إلى بلدته في العام ١٩٤٥.

وفي العام ١٩٤٧، قام ملحم دمج بزيارته وطلب إليه الاشتراك معه بإثارة المشاكل في عهد بشارة الخوري، فاتصل بصديقه رتيب البعيني، فتوجهوا إلى وادي عين وزين، لمدة يومين، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً، فعاد كل واحد إلى منزله، أما ملحم دمج الذي كان مطلوباً للقضاء، فظل يتردد إلى منزل شمس الحسنية ومنازل أخرى. فقام مختار البلدة بالطلب إليه مغادرة البلدة، كي لا تقوم السلطة باعتقال المواطنين بسببه. ولكن السلطة وجهت حملة إلى عين وزين، فاعتقلت شمس الحسنية وأربعين شخصاً معه، وأخضعوا للتحقيق والتعذيب لمدة أربعة أيام، كما قامت قوات الأمن بذبح المواشي، ونهب بعض المنازل، مما استدعى تشكيل وفد كبير من أهالي عين وزين، والقيام

بزيارة الأمير مجيد أرسلان الذي كان وزيراً للدفاع الوطني[٣٥]، فأبلغوه ما تفعله السلطة. فاتصل الأمير مجيد برئيس الجمهورية بشارة الخوري قائلاً له: «هؤلاء لا يُسجنوا ولا يُعذبوا، هؤلاء هم رجالات الاستقلال. عليكم إخراجهم من السجن حالاً وإعادة السلاح لهم». وهكذا تمّ بالفعل، فأُطلق سراحهم وأُعيدت الأسلحة المصادرة لهم.

بعد ذلك، عاد شمس إلى منزله، فعمل في التجارة، ثم اشتغل في شركة البيبسي، ثم في الأعمال الحرة مدة من الزمن حتى أواخر الثمانينات، حيث ألمّ به المرض، فأقعده إلى أن توفاه الله في سنة ١٩٩٦ في منزله[٣٦].

المواجهات والحوادث العسكرية

١

حادثة بوابة تاج الدين
بعذران – ٣١ تموز ١٩٢٦م

غادر أحمد هاني في منتصف شهر تموز بعذران بعد إلحاح السيدة نظيرة جنبلاط ومشايخ عقل الطائفة الدرزية، فسحب مجموعته العسكرية الكبيرة واتجه نحو سوريا، ولكنه عاد بعد أسبوع لزيارة أحد الأصدقاء في بعذران، الذي يقع منزله بالقرب من بوابة تاج الدين التاريخية.

كانت أعين السلطة تراقب تحركات أحمد والثوار ليلاً ونهاراً، فنقل المخبرون فوراً، وصول أحمد إلى البلدة عصر يوم ٣١ تموز ١٩٢٦. فتحركت قوة من بيت الدين ومن مخفر المختارة إلى بعذران، وقُبيل وصول القوة بدقيقتين، قام أحد المخلصين بإبلاغ أحمد بالأمر، طالباً منه الانسحاب من المكان، وعلى الفور كان أحمد ورفقاؤه يهمّون بالخروج من المنطقة، وإذ بهم يتفاجأون بالقوة تطوّق المكان من جميع جهاته[٣٧].

رجع أحمد إلى داخل المنزل الذي كان فيه، واجتمع مع رفقائه، وطلب منهم أن يتفرقوا، كل واحد يخرج من مكان معين، لئلا يتم القبض عليهم سوياً، وحدّد لهم مكاناً للقاء خارج البلدة. في هذه الأثناء، خيّم سواد الليل على البلدة، فخرج أحمد يحمل بندقيته ومسدسه وخنجره، وسار باتجاه منزل المجاهد زين الدين شزبك. وإذ بأحد العسكريين يمسكه بيده، بجرأة وقوة، فظن هنا المجاهد أحمد، أن الضابط فرحان العماد أمسكه، فقال له: «أتركني يا فرحان» (حيث إن فرحان كان يغض الطرف عن زيارات أحمد السرية لبلدته). فصرخ به العسكري سركيس المدوّر: «أنا لست فرحان يا إبن...». عندئذٍ علم أحمد أن ساعته دنت، فاشتبك مع سركيس المدور بالأيدي، وتعاركا، وسحبا بعضهما مسافة تزيد عن عشرين متراً، ولم يستطع

أخذ منهما أن يرمي الآخر إلى الأرض، وهنا قام أحمد بسحب خنجره، وطعن به سركيس المدوّر في بطنه، طعنة قاتلة، فسقط سركيس على الأرض يصرخ ويولول. فتركه أحمد، وسحب مسدسه وأطلق بعض العيارات النارية على الجند الذين حوله[٣٨].

وعند إطلاق أحمد الرصاص، قام رفقاؤه بإطلاق الرصاص على الجند، حيث رمى خمسة عشر جندياً سلاحهم على الأرض، فتركهم أحمد يهربون، بينما جمع مع رفقائه بعض السلاح وانطلق إلى خارج البلدة[٣٩].

إثر ذلك، قامت السلطة بإرسال تعزيزات كبيرة إلى بلدة بعذران، فاعتقلت عشرات المواطنين من رجال ونساء وشيوخ وشبان من عائلات: هاني، خطار، شزبك، سلوم، باز، وقام العسكر الفرنسي واللبناني، بفرض جزاء على أهل البلدة يقضي بإطعامهم مع خيولهم، حيث تمّ ذبح الماشية والطيور، ونهبت الغلال. وبعد ذلك، تمّ فرض غرامة ٥٠٠ ليرة ذهبية على أهل البلدة[٤٠]، حتى تُدفع الغرامة. عند ذلك، قام أحد أقارب أحمد هاني الشيخ أبو سعيد يوسف هاني الذي كان قادماً لتوّه من الولايات المتحدة، ويحمل مبلغاً من المال، بدفع مبلغ ٣٠٠ ليرة ذهبية إلى الفرنسيين، فخرجوا من بلدة بعذران[٤١].

وعلى أثر هذه العملية، قامت القوات الفرنسية بمداهمة قرية كفرفاقود وقرية ديربابا[٤٢]، حيث وردتها معلومات بأن أحمد هاني التجأ إلى مغارة العبد في أسفل كفرفاقود وهو ينسق مع فندي أبو ياغي، فأقدمت السلطة على اعتقال العشرات من أبناء هاتين البلدتين واستمرت في اعتقالهم لمدة تراوحت بين أسبوعين وثلاثة، ثم أطلقت سراحهم.

هوامش مجموعة المجاهد أحمد هاني

١ مقابلة شخصية مع الشيخ كامل فخر الدين هاني في بعذران في ٢٢/١/٢٠٠٣، من مواليد ١٩٢٥.

٢ المصدر نفسه.

٣ مقابلة شخصية مع السيد يوسف سعيد هاني في ٢٢/١/٢٠٠٣ في بعذران.

٤ المصدر نفسه وكذلك الشيخ كامل فخر الدين هاني.

٥ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ص ١٧٠، ج١، وص ١٣ و ١٤، ج٢.

٦ راجع جريدة البشير، أعداد ٨، ١٠، ١٣ تموز ١٩٢٦.

٧ جريدة لسان الحال، عدد ٢ آب ١٩٢٦.

٨ مقابلة شخصية مع يوسف سعيد هاني في ٣٠/١/٢٠٠٣ وقد روى لنا هذه الأبيات.

٩ جريدة البشير عدد ٣٠ نيسان ١٩٢٧. وقد سبق أن ذكرت جريدة لسان الحال في عدد ٥/١٠/١٩٢٦، خبراً يفيد عن مقتل أحمد هاني في عيحا. وهذه الأخبار الملفقة، كان يُقصد بها رفع معنويات الجنود لمواجهة المجاهدين.

١٠ جريدة الصحافي التائه، بيروت عدد ٦/١٠/١٩٢٧.

١١ مقابلة شخصية مع نسيب عباس حسام الدين في كفرنبرخ في ٥/٤/٢٠٠٣ ومع الشيخ كامل فخر الدين هاني في بعذران.

١٢ جريدة لسان الحال، عدد ٩ آب ١٩٢٦.

١٣ جريدة لسان الحال، عدد ٨ أيار ١٩٢٨.

١٤ جريدة لسان الحال، عدد ١٩ أيار ١٩٢٧.

١٥ مقابلة شخصية مع الشيخ كامل فخر الدين هاني في ٢٢/١/٢٠٠٣ في بعذران ومع السيد سليم محمود خطار في ١٨/٥/٢٠٠٣ في بعذران في منزله.

١٦ مقابلة شخصية مع حفيده رأفت محمود زين الدين شزبك في بعذران في ٣/٤/٢٠٠٣.

١٧ جريدة لسان الحال، عدد ٢ آب ١٩٢٦.

١٨ جريدة لسان الحال، أعداد ٩ و ١١ تشرين الثاني ١٩٢٦.

١٩ مقابلة مع حفيده رأفت شزبك في ٨/٥/٢٠٠٣.

٢٠ جريدة لسان الحال، عدد ١٩ أيار ١٩٢٧.

٢١ مقابلة شخصية مع السيد سليم محمود نجم خطار في بعذران في ٨/٥/٢٠٠٣ ومع نجله السيد صلاح خطار في ١٠/٥/٢٠٠٣ في المختارة.

٢٢ مقابلة شخصية مع السيد بهجات محمد الحسنية والسيد حمد شمس الحسنية في عين وزين في ٢٠٠٣/٥/١٢.
٢٣ جريدة لسان الحال، أعداد ٤ و ٧ و ١١ كانون الثاني ١٩٢٧.
٢٤ مقابلة شخصية مع السيد علي عباس الحسنية، مصدر سابق.
٢٥ مقابلة شخصية مع نسيب عباس حسام الدين وهو شقيق المجاهد هاني الدلغان من أمّه، في كفرنبرخ في ٢٠٠٣/٤/٥، وهو من مواليد ١٩٢٨م.
٢٦ مقابلة شخصية مع قريبه فؤاد سلمان الدلغان في كفرنبرخ في ٢٠٠٣/٤/٥.
٢٧ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ص ١٧١، ج١.
٢٨ نسيب عباس حسام الدين، مصدر سابق.
٢٩ و٣٠ و٣١. نسيب عباس حسام الدين وفؤاد سلمان الدلغان.
٣٢ مقابلة شخصية مع نجله حمد الحسنية في عين وزين في ٢٠٠٣/٥/١٢ و ٢٠٠٣/٥/١٦.
٣٣ مقابلة شخصية مع السيد بهجات محمد الحسنية، حيث أن المجاهد شمس صهره.
٣٤ مقابلة شخصية مع السيد علي عباس الحسنية في عين وزين في ٢٠٠٣/٥/١٦.
٣٥ مقابلة شخصية مع السيد بهجات الحسنية، مصدر سابق.
٣٦ مقابلة شخصية مع نجله حمد الحسنية، مصدر سابق.
٣٧ مقابلة شخصية مع السيد سعيد يوسف هاني في بعذران في ٢٠٠٣/١/٢٢.
٣٨ مقابلة شخصية مع الشيخ كامل فخر الدين هاني في بعذران في ٢٠٠٣/١/٢٢.
٣٩ جريدة لسان الحال، عدد ٢ آب ١٩٢٦.
٤٠ جريدة لسان الحال، عدد ٩ آب ١٩٢٦.
٤١ جريدة لسان الحال، عدد ٢ آب ١٩٢٦.
٤٢ ذكر لنا السيد يوسف سعيد هاني في مقابلة معه في بعذران في ٢٠٠٣/٤/١٥ أن يوسف حمود هاني كان في الولايات المتحدة، ولدى قدومه في أوائل صيف ١٩٢٦، حصلت حوادث بعذران، وقُتل سركيس المدوّر، فقامت السلطة بنهب البيوت (الغلال – الماشية) ورهن الأراضي وبيعها، فقام يوسف سعيد هاني بشراء أراضي أحمد هاني كي لا يصادرها الفرنسيون، ودفع للسلطة مبلغ ٣٠٠ ليرة ذهبية وهي ديّة القتيل والجرحى، فخرجوا بعد ذلك من بعذران.

٤

مجموعة المجاهد شكيب وهاب

أ. مجموعة المجاهد شكيب وهاب

١. شكيب أسعد وهاب ١٨٩٠-١٩٨٠م

٢. حسن عبد الله حماده ١٨٩١-١٩٥٦م

٣. قاسم سعيد مسعود أبو ضرغم ١٨٩٣-١٩٢٧م

٤. أمين علي فهد عبد الباقي ١٨٩٦-١٩٧٤م

٥. فارس أمين سراي الدين ١٨٩٦-١٩٢٥م

٦. أحمد علي فهد عبد الباقي ١٩٠٠-١٩٦٧م

ب. المواجهات والحوادث العسكرية

١. حادثة القنيطرة - محاولة اغتيال الجنرال غورو

١

المجاهد شكيب أسعد وهاب
١٨٩٠- ١٩٨٠م

في بلدة غريفة، وُلد المجاهد شكيب وهاب وترعرع، ولدى بلوغه السادسة من العمر، أدخله والده في مدرسة القرية المتواضعة، فدرس سنوات أربعاً، تعلّم فيها مبادئ القراءة والحساب. ولكنه لم يتابع الدراسة، بل تحوّل بعدها إلى مساعدة أبيه في الأعمال التجارية، ثم قام بمرافقته في رحلاته، ما بين غريفة وصيدا وبيروت والبقاع، وكانت مادة الحرير السلعة الأساسية في عملهما التجاري.

وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى، توقفت الأعمال التجارية، وتكدست البضاعة، وضاقت الأحوال المعيشية على المواطنين، فاضطر والد شكيب إلى مغادرة بلدته، كسواه من المواطنين إلى سوريا، فاصطحب عائلته وتوجّه إلى مدينة السويداء. في هذه المدينة، افتتح أسعد وهاب مصنعاً متواضعاً للحدادة، ساعده ابنه شكيب، ثم انتقل في العام ١٩١٦ إلى قرية ذيبين[1].

بعد ذلك، قام شكيب بجولة ميدانية في قرى جبل العرب، فالتقى بسلطان باشا الأطرش وحمد البربور، وعدد من المجاهدين الأحرار، المنضوين في الجمعيات السرية المناهضة للحكم العثماني، ولم تمضِ فترة وجيزة، حتى قامت الثورة في الحجاز، وامتدت إلى شرق الأردن، حيث بدأ الجيش العثماني بالتقهقر، فزحف سلطان وعدد من المجاهدين إلى عمان، ثم تبعهم شكيب وهاب وكوكبة أخرى من الثوار، إلى مدينة معان، ومن هناك انطلقوا مع قوات الثورة العربية نحو درعا، واستطاعت هذه القوات، بعد فترة، من دخول مدينة دمشق، وكان سلطان باشا على رأسها، حيث رفع العلم العربي في ساحة دمشق، مع كوكبة من فرسان الجبل، وفي اليوم نفسه، وصل

المجاهدون فؤاد سليم وأخوه نصري، وشكيب وهاب وخطار أبو هرموش وحسيب ذبيان وفؤاد صعب[٢] وعشرات غيرهم من دروز لبنان، فاجتمعوا مع سلطان باشا، ثم التقوا الشريف ناصر بن الحسين.

بعد هذا اللقاء، انتقل شكيب إلى السويداء، ثم عاد إلى بلدته غريفة، وفي هذه المدة، عمل في التجارة ما بين سوريا ولبنان، وفي العام ١٩١٩، في شهر حزيران، بينما كان يقوم بنقل حملٍ من الحبوب من سوريا إلى لبنان، اعترضه مسلحون في وادي القرن، فسلبوه، فثارت ثائرته. فعاد إلى السويداء، فاشترى بندقية حربية، ونزل إلى وادي القرن، وشاءت الصدف أن يلتقي مع الذين سلبوه، فاشتبك معهم، وقد استطاع قتل أحدهم، وفرّ الباقون، وكان في هذه الحادثة بعض الأشخاص الذين يعرفونه، فوشوا عليه للسلطة الفرنسية، فأصبح يتنقل بحذر شديد إلى لبنان.

جاءت أحداث بعقلين وعين تراز ومزرعة الشوف، لتلقي بظلالها السياسية والعسكرية على منطقة الجبل، حيث بدأ الفرنسيون بتنفيذ مسلسل من القهر والتعسّف، طال عدداً من القرى الدرزية، فكان لبلدات بعقلين وغريفة وعترين وعينبال ومزرعة الشوف والكحلونية وكفرفاقود وديربابا ودميت ديركوشه، نصيب كبير من هذه الإجراءات، أقلّها اعتقال العشرات من كل قرية، وسوقهم إلى السجون. هذه الأحداث نقلها بتفاصيلها شكيب وهاب إلى سلطان باشا[٣] وأعيان الدروز في السويداء، فوصل الهياج الدرزي إلى مرحلة حاسمة، أوجبت تدخّل الأمير فيصل بن الحسين، وتراجعت السلطة الفرنسية منعاً لتفاقم الأمور.

وفي مطلع عام ١٩٢٠، انتقل فندي أبو ياغي زهر الدين ومجموعته إلى سوريا، فالتقى مع سلطان باشا الأطرش وبعض القيادات الدرزية الوطنية، كالأمير عادل أرسلان وفؤاد سليم ورشيد طليع، كما تمّ لقاء بين شكيب وهاب وفندي بو ياغي في منزل الشيخ أبو سليمان يوسف زهر الدين في السويداء[٤]. هذا اللقاء أسفر عن تعاون مجموعات المجاهدين مع القيادة العربية في دمشق، وتمّ الاتفاق على إثارة المتاعب بوجه الفرنسيين، في منطقة البقاع، وعلى امتداد الحدود السورية – اللبنانية، فبدأت العمليات، وكان لشكيب إسهام كبير في تنفيذ بعضها وضرب عدد من المواقع الفرنسية.

استمرّت هذه العمليات العسكرية حتى ٢٢ تموز ١٩٢٠، وفي ٢٤ منه جرت معركة ميسلون الخالدة، فسقطت دمشق بأيدي الفرنسيين، وانتقل المجاهدون نحو السويداء وقسم آخر ذهب إلى إمارة شرق الأردن، فانتقل شكيب وهاب إلى شرق الأردن، في نهاية عام ١٩٢٠.

وفي ٢٢ يوليو ١٩٢١، قام شكيب وهاب وأدهم خنجر(٥) وخليل مريود ومحمود البرازي وشريف شاهين ومحمود حسن ومحمد ضاهر وغيرهم، بنصب كمين في موقع كوم الرويسة على طريق القنيطرة، حيث كان موكب الجنرال غورو يمر مع مواكبة كبيرة من الحرس، فأمطروه بوابل من الرصاص، فقُتل الملازم برانت وجُرح حقي العظم، ونجا من الحادث الجنرال غورو والقومندان كاترو(٦). وقد سمّيت هذه المعركة بحادثة القنيطرة.

إثر هذه العملية، فرّ المجاهدون إلى إمارة شرق الأردن، وقد علمت السلطة بواسطة مخبريها بأمر منفذي العملية، فقامت في بلدة غريفة الشوف، باعتقال زوجة شكيب وهاب وأقاربه وعشرات المواطنين، كي يرضخ ويسلّم نفسه، ووصلت فوراً إليه الأخبار السيئة. أوفد شكيب وهاب عدداً من الأصدقاء إلى فؤاد جنبلاط قائمقام الشوف، طالباً منه التدخّل لإطلاق زوجته وسراح الموقوفين الآخرين، ولم يكن بالإمكان قبول طلب فؤاد جنبلاط، حيث إن رأس الجنرال غورو كان مطلوباً، فلم ترد السلطة على جميع الوسطاء، عند ذلك، قرر شكيب المجيء إلى لبنان وأخذ حقه بيده مهما كلّفه الأمر من مشاكل وتضحيات.

انتقل شكيب مع مجموعة من المجاهدين من شرق الأردن إلى السويداء، ثم توجّه إلى لبنان، فنزل إلى بلدته غريفة، فاستطلع الأوضاع، ثم توجّه إلى وادي عينبال، فقام بقتل أحد المتعاونين مع السلطة، وطرحه إلى جانب الطريق، وصل الجنرال إلى بيت الدين، وكلّف فؤاد جنبلاط بالتوجّه مع قوّة عسكرية إلى وادي عينبال، لاستطلاع الموقف، فتوجّه فؤاد جنبلاط إلى المنطقة، ممتطياً حصان يوسف كسبار، ولدى وصوله تعرّض لإطلاق النار فوراً، حيث ظنّه المجاهدون يوسف كسبار(٧). فسقط فؤاد جنبلاط، وفر العسكريون، حين اقترب شكيب ليتأكد من موت كسبار، فوجئ أن القتيل هو القائمقام فؤاد جنبلاط(٨).

إثر هذه العملية، انتقل شكيب ومجموعته إلى غريفة، ثم إلى البقاع، ومنه إلى سوريا، فشرق الأردن خوفاً من عمليات الاعتقال. أما السلطة الفرنسية، فإنها نفّذت على الفور إجراءات قمعية قاسية، وقامت بحملة اعتقالات واسعة في بلدات غريفة وعينبال وعترين، استتبعتها بإحراق منزل شكيب وهاب ومنزل حسن حماده وفارس سراي الدين(٩). ويقول شكيب وهاب لأحد المقربين منه، إن الفرنسيين نفّذوا فوراً إحراق منزله، وكان هو جالساً في مكان قريب يشاهد ما يفعلونه، بعدها توجّه إلى البقاع فشرق الأردن.

في شرق الأردن، التقى شكيب مع القائد فؤاد سليم ورشيد طليع والأمير عادل أرسلان وأحمد مريود، واستمرّ يتنقل ما بين إمارة شرق الأردن والسويداء وقرية ذيبين سراً، إلى أن كلّفه القائد فؤاد سليم، بمرافقة الثائر أدهم خنجر إلى السويداء والتوجّه إلى دار سلطان باشا الأطرش في القريّا.

انطلق شكيب وهاب وأدهم خنجر ومحمد الصغير من عمان، إلى جبل العرب. ولدى وصولهم إلى مدخل القريّا، في ١٨ تموز ١٩٢٢ علم شكيب أن سلطان موجود في قرية أم الرمان، فانتقل شكيب إلى أم الرمان لإبلاغ سلطان بالموضوع، بينما تابع أدهم خنجر ومحمد الزغبي إلى القريّا، فأُلقي القبض عليهما على مدخل مضافة سلطان باشا الأطرش.

لدى وصول سلطان وشكيب إلى القريّا، تفاجأوا، فطلب سلطان من المرجعيات السياسية الدرزية الضغط على الفرنسيين لتسليم أدهم خنجر الذي استجار به، ولكن الفرنسيين لم يأبهوا لجميع الوساطات والضغوطات، فقرروا نقل أدهم بالملالات، التي جاءت من درعا إلى السويداء، بقيادة الضابط بوكسان.

في هذه الأثناء، كان مصطفى الأطرش شقيق سلطان وشكيب وهاب وعدد من المجاهدين، يقطعون الطريق على المصفّحات، فاشتبكوا معها في ٢١ تموز ١٩٢٢م، فعطّلوا اثنتين منها، وفرّت الثالثة إلى درعا، أما بوكسان(١٠) وعساكره فقتلوا. واشترك سلطان مع الثوار في القتال. إضطرت السلطة إثر ذلك إلى نقل أدهم خنجر إلى دمشق بواسطة طائرة عسكرية(١١).

أما في السويداء، فجرّدت القوات الفرنسية حملة كبيرة، لتأديب الثوار بأمر

من الجنرال غورو[١٢]، كما قصفت بالطائرات دار سلطان باشا في القريّا وهدمته، كما صادرت الغلال والمواشي.

بعد هذه العملية انتقل سلطان وشكيب ورجالهما إلى قرى الجبل الجنوبية، واشتبكوا في أكثر من موقع مع القوات الفرنسية التي عجزت عن اعتقالهم، ثم انتقلوا إلى إمارة شرق الأردن، وفشلت المساعي التي بذلها الفرنسيون والإنكليز لاعتقال سلطان ورفقائه، وقد أحبط محاولاتهم الأمير عادل أرسلان ورشيد طليع وفؤاد سليم وأحمد مريود وحديثة الخريشا[١٣].

وسبق ذلك، أنْ قابل شكيب وهاب بتكليف من سلطان باشا، السيد رضا باشا الركابي رئيس حكومة شرق الأردن، فطلب إليه أن يستغنم حالة الهياج ويدخل سوريا وينصر الثورة ضد فرنسا، لكن الركابي لم يتحمّس للفكرة[١٤].

بقي سلطان ورفقاؤه مدة تسعة أشهر يتجولون في إمارة شرق الأردن، إلى أن تدخلت الوساطات، وسمحت فرنسا لسلطان بالعودة إلى جبل الدروز في ٥ نيسان ١٩٢٣، ولكن السلطة علمت أن شكيب وهاب وحمد البربور في عداد الوفد، فأرسلت إلى سلطان وأبلغته معارضة استقبال شكيب ورفيقه حمد[١٥]، عندئذٍ رفض سلطان هذا الطلب، وأبلغ القيادة الفرنسية، إنه لا يريد العودة دون رفقائه جميعاً. في هذه الأثناء، انتقل شكيب وهاب وحمد البربور إلى قرية رساس ونزلوا في ضيافة أحد الوجهاء من آل حمزة. ولدى تأزم الوضع وهياج الدروز، تراجع الفرنسيون، وسمحوا لكل الوفد بالعودة، فأرسل سلطان بطلب شكيب وحمد، ودخل الجميع إلى السويداء بموكب حافل، وكان في عداد المستقبلين الضباط الفرنسيون ترانكا وكاترو وحقي العظم حاكم مدينة دمشق[١٦].

وفي أواخر صيف ١٩٢٣، انتقل شكيب وهاب إلى شرق الأردن، وبقي إلى جانب فؤاد سليم وإخوته، حيث لم تمضِ فترة وجيزة، حتى أزاح الإنكليز فؤاد سليم من مركزه في قيادة الجيش الأردني، فذهب فؤاد إلى فلسطين ثم إلى القاهرة، بينما انتقل شكيب وقسم من المجاهدين إلى الحجاز، واستمرّ في الحجاز حتى أواخر شهر تموز ١٩٢٥، فعاد إلى السويداء مع قسم من المجاهدين لنصرة الثورة السورية الكبرى.

شكيب وهاب في قلب الثورة

وصل شكيب منتصف شهر آب ١٩٢٥م إلى قرية القريّا، ثم انتقل إلى بلدة أم الرمان، ثم التقى بسلطان باشا والمجاهدين وكانت معركة المسيفرة المحطة الأولى له في غمار المعارك التي خاضها، وكان له في هذه المعركة إسهام فعّال إلى جانب القادة المجاهدين. بعد معركة المسيفرة، انتقل شكيب مع المئات من المجاهدين في حملة إلى الإقليم[١٧]، بقيادة الأمير زيد الأطرش، وعدد من قادة الثورة، فكانت معارك راشيا وحاصبيا ومجدل شمس وكفرمشكي والقالوج وقطنا وغيرها من الوقائع التي سجّل فيها شكيب ضروباً رائعة في البسالة والتصدي للجيش الفرنسي وأعوانه مع رفقائه المجاهدين. كذلك أسهم شكيب في الحملة العسكرية الثانية التي قادها الأمير متعب الأطرش، وتولّى شكيب العمليات في منطقة البقاع، وقام بالتنسيق مع نسيب بك الداوود وآل العريان، واستطاع شكيب وأعوانه إحراز انتصارات متتالية في كانون الثاني وشباط ١٩٢٦[١٨]، ضد القوات الفرنسية في معارك ضارية في بلدات حلوة والبيرة والرفيد. بعد ذلك، أسهم شكيب وهاب في معارك الثورة في اللجاه، إلى جانب سلطان باشا والأمير عادل أرسلان ومحمد عز الدين الحلبي، وأهمها معركة الرشيدة، ولكن القوات الفرنسية، بواسطة أسطولها الجوي والبري وعشرات الآلاف من الجنود، استطاعت احتلال منطقة الجبل بكاملها، فاضطر المجاهدون إلى الانسحاب نحو إمارة شرق الأردن، فنزلوا في الأزرق، ومن ثمّ انتقلوا إلى وادي السرحان. واستمر شكيب في منطقة الأزرق ووادي السرحان حتى العام ١٩٣٧. والجدير بالذكر في هذه المرحلة أن عشرات المواطنين الأوفياء للثورة قدّموا مساعدات مادية[١٩] وعينيّة حيث استطاع الثوار الصمود في تلك الصحراء القاحلة. وبعد عام ١٩٣٧، صدر العفو عن المجاهدين، ولكنه لم يشمل شكيب وهاب، فبقي في عمان حتى العام ١٩٤١، حيث بدأت الانتفاضة على الفرنسيين.

العودة إلى سوريا

استقر شكيب في عمان التي كانت تخضع للحكم الإنكليزي، وبعد أن هُزم الفرنسيون، وتشكلت حكومة فيشي، عمد البريطانيون إلى دعم شكيب

وجماعته في عمان، وطلبوا منه تشكيل قوة لمقارعة الفرنسيين، فاستجاب شكيب ورفقاؤه، واستطاع إحراز نصر على تلك القوات الموالية لحكومة فيشي، ثم انتقل شكيب إلى سوريا، وتمّ طرد جماعة فيشي، وبقي شكيب في سوريا، حيث أسهم بتحرك فعّال مع عدد من الضباط والمجاهدين، أدى إلى اعتقال القادة الفرنسيين، واحتلال القلاع، وتم رفع العلم العربي في ٢٩ أيار ١٩٤٥، على السراي في السويداء.

شكيب ينطلق إلى فلسطين

بعد إعلان التقسيم في فلسطين، شحذ العرب همتهم من أجل استعادة الأرض بالقوة، بعدما عجزت الحلول الدبلوماسية عن إعادتها، فقامت الجامعة العربية بتكليف القائد فوزي القاوقجي بقيادة الجيوش العربية لتحرير فلسطين، وسمي آنذاك قائد جيش الإنقاذ.

تطلّع القاوقجي نحو جبل العرب، الذي خبر رجاله في ثورة ١٩٢٥ في سوريا و١٩٣٦ في فلسطين، فتوجّه إلى السويداء، ووصلها في ١٨ كانون الأول ١٩٤٧، فالتقى بالسيد عارف النكدي محافظ السويداء، والسيد أمين أبو عساف قائد منطقة الجبل وعلي عبيد وشكيب وهاب[٢٠] وجاد الله سلام وغيرهم. وأوضح القاوقجي سبب زيارته، فكانت تلبية عارمة في معظم أنحاء الجبل للدفاع عن فلسطين ومقدساتها. وقد أيّد سلطان باشا خطوات القاوقجي، ثم تمّ تأليف فوج من المقاتلين سُمّي فوج الجبل بقيادة شكيب وهاب، وأطلق على السرايا المؤلف منها، أسماء معارك الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥، ومنها الكفر والمزرعة والمسيفرة والفالوج، وقد انطلق فوج الجبل نحو فلسطين في ٢٩ آذار ١٩٤٨، بقيادة شكيب وهاب، حيث حضرت الألوف إلى مدينة السويداء لتوديع الثوار الميامين[٢١].

شكيب في معارك فلسطين

لدى وصوله إلى فلسطين، بادر شكيب إلى الهجوم على المستعمرات الصهيونية، فألحق بها خسائر فادحة في معارك عدة. وفي الحادي عشر من نيسان، قام شكيب بدعم قوة جيش الإنقاذ، الذي يقوده القاوقجي، وخاض

معركة ضارية ضد ثلاث مستعمرات، تكبّد فيها العدو الصهيوني خسائر فادحة، وأظهر شكيب وهاب ورجاله بسالة نادرة، ردّدت صداها صفحات الجرائد[٢٢] والمجلات، وبثتها الإذاعات العربية عبر الأثير، وقد أثنت تلك المقالات على دور الدروز الوطني والقومي في الدفاع عن عروبة هذه المنطقة وتحريرها من الغاصبين.

وبعد فترة من استبسال شكيب في هذه المعارك، ذهب إلى دمشق مرات عدة يطلب الدعم العسكري لمواجهة العدو الصهيوني، لكن هذه المطالب بقيت دون جواب[٢٣] من قيادة جيش الإنقاذ العربية. بعد ذلك، أصدرت قيادة جيش الإنقاذ قراراً بحل الفوج بناء على رغبة شكيب وهاب، خصوصاً بعد توقيع الهدنة في حزيران ١٩٤٨، فعاد ضباط وعناصر هذا الفوج إلى قراهم، وعاد شكيب إلى السويداء وقد استقبل مع رفقائه بمظاهر الحفاوة والتكريم.

شكيب وهاب وأديب الشيشكلي

لم تكن العلاقة بين الرجلين على ما يرام، فإن حساسية حصلت لدى الشيشكلي إبّان حرب ١٩٤٨، حيث كان قائداً لفوج اليرموك في جيش الإنقاذ، فتركه قسم كبير من عناصره والتحق بفوج الجبل، فاستاء الشيشكلي وأضمر الشر لشكيب. وشاءت الظروف أن يتسلّم أديب مهمات قيادية، ويصل إلى سدة الحكم، فعمد إلى تصفية حسابه مع كل شخص يناهضه، أو لا ينصاع لأوامره، فقام بحملة إعتقالات في نهاية شهر آب ١٩٥٠، وكان من بينها شكيب وهاب، والعقيد بهيج كلاس، ومنير العجلاني، ويوسف تقلا، وحسن الخير، ونور الدين قلم، والشيخ علي أديب واستمرّ اعتقالهم لمدة خمسة أشهر، حيث جرت لهم محاكمة عسكرية، وقد أصدرت المحكمة قراراً تضمن براءة المتهمين المذكورين من التهم المنسوبة إليهم وقد انزعج العقيد أديب الشيشكلي لهذا القرار[٢٤].

اشتدت الأزمة السياسية في البلاد في صيف ١٩٥٣، عندما قام الشيشكلي بدعوة الشعب إلى استفتاء في العاشر من تموز ١٩٥٣، لانتخابه رئيساً للجمهورية، وفي أواخر ١٩٥٣ أعلن الأحكام العرفية، واعتقل قادة الأحزاب السياسية المعارضة لتوجهاته، فعمّت المظاهرات المدن السورية،

وتوجّهت في ٢٧ كانون الثاني ١٩٥٤ قوة عسكرية إلى السويداء، وانطلقت إلى بلدة القريّا، لاعتقال سلطان باشا الأطرش، الذي لجأ إلى الأردن، منعاً لاقتتال أبناء الوطن الواحد، وحجباً لسفك الدماء، وليس خوفاً من الشيشكلي، ولكن الشيشكلي أمعن في أساليبه القمعية، فقام باعتقال مئات المواطنين، ومن ضمنهم سلطان نجل شكيب وهاب الذي تعرّض للتعذيب، وكان المقصود اعتقال شكيب وهاب، الذي نجا بسبب فراره إلى لبنان، بعد علمه بالمكيدة المنصوبة له[٢٥].

ولكن هذه المحنة لم تطل، حيث أُزيح الشيشكلي في ٢٦ شباط ١٩٥٤ وفرّ إلى خارج البلاد، فرجع شكيب إلى السويداء، وعاد سلطان إلى القريّا مكرماً معززاً.

رحيل شكيب عن سوريا

حفل عام ١٩٥٦ في سوريا بأحداث سياسية وعسكرية متتالية، حيث كان حلف بغداد في مواجهة المد الناصري والوحدوي في مصر وسوريا، واستطاع بعض القادة العراقيين العسكريين من كسب بعض القيادات المعارضة في سوريا، ومن أبرزهم فيضي وعدنان الأتاسي وميخائيل إليان ومنير العجلاني وسامي كباره والأمير حسن الأطرش وشكيب وهاب وسعيد تقي الدين والشيخ هايل سرور وغيرهم. فقام العراقيون بمد هؤلاء بالمال في سعي لنجاح انقلاب عسكري سياسي في دمشق لصالحهم. وقام شكيب وهاب في تلك الفترة، بحركة مكوكية بين لبنان وسوريا، وطلب من الحزب السوري القومي أن يقوم بإرسال السلاح باسمه إلى سوريا[٢٦].

لكن السلطة السورية صادرت الكثير من شحنات الأسلحة، في شهر تشرين الأول ١٩٥٦، ولم تطل الحالة حتى قامت القوات البريطانية – الفرنسية – الإسرائيلية بشن هجوم على مصر، وقامت إسرائيل بشن هجوم على سيناء في ١٩٥٦/١١/٢٩، حيث تزامن هذا الهجوم مع التحرك العراقي ضد سوريا، فقامت السلطة السورية بحملة اعتقالات ضد المعارضة المدعومة من النظام العراقي، وفرّ قسم منهم إلى لبنان، ومنهم شكيب وهاب وسعيد تقي الدين، وقد أشار الأمير حسن الأطرش إلى الخطأ التاريخي الذي اقترفه في

تورطه مع النظام العراقي، وتوريط القيادات السياسية في سوريا معه، في هذا المخطط الذي تقوده بريطانيا، وقد صّرح حول هذا الموضوع بقوله: «لقد كنت أثناء الهجوم على مصر، أتميز غيظاً من توريطي في هذا المخطط»[٢٧].

وفاة المجاهد شكيب وهاب

بعد عودته إلى مسقط رأسه غريفة، أمضى سنوات العمر الأخيرة، وهو يقوم بنشاط اجتماعي ملحوظ، تنوّع في مساعدة الناس وحل مشاكلهم، فكان موضع ثقة من جميع المواطنين، فترفع عن الخلافات والتناقضات خصوصاً في أحداث ١٩٥٨، فكان منزله محطة للكثير من الشخصيات السياسية اللبنانية المهمة.

واستمرّ شكيب على هذه الحال حتى اليوم الأخير في حياته، إذ توفّي في الثامن من آب ١٩٨٠، في منزله في غريفة. وما إن عمّ الخبر، حتى تقاطرت عشرات الوفود من قرى الجبل وحاصبيا وراشيا وجبل العرب والأردن، وشاركت هيئات سياسية وحزبية في مأتمه، وسار الألوف خلف نعشه في مشهد حزين مؤثر. وقد أبّن الفقيد الكبير عدد من الخطباء، فأبرزوا صفات الفقيد ومآثره، وتناولوا في كلماتهم المحطات المضيئة في سيرة كفاحه الوطني والقومي.

كما أقيم للفقيد مأتم تأبيني في جبل العرب، شارك فيه عدد من الخطباء، وفي مقدمتهم الأمير زيد الأطرش، الذي تكلّم باسم قائد الثورة سلطان باشا، وقد نشرت الصحف اللبنانية في التاسع من آب نبأ رحيله، وأبرزت المحطات التاريخية المهمة في مراحل كفاحه.

٢

المجاهد حسن عبد الله حماده
١٨٩١ - ١٩٥٦م

وُلد المجاهد حسن حماده في بلدة غريفة بالشوف، ووالدته عليا علم الدين ذبيان من بلدة مزرعة الشوف. هاجر والده إلى أميركا اللاتينية، حيث لم يكن تجاوز السنة من العمر.

وفي سنة ١٩٠٠ انتقل مع عمّه يوسف إلى بيروت، فأُدخل حسن وأخوه نجيب إلى مدرسة الحكمة، وكانت أحوالهما المادية جيدة، وخصوصاً بعد أن ترك لهما والدهما مبلغاً من المال، إضافة إلى مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية. ولكن حسن وأخاه لم يتابعا الدراسة في بيروت، فعندما بدأت الحرب العالمية الأولى، انتقلا إلى بلدة غريفة.

في بلدته، عمِل حسن في الأعمال الزراعية فترة وجيزة، وما إن اندلعت الثورة السورية الكبرى في الحجاز عام ١٩١٦، وبدأت القوات العربية تتقدّم نحو شرق الأردن، حتى سارع حسن وأخوه نجيب إلى الالتحاق بصفوف الثورة عام ١٩١٧. وفي معارك الثورة، كان حسن وأخوه في فرقة الشهيد فؤاد سليم، واستمرّا معه في سوريا بعد تشكيل الحكومة العربية، ودخلا معه في فرقة المغاوير، فكان حسن برتبة عريف، ونجيب رتبته جندي عادي. وفي هذه الفرقة، اشترك حسن إلى جانب رفاقه المجاهدين، في ضرب القوات الفرنسية في مناطق البقاع وراشيا، على الحدود السورية – اللبنانية، كما أسهم حسن وأخوه في معركة ميسلون الخالدة إلى جانب الشهيد فؤاد سليم في ٢٤ تموز ١٩٢٠[٢٨].

بعد احتلال الفرنسيين مدينة دمشق، انتقل حسن إلى السويداء، وهناك التقى بالعديد من المجاهدين ومنهم شكيب وهاب ورفاقه، ثم انتقل إلى

شرق الأردن، والتحق بالقوة العسكرية في إمارة شرق الأردن، تحت قيادة فؤاد سليم. وفي شرق الأردن، سكن في بلدة الرصيفة إلى جانب شكيب وهاب كذلك، ومن شرق الأردن، كان المجاهدون ينطلقون ويغيرون على المراكز العسكرية الفرنسية المتواجدة في منطقة حوران ودمشق، وأسهم حسن مع شكيب وهاب في عدد من هذه العمليات العسكرية.

وفي مطلع شهر آب ١٩٢١، قامت السلطة الفرنسية في لبنان بإحراق منزله في بلدة غريفة، ردّاً على عملية اغتيال فؤاد جنبلاط، حيث اتهم حسن بالاشتراك في تلك الحادثة، مع العلم أنه كان في إمارة شرق الأردن.

وصلت أخبار هذه الحادثة إلى إمارة شرق الأردن، فبعث حسن برسالة إلى رشيد بك جنبلاط، يطلب منه الاستيضاح عمّا جرى، كما أبلغه أنه سيأتي إلى لبنان لأخذ الثأر من الذين قاموا بتلك العملية، حيث كان يجهل مَن قام بها، وهذه الرسالة يحتفظ بها رشيد جنبلاط وقرأها أمام زوجة المجاهد حسن حماده في منزله سنة ١٩٥٠[٢٩].

وبعد تلك الرسالة، لم يتلقَّ حسن جواباً، فأبلغ القائد فؤاد سليم أنه سيذهب إلى لبنان، وصودف وجود الأمير شكيب أرسلان ورشيد بك طليع، فقال له الأمير شكيب بما معناه، إن الفرنسيين أحرقوا منزلك، وإنك متّهم في هذه الحادثة، ويجب أن لا تذهب كي لا تصاب بأي سوء.

وقد أعقب ذلك، طلب السيدة نظيرة جنبلاط من والدة حسن الموجودة يومذاك في مزرعة الشوف اللقاء بها، فحصل اللقاء، وأخبرتها السيدة نظيرة، أن رشيد بك جنبلاط أخبرها بالحقيقة، وأن قيام الفرنسيين بإحراق منزلها كان نتيجة وشاية من أبناء بلدة غريفة، وقد تبيّن لها أن ولدها بريء من هذه التهمة، وهي سترتّب وضعه إذا أراد المجيء إلى لبنان، لكن المجاهد حسن امتنع عن المجيء خوفاً من أية مكيدة، وبقي في عمان.

في سنة ١٩٢٤، بعد نشوب الخلاف بين فؤاد سليم والقادة البريطانيين في شرق الأردن، وعزله من مركزه، غادر فؤاد إلى فلسطين فمصر، أما حسن فذهب إلى القدس، وهناك تعرّف على رجل الأعمال حنا سلامه وأخيه، حيث كان يملك مكتباً للسفريات. فعمل حسن معه وأخيه، وأصبح يقوم بمرافقة السيّاح من فلسطين إلى شرق الأردن والعراق.

وفي العام ١٩٢٨ قام بالوشاية عليه أحد العملاء، فقامت السلطة البريطانية باعتقاله، بغية تسليمه للسلطة الفرنسية بتهمة القيام بأعمال مناوئة للفرنسيين، ولكن الدروز والقوميين في شرق الأردن هاجوا وكادوا يفجرون ثورة عارمة، كما تدخّل رجل الأعمال حنا سلامه وأخوه، وقاما بتكليف المحامي الشهير غنيم غنيم بالدفاع عنه، ودفعا مبلغاً كبيراً من المال، عند ذلك، تراجعت السلطة عن موقفها، وأطلقت سراحه حيث لم يمضِ ٤٨ ساعة على اعتقاله.

بعد ذلك استمرّ في عمله في تلك الشركة، ثم تركها ليلتحق بالكتيبة الدرزية في فلسطين تحت لواء القيادة البريطانية، ووصل إلى رتبة عالية في هذه الكتيبة. وفي عام ١٩٤٤ جاء إلى بلدة غريفة، فتزوّج من السيدة ميليا أحمد علي حماده وعاد إلى فلسطين وسكن في مدينة صفد[٣٠].

وفي أحداث ١٩٤٨ في فلسطين بين المجاهدين العرب والصهاينة، جاء إلى لبنان وسكن في بلدة غريفة، واستمرّ فيها حتى العام ١٩٥١، انتقل بعدها إلى بلدة بعقلين واستمرّ فيها حتى وفاته عام ١٩٥٦.

٣

المجاهد قاسم سعيد مسعود أبو ضرغم
١٨٩٣- ١٩٢٧م

وُلد المجاهد قاسم أبو ضرغم عام ١٨٩٣ في بلدة بعقلين، وترعرع في أسرة متواضعة تضم تسعة شبان، فكان والده يتعاطى مهنة الزراعة وتربية المواشي، وكانت أحواله المادية مقبولة.

ومع اشتداد الأزمة الاقتصادية، انتقل قاسم إلى سوريا في سنة ١٩١٥ إلى مدينة السويداء، فنزل في ضيافة أحد أقاربه من آل أبو ضرغم. ولدى قيام المجاهدين في جبل الدروز بالذهاب إلى شرق الأردن للالتحاق بثورة الشريف حسين، بادر قاسم إلى الانضمام إليهم، فخاض غمار المعارك آنذاك، وبعد دخول القوات العربية دمشق وتحريرها من الأتراك، بقي قاسم في دمشق، وتطوّع في الجيش العربي في عام ١٩١٩. وأسهم في مهمات عديدة في مناوشة الفرنسيين، وفي تلك الأثناء، تعرّف على شكيب وهاب، وأسهم معه في بعض العمليات العسكرية ضد المستعمرين الفرنسيين[٣١].

اشترك المجاهد قاسم أبو ضرغم في معركة ميسلون الخالدة، ولدى تقدم الفرنسيين، انسحب مع مجموعة من رفقائه إلى جبل الدروز، ومن ثم انتقل إلى شرق الأردن. وفي مطلع سنة ١٩٢١، أتى خلسة إلى سوريا فلبنان لزيارة أهله وأقاربه، بعد مدة طويلة من الغياب.

بعد هذه الزيارة عاد إلى شرق الأردن، وقام، بالاشتراك مع شكيب وهاب وعدد من المجاهدين في حزيران ١٩٢١، بتنفيذ عملية عسكرية كبيرة، هدفت إلى اغتيال الجنرال غورو على طريق القنيطرة في ٢٣ حزيران[٣٢]، ولكن غورو نجا بأعجوبة وأُصيب حاكم دمشق حقي العظم وقُتل الملازم برانت، وبعد

هذه العملية، عاد مع رفقائه إلى شرق الأردن، حيث أحدثت هذه العملية ردود فعل واسعة، إعلامية وعسكرية، محلية وفرنسية[٣٣].

قامت السلطة بإجراءات قمعية، فداهمت عدداً من القرى في تلك المنطقة بحثاً عن المجاهدين، ولكن دون جدوى. وفي شرق الأردن استمرّ قاسم إلى جانب فؤاد سليم والمجاهدين الأحرار، كما التقى بالأمير نوري الشعلان، الذي أحبه وقرّبه إليه.

وفي صيف ١٩٢٢، بعد انتقال سلطان باشا الأطرش من السويداء إلى شرق الأردن، أثر الثورة الأولى التي قام بها بوجه الفرنسيين، نتيجة اعتقال المجاهد أدهم خنجر، اشترك قاسم أبو ضرغم وشكيب وهاب وعدد من المجاهدين إلى جانب سلطان باشا الأطرش، وإخوانه المجاهدين، في التصدي للفرنسيين، في مواقع عدة، أهمها موقعة سمج.

وبعد عودة سلطان باشا إلى السويداء في ٥ نيسان ١٩٢٣، عاد قاسم مع الوفد، واستمر يتنقل ما بين سوريا ولبنان، وشرق الأردن، إلى أن نشبت الثورة السورية الكبرى، فأسهم إلى جانب شكيب وهاب في معارك الجبل والغوطة وراشيا، حتى معارك الثورة الأخيرة في مناطق اللجاه.

وفي شهر آذار ١٩٢٧، اشترك في معارك ضارية ضد القوات الفرنسية في وادي اللوا، حيث صمد المجاهدون وكبدوا الفرنسيين خسائر فادحة، واستطاعوا وقف تقدمهم في قرى ذكير وخلخلة، مما اضطر القوات الفرنسية إلى تكثيف الغارات الجوية لإخماد المقاومة، وفي الثلاثين من آذار ١٩٢٧، استشهد المجاهد قاسم أبو ضرغم في وادي اللوا في المعارك الضارية، حيث أُصيب بشظية متفجرة من قنبلة ألقتها إحدى الطائرات المغيرة[٣٤].

وقد فجع رفيقه المجاهد شكيب وهاب لاستشهاده، وتأسف على رحيله عدد كبير من المجاهدين الذين رافقوه في المعارك البطولية، وقد دُفن في تلك المنطقة، حيث استمر تقدّم القوات الفرنسية، وانسحب الثوار بعدها إلى شرق الأردن.

وهنا قصيدة زجلية، أرسلها المجاهد قاسم سعيد مسعود أبو ضرغم إلى أخيه داوود مع أحد المكارين القادمين من سوريا إلى لبنان عام ١٩٢٠، وقد روتها لنا زوجة المرحوم خليل أبو ضرغم شقيق قاسم وقد توفي عام ١٩٦٨.

علي ما قال المشوّق من ضميرو بيوت شعار منّو اسمعوها
ويا غفلان فيق من الرقادي وتْنَدَّمْ على الأيام المضوها
راح الوقت والأدوار ولّت وباقي شهور وأيام احسبوها
شمس العصر ولّت عالغيابي وبعد غيابها ما بتقشعوها

يا مرسال ودّي لي كتابي وخبّره عاللي صار فينا
وأهدي الشوق لكل القرايب حتى نكون إليهم قد لفينا
بالكاد نرجع إلى وطننا وعينينا تشوفكن بهل سنينا
يا ما عيوني دموع اجرت عا هالأيام اللي ماضيينا
أدعوا واطلبوا من رب دايم حتى نعود ليكم سالمينا
كنت بالشام عايش في سرور مع جيش العرب مطوّعينا
ثمان شبان من لبنان كانوا يا ما للحروب مجرّبينا
جانا أمر من يم العساكر لدير الزور نحنا قاصدينا
وصلنا الدير في خير وسلامة وبقينا شهرين فيها قاعدينا
سلامي للوالدي وقبّل يديها واطلب دوم أن ترضى علينا
سلّم عالقرايب والحبايب والإخوة واللي سامعينا
واختم الرسالي في سلامي بكثرة الشوق إليهم هادينا

٤

المجاهد أمين علي فهد عبد الباقي
١٨٩٦- ١٩٧٤م

في بلدة عينبال الشوف، أبصر المجاهد أمين النور، وعند بلوغه السادسة أدخله والده مدرسة البلدة، فتعلّم مبادئ القراءة والكتابة، لمدة أربع سنوات، ترك بعدها المدرسة وعكف على مساعدة والده في أعمال الزراعة.

وفي إبّان الحرب العالمية الأولى، انتقل مع أخيه أحمد إلى قرية حُضر في سوريا، ونزلا في ضيافة الشيخ إسماعيل فندي عبد الباقي[٣٥].

وفي العام ١٩٠٠، اشترك مع المجاهد شكيب وهاب ومجموعته، في عمليات عدة ضد القوات الفرنسية وأعوانها، في مناطق متعددة في لبنان وسوريا.

وعندما اندلعت شرارة الثورة السورية الكبرى في العام ١٩٢٥، هبّ لمساعدة الثوار، فاشترك إلى جانب أخيه أحمد مع المجاهد شكيب وهاب في معظم معارك الثورة، وقد أُصيب أمين ثلاث مرات في الاشتباكات مع المستعمرين.

بعد انتهاء الثورة، عاد أمين إلى قرية حُضر، ولم يذهب إلى شرق الأردن، ثم تزوّج ابنة الشيخ إسماعيل عبد الباقي في عام ١٩٢٨.

وفي بلدة حُضر بنى منزلاً، وعمل في مهنة البناء، وقام في الفترة الواقعة ما بين ١٩٣٧ – ١٩٥٢ بزيارات عدة إلى السويداء، للاطمئنان على أخيه أحمد. استمرّ في بلدة حُضر، يعمل في البناء والتجارة حتى وافته المنية في سنة ١٩٧٤.

٥

المجاهد فارس أمين سراي الدين
١٨٩٦ - ١٩٢٥م

في بلدة عترين الشوف، وُلد المجاهد فارس سراي الدين، فشبّ وترعرع في أحضان أسرة تضم أربعة شبان هم: يوسف وحسين وفارس وشاهين. وقد امتاز فارس منذ صغره، بطبعه الهجومي العنيف، فكان رفقاؤه يهابونه ويتحاشون التحرّش به.

في السادسة من العمر، أدخله ذووه إلى المدرسة، لكنه لم يتابع الدراسة، بل عمل إلى جانب أبيه وإخوته في زراعة الأرض وجني المحاصيل.

وفي سنة ١٩١٥، انتقل مع أهله إلى سوريا، بسبب المجاعة التي أحدثتها الحرب العالمية الأولى، فنزلوا في ضيافة أحد أقاربهم في السويداء، وهناك عملوا في الزراعة، وفي سنة ١٩١٩، رجعت العائلة إلى بلدة عترين[٣٦].

على أثر الاضطرابات والأحداث التي وقعت في الشوف في صيف وخريف ١٩١٩، قامت السلطة بحملة اعتقالات وإجراءات تعسفية ضد بعقلين والجوار، فقامت الجماهير في بلدات عينبال وغريفة وعترين وبعقلين بمظاهرات احتجاج على تصرفات السلطة، فبادرت القوى الأمنية إلى حملة اعتقالات جديدة، وكان فارس سراي الدين في عداد المعتقلين، ولكن أُطلق سراح المعتقلين بعد مدة وجيزة.

وفي ربيع عام ١٩٢١، كان فارس قادماً من بعقلين إلى عترين، في مساء أحد الأيام، فالتقى مع المجاهد شكيب وهاب ورفقائه، في وادي عينبال، وكانت السلطة تطاردهم، فقام فارس بدعوة شكيب ورفقائه لزيارته، فلبوا دعوته، فأكرم فارس وفادتهم، وفي الصباح الباكر غادروا منزله شاكرين ضيافته وجرأته.

بعد هذا اللقاء، ترك فارس منزله، وأبلغ إخوته حسين وشاهين، أنه سيقاوم الفرنسيين إلى جانب شكيب وهاب وبعض المجاهدين، فلم يستطع إخوته منعه من الذهاب، ولكنهم قلقوا على مصيره وعلى مصيرهم، حيال ما ستُقدم عليه السلطة من إجراءات ضدهم.

وفي منتصف عام ١٩٢١، تصاعدت الاضطرابات، فتشددت السلطة في قمعها، وتُوّج هذا القمع بتكليف يوسف كسبار ضبط الأمن في الشوف، فتمادى في ظلمه وغيّه، فصمم شكيب وهاب ورفقاؤه على تنفيذ عملية عسكرية، تربك السلطة، وتجبرها على إعادة حساباتها من جديد، فقامت المجموعة بقتل أحد العملاء في وادي عينبال، وجعلته مصيدة للسلطة، فكمنت المجموعة إلى جانب الطريق بانتظار وصول القوة الأمنية.

وصل الخبر إلى بيت الدين، فتوجّهت قوة عسكرية يتقدمها فؤاد جنبلاط الذي امتطى حصان يوسف كسبار، ولدى اقترابه من الكمين، أطلق المجاهدون النار، فهوى فؤاد عن صهوة الجواد على الأرض، وفرّ العسكريون يولولون ويصرخون، فاقترب شكيب وهاب، ليتفاجأ برؤية فؤاد جنبلاط ممدداً على الأرض[٣٧]. وعلى الفور، انطلق شكيب ورفقاؤه نحو جباع، ثم جبل نيحا، فالبقاع، ومنها توجّهوا إلى سوريا، وانطلقوا بعد ذلك إلى إمارة شرق الأردن، حيث كان الأمير عادل أرسلان والعقيد فؤاد سليم ورشيد بك طليع، فأخبرهم شكيب بما حصل معه، ومن ثم أقام في شرق الأردن بعيداً عن أعين السلطة الفرنسية.

ومن شرق الأردن، انطلق فارس مع شكيب وهاب وعدد من المجاهدين، إلى سوريا وقاموا بتنفيذ عدد من الضربات العسكرية، التي طالت أماكن تجمع دوريات وقوافل إمداد فرنسية، في مناطق عدة، كما قام فارس بمفرده في بعض الأحيان، بالانقضاض على مراكز الحرس الفرنسي في بعض المواقع، واستطاع النجاح في معظمها[٣٨].

وفي خريف ١٩٢٢ قدم خلسة إلى لبنان، فزار بلدته وتفقد أهله وأقاربه، فقامت إحدى النساء بالوشاية عليه، فاعتقلته السلطة وساقته إلى سجن دير القمر، ولكنه استطاع الفرار من السجن، وذهب نحو البقاع، ثم عاد إلى سوريا.

عاد فارس بعد فترة إلى عترين، فالتقى بأهله الذين ساقتهم السلطة إلى سجن بيت الدين بعد فراره، وأخبروه عن ظلم الفرنسيين وأعوانهم، وذلك بسبب تلك المرأة العميلة اللعينة، فهاجت أحاسيس فارس، وفي المساء قصد منزل تلك المرأة، فسحبها من منزلها بقوة السلاح، وأطبق فمها، واقتادها إلى خراج البلدة، وطلب منها أن تحفر قبرها بيدها، ففعلت. ثم أمرها بالتمدد في الحفرة، بعد ذلك، قام بإطلاق الرصاص عليها، فلم تنطلق الرصاصة، وحاول الكرة مرتين، فلم تنطلق أي رصاصة من مسدسه، فرفع يده نحو الفضاء وأطلق الرصاص، فانطلق. ذُهل فارس لهذا المشهد، فطلب منها الخروج، وشتمها وطلب منها التزام منزلها، مهدداً إيّاها بقتلها ذبحاً إذ عادت إلى ممارسة الوشايات ضد أبناء بلدتها ومنطقتها[٣٩].

استمرّ فارس يتنقل ما بين الشوف وسوريا، وفي بدء ١٩٢٣، ذهب فارس وشكيب وهاب إلى بلدة حاصبيا، والتقوا هناك سعيد ملاعب وحسن ثابت، وقاموا بتنفيذ عمليات عسكرية ضد الفرنسيين في جنوب لبنان، بعد ذلك، انتقل فارس وحده إلى بلدته عترين. وفي أحد الأيام كان فارس يقوم بزيارة أحد الأصدقاء في بلدة مزرعة الشوف من آل ذبيان، فوصل الخبر إلى السلطة، فجاءت قوة من مخفر المختارة، وقوة ثانية كبيرة من قيادة بيت الدين، وطوقت مزرعة الشوف، ولكن فارس انسحب نحو الوادي. فتشت القوة المنزل، فلم يجدوه، وحاولوا اعتقال صاحب الدار، ولكن فارس كان يعلم ما ستقدم عليه السلطة، فأطلق الرصاص في الوادي، فردّ العسكر عليه، وتوجهوا نحو الوادي لاعتقاله. اشتبك فارس مع العسكريين، وقد استطاع قتل العديد منهم، ولم يُصب بأذى، ثم انسحب في الوادي ما بين مزرعة الشوف وعين قني، ومن هناك صعد إلى أحراج باتر، في طريقه نحو البقاع[٤٠].

وفي خريف عام ١٩٢٤ استطاعت السلطة اعتقاله في البقاع، فنقلته إلى سجن زحلة ثم إلى سجن بيت الدين، فعلم إخوته، فذهب أخوه حسين إلى السجن لزيارته، يحمل له بعض الطعام والألبسة، ثم ودّعه قائلاً له: «سنذهب غداً إلى سوريا». فقال له فارس: «اذهبوا وأنا سأصل قبلكم إلى السويداء». وبالفعل عند المساء استطاع فارس خداع العسكريين، فقفز من على سطح

السجن في بيت الدين إلى الخارج، فطاردته القوة ولكنه استطاع الاختباء في شجرة زيتون، ولم تعثر القوة عليه، فغادرت المكان، بعد ذلك، نزل فارس من الشجرة، وانطلق في الوادي نحو بعقلين، ثم عترين، وتوجّه إلى البقاع فسوريا. وقد وصل إلى السويداء قبل أن يصل أخوه حسين.

بقي فارس يتجوّل في قرى جبل العرب إلى أن بدأت ثورة ١٩٢٥، فوقف إلى جانب سلطان باشا الأطرش[٤١] في معارك الكفر والمزرعة والمسيفرة، بعدها جاء رفيقه شكيب وهاب، فاشترك معه شخصياً في معظم معارك الثورة، وانتقل معه من السويداء إلى الغوطة، في الحملة التي قادها الأمير زيد الأطرش شقيق سلطان باشا. كذلك، اشترك في معركة راشيا والحماه ومجدل عنجر وكفرمشكي وحلوه وينطا والفالوج، كما اشترك في معركة مجدل شمس الأولى.

استشهاده

في مطلع شهر نيسان ١٩٢٦، خاض فارس[٤٢] إلى جانب رفقائه الأبطال معارك ضاربة في خان أرنبية والغجر ووادي العسل وجباتا الخشب، فكبدوا الفرنسيين خسائر فادحة في الأرواح والمعدات. وفي الثالث من نيسان ١٩٢٦ دارت معركة ضارية على محاور مجدل شمس فصدوا القوات الفرنسية ودحروها على الرغم من استعمالها الطائرات والدبابات والمدفعية. لكن الفرنسيين لم ييأسوا، بل استجمعوا قواتهم التي فاقت الستة آلاف جندي، وتقدموا نحو مجدل شمس من محاور عدة، وتحت غطاء كثيف من القصف الجوّي والبري، فدخلوا مجدل شمس، وتراجع الثوار نحو قرية حُضر، ولكنهم لم يصمدوا فيها، فتراجعوا نحو بلدة حينا، حيث كانت قوافل النازحين تتجمع للانطلاق نحو السويداء[٤٣].

في السادس من نيسان سارت القافلة التي تضم شيوخاً ونساء وأطفالاً، من الإقليم مع بعض حوائجهم نحو السويداء، فوصلوا إلى بلدة كناكر العجم، فاستقبلهم أهلها بالترحاب وأضافوهم[٤٤]، وفي تلك الأثناء، أُرسل أحد المجاهدين إلى السويداء لإبلاغ الثوار والأهالي بضرورة نجدة الحملة ومساعدتها.

كان فارس سراي الدين وعدد من المجاهدين يرافقون القافلة لحمايتها من أي اعتداء. ولدى وصول القافلة إلى ممر يقع بين جدل وخبب، خدعهم أحد الأدلة من عشيرة السلوط، واقتادهم إلى منطقة مستنقعات، تُدعى بقع جمرة. وحاولت المرتزقة من هذه العشائر الإطباق على الحملة، بتحريض الفرنسيين، لكن المجاهدين المرافقين للحملة وعلى رأسهم فارس سراي الدين تصدوا لهؤلاء المرتزقة، ودارت رحى معركة طاحنة استشهد فيها عدد من المجاهدين، وأُصيب فارس إصابات بالغة في صدره وكتفه ويديه وقدميه، فلم يعد يقوى على الوقوف، فنُقل مع القافلة على ظهر جمل كانت تقوده زوجته، وفي ذلك الوقت، وصلت النجدة من جبل العرب واللجاه، فهرب المرتزقة تاركين قتلاهم في ساحة المعركة، وتابعت القافلة سيرها نحو داما[٤٥]. ولكن المجاهد فارس وافته المنية قبل أن يصل إلى داما[٤٦]، في ١٢ نيسان ١٩٢٦ حيث دُفن في تلك البلدة، وأُقيم له مأتم مؤثر حضره سلطان باشا الأطرش وشكيب وهاب والأمير عادل أرسلان وعشرات المجاهدين من رفقائه في الثورة.

٦

المجاهد أحمد علي فهد عبد الباقي
١٩٠٠- ١٩٦٧م

وُلد المجاهد أحمد في بلدة عينبال بالشوف، وعند بلوغه السادسة، أدخله والده إلى مدرسة البلدة المتواضعة، فدرس ثلاث سنوات، ترك بعدها الدراسة، وانصرف إلى مساعدة والده في الأعمال الزراعية.

وعند اشتداد الحرب العالمية الأولى، حيث عمّت المجاعة، انتقل أحمد وأخوه أمين إلى سوريا، فذهب الأخوان إلى بلدة حُضر الواقعة في سفح جبل الشيخ، ونزلا بضيافة الشيخ إسماعيل فندي عبد الباقي، الذي استوطن جدّه في تلك القرية منذ أكثر من خمسين عاماً[٤٧].

وفي العام ١٩٢٠، التقى أحمد في حُضر مع المجاهد شكيب وهاب الذي اصطحبه معه فيما بعد، وقاما بتنفيذ عدد من العمليات العسكرية ضد القوات الفرنسية في سوريا ولبنان. لكن المجاهد أحمد لم يذهب مع شكيب وهاب آنذاك إلى شرق الأردن، بل كان يشترك معه في تنفيذ العمليات، ثم يعود إلى بلدة حُضر، حيث بقي بعيداً عن الشبهات وأعين السلطة.

وعندما اندلعت الثورة السورية الكبرى، انطلق أحمد لنجدة الثوار، ووقف إلى جانب شكيب وهاب والأمير عادل أرسلان وغيرهم في معظم المعارك، وأبلى بلاء حسناً، شهد له رفقاؤه بصلابته وعزيمته في المعارك[٤٨].

ومن المعارك التي أسهم فيها بشكل فعّال، معركة راشيا، فكان من جملة الثوار الذين اقتحموا أسوارها، وصعد إلى سطح القلعة، ومعه شكيب وهاب وأحمد هاني وحمد صعب وملحم ومحمد رضي الدين حماده وغيرهم.

وقد قاوموا تقدّم القوات الفرنسية الآتية لنجدة الحامية في تلك القلعة، وقد روى بعض ما حصل لأولاده فريد وفؤاد[٤٩]، ومنها أن الجنود المرتزقة

السنغاليين والمغاربة، كانوا يقذفون الثوار بالقنابل اليدوية من الأرض إلى سطح القلعة، فيلتقطها أحمد ويعيدها إليهم، فتنفجر فوق رؤوسهم وبين تجمعاتهم.

إبّان انسحاب المجاهدين من قلعة راشيا، أُصيب أحمد إصابة بالغة في كتفه اليمنى، فاستطاع التحامل والذهاب إلى مجدل شمس حيث تمت معالجته، وما إن تماثل قليلاً إلى الشفاء، حتى هبّ لنصرة المجاهدين في معارك الغوطة. بعد ذلك، اشترك في معركة مجدل شمس الثانية وأُصيب برصاصات عدة في قدميه، ولكنه لم ينهزم، وكان شكيب وهاب إلى جانبه، فطلب منه الانسحاب ومعالجة جراحه النازفة، وقد نُقل إلى خارج أرض المعركة، حيث عُولج ونُزعت خمس رصاصات من قدميه[٥٠].

بعد هذه المعركة، انتقل إلى جبل العرب، وأسهم في معارك اللجاه الأخيرة، ثم ذهب إلى شرق الأردن، لكنه لم يذهب مع المجاهدين إلى الأزرق، فعاد مع القافلة التي قدمت في صيف ١٩٢٧، وكان معهم الأمير متعب الأطرش[٥١].

بعد مجيئه إلى السويداء، انتقل إلى بلدة حُضر، فتزوّج من تميمة محمد الهادي عام ١٩٢٩، وبقي في حُضر حتى سنة ١٩٣٩، ثم انتقل منها إلى قرية الهويّا قرب صلخد ونزل في صيافة قريبه الشيخ فرحان محمود عبد الباقي، فتعاطى الأعمال الزراعية والتجارية، وفي عام ١٩٤٨ زاره المجاهد شكيب وهاب، وطلب منه مرافقته في فوج الجبل الذي خاض معارك مشرّفة في فلسطين ضد اليهود، لكن أحمد اعتذر منه، حيث لا معيل لأطفاله سواه وصحته ليست على ما يرام.

بقي أحمد في الهويّا حتى أواخر ١٩٥١، انتقل منها إلى مدينة السويداء، فعمل في التجارة، وقد زار لبنان مرات عدة في هذه الفترة. وفي العام ١٩٥٦، انتقل من مدينة السويداء إلى لبنان، يرافقه شكيب وهاب ومنير العجلاني وغيرهما، خوفاً من عمليات الاعتقال، حيث اتهم بأحداث سياسية آنذاك، فجاء إلى بلدته عينبال بادئ الأمر، ثم انتقل إلى بلدة عين زحلتا وافتتح متجراً فيها، واستمرّ يعمل فيه حتى أواخر عام ١٩٦٧ حيث توفّي، ونُقل إلى عينبال، وأُقيم له مأتم حاشد، حضره شكيب وهاب وعدد كبير من أبناء الجبل في سوريا، وحشود من لبنان.

المواجهات والحوادث العسكرية

١

حادثة القنيطرة
محاولة اغتيال الجنرال غورو

كان المجاهد شكيب وهاب في إمارة شرق الأردن، التي كان يرئس حكومتها آنذاك رشيد بك طليع، وقائد جيشها العقيد فؤاد سليم، يعاونه مجموعة من المجاهدين الأحرار، الذين نزحوا من سوريا، بعد سقوط مدينة دمشق بيد الفرنسيين في ١٩٢٠/٧/٢٤.

كانت هذه الحكومة العربية الشابة، تتطلع إلى سوريا، وتتابع أخبار الفرنسيين وتحركاتهم، أملاً منها في تهيئة الظروف المناسبة، للانقضاض على القوات المحتلة، وتحرير سوريا من هذا الاستعمار الجديد.

وفي بلدة كفرسوم القريبة من إربد، نزل المجاهد أحمد مريود وعدد من رفقائه وأهله، فحلّ ضيفاً في مضارب الشيخ تركي الكايد، الذي أكرم وفادته وضيافته، في بادئ الأمر، ثم أمّن له ولجماعته السكن اللائق ومستلزماته، حيث بقي أحمد لمدة تزيد عن السنتين في هذه البلدة، محاطاً بالحفاوة والإكرام[٥٢].

وفي هذه البلدة القريبة من الحدود السورية، كان أحمد على اتصال دائم مع أقاربه في جباتا الخشب، كما كان على علاقة وتواصل مع العقيد فؤاد سليم والأمير عادل أرسلان وقادة الثورة العربية في إمارة شرق الأردن.

في منتصف شهر حزيران ١٩٢١م، وصل رسول من منطقة القنيطرة إلى بلدة كفرسوم، واجتمع بأحمد مريود، فأبلغه أن هناك أخباراً سارة له، حيث سيقوم الجنرال غورو بزيارة المنطقة، وسيقوم بتناول الغداء في مضارب الأمير محمود باشا الفاعور أمير عشائر الفضل في قرية واسط – قضاء القنيطرة، ثم يزور الأمير نوري الشعلان زعيم عشائر الروله[٥٣].

ابتهج أحمد لهذا الخبر، وتأكد من الرسول موعد الزيارة، فقام على الفور بالاتصال مع العقيد فؤاد سليم وأبلغه بالأمر، طالباً منه إعطاء الإشارة للتنفيذ، ولكن العقيد فؤاد سليم، طلب منه التريث قليلاً، حتى يقوم بإبلاغ الموضوع إلى رفقائه في الإمارة، وستتم الموافقة على تنفيذ العملية العسكرية ضد غورو، بعد أن يتم التخطيط لها بدقة(٥٤).

التخطيط للعملية وانطلاقتها

اجتمع فؤاد سليم والأمير عادل أرسلان وسامي محمود السراج وعوني القضماني وخير الدين الزركلي وجميل المدفعي العراقي(٥٥)، فخططوا للعملية، وأشار العقيد سليم أن يتم تنفيذها بعيداً عن مضارب نوري الشعلان ومحمود الفاعور، وأن تكون بعيدة عن التجمعات. وقرّ الرأي أن تُنفذ في منطقة كوم الرويسية، ووُضعت خطة عسكرية وافق عليها الجميع.

بعد ذلك، قام العقيد فؤاد سليم باستدعاء شكيب وهاب، وطلب منه الاشتراك مع عدد من عناصره في هذه العملية، فرحّب شكيب بالفكرة، وأبدى استعداده الفوري للتنفيذ، وقد أبلغ العقيد فؤاد سليم، أنه سيصطحب معه المجاهد فارس سراي الدين والمجاهد أحمد عبد الباقي والمجاهد قاسم مسعود أبو ضرغم(٥٦).

ثم اتصل العقيد فؤاد سليم بالمجاهد أحمد مريود، وأبلغه بالتخطيط للعملية وتنفيذها، وطلب منه التنسيق مع العناصر بدقة كي يتم نجاح هذه العملية النوعية، وأن يتم اللقاء مع العناصر في المجموعتين، ويتولّى خليل مريود شقيق المجاهد أحمد وشكيب وهاب قيادتهما إلى الموقع المحدد. وافق أحمد على طلب العقيد فؤاد سليم، فجاء بمجموعته المؤلفة من: محمود البرازي، شريف شاهين، محمود حسن، محمد ضاهر، عارف أحمد، خليل مريود، يوسف وأسعد مريود، أحمد الخطيب، واشترك معهم أدهم خنجر في تنفيذ هذه العملية كما تؤكد بعض المصادر التاريخية.

تنفيذ العملية

مساء الأربعاء ٢٢ حزيران ١٩٢٣، انطلقت هذه المجموعة المؤلفة من خمسة

عشر شخصاً، من إمارة شرق الأردن نحو القنيطرة، وعند الصباح وصلوا إلى جسر في منطقة كوم الرويسية حيث سيمرّ الموكب المنتظر. فأنزل خليل وشكيب خمسة من رجال المجموعة إلى الطريق العام، بزي الدرك السوري، مع سلاحهم الكامل، ورابط شكيب وخليل مع باقي العناصر على جانبي الجسر، في موقع شبه صخري حصين، يراقبان التطورات.

ولم تمضِ فترة طويلة حتى أطلّت سيارة الجنرال غورو بمفردها، فوقف المجاهدون الخمسة يؤدون التحية، فتوقف الجنرال قليلاً لتأدية التحية، وبلمحة خاطفة، كان المجاهدون يمطرون السيارة وابلاً من الرصاص(٥٧)، تدعمهم القوة المساندة كذلك.

في هذه اللحظات، انبطح الجنرال تحت مقعد السيارة، وأُصيب برصاصة في ذراعه اليمنى المقطوع، وأُصيب الملازم برانه الذي يعمل مترجماً له وكان يجلس ما بين القومندان كاترو الذي لم يصب بأذى، وبين السائق، حيث اخترقت رصاصتان رأسه وقُتل على الفور(٥٨)، وطارت قبعته على الأرض، فالتقطها محمود البرازي. أما الجنرال غورو، فقد انبطح تحت المقعد الخلفي، ولم يصب بأذى، بينما أُصيب حقي بك العظم حاكم مدينة دمشق بثلاث رصاصات في زنده وشفته وساقه، وهي إصابات طفيفة، حيث كان يجلس إلى يسار الجنرال غورو.

ولدى سقوط القبعة على الأرض، ظنّها المجاهدون(٥٩) قبعة الجنرال غورو، فأطلقوا العنان لخيلهم مبتعدين عن المكان، وفي هذه الأثناء، استطاع السائق الفرنسي بوف برباطة جأش أن يقذف الملازم القتيل برانه إلى خارج السيارة، ويقودها مسرعاً، نحو مضارب الشيخ محمود الفاعور في قرية واسط. بقيت القوة المساندة مرابطة في مكانها، وحين وصلت القوة المرافقة للجنرال مع الحاشية، بعد أن تأخرت عنه قليلاً، نتيجة الغبار المتصاعد في الصحراء، تفاجأت بالملازم القتيل على الأرض، فأوقفوا السيارات ونزلوا كي ينقلوه إلى إحدى السيارات، وهنا فتح شكيب وهاب النار مع رفقائه الرابضين وراء الصخور، على هذه القوة، ودار اشتباك استمرّ زهاء ربع ساعة، حيث اختبأ عناصر القوة الفرنسية ومَن معهم وراء السيارات، واستطاعت القوة المجاهدة الانسحاب من المنطقة، قبل وصول

التعزيزات العسكرية. وقبل انسحاب المجاهدين، استطاعت سيارتان الإفلات والتوجّه نحو القنيطرة، بينما بقيت سيارتان في المكان، وقد تمزّقت إطارتها بالرصاص، وبعد الانسحاب، نقل الجنود الفرنسيون الملازم برانه إلى دمشق بواسطة إحدى هذه السيارات، كما نُقل اثنان من الجنود جُرحا في هذا الاشتباك.

وكانت السيارتان اللتان نجحتا في العبور تضمّان حاشية الجنرال المؤلفة من: الجنرال غوابيي والقومندان كانونج وفوراي والملازم جاكاي وشقيقة الجنرال ومستشارين هما كارلياه وليوتاي[٦٠]، وقد وصلا إلى مضارب الأمير محمود الفاعور بحالة يرثى لها، حيث إن الجنود المرافقين، كانوا في السيارتين اللتين توقفتا في المحلة المذكورة، وتولّوا الرد على إطلاق النار، فأُصيب اثنان منهم وسقطوا أرضاً.

ردود الفعل على العملية عسكرياً

بعد فشل الفرنسيين في إلقاء القبض على أي من المجاهدين، عمدوا إلى إجراءات صارمة شملت قرى عدة تخص أقارب المجاهدين، فقاموا بتسيير قوة كبيرة من ناحية مرجعيون وقوة ثانية من مدينة دمشق بقيادة الكولونيل دركور فوصلت إلى بلدة جباتا الخشب، فدمرت بالديناميت منزل أحمد مريود ومنازل أهله، وبعض البيوت في القرى المجاورة، بحجة إيواء المجاهدين، وذلك في تشفّياً من السكان الآمنين المسالمين. كما قاموا باعتقال عشرات الرجال والنساء والشيوخ في قرى هذه المنطقة وفرضوا على سكانها غرامات باهظة، بعد أن نهبوا مواشيها وأثاث بيوتها، وقدّرت قيمة المنهوبات بستين ألف ليرة ذهباً، اعتبرها المحتلون ديّة الملازم القتيل[٦١].

ولقد ذكر منير الريس في الكتاب الذهبي ما يلي: «لقد نكّل الفرنسيون بالقرى التي مرّت بها العصابة، ودمروا الدور والمساكن، وفرضوا الغرامات الباهظة على الأهلين، وأحرقوا، ونهبوا، وملأوا السجون بالأبرياء، حتى بالأطفال والنساء، وساموهم سوء العذاب، ونكلوا بهم أبشع التنكيل»[٦٢].

وفي ٢٨ حزيران سنة ١٩٢١، أصدرت المحكمة العسكرية الفرنسية في دمشق، قراراً بالإعدام على كل من المجاهدين: أحمد ومحمد ومحمود

وخليل وأسعد ويونس مريود، وشريف شاهين ومحمود حسن، ومحمد ضاهر وأحمد الخطيب ومحمد الخطيب، وشكيب وهاب وأدهم خنجر(٦٣) وفارس سراي الدين وقاسم بو ضرغم ومحمود البرازي وغيرهم(٦٤).

كما قامت السلطة الفرنسية بالاتصال مع السلطة الإنكليزية في شرق الأردن، طالبة إليها تسليمها المطلوبين للإعدام. لكن السلطة البريطانية فشلت في إلقاء القبض على المجاهدين، بعد قيام العشائر في عمان وشرقي الأردن بمظاهرات احتجاج وهياج، حيث رفضوا تسليم أي مجاهد للفرنسيين أو اعتقاله في شرق الأردن، وتزعّم هذه الانتفاضة الشيوخ مثقال باشا الفايز وحديثة الخريشا وسعيد خير وشيوخ بني صخر.

أمام هذه التحركات، رضخت السلطة البريطانية وتراجعت عن طلبها، واستمر المجاهدون أحمد مريود وشكيب وهاب يتنقلان بأمان في إمارة شرقي الأردن. أما في لبنان، فقد قامت السلطة الفرنسية بتسيير قوة إلى بلدة غريفة، فاعتقلت زوجة شكيب وهاب وقسماً من أقاربه، وقادتهم إلى سجن بعقلين، ثم داهمت منزل فارس سراي الدين وقامت باعتقال قسم من أقاربه كذلك(٦٥).

وقد علم شكيب وهاب بإجراءات السلطة، فبعث بالرسل إلى شيخي العقل والقائمقام فؤاد جنبلاط، يحثهم على التدخّل لإطلاق سراح النساء والمعتقلين، ولكن السلطة الفرنسية لم تستجب لهذه المطالب والاحتجاجات(٦٦).

ومن جملة الإجراءات العسكرية، طلبت السلطة الفرنسية من الأمير محمود الفاعور، تعقّب منفذي العملية – الاعتداء، وتسليمهم للسلطة لينالوا عقابهم. وقد أبدى الأمير محمود الفاعور تجاوباً مع السلطة الفرنسية آنذاك.

الردود الإعلامية على العملية

جاء الردّ الأول من الجنرال غورو شخصياً، فبعد انتهاء زيارته للقنيطرة، رجع إلى دمشق وعمد إلى دعوة أعيان دمشق، بحضور حقي بك العظم، إلى حفل عشاء، وألقى كلمة جاء فيها(٦٧): «من الظلم الفاحش أن نتهم بهذه المكيدة، أي عنصر كان من الأهالي، الذين لم تكن مظاهرهم موافقة فقط، بل حارة. إن هذه المكيدة التي أفقدتني واحداً من ضباطي الذي انحنيت بكل احترام فوق جثته معلقاً عليها صليب جوقة الشرف، هذه المكيدة مكنتني من أن

أرى بشكل واضح، حرارة الاستقبال العمومي الذي لقيته، من جميع السكان الحضريين والبدوان في دولة دمشق.

ولا أرى مكاناً بعد هذه الحفاوة الشاملة، أن يُتّهم أحد من الأهالي بهذه الدسيسة، التي قامت بها عصابة شريرة غريبة طبعاً عن البلاد. فالعمل المشترك بين فرنسا وسوريا لا يتوقف، ولكن الاتحاد بينهما كان يحتاج إلى جبله بالدم. فأنا الذي شهدت المعارك مراراً، أرى الفخر اليوم بأني خضتها بجانب حقي بك. أجل إني أنا القائد الفرنساوي كنت بجانب حاكمكم العام وهذا حسن».

قام بعد ذلك الجنرال غورو بتقليد سائقه بوف وساماً، عبارة عن ميدالية حربية، لرباطة جأشه وإنقاذ حياته في هذه المعركة.

وفي مقال للدكتور أيوب ثابت في جريدة الرقاي نقلته لسان الحال نقتطف ما يلي[٦٨]: «نحن لا نريد أن نلبس هذا الحادث ثوباً يزيد من ألق الخواطر المضطربة. والسبب في اضطرابها هو ظهور حركات يرى فيها الكثيرون من المفكرين الناظرين إلى المستقبل، باعثاً على التشاؤم. غير أننا بالرغم من شدة رغبتنا في تحاشي تجسيم حادث القنيطرة، لا نرى بدّاً من القول، إنه ليس بالحادث البسيط المسبب عن جهل الذين أحدثوه، بل هو ولا مراء، حادث مدبّر لغاية سافلة، هي محاولة إحداث الاضطراب في سوريا، بقصد إيهام الرأي العام في أوروبا ولا سيما في فرنسا بأن الجنرال غورو لا يزال يلاقي العقبات في المهمة التي انتُدب لأجلها.

لا مراء في أن هذا المقصد السيئ، هو مقصد لجماعة غرباء، جيء بهم في بداية عهد الاحتلال، ثم طُردوا من سوريا لتماديهم في الغرور، ولعدم رضى الشعب السوري عن تدخلهم في شؤونه. ويكاد يكون في حكم المقرر أن الجناة الذين حاولوا اغتيال الجنرال غورو، إنّما هم محرّضون على ارتكاب الجريمة من قبل جماعة المتشردين الملتجئين إلى أرض ما وراء شرق الأردن، الواقعة تحت الوصاية الإنكليزية. فعلى حكومة فلسطين التي أخذت هؤلاء المتشردين تحت حمايتها، وأنشأت لهم دولة، أن تتعقّب هذه المسألة لكشف أسرارها، وهو أقل ما ينتظر من حكومة حليفة وصديقة، أخذت على ذاتها تأييد الأمن والراحة في منطقة انتدابها».

وفي هذا المقال اتهام واضح وإدانة لحكومة شرق الأردن التي يرئسها رشيد بك طليع، وتحريض السلطة البريطانية لاتخاذ إجراءات ضد القيادات العربية والمجاهدين في هذه الإمارة.

هوامش مجموعة شكيب وهاب

١ لقاء مع ابن أخيه عارف وهاب في ٢٠٠١/٨/١٠.

٢ مذكرات سلطان باشا الأطرش، مصدر سابق، ص ٥٦، ج١.

٣ مذكرات سلطان باشا الأطرش، مصدر سابق، ص ٧١، ج١.

٤ مقابلة شخصية مع الشيخ أبو شفيق سليمان يوسف زهر الدين في السويداء في ٢٠٠١/٩/١٨.

٥ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج١، ص ٧٤ وجريدة لسان الحال عدد ١٩٢١/٦/٢٥.

٦ سلامة عبيد، الثورة السورية الكبرى، ص ٩٢ – ٩٣.

٧ إيغور تيموفييف، كمال جنبلاط، الرجل والأسطورة، دار النهار، ط١ ٢٠٠٠، ص ٥١٨، هامش رقم ٢٠.

٨ لسان الحال، عدد ١ آب ١٩٢١.

٩ راجع أعداد جريدة لسان الحال، ٣ و٨ و ١ و ١٢ و ١٩ و٣٠ آب ١٩٢١.

١٠ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ص ٧٧.

١١ أدهم آل جندي، تاريخ الثورات السورية الكبرى، ص ١٨٦. ويقول أن أدهم خنجر نقلته السلطة الفرنسية بطائرة من السويداء إلى دمشق في ٢٩ آب ١٩٢٢ وأُعدم فوراً.

١٢ سلامة عبيد، مرجع سابق، ص ٩٥. وأدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ١٨٦.

١٣ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ١٨٦.

١٤ سلامة عبيد، مرجع سابق، ص ٩٦ – ٩٧.

١٥ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج١، ص ٨٧.

١٦ و١٧. مذكرات سلطان باشا الأطرش، ص ٨٧ و ٢٠١، ج١.

١٨ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج٢، ص ٧ و ١١.

١٩ مقابلة شخصية مع الأستاذ رجا جابر في بلدة عبيه بتاريخ ٢٠٠٣/٥/١٨، ذكر لنا أنه كان يعمل مع المرحوم عارف النكدي في مجلة الميثاق في الستينات، وشاهد ٣٥ إيصالاً بتوقيع المجاهد شكيب وهاب والمجاهد فوزي القاوقجي قيمة كل إيصال ٥٠٠ ليرة سورية في بداية الثلاثينات، وعندما سأل المرحوم عارف النكدي عن هذه الإيصالات قال له: «إنه كان يتبرع بنصف راتبه دعماً للثوار».

٢٠ و ٢١. لقاء مع السيد عارف وهاب في غريفة في ٢٠٠١/٨/١٠.

٢٢ جريدة الجبل، أعداد ١٥ نيسان حتى آخر حزيران ١٩٤٨.

٢٣ خيرية قاسمية، مذكرات القاوقجي، الجزء الثاني، ص ٣٥٩ و ٣٦٠.

٢٤ أمين أبو عساف، ذكرياتي، دمشق ١٩٩٦، ص ٢١٢ – ٢١٦.

٢٥ عارف وهاب، مصدر سابق.

٢٦ باتريك سيل، الصراع على سوريا، دار طلاس، ط٧، ١٩٩٦، ص ٣٦٠.

٢٧ باتريك سيل، الصراع على سوريا، دار طلاس، ط٧، ١٩٩٦، ص ٣٦٤.

٢٨ من أوراق أسعد سليم، في لقاء معه في بقعاتا في ٢٠٠٣/٤/٢.

٢٩ و ٣٠. لقاء مع زوجة المجاهد حسن حماده، السيدة ميليا حماده، في منزلها في بعقلين في ٢٠٠٣/٤/٨.

٣١ لقاء مع زوجة أخيه خليل سعيد أبو ضرغم في بعقلين في ٢٠٠٣/٤/١٥.

٣٢ جريدة لسان الحال، عدد ١٩٢١/٦/٢٥.

٣٣ أدهم آل جندي، تاريخ الثورات السورية، مرجع سابق، ص ٣٩٣.

٣٤ مقابلة شخصية مع السيد خليل قاسم أبو خزام في ٢٠٠٣/٥/٤ في كفرحيم.

٣٥ مقابلة شخصية مع قريبه السيد جميل قاسم عبد الباقي في عينبال في ٢٠٠٢/٩/١٠. ومع السيد فريد أحمد عبد الباقي في ٢٠٠٢/٩/١٤ في عينبال.

٣٦ مقابلة شخصية مع الشيخ فواز حسين سراي الدين في عترين في ٢٠٠٣/٤/٤.

٣٧ راجع أعداد جريدة لسان الحال ١ و ٤ آب ١٩٢١.

٣٨ و٣٩ و ٤٠. مقابلة شخصية مع السيد فارس شاهين سراي الدين في جديدة الشوف في ٢٠٠٣/٤/١١.

٤١ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج١، ص ١٧٠.

٤٢ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج٢، ص ٢٥.

٤٣ و ٤٤. مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج٢، ص ٢٦ و ٢٨.

٤٥ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج٢، ص ٣٦ و ٣٧.

٤٦ مقابلة شخصية مع السيد فارس سراي الدين في جديدة الشوف في ٢٠٠٣/٤/١١ وقد روى ذلك عن والده الذي أخبرته بذلك زوجة المجاهد الشهيد شخصياً في السويداء ١٩٤٠.

٤٧ مقابلة شخصية مع إبنه فريد في بلدة عينبال في ٢٠٠٢/٩/١٤.

٤٨ مذكرات سلطان باشا الأطرش، مرجع سابق، ج١، ص ١٧١.

٤٩ مقابلة شخصية مع إبنه فؤاد عبد الباقي في عينبال في ٢٠٠٢/٩/١٤.

٥٠ مقابلة شخصية مع السيد جميل قاسم عبد الباقي في عينبال في ٢٠٠٢/٩/١٠.

٥١ مقابلة شخصية مع السيدان فريد وفؤاد عبد الباقي في عينبال في ٢٠٠٢/٤/٥.

٥٢ و٥٣. أدهم آل جندي، تاريخ الثورات السورية، ص ٣٩١ و ٣٩٢.

٥٤ من أوراق أسعد سليم، ابن أخ المجاهد الشهيد فؤاد سليم.

٥٥ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٢٦٤.

٥٦ من أوراق أسعد سليم.

٥٧ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص٣٩٢، ومذكرات سلطان باشا الأطرش، ص٧٤، ج١.

٥٨ جريدة لسان الحال، عدد ١٩٢١/٦/٢٥.

٥٩ أدهم آل جندي، ص ٣٩٢.

٦٠ جريدة لسان الحال، ١٩٢١/٦/٢٥.

٦١ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٣٩٣.

٦٢ منير الريّس، الكتاب الذهبي، دار الطليعة، بيروت، ط١ ١٩٦٩، ص ١٤١.

٦٣ حنا أبي راشد، جبل الدروز، ط١ ١٩٢٥، مصر، ص ١٤٦.

٦٤ أدهم آل جندي، مرجع سابق ص ٣٩٣.

٦٥ مقابلة شخصية مع السيد فارس شاهين سراي الدين في ٢٠٠٣/٤/١٠ في جديدة الشوف.

٦٦ مقابلة مع السيد عارف وهاب في غريفة ٢٠٠١/٨/١٠.

٦٧ جريدة لسان الحال، عدد ١٩٢١/٦/٢٥.

٦٨ جريدة لسان الحال، عدد ١٩٢١/٦/٣٠ في الصفحة الأولى.

٥

مجموعة المجاهد سعيد ملاعب

أ. مجموعة المجاهد سعيد ملاعب

١. سعيد قاسم ملاعب ١٩٠٠-١٩٢٣م

٢. يوسف حمد ملاعب ١٨٩٢-١٩٧٢م

٣. شاهين أسعد ملاعب ١٨٩٦-١٩٨٤م

٤. شاهين محمد ملاعب ١٨٩٨-١٩٢١م

١

المجاهد سعيد قاسم ملاعب
١٩٠٠-١٩٢٣م

في بلدة بيصور، وُلد المجاهد سعيد ملاعب في أسرة متواضعة، وعندما شبّ عمل في مساعدة والده في الأعمال التجارية، وحين توفّي والده، فتابع العمل في التجارة ما بين لبنان وسوريا، يعاونه شقيقه فارس ملاعب.

لقاؤه مع ملحم قاسم[١]

في ربيع سنة ١٩١٨، كان سعيد يقوم برفقة أخيه فارس وعدد من أبناء بلدته برحلة تجارية إلى دمشق، ولدى وصولهم إلى منطقة وادي القرن، اعترضت سبيلهم مجموعة من المسلحين، فأوقفتهم، وطلبت من كل واحد من القافلة أن يفرغ ما يحمله من المال على الأرض. ثم اقترب بعض المسلحين، وبدأوا بتفتيش أفراد القافلة. كان سعيد يحمل في جيبه ليرة ذهبية، فحملها بيده ولدى محاولة أحد المسلحين الاقتراب منه، ابتلع الليرة ولم يسلّمها. كانت هذه المجموعة المسلّحة بقيادة ملحم قاسم من بعلبك. وبعد ذلك تابعت القافلة سيرها نحو دمشق.

ارتاحت القافلة، فوضعت الأحمال، ثم عادت تحمل بضاعة من دمشق نحو الجبل، فسار سعيد معهم، ولدى وصولهم إلى جديدة يابوس، شاهد سعيد خيّالاً بالقرب منهم، فقام بالطلب إلى أخيه أن يقود دابته وهو سيلحق بهم بعد قليل، ثم قام سعيد بالانقضاض على الخيّال، فانتزع حصانه وبندقيته، ولكنه لم يقتله، فامتطى الحصان وسار إلى منطقة ملحم قاسم.

وصل إلى المنطقة التي تسيطر عليها مجموعة ملحم قاسم، فشاهد ثلاثة أشخاص يقومون بسوق قطيع من الماعز نحو نبع الماء، فبادر إلى الهجوم

عليهم، بعد أن عرفهم أنهم من جماعة ملحم قاسم، وقال لهم: «اذهبوا وبلغوا أن سعيد قاسم ملاعب ضربنا وشتمنا». ذهب هؤلاء وأبلغوا ملحم قاسم، فجاء على الفور، يرفع إشارة بيضاء على بندقيته، فاقترب من سعيد فعرفه أنه هو الذي ابتلع ليرة الذهب ولم يسلّمها، وأيقن أن هذا الشاب، شجاع ومقدام، سيكون له مستقبل في الأعمال العسكرية، فدعاه إلى زيارته، ففعل سعيد، واستضافه ملحم قاسم، وأكرمه، وحاول جاهداً إقناعه بالسير معه في مجموعته، لكن سعيد رفض العرض، ووعده بزيارته دائماً وتوطيد الصداقة معه، وهكذا كان.

بعد هذه الحادثة، عاد سعيد إلى متابعة سيره نحو بيصور، ولكن الأعمال العسكرية استهوته، فمال إليها، وترك الأعمال التجارية. ومع تحرير البلاد العربية وإعلان الحكومة العربية في دمشق برئاسة الركابي، التحق سعيد بالجيش العربي، وتطوع في صفوفه في دمشق، واستطاع سعيد إقناع عدد من الأشخاص في بيصور للتطوع في هذا الجيش، فالتحق معه، وبعد مدة قصيرة، أكثر من عشرة أشخاص في هذا الجيش في دمشق في مطلع ١٩١٩.

في هذه الفترة، استطاع سعيد أن يؤلف مجموعة عسكرية تكونت من: شاهين أسعد ملاعب، شاهين محمد ملاعب، ويوسف حمد ملاعب الملقّب بالحاج. هذه المجموعة قامت بتنفيذ العديد من العمليات العسكرية ضد القوات الفرنسية وأعوانها في لبنان وعلى امتداد الحدود السورية – اللبنانية، بدعم وتوجيه من قيادة الحكومة العربية التي دعمت مجموعات أخرى في هذا العمل.

كان سعيد ينفذ العمليات ويقوم بإعلان اسمه أمام خصومه، فاشتهر وذاع صيته، وأصبح في عداد الأوائل المطلوبين للسلطة الفرنسية، وقد صدرت بحقه أحكام غيابية عدة في محكمة بعقلين. ويروي لنا الشيخ هزاع طربيه[٢] عن عمّه المجاهد علي يوسف طربيه، أن سعيد ملاعب، كان يجلس في مضافة يوسف زهر الدين في السويداء، ومعه شكيب وهاب وفندي أبو ياغي وعلي يوسف طربيه وعلي حسين أبو إسماعيل، قال لهم سعيد: «سأذهب إلى بعقلين وسأدخل إلى المحكمة لأرى الأحكام الصادرة بحقي». وفعلاً توجه إلى لبنان، واستطاع التنكر بزي رجل دين، ودخل المحكمة يحمل السلاح

تحت عباءته، واستطاع قراءة الأحكام الصادرة بحقه وعاد إلى السويداء وذلك في منتصف عام ١٩٢٠.

في عام ١٩١٩، تصاعدت موجة العنف الطائفي في الجبل واستمرت أعواماً، وقد قامت السلطة الفرنسية بدعم مجموعات مسلحة مسيحية، في قرى عدة، منها مجموعة بطرس وغطاس كرم ومجموعة إسكندر ناصيف المشهورة في عبيه، ومجموعة فرح ورضوان في البقاع الغربي، فكانت هذه المجموعات في مواجهة دائمة مع المجموعات الثورية العربية المجاهدة بقيادة سعيد ملاعب وسعيد محمود وفندي أبو ياغي وشكيب وهاب وغيرهم.

وفي مطلع سنة ١٩٢١، كان محمد سعيد ملاعب من بيصور آتياً من الشوف إلى بلدته، ولدى وصوله إلى معاصر بيت الدين، تعرّضت له مجموعة وقتلته ورمته قرب مجرى الماء. وصل الخبر إلى السلطة في بيت الدين، فقام الضابط حبيب ديب ومعه مجموعة، وبينهم قاسم حمود ملاعب الذي كان متواجداً في بيت الدين وهو موظف في بريد زحلة، وصودف يومها أنه كان ينقل البريد إلى بيت الدين، فاستنفر مع القوة... ولدى وصول القوة إلى محلة الحادثة وتطويق المنطقة، شرع الضابط يطلب من كل فرد بمفرده التقدم لمعاينة الجثة لمعرفة أصحابها، ولما وصل الدور إلى قاسم ملاعب، قام بإطلاق الرصاص في الهواء، فأمسكه العسكريون فوراً، وانتزعوا بندقيته، وهدأوا من روعه، وعرف الضابط أن القتيل يخصه. فأرسل قاسم ملاعب الخبر إلى بيصور، وطلب من الضابط تأمين نعش للفقيد ونقله إلى بلدته. وقد قام رجال السلطة بنقل الجثة إلى قبرشمون، وقام أهل بيصور بحملها إلى البلدة.

هاج أهل البلدة على أثر هذه الحادثة، وفكروا بالردّ على العملية، وبعد التشاور، قرروا إرسال أحدهم وإبلاغ سعيد قاسم ملاعب بالأمر، فهو ومجموعته مطلوبون للعدالة، ولا ضرورة لإقحام أشخاص آخرين في هذه الأعمال. فتم الإرسال بطلب سعيد، الذي جاء وقطعا الطريق في منطقة المعاصر للرد على المسلّحين المسيحيّين، فعلمت السلطة بالأمر، ودار اشتباك عنيف، سقط فيه رفيقه شاهين محمد قانصوه ملاعب جريحاً، وتم سحبه إلى معاصر الشوف وتوفي ودفن هناك، واستطاع سعيد الإفلات من الاعتقال مع مجموعته الباقية والعودة إلى سوريا[٣].

سعيد ملاعب يطوّق سجن قلعة الحميدية

في صيف ١٩٢١، كان الشيخ أبو يوسف أمين نصر من بلدة كفرفاقود يعمل في أملاك الأمير متعب الأطرش في رساس والسويداء في جبل العرب. وفي شهر تموز انتقل من سوريا إلى لبنان ولدى وصوله إلى قرية خربة روحا في البقاع يرافقه أربعة شبّان، قامت السلطة باعتقالهم، وكان المسؤول العسكري محمود الميدان هو الذي أهانهم ثم نقلهم إلى دمشق، وكانت التهمة المنسوبة لهم اغتيال أعضاء لجنة ترسيم الحدود التي قُتل فيها ضابط فرنسي وأربعة ضباط بريطانيين. اتصل محمود الميدان بالقيادة في دمشق وأبلغهم أنه قبض على الجناة، وعلى الفور، تقدّمت حملة كبيرة من دمشق إلى محطة القدم لملاقاته، ثم نقلوا بعد ذلك إلى سجن قلعة الحميدية.

في هذه الأثناء كان سعيد ملاعب وأولاد ملحم بشير وأحمد أمين البتلوني في جرمانا قرب دمشق، حيث كان يحاول أحمد وأولاد ملحم بشير إقناع سعيد ملاعب بالتطوّع في صفوف الجيش الفرنسي، وبعد أخذ وردّ اقتنع سعيد، فقام أحمد أمين بجلب بذلة عسكرية له، كي يلبسها ويلتحق معه. وفي هذه الفترة، بينما كان سعيد ملاعب يهمّ بلبس البدلة العسكرية، وإذ برسول يخبره عن اعتقال أبو يوسف أمين نصر ورفقائه في سجن الحميدية. قام سعيد برمي البدلة العسكرية وانطلق من بلدة جرمانا يحدي ويطلق الرصاص في الهواء. وسار معه يوسف أبو خزام وملحم أمان الدين ثم تبعهم عشرات المجاهدين فوصلوا إلى قلعة الحميدية وباشروا بخلع أبوابها الحديدية. تدخّل الأمير سليم الأطرش الذي كان في دمشق محاولاً تهدئة سعيد ملاعب، فقام الأخير بسحب خنجره يريد الفتك بالأمير، ولكن المجاهدين أوقفوه حيث ظنّ سعيد أن الأمير يريد اعتقاله. بعد ذلك، أوضح سعيد للأمير سليم الأمر، فاتصل الأمير فوراً بالسيد حقي بيك العظم حاكم دمشق، وكان موجوداً يومذاك في القنيطرة. وقال له الأمير: «إننا بذلنا جهداً كبيراً لإقناع سعيد ملاعب بالتخلّي عن أعمال الشقاوة، وإن هؤلاء المعتقلين هم أقاربه وليس لهم علاقة بالتهمة المنسوبة لهم في اغتيال أعضاء اللجنة. فيجب إخراجهم من السجن وإلا فإن سعيد ملاعب ومعه أكثر من ٥٠٠ مسلّح سيحرقون دمشق ويخرجون السجناء بالقوة، وإنني لست مسؤولاً عمّا سيحصل». عند ذلك،

طلب حقي بيك العظم إخلاء سبيل المعتقلين، فأُطلق سراحهم على الفور، وقام أمين نصر وسعيد ملاعب ورفقاؤهم بالتجوّل في مدينة دمشق، وفي اليوم التالي تمّ تسليمهم السلاح الذي صودر منهم في خربة روحا في لبنان، وبعد ذلك ودّع أمين نصر سعيد ملاعب وعاد إلى قريته كفرفاقود. أما سعيد فبقي يتجوّل في سوريا ولم يدخل بعد ذلك في سلك العسكر الفرنسي[٤].

ويروي لنا المعمرون حادثة طريفة عنه وهي: في بلدة معاصر الشوف كان الصراع في تلك الفترة متأججاً بين الدروز والمسيحيين، فكان المسيحيون في حفلاتهم يبدأون بالحداء للسيد إسكندر ناصيف رئيس إحدى المجموعات المدعومة من فرنسا، وذلك تحدياً ونكاية بالدروز. وفي صيف ١٩٢٢، أرسل أهل المعاصر بطلب سعيد ملاعب وأبلغوه بما يفعل المسيحيون. فقال لهم سعيد: «عندما تعلمون بأن لديهم مناسبة أبلغوني». وفي أحد أسابيع صيف ١٩٢٢، أرسلوا بطلب سعيد، حيث أن هناك عرساً سيقوم به المسيحيون، فالعريس من معاصر الشوف وعروسه من خربة قنافار في المقلب الثاني للجبل. جاء سعيد بمفرده إلى جبل الباروك، وربط الطريق، فتركهم يعبرون إلى خربة قنافار، وفي عودتهم كانوا يحدون للسيد إسكندر ناصيف، فنزل إلى قربهم شاهراً السلاح. فطلب من النساء نزع المجوهرات بدءاً من العروس حتى الرجال انتزع أموالهم وحليهم. ثم قال لهم: «قفوا واحدوا لسعيد ملاعب»، وتحت تهديد السلاح والخوف، بدأوا بالحداء على جبل الباروك لسعيد ملاعب فترة من الوقت. بعد ذلك، قال لهم: «ليقترب كل رجل وامرأة وخذو أغراضكم، فأنا لا أريد ذهباً ولا مالاً، وكل واحد يأخذ أغراضه ولا يتعدّى ذلك». وبالفعل استهجن هؤلاء هذا العمل، حيث كان باستطاعة سعيد ملاعب مصادرة هذه المجوهرات والأموال. وهذا يدلّ على رفعة أخلاقه ومبدأه. وبعد أن أخذ كل واحد من الوفد أغراضه، استوقفهم سعيد قائلاً لهم: «يجب عليكم الاستمرار بالحداء لاسم سعيد ملاعب حتى تدخلوا معاصر الشوف»،» وقد قام هؤلاء مكرهين على الحداء والغناء لإسمه من جبل الباروك حتى معاصر الشوف. ووصل الخبر إلى السلطة، فسيّرت قوة أمنية من المختارة ومن ناحية البقاع إلى الجبل لاعتقال سعيد، ولكنها فشلت وتمكن من العودة بسلام إلى سوريا.

استشهاده

في مطلع سنة ١٩٢٣، كان سعيد ملاعب في قرية عرمان في جبل العرب، فقام بالاشتراك مع بعض شبابها بغزو على العربان، وكانت هذه العادة سارية في ذلك الوقت، وهي متبادلة. فاتجهوا نحو حدود شرق الأردن للغزو، وقد حصل اشتباك بينهم وبين البدو، بعد أن غنموا قطيعاً من الماشية، وفي رجوعهم من تلك المنطقة، يروي المعمرون، أن أحد رجال البدو، كان يكمن وراء صخرة، أطلق الرصاص على سعيد ورفقائه، فاستشهد سعيد على الفور، وأُصيب واحد من المجموعة، فتابع الدروز سيرهم بالماشية نحو الجبل، وبقي سعيد في تلك المنطقة ودُفن هناك، على مقربة من حدود شرق الأردن[٥].

٢

المجاهد يوسف حمد ملاعب
١٨٩٢- ١٩٧٢م

وُلد في بلدة بيصور في أسرة متواضعة، وتعاطى أعمال الزراعة في مطلع شبابه، واستمر يعمل في بلدته وجوارها حتى العام ١٩١٩، حيث التحق بالمجاهدين وتطوع في الجيش العربي في دمشق إلى جانب خاله سعيد قاسم ملاعب وعدد من أبناء بلدته. واشترك مع مجموعة سعيد ملاعب في تنفيذ العمليات العسكرية ضد الفرنسيين في لبنان بدعم من الحكومة العربية، واستمر سعيد ويوسف سوياً يجاهدان إلى أن وقعت معركة ميسلون الخالدة، فكان ليوسف مشاركة فعالة إلى جانب القائد فؤاد سليم[٦].

بعد احتلال الفرنسيين لدمشق، انتقل إلى سوريا، السويداء، وسكن في بلدة القريّا، بلدة سلطان باشا الأطرش، وبقي يتردد سراً إلى بيصور، ولكنه لم يسكنها، وفي السويداء التقى مع شكيب وهاب وفندي أبو ياغي، وعدد من المجاهدين اللبنانيين. وفي العام ١٩٢٠، اشترك في الهجوم على أحد السجون الفرنسية في دمشق، واستطاع مع رفقائه، تخليص أكثر من ١٤ سجيناً، بعد اقتحام السجن وتدمير بواباته وتجريد عناصر الأمن من سلاحها.

استمر يوسف ملاعب في عمله الجهادي مع مجموعة سعيد حتى ١٩٢٣، حيث استشهد خاله، وبعد ذلك، بقي في السويداء إلى جانب شكيب وهاب وفندي أبو ياغي، وبعض المجاهدين إلى أن اندلعت ثورة ١٩٢٥، فاشترك في معركة المزرعة والمسيفرة وفي الحملة على الإقليم إلى جانب الأمير عادل أرسلان وزيد الأطرش، وقد توطّدت العلاقة بينه وبين الأمير عادل الذي كلّفه ببعض المهمات العسكرية. وفي حملة الإقليم والغوطة، خاض هذه المعارك إلى جانب الأمير عادل أرسلان، واستمر حتى

نهاية الثورة، فانتقل مع سلطان باشا ورفقائه إلى الأزرق في ١٩٢٧. وعندما كان في الأزرق قام بعمل بطولي، هذا العمل رواه سلطان لوفد من بيصور قام بزيارته في بلدته القريّا. لدى وصول الوفد، قال لهم سلطان باشا: «كيف الحاج يوسف محمد ملاعب؟» فأجابوه: «تورث عمره توفّي منذ شهر». فأجاب الباشا: «الله يرحمو، الحاج يوسف فيّن بني معروف» (أي حط على عينهم). وقال الباشا: «في الأزرق، حاصرنا الإنكليز، ولم يسمحوا لنا بالذهاب لتعبئة الماء، واستمر ذلك ثلاثة أيام، فعطش الثوار وعيالهم، فحاولنا القيام بالذهاب إلى نبع الماء، فأطلق الإنكليز الرصاص علينا. فلم يستطع أحد الاقتراب من النبع. وفي اليوم الرابع، قام يوسف ملاعب وقال لي أنا سأذهب وأملأ هذه الصفيحة، فإذا فتح الإنكليز النار، ردّوا عليهم. فنزل يوسف واتجه نحو النبع، فبادر الإنكليز إلى إطلاق الرصاص، وانهمر كالمطر حول يوسف الذي انبطح أرضاً وراء إحدى الرُجم، فقمنا بالرد على الإنكليز، فسكتوا. فجاء يوسف يحمل الماء، وبعد هذه الحادثة، لم يعد الإنكليز يطلقون الرصاص، فأصبحنا نذهب إلى الماء دون اعتراضهم»[٧].

ومن الأزرق انتقل عام ١٩٢٨ إلى فلسطين، وهناك اختلف مع أحد الجنود البريطانيين، فطعنه، فلاحقته السلطة وصدر بحقه حكم غيابي بالإعدام، وسبق أن حكمته السلطة الفرنسية في سوريا ولبنان كذلك، بالإعدام غيابياً في حكمين متتاليين، فأصبح مطلوباً في سوريا ولبنان وفلسطين، أمام هذا الواقع، ذهب إلى الحجاز، برفقة فؤاد بك حمزه، وهناك قرّبه منه الملك عبد العزيز آل سعود وأصبح رئيس الحرس في منطقة مكة[٨].

وفي الحجاز أصبح في أمان وراحة بال، فكان رفقاؤه: نجيب صالحة، الحاج حسين العويني الذي أصبح فيما بعد رئيساً للوزراء في لبنان، فؤاد حمزة الذي أصبح وزيراً للخارجية في المملكة العربية السعودية، وإبراهيم شاكر، والرئيس شكري القوتلي رئيس الجمهورية العربية السورية بعد ذلك.

وبعد أن خرجت فرنسا من سوريا ولبنان، واستقر الوضع، استأذن يوسف الملك، وكان يُلقّب هناك بالحاج محمد سيف الدين، أن يسمح له بالذهاب إلى لبنان، فأذن له، وطلب منه الملك أن يتقدم منه بأي شيء يريده، فقال له: «أريد فرساً وسيفاً وبندقية». فقال له الملك: «سأقدم لك سيفاً وبندقية وفرساً

ولكن كم تريد من المال؟» فلم يرض أن يأخذ مالاً. وجاء إلى لبنان في مطلع سنة ١٩٤٧، فوصل إلى عيتات، فقام بتقديم الفرس والبندقية إلى أحد أصدقائه من آل عبد الله، وأخذ فقط العباءة والسيف، قائلاً لصديقه: «سأعود إلى بيصور كما خرجت منذ ٢٧ عاما».

وفي شهر تموز ١٩٤٧ تزوّج في بيصور وسكن فيها مدة من الزمن، ولكنه لم يذهب كما فعل الثوار الذين شملهم العفو العام في عهد بشارة الخوري، إلى وزارة العدل، فبقيت الأحكام الصادرة بحقه سارية المفعول. وفي سنة ١٩٥١، بينما كان يُعالَج في مستشفى الكرنتينا، قامت القوى الأمنية باعتقاله، وأُحيل إلى المحاكمة، وقد دخل إلى قاعة المحكمة يرافقه كمال جنبلاط وشبلي آغا العريان والأمير مجيد أرسلان وشكيب وهاب ومحامي الدفاع الأستاذ بهيج تقي الدين. وقد حاول رجال الأمن وضع القيود في يديه، فرفض قائلاً لهم: «إنني كنت أقاتل الفرنسيين دفاعاً عن استقلال لبنان، ولست مجرماً ولا لصاً أو رجل شبهات». فلم يضع رجال الأمن بعد ذلك القيود في يديه. وبعد جلسات صاخبة، صدر الحكم بسجنه ثلاث سنوات، بعدما خُفضت من المؤبد إلى ذلك. وقد أمضى مدة السجن في حبس الرمل في بيروت[٩].

بعد خروجه من السجن، عاد إلى بيصور، حيث كانت زوجته وابنتاه، فاهتم بهما، وبعد مدة، قام بزيارة رئيس الوزراء الحاج حسين العويني، الذي رحّب به، وسأله عمّا يطلب، المال، الوظيفة، مشاريع، ولكن كبر نفسه وعنفوانه رفضت هذه الإغراءات، وقال للعويني: «إنني ما زلت كما تعرفني في الحجاز، لم أجمع ثروة ولم أقبل هدية مالية من الملك، وسأبقى كذلك، أعيش بتعب زندي وعرق جبيني». وبالفعل، فقد كان في هذه الفترة وبعدها، يعمل في الزراعة وأعمال الحفريات ليؤمن معيشته ومعيشة عياله، على الرغم من الفرص الذهبية والإغراءات التي قُدّمت له.

استمر المجاهد يوسف يعمل في بيصور وجوارها حتى أواخر سني حياته، إلى أن توفاه الله في عام ١٩٧٢، وقد أُقيم له مأتم حاشد، حضرته عشرات الوفود من قرى الجبل، مشيدة بدوره ومساهمته.

٣

المجاهد شاهين أسعد ملاعب
١٨٩٦ - ١٩٨٤م

وُلد المجاهد شاهين في بلدة بيصور، وعندما شبّ عمل في الزراعة إلى جانب والده وأخويه عباس وإبراهيم. وفي سنة ١٩١٥ عندما اشتدت المجاعة، قام أخوه إبراهيم بالذهاب إلى سوريا مصطحباً والدته، ثم تبعه عباس وشاهين إلى بلدة عرمان، حيث لهم أقارب فيها من آل ملاعب. توفّى والده سنة ١٩١٠، فاضطر سعيد إلى العمل لتأمين معيشته، وفي فترة ١٩١٥ – ١٩١٨، بقي سعيد يتردد إلى لبنان، حيث كان يحرث الأرض ويهتم بها. وفي العام ١٩١٩، انطلق سعيد وشاهين أسعد وشاهين محمد ملاعب إلى سوريا، وكانت لسعيد علاقة مع الأمير عادل أرسلان وقادة الثورة العربية في دمشق، فقام سعيد وشاهين أسعد وشاهين محمد ملاعب، بجلب السلاح من سوريا، من منطقة السيدة زينب إلى لبنان مروراً بالبقاع فإلى الجبل، حيث كان يتم توزيعه على المجاهدين لمحاربة الفرنسيين وأعوانهم.

ويروي لنا الشيخ أنيس نجل المجاهد شاهين أسعد ملاعب، أن والده أبلغه مرات عدة، أنه نقل أكثر من ستة عشر مرة السلاح من سوريا إلى لبنان، ولم يستطع الفرنسيون اعتقالهم[١٠].

وفي الفترة ما بين ١٩١٩ و ١٩٢٢ قام بالاشتراك مع سعيد وشاهين أسعد ملاعب بعدد من العمليات العسكرية ضد الفرنسيين وأعوانهم ورجال السلطة اللبنانية، ولكنه بعد استشهاد سعيد، عاد إلى عرمان، واستمر يتنقّل سراً إلى لبنان، حيث أن السلطة أصدرت بحقه مذكرة توقيف غيابية وحكماً بالإعدام.

ويروي لنا نجله، أن سلطان باشا الأطرش أرسل في شهر حزيران ١٩٢٤

حمد البربور إلى منزل الشيخ سلمان ملاعب في عرمان يرافقه الأمير علي الأطرش وآخرون. وقد طرح حمد البربور على الحضور وكان بينهم شاهين ملاعب، رغبة سلطان القيام بالثورة، ولكن سلمان ملاعب قال لحمد البربور: «إن الوقت غير مناسب ويجب التهيئة للثورة وحشد المواطنين والمسلحين لها، وأن لا تكون مثل ثورة ١٩٢٢ الارتجالية»، وقد اقتنع حمد البربور بما قاله الشيخ سلمان ملاعب[١١] إبن عم المجاهد شاهين ملاعب، إلى أن اندلعت الثورة في عام ١٩٢٥.

أسهم شاهين إلى جانب أقاربه في بلدة عرمان في الثورة[١٢]، فخاض معارك الكفر والمزرعة والمسيفرة ورساس والسويداء، حيث استشهد إلى جانبه ابن عمه محمد سلمان ملاعب من عرمان في معركة المزرعة، ثم استشهد ابن عمه الثاني علي سلمان ملاعب وكان معه في معركة المسيفرة، وهذان الشهيدان هما من بلدة عرمان في جبل العرب.

وفي معارك الثورة، شارك شاهين وأقاربه وهم سلوم علي ملاعب ويوسف حمد ملاعب وأمين وعبد الله حمد ملاعب وأمين محمد ملاعب وكانوا تحت لواء الأمير عادل أرسلان[١٣].

واستمر شاهين يجاهد في معظم المعارك في جبل العرب، فلم يشترك في معارك راشيا وحاصبيا والغوطة، فبقي إلى جانب أقاربه وسلطان باشا يتنقل في قرى الجبل. وبعد انتهاء الثورة عاد إلى لبنان إلى بلدة بيصور، بعد أن استمر لمدة ثمان سنوات مقيماً في سوريا.

وفي فترة ١٩٢٠ – ١٩٢٥، قامت السلطة الفرنسية، بمداهمة منزله في بلدة بيصور عشرات المرات، وقد صادرت منه السلاح وتمّ اعتقال العديد من أقاربه وسيقوا إلى السجون. بعد مجيئه من سوريا إلى بيصور، تزوّج من إحدى قريباته عام ١٩٢٨، وبقي في بلدة بيصور يعمل في الزراعة، والتجارة مدة طويلة من الزمن.

وفي سنة ١٩٧٢ قام نجله الشيخ أنيس شاهين ملاعب يرافقه وفد من بيصور بزيارة سلطان باشا الأطرش، فقام سلطان بتقديم القهوة للوفد بنفسه، ثم اتكأ على عامود المضافة، فطلب منه الحضور وألحّ عليه بالجلوس، ولكنه لم يجلس وقال للوفد: «إن آل ملاعب غاليين علّي، فهم قدموا ١٤ شهيداً في

الثورة السورية من أصل ١٦ شاباً مسلحاً من آل ملاعب من بلدة عرمان. وإن آل ملاعب أظهروا بسالة رائعة في معظم المعارك التي أسهموا فيها».

أما المجاهد شاهين ملاعب، بقي يعمل حتى منتصف السبعينات، وبعد ذلك لازم منزله إلى أن توفاه الله في سنة ١٩٨٤.

٤

المجاهد شاهين محمد بو قانصوه ملاعب
١٨٩٨- ١٩٢١م

وُلد المجاهد شاهين محمد ملاعب في بلدة بيصور في أسرة تمتهن الزراعة مكسباً للعيش، فعمل إلى جانب أبيه واخوته في البلدة، وفي عام ١٩١٥ غادر مع أهله إلى سوريا إلى بلدة عرمان لدى أقاربه، وعاد في سنة ١٩١٨ إلى بيصور. وفي سنة ١٩١٩، غادر إلى جبل العرب برفقة سعيد ملاعب وشاهين أسعد ملاعب، وثم انتقلوا إلى دمشق، حيث تطوّع مع سعيد في الجيش العربي.

وفي هذه الأثناء كُلّف مع رفقائه بإثارة المتاعب في وجه الفرنسيين وأعوانهم في لبنان، فكانوا ينفذون العمليات العسكرية على امتداد الحدود اللبنانية – السورية، كما قام بنقل السلاح إلى بيصور وقرى الشوف، لدعم الانتفاضة المسلّحة ضد المستعمرين الفرنسيين، واستطاع النجاح في مهمته، وكانت أعوام ١٩٢٠ و١٩٢١ حافلتين بالنضال، فأسهم في معركة ميسلون الخالدة وفي معارك عدة في جبل لبنان ضد القوات الفرنسية[٤٤].

وفي سنة ١٩٢١، جاء شاهين محمد ملاعب يرافقه سعيد ملاعب وعدد من المجاهدين، إلى بلدة معاصر بيت الدين، حيث وصل لهم خبر مقتل محمد نصر الله سعيد ملاعب على أيدي بعض العصابات التي يدعمها الفرنسيون، فكان يريدون الأخذ بالثأر. ولدى وصولهم إلى معاصر بيت الدين، كانت أعين السلطة تراقب المنطقة، فحصل اشتباك عنيف بين المجموعة ورجال السلطة، حيث أُصيب شاهين إصابة بالغة، فلم يعد يقوى على السير. في هذه الأثناء، كان الضابط فرحان العماد موجوداً مع القوة، فسهّل أمر انسحاب المجموعة المجاهدة إلى خارج المنطقة، واستطاع

سعيد ورفقاؤه من نقل شاهين إلى بلدة معاصر الشوف، إلى منزل أحد الأصدقاء من آل أبو عاصي. ولكن شاهين فارق الحياة، فغادرت المجموعة إلى البقاع فسوريا، وتمّ نقل جثة شاهين إلى مقبرة معاصر الشوف[٥٥].

وبعد أيام معدودة على هذه الحادثة، كان سعيد نصار ملاعب قادماً من سوريا إلى لبنان عن طريق جبل الباروك - المعاصر، فعرّج إلى البلدة، فأخبروه بما حصل، فطلب إليهم الذهاب إلى المقبرة للتعرّف على الجثة، فذهب الأهالي معه، وهناك رأى أن الخاتم الذهبي والساعة ما زالا في يد الشهيد شاهين، فانتزعهما، وقام بنقلهما إلى والدته في بيصور[٥٦]، حيث أُقيم للشهيد شاهين مأتم حاشد على الرغم من أنف السلطة وأعوانها.

هوامش مجموعة سعيد ملاعب

١ مقابلة شخصية مع الشيخ أبو عفيف أمين حسين ملاعب في منزله في بيصور في ١٩/٥/٢٠٠٣، هو من مواليد ١٩٢٠.

٢ مقابلة شخصية مع الشيخ هزاع طربيه في دميت في ٢٢/٩/٢٠٠٢.

٣ مقابلة شخصية مع الأستاذ سعيد حمود ملاعب في بيصور في ١٤/٤ و ١٩/٥/٢٠٠٣.

٤ شريط مسجّل بلسان الشيخ أبو يوسف أمين نصر موجود لدى حفيده الدكتور ذوقان يوسف نصر.

٥ الشيخ أبو عفيف أمين حسين ملاعب، مصدر سابق.

٦ مقابلة شخصية مع نجله الأستاذ رجا ملاعب في بيصور في ٢٢/٥/٢٠٠٣.

٧ المصدر نفسه.

٨ مقابلة شخصية مع الشيخ أمين حسين ملاعب في ١٩/٥/٢٠٠٣.

٩ مقابلة شخصية مع نجله في ٢٢/٢ والأستاذ سعيد ملاعب في ١٤/٤/٢٠٠٣ وأمين حسين ملاعب ١٩/٥/٢٠٠٣.

١٠ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج١، ص ١٧١.

١١ مقابلة شخصية مع الشيخ أمين حسين ملاعب في ١٩/٥/٢٠٠٣.

١٢ مقابلة شخصية مع الشيخ أمين حسين ملاعب في ١٩/٥/٢٠٠٣.

١٣ مقابلة شخصية مع نجله الشيخ أنيس ملاعب في ٢٣/٥/٢٠٠٣ في بيصور.

١٤ مقابلة شخصية مع الشيخ أمين حسين ملاعب في ١٩/٥/٢٠٠٣.

١٥ مقابلة شخصية مع الشيخ أمين حسين ملاعب في ١٩/٥/٢٠٠٣.

١٦ مقابلة شخصية مع الأستاذ سعيد ملاعب في ١٤/٤/٢٠٠٣.

٦

مجموعة المجاهد فؤاد علامة

أ. مجموعة المجاهد فؤاد علامة

١. فؤاد علي علامة ١٩٠٥-١٩٣٥م
٢. مجيد عبد الله راجح ١٨٩٤-١٩٨٥م
٣. أمين يوسف علم الدين ١٨٩٥-١٩٣٦م
٤. كامل شمس ١٨٩٦-١٩٤٦م
٥. إسماعيل ملحم عبد الحق ١٩٠٠-١٩٣٧م
٦. محمود ملحم عبد الحق ١٩٠٢-١٩٥٤م
٧. شرف الدين عبد الحق ١٩٠٤م
٨. صالح العسل ١٩٠٥-١٩٣٦م
٩. مزيد مغامس ١٩٠٥م وكايد مغامس
١٠ رشيد يوسف سعيد حماده ١٩٠٩-١٩٩٠م
١١. رشيد يوسف راجح ١٩١٠-١٩٨٥م
١٢. سعيد فياض ١٩١٠م
١٣. خليل حسين يوسف راجح ١٩١٢-١٩٨٤م

ب. المواجهات والحوادث العسكرية

١. عملية وادي الحرير
٢. مقتل الليوتنان تينه

١

المجاهد فؤاد علي علامة
١٩٠٥- ١٩٣٥م

يعود أصل عائلة علامة إلى عائلة آل حاتم في بعذران، وفي العام ١٧٤٠، انتقل قسم منهم إلى جبل الدروز إثر حادثة مكدّرة، حيث نزلوا في عين الشعرة، ومنها انتقلوا إلى قرية الدور، ولكن قسماً منهم عاد إلى لبنان بعد فترة وجيزة، وقسم آخر استقرّ في قرية الدور، وانتقل بعضهم إلى مدينة السويداء في أوائل القرن العشرين وأصبحوا عائلة كبيرة.

أما الذين رجعوا إلى بعذران، فكان منهم يوسف الأخ الأكبر منهم، ومنه جاء علامة جد هذه العائلة حالياً في بعذران[١].

ولادته ونشأته

وُلد فؤاد علي ناصيف علامة في بلدة بعذران بالشوف سنة ١٩٠٧، في منزل اشتهر بالكرم والسخاء والبطولة. وفي السادسة أدخله ذووه إلى مدرسة القرية لتعلم مبادئ القراءة والحساب. وفي تلك المدرسة المتواضعة، لمس فيه أستاذه ذكاءه المتوقد وقدرته السريعة على الاستيعاب، فتجاوز رفاقه إلى مرحلة دراسية أعلى. وإضافة إلى ذكائه في الدراسة، كانت حياته صاخبة، حيث كان يهوى المغامرات والأعمال الحربية الهجومية، فتزعّم فريقاً كبيراً من رفاقه، على الرغم من نحول جسده، واستطاع بحُسنِ درايته وطبعه الهجومي، أن يكون مهاباً ومحط أنظار الجميع في المدرسة والقرية.

ولكن لم يتسنَ له متابعة دراسته، إذ توفي والده في سنة ١٩١٤ ولم يكن يتجاوز السابعة من العمر، فعكف جدّه ناصيف على تربيته مع اخوته. وما لبث أن نشبت الحرب العالمية الأولى، ثم توفى جدّه ناصيف في بداية عام

١٩١٥، فاضطر فؤاد في هذا الوضع إلى مساعدة أخيه حسين في زراعة الحقول لكسب العيش.

وفي أواخر عام ١٩١٥، قدم الشيخ شحاده حاتم من بلدة الدور في جبل الدروز إلى بعذران، واصطحب معه حسين وفؤاد وأختهم سليمة ووالدتهم هند أبو حسن عائداً إلى منزله في سوريا، في الدور. علماً أن الشيخ المذكور تربطه بهم أواصر القربى العائلية. فانتقلوا من لبنان سيراً على الأقدام، واستمرت إقامة فؤاد وأهله في منزل الشيخ شحاده حاتم في الدور حتى أواخر العام ١٩١٩، عادوا بعدها إلى بلدة بعذران وكان في الثانية عشرة من العمر[٢].

في بعذران شارك فؤاد بجسده النحيل وساعديه الطريين أخاه حسين في حراثة الحقول وزرعها والعيش منها، بمعاونة عمّهم حاتم علامة الذي عكف على الاهتمام بهم.

وفي مطلع عام ١٩٢٠، جاء المجاهد فندي أبو ياغي مع مجموعته إلى بعذران، وحلّ ضيفاً في منزل حاتم علامة الذي استقبل المجاهدين بالترحاب، فأكرم ضيافتهم رغم مطاردة الفرنسيين لهم، بعد حادثة عين تراز في السادس من تشرين الأول ١٩١٩، في محاولة اغتيال حبيب باشا السعد. في تلك الليلة، لم يستطع فؤاد النوم، فبقي ساهراً قابعاً في فراشه، يتطلع إلى المجاهدين، يتفرس في وجوههم وأسلحتهم، فهاله هذا المشهد الغريب الذي هزّ كيانه وانغرس في عقل ذلك الفتى اليافع. ومع طلوع الفجر، انطلقت المجموعة مودّعة الشيخ حاتم علامة، فهبّ فؤاد من فراشه ولحق بهم. فنهره عمّه، لكنه لم يمتثل، حيث كان الطقس شديد البرودة والمطر يتساقط سيولاً. إلا أن المجاهد فندي أبو ياغي تقدّم منه وأمسكه بيده، وأعاده إلى المنزل، بعد قطع مسافة تقارب المئة متر. هذه العودة، أرفقها المجاهد فندي له، بوعدٍ قطعه على نفسه، بأنه سيمرّ في وقت قريب في بعذران، وسيصطحبه. وقد طلب منه أن يقوم حالياً بمساعدة عمّه حاتم وأخيه حسين الذي يكبره بخمس سنوات[٣]. قَبِل فؤاد هذا الوعد، وعاد إلى أحضان عمه على مضض، حيث بدأت الثورة تتقد في داخله، يخالجه حسّ المغامرة والبطولة.

تابع فؤاد مساعدة عمّه وأخيه في حراثة الأرض وزرعها، ولكنه لم يعد

يجلس مساءً في المنزل، بل أصبح يتنقل في مجالس القرية وجوارها، حيث كانت تدور أحاديث وروايات حول أعمال المجاهدين، ومواجهتهم للفرنسيين وأعوانهم، فيتشوّق فؤاد إلى متابعة سماع هذه الأحاديث، وأراد أن يكون أحد أبطال تلك المجموعات التي يتحدثون عنها وأهمها: مجموعة فندي أبو ياغي، حسن ثابت، شكيب وهاب، وغيرهم(٤).

تابع فؤاد عمله الزراعي كالمعتاد، إلى أن نشبت الثورة السورية الكبرى، وبدأت أخبارها تصل إلى لبنان، فبدأ فؤاد يحثّ أهل بلدته في بعذران على الجهاد ومساعدة سلطان باشا الأطرش، وقد استطاع إقناع العديد من بني قومه على الاشتراك في الثورة وخوض معاركها المشرّفة.

انطلاقته النضالية

في العام ١٩٢٣ انتقل حسين علي علامة شقيق فؤاد إلى حاصبيا، حيث عمل وكيلاً في مزرعة برغز التي تعود ملكيتها للشيخ سامي شمس. واستمرّ في هذه المزرعة حتى سنة ١٩٢٥ إلى أن نشبت الثورة السورية وبدأ يتعرّض للمضايقات من قِبل المسلّحين المسيحيّين المدعومين من الجيش الفرنسي المتواجد في راشيا ومرجعيون.

ذهب فؤاد في العاشر من تشرين الثاني ١٩٢٥ إلى مزرعة برغز للاطمئنان على أخيه حسين، وفي الثاني عشر منه قدِم إلى المزرعة المجاهد شكيب وهاب ومجموعة من المجاهدين الثوار، وراحوا من هذه المزرعة يراقبون تحركات الفرنسيين وأعوانهم. وفي صباح يوم الأربعاء ١٤ تشرين الثاني ١٩٢٥(٥)، أرسل بطرس وغطاس كرم بعض أفراد عصابتهما إلى المزرعة يريدان نهبها والاستيلاء عليها، فتفاجأوا بوجود شكيب وهاب وجماعته، فدارت اشتباكات بين الطرفين، حيث استسلم ستة عشر مقاتلاً منهم، وهرب الباقون بعد أن تركوا أسلحتهم في ساحة المعركة. وقد اشترك حسين وفؤاد علامة إلى جانب مجموعة شكيب وهاب في صدّ العصابة المهاجمة، وغنِم فؤاد علامة بندقية عثمانية في هذه المعركة، حملها معه إلى بعذران بعد أسبوع. ومنذ ذلك الحين توطدت العلاقة بين فؤاد علامة وشكيب وهاب.

لم تمضِ فترة وجيزة على وصول فؤاد علامة إلى بعذران، حتى وصل إليها المجاهد أحمد هاني لزيارة أقاربه. ولكن أعين السلطة كانت تراقب تحركاته، فعلمت بوجوده، وسيّرت دورية لاعتقاله. في هذه الأثناء، كان فؤاد علامة يجالس أحمد هاني وبعض أهل القرية، فجاء أحد المخلصين وأخبرهم بوجود القوة المداهمة، فتفرّق المجتمعون، وبقي فؤاد مع أحمد في نفس المكان. طلب المجاهد أحمد هاني من فؤاد الانسحاب قبل حصول الاشتباك، فرفض وأصرّ على المشاركة بالتصدي للقوة. وما هي سوى دقائق قليلة، حتى انسلّ فؤاد إلى خارج المكان واستطاع الإطباق على أحد العسكريين، وبدأ بإطلاق الرصاص على الدورية، طالباً من أحمد الانسحاب. وقد قام فؤاد بعملية تمويه للدورية، فأطلق النار من أمكنة متعددة، واتفق مع أحمد على اللقاء في أحراج بلدة باتر.

أشغل فؤاد الفرنسيين، فاستطاع أحمد الانسحاب وتبعه فؤاد دون أن يُصاب أي منهما بأذى. فالتقيا بعد ذلك، ثم انطلقا نحو جبل نيحا وتابعا سيرهما نحو البقاع[٦].

في الثورة السورية الكبرى

من منطقة البقاع، انطلق فؤاد علامة وأحمد هاني نحو الغوطة، والتحقا بالقوة العسكرية المجاهدة المتجهة نحو حاصبيا وراشيا. وهناك، قام فؤاد ببطولات نادرة، فاشترك في اقتحام قلعتها مع عدد من المجاهدين، وفي القلعة، أمضى مع شكيب وهاب وأحمد هاني وحمد صعب وسعيد بوتين وغيرهم فترة عصيبة، يواجهون فيها تقدّم القوات الفرنسية، في محاولة تأمين انسحاب الثوار والأهالي، كي لا يقعوا فريسة في يد المحتلين وأعوانهم. وبعد ذلك، انسحب هؤلاء الأبطال، وقام فؤاد مع رفاقه بالتصدي للمستعمر في مواقع عدة، انتقل بعدها مع الأمير زيد الأطرش إلى جبل العرب.

سأل سلطان باشا الأطرش عن هذا الفتى المندفع، فأخبره الأمير زيد عن أفعاله في معارك راشيا وحاصبيا، فأُعجب سلطان به وقرّبه إليه. بعد ذلك أسهم فؤاد في معارك الثورة الأخيرة في اللجاه وانتقل مع سلطان والمجاهدين إلى منطقة الأزرق[٧].

فؤاد في المنفى مع الثوار

في منطقة الأزرق أقام فؤاد إلى جانب الثوار ومنهم الأمير عادل أرسلان والأمير زيد وشكيب وهاب ومحمد عز الدين وغيرهم، وقد امتاز بنوادره الحلوة الظريفة، وأحاديثه الاجتماعية المثالية، فقرّبه سلطان إليه، وأصبح منادماً له.

وبعد الأزرق، انتقل المجاهدون إلى قريات الملح في وادي السرحان، فرحل فؤاد معهم، متحمّلاً مثلهم شظف العيش وشقاوة الصحراء. وفي أحد الأيام، رأى فؤاد سلطان باشا حزيناً، فاقترب منه وسأله عن سبب حزنه، فقال له سلطان ما معناه أنه ليس متخوفاً مما حصل وممّا سيحصل، ولكنه حزين لما حلّ به، وما حلّ برفاقه، وما تحمّله هؤلاء المجاهدون في سبيل الثورة، فانتفض فؤاد كالرمح وصاح بلغته العامية:

«يا قاطن وادي السرحان حولك فتيان ومردان
تحيا وتعيش يا سلطان نمر الثورة المشهودة»[٨]

وقد ردّد الثوار هذه الأهزوجة، فضحك سلطان، وبادر إلى احتضان فؤاد وتقبيله، مثنياً على شهامته ورجولته.

رحيل فؤاد عن الثوار

استنجدت إحدى النساء البدويات بالثوار، حيث سطا على قطعان الماشية لدى قومها عدد من المسلحين من إحدى العشائر، فهبّ شكيب وهاب وسليمان الأعور وفؤاد علامة لمساعدة تلك المرأة وإرجاع الماشية لأهلها. فتوجّهوا إلى أحد الأودية لقطع الطريق على المعتدين، وجلس كل مجاهد وراء صخرة يراقب الطريق، وكان في الصف الأول شكيب ثم سليمان ثم فؤاد. مرّ المعتدون فلم يطلق شكيب وهاب النار ولا سليمان الأعور، فهبّ فؤاد علامة وأطلق النار وقفز من مكانه واشتبك معهم وكان عددهم كبيراً، عند ذلك تدخّل شكيب وهاب وسليمان الأعور وساعدا فؤاد في المعركة، فتمكنوا من هزم المعتدين وإرجاع الماشية.

بعد ذلك، قام وفد من أقارب المرأة لشكر شكيب وهاب ورفيقيه على عملهم، فقال شكيب: «اشكروا فؤاد علامة، هو الذي شجعنا على هذا العمل

ولولاه لما نجحنا». فدبّت الغيرة في قلب سليمان الأعور وأسمع فؤاد كلاماً بذيئاً، فساءت العلاقات بينهما، فقام سليمان الأعور بطعن فؤاد بالسكين ثلاث طعنات استطاع فؤاد الإفلات منه، وبعد فترة وجيزة، تصدّى له وقتله[٩].

على أثر مقتل سليمان الأعور، انقسم الثوار إلى قسمين، وقد اشتبك الطرفان مع بعضهما، مما استدعى تدخّل الشيخ نوري الشعلان أحد زعماء العشائر في إربد – شرق الأردن، وأدخل النساء بين الطرفين لوقف الاشتباك، وقام نوري الشعلان بأخذ فؤاد علامة معه إلى إربد اتقاءً للشر، ومنعاً لتقاتل الثوار فيما بينهم.

ذهب فؤاد علامة مع نوري الشعلان إلى إربد، ومن هناك ساهم في الغزوات التي شنّها نوري الشعلان، وأصبح هناك فؤاد يُلقّب بالفؤاد اللبناني في وسط تلك العشيرة.

رحيل فؤاد إلى فلسطين فلبنان ثم فلسطين

طلب فؤاد علامة من نوري الشعلان الإذن له بالرحيل إلى فلسطين فلبنان، فقال له: «استلمتك سليماً وسأردّك إلى أهلك سليماً»(١٠). أرسل معه عدداً من رجاله فرافقوه إلى فلسطين، ومن هناك دخلوا إلى جنوب لبنان ووصلوا إلى حاصبيا، فبلدة برغز، حيث كانت عمّة فؤاد تسكن هناك مع زوجها من آل حرفوش. وصل فؤاد إلى منزل عمّته، فودّعه رفقاؤه وعادوا إلى إربد بينما بقي فترة من الوقت، انتقل بعدها إلى بلدة بعذران سراً، وتفقد أهله وأقاربه، فأحسّ به الفرنسيون، فوجّهوا قوة لاعتقاله وذلك في أواخر عام ١٩٣٢، ولكنه استطاع الإفلات والعودة إلى فلسطين.

وفي فلسطين اشترك فؤاد في عمليات مهمة ضد الانتداب الإنكليزي وقام بقتل العديد من الجنود، كما هاجم العصابات اليهودية وفتك بعدد من أفرادها، حيث تحركت الحكومة في فلسطين بضغط من المندوب السامي هربرت صموئيل اليهودي الأصل، ووضعت مكافأة مالية كبرى لمَن يقبض على فؤاد أو يقتله.

إضافة إلى ذلك، قامت السلطة الفلسطينية – البريطانية – الصهيونية، بنشر صور فؤاد علامة[١١] على جميع مخافر الشرطة ونقاط المرور، والعبور

من فلسطين إلى لبنان وإلى شرق الأردن، لفترة طويلة من الزمن، وقد أسهم مع فؤاد علامة في بعض المعارك المجاهدان إسماعيل عبد الحق وصالح العسل.

إثر تلك المضايقات والملاحقة المتواصلة لفؤاد ورفقائه، رحل من فلسطين إلى لبنان ومن منطقة حاصبيا ومنها انتقل إلى الشوف في أواخر العام ١٩٣٤[١٢].

السلطة في لبنان تهتز أمام ضربات فؤاد

في لبنان، تنقّل فؤاد علامة في مناطق عدة، امتداداً من الناقورة حتى البقاع وجبل لبنان. فكان ينفّذ عملية في رأس الناقورة صباحاً، وقبل المساء تجده ينفّذ عملية في إقليم الخروب أو حاصبيا، مما أربك السلطة الفرنسية وأعوانها، فنشرت عشرات الحواجز العسكرية ونقاط التفتيش، بحثاً عن فؤاد علامة ورفقائه.

ومنذ نهاية عام ١٩٣٤ وحتى منتصف عام ١٩٣٥ نفّذ فؤاد ورفقاؤه عمليات عسكرية ضد الجيش الفرنسي وأعوانه، فزرع الرعب في قلوبهم، وأصبحت تنقلاتهم مشوبة بالحذر الشديد، وكانت أضخم هذه العمليات، عملية وادي الحرير التي تصدّى فيها فؤاد لعدد كبير من رجال البحرية الفرنسية وحاكم جبل الدروز الكولونيل تاريد[١٣]، مما أقلق السلطة فجدّت في القبض عليه والتخلّص منه، فقامت بإجراءات قمعية، حيث اعتقلت عشرات المواطنين في قرى بعذران وعين عطا وبكيفا ومناطق البقاع بحجة إيواء الثوار ومساعدتهم[١٤].

استشهاد فؤاد علامة

على الرغم من مطاردة السلطة له، لم يأبه فؤاد علامة للخطر، فظلّ يتنقل ما بين الباروك وبعقلين وبعذران. وفي نهاية شهر تشرين الأول ١٩٣٥، انتقل إلى بعقلين، ونزل في ضيافة مجيد راجح، فطاردته السلطة، فانتقل إلى إحدى المغاور، وعجزت السلطة عن القبض عليه.

وفي الثاني من تشرين الثاني ١٩٣٥، قام بزيارة الطبيب الشيخ خليل المصفي الذي كان يحبه ويحترمه. فرأى الطبيب أن فؤاد في حالة صحية

سيئة، إذ قدمه ملتهبة، فعالجه وطلب منه البقاء في منزله ريثما يشفى، ولكن فؤاد رفض دعوة الطبيب وأصرّ على الرحيل، رغم أن الطبيب تمنى عليه البقاء في بعقلين، وإذا لم يرضَ البقاء في منزله، طلب منه التوجّه إلى منزل مجيد راجح أو رشيد راجح، ولكنه رفض وأصرّ على الذهاب، عند ذلك، ودّع الشيخ فؤاد علامة ودعا له بالسلامة(١٥).

وفي المساء انطلق فؤاد من بعقلين إلى بعذران سيراً على الأقدام، في الجبال، ووصل عند الصباح منهكاً إلى منزل محمود صفا في عين قني. وفي عين قني رقد فؤاد في الفراش مريضاً تعباً، حيث آلمته قدمه كثيراً، وحاول فؤاد الذهاب إلى بعذران، ولكن محمود صفا رفض الإذن له بالذهاب بحجة مطاردة الفرنسيين له، وبسبب مرضه وهو في حالة يصعب عليه المواجهة والمقاومة.

وفي الخامس من تشرين الثاني ١٩٣٥، توفّي فؤاد علامة، وقد حيكت روايات عدة حول وفاته، والأرجح أنه مات مسموماً.

وفي السادس من تشرين ١٩٣٥، نُقل في سيارة إلى بيروت، ولدى وصولهما إلى محلة أنطلياس، تعرّضت للسيارة دورية برئاسة الضابط الياس مدوّر، وأطلق الجندي بربر ساسين النار على جثمان فؤاد، في عملية مفضوحة ورخيصة للسلطة اللبنانية – الفرنسية، التي أرادت أن تنتقم منه في مماته حيث عجزت عن مواجهته حياً(١٦).

حقائق حول عملية أنطلياس

لدى توقّف السيارة التي تقلّ جثة فؤاد علامة على الحاجز العسكري في أنطلياس، طلب الياس مدوّر من الضابط جورج كرم من زحلة أن يقوم بإطلاق النار على فؤاد علامة، فرفض الأمر وقال له: «إنني أرفض تنفيذ هذا الأمر بإطلاق النار على ميت. فلو كان حيّاً لواجهته وجهاً لوجه، فإمّا أن يقتلني أو أقتله».

وقد تمّ إنزال عقوبة السجن بهذا الضابط لمدة ١٥ يوماً، وقد شهد بهذه الواقعة الرئيس كميل شمعون والأمير مجيد أرسلان ورشيد حمد أبو شقرا. وقد أبلغ الملازم جورج كرم والسيد رشيد أبو شقرا هذه الحادثة إلى فؤاد حسين علامة إبن أخي الشهيد فؤاد علامة.

بعد هذه العملية، قامت السلطة بنقل جثة فؤاد علامة إلى تربة الدروز لدفنها، وكأنه أحد مرتزقتهم، فهاج الدروز في بيروت، وقام رشيد أبو شقرا ومعه وفد من أعيان الدروز في بيروت بالتوجّه إلى مركز قيادة السلطة، وأبلغوها أنهم يرفضون دفنه على تلك الصورة البشعة، وأنه رجل مسلم يجب أن يتم دفنه حسب الأصول الإسلامية. وبعد ضغط شعبي تراجعت السلطة عن موقفها، وسمحت بإقامة مأتم للشهيد فؤاد علامة، وذلك بعد ظهر يوم الخميس في السابع من تشرين الثاني ١٩٣٥م. ثم وُوري الجثمان الثرى في جبانة الدروز في بيروت، وما زالت رفاته هناك حتى اليوم[١٧].

٢

المجاهد مجيد عبد الله راجح
١٨٩٤ - ١٩٨٥م

وُلد في بلدة بعقلين، في أسرة تعيش من جنى الأرض ومحاصيلها، فشبّ على حب الأرض وعشقها، وما إن قوي ساعده، حتى سارع إلى مساعدة والده في الأعمال الزراعية، لتأمين العيش الكريم بتعب الجبين.

وفي سن السادسة عشرة، أخذ يعمل في فصل الشتاء في معصرة البلدة، يكسب المال لمساعدة أهله، وبدأ يوفّر قسماً منه لبناء منزل متواضع مستقل به. لكن هذه الحال لم تستمر، فما إن نشبت الثورة العربية في الحجاز عام ١٩١٦، حتى هبّ مجيد راجح مع عدد من أهل بعقلين والشوف والجبل، للالتحاق بهذه الثورة القومية العربية، وذهب إلى شرق الأردن والتحق بالثوار في عام ١٩١٧، ومنها دخل مع الثوار العرب الأحرار إلى دمشق.

بعد ذلك، عاد إلى بعقلين، ورجع إلى مزاولة عمله في الزراعة وفي معصرة الزيتون، وتابع مسيرته بجدٍ، يكدح ويتعب من أجل بناء منزل يحلم به، وقد تحقق هذا الحلم بمساعدة إخوته سليم وداود وملحم، في إنجاز هذا المنزل، الذي يقع في حارة الوطى، بعيداً عن وسط البلدة، وعن الطريق الرئيسي للشوف[١٨].

وفي العام ١٩٢٢ ذهب رشيد بالذهاب إلى دمشق، ومنها إلى جبل العرب في السويداء، فالتقى بالمجاهد شكيب وهاب الذي اصطحبه معه إلى شرق الأردن، ومن هناك ذهبا إلى الحجاز، وشارك في معارك الحجاز إلى جانب الشريف حسين وولده علي، ثم رجع مع شكيب وهاب وبعض المجاهدين إلى سوريا في العام ١٩٢٥، للالتحاق بالثورة الكبرى التي قادها سلطان باشا الأطرش.

اشترك مجيد راجح في معارك الثورة إلى جانب شكيب وهاب، واستمرّ في مجموعته، وكان يتردد سرّاً إلى بعقلين يزور أهله، يعود بعدها إلى متابعة الجهاد دون أن يعلم أحد بما يقوم به. وبعد انتهاء الثورة، لم يذهب مع الثوار إلى الأزرق في شرق الأردن، بل انتقل إلى فلسطين، وتجوّل هناك في مدن صفد وحيفا وعكا والناصرة والقدس، وعمل في الزراعة والبناء لكسب عيشه وذلك لمدة سنتين تقريباً، عاد بعدها إلى بلدته بعقلين، وكان أن جمع مبلغاً لا بأس به من المال.

وبعد وصوله إلى بلدته، بدأ يعمل في التجارة، بين بعقلين ومنطقة البقاع الأوسط والبقاع الغربي، واستمر لمدة أربعة أعوام يتجوّل في معظم هذه المناطق، إلى أن تعرّف في العام ١٩٣٣ على فتاة من بلدة بكيفا، فتزوّجها وهي قريبة المجاهد صالح العسل.

بعد هذا الزواج، أصبح صالح العسل يتردّد إلى بعقلين، إلى منزل مجيد راجح، وسبق له أن التقى مع فؤاد علامة في فلسطين وفي منطقة البقاع، وقاما بعمليات مشتركة ضد القوات الفرنسية وأعوانها، ومن ثم أخذ فؤاد علامة يتردّد إلى منزل مجيد راجح، وباتت اللقاءات شبه دورية، يحضرها عدد كبير من المجاهدين والأصدقاء.

وقد روى المجاهد مجيد راجح لابنه هايل راجح[١٩]، أنه في شهر كانون الثاني من العام ١٩٣٥، رافق فؤاد علامة في عملية عسكرية أراد منها فؤاد ضرب إحدى القوافل العسكرية الفرنسية في منطقة تُدعى الزيَرْ، وهي تقع تحت بلدة دميت، وتشرف على وادي ملتقى النهرين. فجلس فؤاد فوق الطريق، ونزل مجيد إلى الشارع، وما هي إلاّ برهة صغيرة، حتى صودف مرور الضابط في السلطة جميل العيد وزوجته، وكان فؤاد لا يعرفه، فنهره وطلب منه أن يرفع يديه ويسلّم سلاحه، فخافت زوجته وقامت بخلع مصاغها من أجل أن تنجو هي وزوجها، ولكن فؤاد قال لها: «لم نتعوّد أن نسلب السيّدات أو نتحرّش بهن»، هنا تدخّل مجيد وقال لفؤاد: «لا تفعل معه شيئاً، هذا الضابط هو جميل العيد من بلدتي»، فقال فؤاد للضابط:

«ارحل من وجهي حالاً، إن سلامتك جاءت على يد مجيد ابن بلدتك».

ويروي لنا هايل راجح، «أن جميل العيد كان في فترة الأربعينات

والخمسينات في القرن العشرين، كلما التقى بوالده مجيد يقول له: «إنّك مفضل عليّ، ولا أدري ماذا كان سيحلّ بي يومذاك لو لم تكن موجودا». وقد ردّدها أمامي مرات عدة كنت برفقة والدي».

بعد عملية وادي الحرير، اشترك مجيد في عملية وادي الزينة إلى جانب فؤاد علامة[٢٠]، إلى أن اعتقلت السلطة سليم حمزه واعترف عن أفراد المجموعة، فداهمته السلطة واعتقلته، ونُقل إلى سجن بيت الدين، ثم إلى زحلة ثم إلى بيروت، وتعرّض للجلد والتعذيب، للإقرار عن مكان فؤاد علامة وصالح العسل وإسماعيل عبد الحق، ولكنه لم يعترف.

وفي ١٢ آذار ١٩٣٧ أصدرت المحكمة قراراً بسجنه ثلاث سنوات أمضاها متنقلاً ما بين سجن الرمل في بيروت وسجن زحلة[٢١]. وفي هذه الفترة قامت السلطة باعتقال إخوته وإهانتهم، واستمرّت في اعتقالهم لمدة تراوحت ما بين عشرة أيام وشهرين، ثم أطلقت سراحهم، وقام عناصرها بنهب محتويات منازلهم، بقصد إذلالهم وإخضاعهم.

بعد خروجه من السجن، عاد إلى ممارسة أعماله في الزراعة والتجارة، وعاد إلى التنقّل ما بين البقاع والجبل بشكل مستمرّ، لكي يعوّض ما فاته في فترة السجن وما حلّ بعائلته وأهله من نكبات على يد رجال السلطة الفرنسية والمتفرنسين معها.

ورغم تقدمه في السن حيث تجاوز الثالثة والستين، اشترك إلى جانب قوات كمال جنبلاط في ثورة ١٩٥٧ – ١٩٥٨م في فصيل بعقلين الذي ترأسه المجاهد سعيد بو تين رفيقه في الجهاد، وذلك في منطقة الشحّار وعاليه. بعد انتهاء تلك الأحداث، عاد إلى منزله متابعاً بعض الأعمال التجارية.

وفي أواخر سني حياته، ترهلت صحته، فلازم المنزل مدة وجيزة إلى أن توفاه الله في العام ١٩٨٥م عن عمر تجاوز التسعين عاماً أمضاها في الكفاح والجهاد والشقاء.

٣

المجاهد أمين يوسف علم الدين
١٨٩٥-١٩٣٦م

وُلد المجاهد أمين علم الدين في بلدة بعقلين، في أسرة متواضعة تتعاطى أعمال الزراعة والتجارة، فشبّ على حب الأرض والتعلّق بها. وبعد أن أصبح يافعاً، تعلّم مهنة البناء، فأتقنها وبدأ يقوم ببناء المنازل في بلدة بعقلين وبلدة دير القمر، وجوارهما وتحسنت أحواله المادية جيداً[٢٢].

حين اندلعت الثورة السورية الكبرى، اندفع مع رهطٍ من المجاهدين من أبناء بلدته لنصرة هذه الثورة المجيدة. فانطلق من بعقلين إلى جبل العرب، وخاض لدى وصوله مباشرة معركة المسيفرة، ثم أسهم بعدها في معارك راشيا وحاصبيا ومجدل شمس والغوطة. أُصيب أمين ثلاث مرات في تلك المعارك ونجا من الموت بأعجوبة. وكان إلى جانبه في تلك المواقع عددٌ من المجاهدين من بعقلين نذكر منهم سعيد بوتين وملحم وخليل ورشيد ومحمد رضي الدين وسعيد الغصيني ومجيد راجح وغيرهم. بعد انتهاء الثورة انتقل المجاهدون إلى شرق الأردن، ولكن أمين مكث في السويداء ما يقارب الأشهر الستة عاد بعدها إلى بعقلين يزاول عمله في البناء.

كان المجاهد أمين علم الدين على علاقة جيدة مع أبناء بلدته عموماً ومع مجيد ورشيد وخليل راجح خصوصاً، فكان يتردّد إلى منزل مجيد راجح في المساء، وهناك التقى بالمجاهد فؤاد علامة، فتعرّف إليه عن قرب، حيث سبق له أن التقى به في معارك الثورة السورية في منطقة راشيا وإقليم البلان واللجاه، فأعجب بشجاعته ومواقفه، فطلب من فؤاد مرافقته في بعض المهمات العسكرية ضدّ الفرنسيين وأعوانهم، فقبل فؤاد طلبه، وأسهم معه

في عمليات عسكرية عدة، وكان يقول للذين يسألونه عن غيابه أنه يقوم بأعمال تجارية في البقاع، فلم يكتشف أحد أفعاله.

وفي أحد الأيام، ذهب إلى منزل حسين يوسف راجح والد المجاهد خليل راجح، فطلب منه شراء البندقية التي يملكها قائلاً له: «إن فؤاد علامة يريد ذلك». فلبّى حسين يوسف راجح طلبه، ودفع له مبلغ خمس وثلاثين ليرة ثمنها وانصرف(٢٣).

بعد ذلك بيومين، انطلق أمين علم الدين ومجيد راجح وخليل راجح وكامل شمس ورشيد سعيد حماده إلى منطقة وادي الزينة شمالي مدينة صيدا. وقد قامت المجموعة بقطع الطريق في محاولة لضرب الجيش الفرنسي وأعوانه. وصودف مرور سيارة خاصة بداخلها اثنان من رجال السلطة، حاولا إطلاق النار على المجموعة المجاهدة، فبادر أمين علم الدين إلى إطلاق الرصاص على السيارة، فقتل العسكري لحد الخوري وأصيب رفيقه عبد الرحمن رمضان، وقامت المجموعة بمغادرة المكان فوراً، وكان فؤاد علامة على رأس هذه المجموعة(٢٤).

كانت أعين السلطة في بعقلين تراقب بدقة تحركات المجاهدين، وترصد الداخلين والخارجين من البلدة، من أبنائها ومن غير أبنائها. وتقول بعض الروايات إن السلطة اعتقلت سليم سليمان حمزة صديق خليل حسين راجح، ورشيد سعيد حماده، فقامت بجلده وتعذيبه، مما أدّى إلى الاعتراف بتحركات المجموعة المجاهدة، التي كان يعلم عنها الشيء الكثير.

بعد الاعترافات التي أدلى بها في سجن السلطة في بيت الدين، قامت قوة عسكرية كبيرة بمداهمة عشرات المنازل في بعقلين، واعتقلت عشرات المواطنين ومنهم بعض المجاهدين من آل راجح. ثمّ سيّرت السلطة قوة كبيرة وطوّقت منزل المجاهد أمين علم الدين، وطلبت منه تسليم نفسه، فرفض الأمر، بعد ذلك تمّ توجيه إنذار شديد اللهجة، حيث خيّرته القوة بين تسليم نفسه أو تهديم المنزل على رؤوس ساكنيه، وكانت عائلة وأهل أمين في المنزل، فاضطر إلى تسليم نفسه إلى القوة، التي وضعت القيود في يديه، على مرأى من سكان البلدة، وساقوه أمامهم إلى سجن بيت الدين(٢٥).

ومن سجن بيت الدين نُقل إلى سجن الرمل في بيروت مع عدد من رفقائه،

وقد قام ضابط فرنسي بالتحقيق معهم، وتعرّضوا لأبشع أنواع التعذيب الجسدي والنفسي ولكنهم لم يعترفوا. وبعد استشهاد المجاهد فؤاد علامة، تولّى التحقيق معهم المحقق اللبناني رضا التامر، فاستطاع بالحيلة استدراجهم، واعترف أمين علم الدين بمسؤوليته عن قتل العسكري لحد الخوري، فحُكم عليه بالإعدام في ١٢ آذار ١٩٣٧.

وقد نُفّذ حكم الإعدام في ١٩٣٧/١٢/١٥ في بيروت[٢٦]، ثم نُقلت جثته إلى مدفن الدروز في بيروت، وعلى الرغم من إجراءات السلطة القمعية، أُقيم له مأتم حاشد في بلدة بعقلين مسقط رأسه، حيث تقاطرت الوفود من القرى المجاورة للتعزية به.

٤

المجاهد كامل أمين شمس
١٨٩٦- ١٩٤٦م

في بلدة بعقلين وُلد المجاهد كامل شمس في منزل ميسور، كان والده من أثرياء البلدة، حيث هاجر ثلاث مرات إلى الولايات المتحدة الأميركية وجمع مبالغ كبيرة من المال، فاشترى أراضي شاسعة وبنى منزلاً كبيراً في بعقلين. ويعود جذور آل شمس في بعقلين إلى بلدة عين جرنا في قضاء حاصبيا، حيث رحل قديماً جدّهم بهاء الدين شمس في عهد الأمير بشير الشهابي من منطقة حاصبيا، نتيجة أحداث داخلية في البلدة مع آل قيس، فنزحوا منها، والتجأوا إلى بعقلين وحلوا ضيوفاً في حي آل حماده. فقام كبار آل حماده بالتوسّط لهم لدى الأمير بشير الشهابي، واستجاب إلى طلبهم بإعطائهم العفو.

ولما بلغ سن السادسة أدخله أهله إلى المدرسة، ولكنه لم يتابع دراسته، فمال إلى تعلّم مهنة صناعة الأحذية وبرع فيها. وفي إبّان اشتداد الأزمة الاقتصادية عام ١٩١٥، انتقل كامل مع أبيه وإخوته تامر ووديع وشريف إلى بلدة مجدل شمس، ثم إلى بلدة بقعاتا القريبة منها[٢٧].

وعندما قام الشريف حسين بثورته على الأتراك، التحق كامل في أواخر عام ١٩١٧ بكوكبات المجاهدين، وذهب إلى شرق الأردن، ودخل مع الثوار إلى سوريا، فدمشق، وتعرّف إلى الأمير عادل أرسلان ورشيد بك طليع وتوطدت علاقته معهما. بعد خروج لبنان وسوريا من نير العثمانيين، عاد كامل شمس إلى بلدة بقعاتا قرب مجدل شمس، وعمل في مهنة صناعة الأحذية، لمدة سنتين. لينتقل بعد ذلك، إلى مدينة السويداء مع اخوته بعد سقوط سوريا بيد الفرنسيين، فأقام مصنعاً للأحذية في السويداء، واشتهر بعمله، فكان كبار القوم في جبل الدروز على علاقات وطيدة معه[٢٨].

وفي العام ١٩٢٤ انتقل كامل واخوته إلى لبنان، فتوجه إلى قرية المحيدثة في قضاء راشيا وافتتح مصنعاً للأحذية، بعدما كاد أن يفلس في السويداء بسبب الديون، التي يقول ابن أخيه أمين شمس، أنها بلغت أكثر من ٥٥٠ ليرة ذهباً، موزّعة في منطقة السويداء، ولا يستطيعون تحصيلها.

ومن المحيدثة، انتقلوا إلى بعقلين قبل اندلاع ثورة ١٩٢٥ بقليل، ولكن مصنعهم استمر في العمل في المحيدثة، إلى أن بدأت الثورة، فالتحق كامل وأخوه وديع بها. اشترك كامل ووديع[٢٩] في معركة الفالوج[٣٠]، وفي معركة اقتحام قلعة راشيا الوادي، وفي اقتحام القلعة، سطّر كامل ضروباً لا مثيل لها في البطولة، فقام بتسلّق جدار القلعة، حيث نُصبت أربعة سلالم، فتسلقها، ووصل إلى قرب السطح، وإذا بجندي سنغالي يمسكه ويريد رميه إلى الأرض، فتماسكا، وكاد كامل يهوي إلى الأرض، ولكنه استطاع أن يقبض على عنقه، ويقطع له حنجرته بأسنانه، ويرميه من سطح القلعة إلى الأرض، على مرآى من رفاقه المجاهدين الذين هللوا لعمله البطولي.

استمر كامل يجاهد إلى جانب رفقائه في معارك الثورة، إلى أن شارفت على نهايتها، فانتقل إلى المحيدثة، ثم جاء إلى بعقلين، وعاد إلى مهنته، وينتقل ما بين بعقلين ومنطقة راشيا. وفي منطقة راشيا، تعرّف إلى فؤاد علامة في سنة ١٩٣٤، وتوطدت العلاقة بين الرجلين، فكانا يلتقيان في المحيدثة والعقبة وبكيفا، ثم في بعقلين. وفي معظم العمليات التي قام بها فؤاد علامة، لم يشترك كامل فيها، إلا في حادثة وادي الزينة، حيث ألحّ عليه فؤاد بالمشاركة معهم، فنزل إلى الشارع مع أمين علم الدين الذي أطلق النار على لحد الخوري في الدرك اللبناني، وذلك دفاعاً عن فؤاد علامة، فكان أمين أسرع من لحد الخوري في إطلاق الرصاص، ولو أمهله لحظة، لكان فؤاد قُتل في تلك الحادثة، حيث إن لحد الخوري صوّب بندقيته مباشرة إلى رأس فؤاد يريد قتله[٣١].

بعد حادثة وادي الزينة، التجأ فؤاد علامة إلى بلدة بعقلين في الرابع من تشرين الأول ١٩٣٥، فاحتضنه آل راجح وآل شمس، واختبأ في مغارة في محلة تدعى «القشايا»، فكان أبناء آل شمس وآل راجح، يتناوبون على إرسال الطعام والشراب له إلى المغارة، في الوقت الذي كانت فيه دوريات الفرنسيين، لا تغيب يوماً عن بعقلين، تفتّش عن فؤاد علامة ورفقائه.

اعتقال كامل شمس

في أواخر العشرينات، انخرط شريف شمس شقيق كامل في السلك العسكري، وكان برتبة ملازم، وخدمته في منطقة إدلب وحلب في شمال سوريا. وهناك تعرّف إلى أبناء الطائفة الدرزية وإلى زعيمهم قصاب باشا، وأصبحت العلاقة حميمة بين الرجلين. واستمر شريف يخدم في تلك المنطقة، إلى أن حصلت حادثة وادي الزينة، وأصبح شقيقه كامل مطلوباً للعدالة، فجاء إلى بعقلين، فالتقى بفؤاد علامة وقال له: «إنني سأقوم بتهريب أخي كامل إلى منطقة إدلب، وبعد ذلك سآتي لأصطحبك إلى هناك بعيداً عن أعين السلطة». وبالفعل قام شريف بتهريب أخيه كامل إلى إدلب، إلى بلدة معرّة الإخوان، وأمّن له المسكن اللائق وذلك في العشرين من تشرين الأول ١٩٣٥، وعاد إلى بلدة بعقلين في أواخر الشهر لكي يصطحب فؤاد علامة.

وصل شريف شمس إلى بعقلين وسأل عن فؤاد علامة، فقالوا له: «رحل إلى بلدة بعذران»، وفي هذه الأثناء، وصل الخبر إلى شريف أن أخاه كامل اعتقله الفرنسيون في منطقة إدلب، وساقوه إلى سجن بيت الدين، حيث إن أعين السلطة كانت تراقب تحركات الضابط شريف واستطاعت القبض على أخيه، ثم ألقت القبض عليه شخصياً، وحكم عليه بالسجن سنة كاملة، حيث كان من المقرر أن تطول المدة أكثر، لولا تدخّل الوساطات الدرزية الفعالة، لتخفيف العقوبة عنه[٣٢].

أما كامل فبعد إلقاء القبض عليه، تعرّض للتعذيب والضرب الشديد للاعتراف عن فؤاد والعمليات التي كان يقوم بها، وقد استجوب أمام المستنطق الفرنسي مرات عدة، إلى أن صدر الحكم عليه بالسجن المؤبّد، في ١٢ آذار ١٩٣٧، وقد مرض وتوفّي في السجن في مطلع ١٩٤٦ قبل أن يصدر الرئيس بشارة الخوري العفو العام بقليل.

حول عملية اعتقاله ذكرت جريدة البشير ما يلي[٣٣]: «القبض على بعض أشقياء من عصابة وادي الزينة.

جاء في (ألف باء) القراء عن حلب، أن قيادة درك المنطقة السورية الشمالية، قد وُفّقت إلى القبض على أحد الأشقياء من عصابة فؤاد علامة في قرية معرّة مصرين. وقد جيء به مخفوراً إلى لبنان، وسُلّم إلى قيادة دركه. وقد

فهمنا بعد ذلك أن الرجل يدعى كمال شمس من بعقلين وهو صانع أحذية. اتصل بالسيد بوشد مدير الأمن العام، أنه كان يصنع الجزمات لفؤاد علامة، وأنه سافر إلى جهات حلب، فوجّه إليه بعض رجال التحرّي الأمناء، فقبضوا عليه وجاؤوا به إلى البقاع. وبعد أن استنطقوه هناك، أدلى بمعلومات أماطت اللثام عن عصابة وادي الزينة التي قتل فيها الدركي المرحوم لحد الخوري، وساعدت على اعتقال اثنين من أفرادها من بعقلين».

القبض على الشقيين، البلاغ التالي: «إن البحث والتحقيق المتواصلين، أسفرا عن إلقاء القبض على رجلين من بعقلين، اشتركا مع فؤاد علامة في حادثة وادي الزينة. وقد ضبطت عند أحدهما قذيفة يدوية وثلاث بنادق حربية، بينها بندقية الدركي الذي قُتل في الحادثة المتقدم ذكرها. وما زالت الهمة مبذولة ومتواصلة لإلقاء القبض على بقية أفراد العصابة».

والمقول أن الشقيين المقبوض عليهما، يدعى أحدهما أمين علم الدين والآخر حسين صالح علم الدين وقد كان الأول نائماً في منزله، والثاني مختبئاً في منزل أحد أقاربه، وضبط منه بندقية حربية وعدد من القذائف و ١٣٠ ليرة لبنانية. فنثني على همة الحكومتين اللبنانية والسورية، ولا سيما على السيد بوشد مدير الأمن العام، والكومندان هيرول مفتش الدرك في جبل لبنان، لما أبدياه من الحذق والنشاط في إدارة التعقب للعصابة. والله نسأل توفيق السلطة إلى القبض قريباً على زعيم العصابة نفسه».

٥

المجاهد إسماعيل ملحم عبد الحق
١٩٠٠-١٩٣٧م

عين عطا، بلدة تقع في قضاء راشيا، على هضبة مرتفعة في سفح جبل الشيخ الغربي، ارتبط اسمها لعقد من الزمن، باسم أحد أبنائها المجاهدين الأبطال، الذي سُجل في تاريخ هذه المنطقة، مآثر ومواقف نضالية لا تُنسى، في وجه المستعمرين والغزاة في لبنان وسوريا وفلسطين. فعندما تُذكر عين عطا يُذكر معها إسماعيل ملحم عبد الحق.

ولادته ونشأته

في بلدة عين عطا وُلد إسماعيل عبد الحق، في أسرة ميسورة، كان والده يتعاطى الأعمال الزراعية والتجارية، ويملك أراضي شاسعة في بلدته وخارجها. في وسط هذه الحال المترفة شبّ إسماعيل وترعرع مع خمسة إخوة له، فدخل المدرسة، ولم يتابع تحصيله العلمي، بل مال إلى التجارة، وأسهم مع والده يافعاً في رحلات تجارية، ما بين راشيا والبقاع وسوريا. استمرّ وحين هبت رياح الثورة السورية الكبرى على منطقة راشيا، خصوصاً بعدما بدأ الفرنسيون وأعوانهم، القيام بأعمال عدوانية استفزازية كان من أوائل الملتحقين بصفوفها[٣٤].

مشاركته في الثورة

انتفض إسماعيل مع عشرات من المجاهدين في منطقته، للدفاع عنها، ولنصرة الثورة السورية في وجه المستعمرين الفرنسيين. فأسهم في معركة راشيا واقتحام قلعتها وفي المعارك التي تلتها، في حاصبيا ومجدل شمس

وإقليم البلان والغوطة، وأُصيب مرات عدة بجراح في هذه المغارك، ولكن النجاة كانت تكتب له كل مرة.

وبعد انتهاء الثورة، لم يرحل مع المجاهدين إلى الأزرق، بل مكث مدة في السويداء، ثم عاد بعدها إلى بلدته عين عطا، ليتابع عمله كالمعتاد في الزراعة والتجارة.

إسماعيل في فلسطين

أواخر عام ١٩٣٢ انتقل إلى فلسطين، أملاً في كسب المال والقيام ببعض المشاريع، فتنقل في فلسطين بين مدن القدس وصفد وطولكرم وجنين وحيفا، ثم عمل في حيفا في عام ١٩٣٣ عند أحد أغنياء اليهود، فوثق به، وقد استقدم إسماعيل عدداً من أبناء بلدته للعمل معه[٣٥].

وفي فلسطين، التقى إسماعيل مع المجاهد فؤاد علامة، حيث كانت السلطة الفلسطينية – البريطانية – الصهيونية تطارده، لأنه أقدم على قتل ضابط بريطاني وعدد من اليهود.

بادئ الأمر نزل فؤاد ضيفاً على اسماعيل، ثم اشترك معه في عمليات ضد البريطانيين والصهاينة خفية عن رب عمله اليهودي. وكان فؤاد علامة يتردد إلى منزل إسماعيل خلسة، دون أن يكتشف أحد أمره.

وفي مطلع عام ١٩٣٥، قام فؤاد علامة بزيارة إسماعيل عبد الحق، في تلك المزرعة التي يعمل فيها، فشاهده صدفة صاحب الدار، فدُهش لمنظره بسلاحه الكامل، وذُعر من هذا المشهد، فسأل هذا اليهودي إسماعيل عن هوية هذا الرجل، فقال له: «إنه فؤاد علامة». عند ذلك، قال له بما معناه، أنه سيتصل بالشرطة لكي تعتقله، حيث كان معظم اليهود يرددون اسم فؤاد علامة، وكانت صوره موزّعة على جميع مخافر الشرطة. تشاجر إسماعيل مع ربّ عمله، وعندما صمّم على الإيقاع بصديقه، قام إسماعيل بطعنه، فأرداه قتيلاً، وفرّ من فلسطين إلى لبنان، خوفاً من اعتقاله[٣٦].

انتقل عبر الأودية، فوصل إلى عين عطا، فزار أهله وأخبرهم بوضعه، ثم انتقل إلى بكّيفا، ومنها انتقل إلى البقاع، ثم إلى الباروك، ووصل إلى بعقلين، حيث كان فؤاد علامة ورفقاؤه في منزل مجيد راجح[٣٧].

نشاط إسماعيل في لبنان

من بعقلين، انتقل المجاهدون إلى منطقة راشيا مجدداً، ونفّذوا عمليات ضد الدوريات العسكرية الفرنسية، على طريق حاصبيا راشيا، حيث أوقفوا في ٢٩ آذار ١٩٣٥(٣٨)، دورية عسكرية، فسلبوها أسلحتها وخيولها، وبعد ذلك أطلقوا سراح العسكريين، وفي السابع من أيار، داهموا عيتا الفخار، فتصدوا لدورية عسكرية واشتبكوا معها، ثم انتقلوا إلى وادي الحرير.

وفي التاسع من أيار ١٩٣٥(٣٩)، قطعوا طريق وادي الحرير، وأوقفوا عدداً كبيراً من ضباط البحرية الفرنسية وحاكم جبل الدروز العسكري، إضافة إلى عشرات العسكريين، فصادروا أسلحتهم، ولم يتعرّضوا لهم بأذى، وكان بمقدورهم قتل هؤلاء، فكانت عملية إذلال لهؤلاء الضباط والجنود.

بعد هذه العملية، نفّذت المجموعة عدداً من الضربات العسكرية، بقيادة فؤاد علامة وإسماعيل عبد الحق وصالح العسل، فضاق الفرنسيون ذرعاً بهذه الأعمال، فجنّدوا كل قواهم للقبض على هذه المجموعة، مستخدمين جميع أنواع الوسائل حتى الطائرات، وفي هذا الصدد ذكرت جريدة البشير تحت عنوان: «مطاردة فؤاد علامة» ما يلي: «ما زالت الحكومة بمحافظيها وقائمقاميها ودركها تُبدي اهتماماً جدّياً في مطاردة فؤاد علامة وعصابته، متخذة ما تسنى لها من التدابير، للقبض على هؤلاء الأشقياء. هذا ما علمناه من أعمال حكومتنا. ولكننا نجهل تماماً حتى الآن، ما صنعته حكومة فلسطين، لمساعدة جارتها الحكومة اللبنانية. وكلٌ يعلم أن رجال العصابة ما فتئوا يتنقلون بين البلدين الشقيقين، ولئن شاء أولياء الأمر، في فلسطين الاكتفاء بالوقوف موقف المتفرّج من كل هذه المأساة. فهل تقع التبعة على حكومتنا في إخفاق جهودها الصادقة. وفي «ألف باء» القراء، أن فؤاد علامة شوهد في جهات شبعا من جبل الشيخ التابعة للمنطقة اللبنانية، على مقربة من الحدود السورية، فاتخذ دركا البلدين، التدابير المشتركة لتطويق تلك المنطقة، وقد وضعت فرقة الطيران العسكرية، تحت إمرة كولونيل الدرك طيارة للاستكشاف»(٤٠).

استطاعت السلطة اللبنانية والسلطة السورية، الإيقاع بعدد من أفراد مجموعة فؤاد علامة في شهر تشرين الأول ١٩٣٥، في بلدة بعقلين، وتبعتها

عملية اغتيال قائد المجموعة فؤاد علامة بدسّ السم له، ثم اعتقال صالح العسل[٤١] بدسّ المخدر له، وهاتان العمليتان، تمّتا بواسطة أيدي تحركها السلطة الفرنسية، بعدما فشلت في القبض عليهما في المواجهة.

هذه الأحداث المتسارعة، أدمت قلب إسماعيل عبد الحق، في أن يرى رفقاءه، يقبع بعضهم في السجون، وقسم آخر انتقل إلى دار الخلود. فغادر لبنان إلى فلسطين، بعدما اشتدّت حملة السلطة في لبنان وسوريا في تعقّبه، من أجل القضاء نهائياً على مجموعة فؤاد علامة.

انتقل من منطقة راشيا، إلى الحدود اللبنانية – الفلسطينية – السورية، في منتصف شهر شباط ١٩٣٧، وفي محلة تدعى جسر بنات يعقوب، كمن لدورية عسكرية، فاشتبك معها في ١٩/ ٢/ ١٩٣٧ وقد أُصيب أحد الدركيين في كتفه، وتم تجريده وتجريد رفيقه من السلاح، وصودف مرور شاحنة تنقل ترابة ما بين دمشق وحيفا، وعندما رفض السائق الوقوف، أطلق عليه الرصاص، فجرحه، ثم توارى إسماعيل ورفاقه عن الأنظار[٤٢].

وجّهت السلطة على الفور دورية كبيرة بقيادة الكولونيل الفرنسي كونيو والقائد العام إبراهيم قصّاب حسن والقومندان كوبيه، لمطاردة المجموعة، ولكنهم فشلوا في اعتقال أي شخص منهم.

انتقل إسماعيل من جسر بنات يعقوب إلى مجدل شمس، البلدة التي أسهم إسماعيل في الدفاع عنها في عامي ١٩٢٥ و ١٩٢٦ مع رفقائه المجاهدين، فعلمت السلطة بقدومه، فجرّدت حملة كبيرة على مجدل شمس في ٢٧ شباط ١٩٣٧، وطوّقت المكان الذي قيل لها إن إسماعيل مختبئ فيه، ولكنها لم تعثر له على أثر. فقامت باعتقال خمسة من سكانها بذريعة أنهم من مجموعته، وقد ذكرت السلطة أسماءهم وهم: شريف شبح من جرمانا، وفهد القلعاني وخزاعي الحبوش من بلدة بقعاتا، كما اعتقلت السلطة جميل الشاعر، أسعد ملحم عباس، محمود سلمان، إسماعيل صالح أبو عواد وهم من بلدة بقعاتا كذلك[٤٣].

بعد مجدل شمس انتقل إسماعيل إلى بلدة عين حرشا، فعلمت السلطة، فجرّدت حملة إلى هذه البلدة، ولكنها فشلت في اعتقال إسماعيل، بعد أن اشتبكت معه، وقد ألقت القبض على ابن عمه نجيب محمود عبد الحق، بتهمة

إيوائه وتقديم العون له، كما قامت السلطة بممارسة الضرب والإهانة لعدد من شبّان ورجال البلدة من أجل الاعتراف عن مكان وجود إسماعيل عبد الحق(٤٤).

في الوقت نفسه، قامت قوات الدرك في منطقة جبل الشيخ ناحية سوريا، بحملة على قرى حُضر وعرنة التابعتين لقضاء قطنا، فتمّ اعتقال إسماعيل صقر عبد الحق ومحمود نجم وسليم إسماعيل ونجيب زيدان وقاسم الطويل، حيث اتهموا بإيواء إسماعيل وجماعته وتقديم المساعدات لهم.

إثر هذه التعدّيات التي قام بها الدرك، في منطقة حاصبيا وراشيا ضد الأهالي، بحجة دفعهم إلى الاعتراف عن مكان تواجد إسماعيل عبد الحق، توجّه وفد من مشايخ الدروز وأعضاء من النادي الدرزي، وذلك من قرى راشيا وعين عطا وعين حرشا، إلى سراي بيروت وقابلوا السيد سامي كنعان وأبلغوه أن الأمر لم يعد يحتمل، وأن نتيجة هذه التصرفات التي يقوم بها الدرك وخيمة، فوعد برفع هذه الشكوى إلى رئيس الوزراء، وسيتم قريباً إعطاؤهم الجواب(٤٥).

انتقل إسماعيل مجدداً إلى مجدل شمس، فلاحقته السلطة، ولم تستطع اعتقاله، وادّعت أنها اعتقلت إثنين من مجموعته وقادتهما مخفورين إلى سجن زحلة، بينما هما من أهالي مجدل شمس لا علاقة لهما بإسماعيل وجماعته(٤٦).

استطاع إسماعيل الإفلات من جميع الكمائن والحواجز التي اشتركت فيها السلطة اللبنانية والسورية والفلسطينية، وزرعت عدداً من نقاط التفتيش على المعابر، فانتقل من منطقة جبل الشيخ التابعة للسلطة السورية، في أواخر شهر آذار ١٩٣٧ إلى فلسطين، وعلى أثر تلك العمليات التي قام بها، تحرّك المسؤولون البريطانيون إلى بيروت، للبحث في سبيل كيفية القبض على إسماعيل عبد الحق، وفي ذلك تقول البيرق: «قال مكاتب البيرق في القدس: ثبت نهائياً وجود عصابة الشقي المعروف إسماعيل عبد الحق رفيق الشقي فؤاد علامة ضمن الأراضي الفلسطينية بجهات عكا، وقد أبلغ الضابط البريطاني المستر وليم دنيس، الذي ذهب إلى بيروت للبحث مع سلطاتها في أمر هذه العصابة، وهو مدير البوليس العام هنا. وقال إن الاتفاق تمّ بينه وبين السلطات الإفرنسية، على أن تقوم قوات فلسطين بحركة واسعة النطاق، لتطويق إسماعيل عبد الحق ورفاقه، على أن تزيد السلطات في سوريا ولبنان،

سهرها على الحدود لمنع عودته ثانية إلى لبنان أو سوريا. وقد شرع منذ أمس الأخذ بهذه التدابير المتفق عليها»[٤٧].

في فلسطين، قام إسماعيل ورفقاؤه بعمليات ضد القوات البريطانية والسلطة الفلسطينية، فاشتبكوا أكثر من خمس مرات مع مخافر الشرطة الفلسطينية المدعومة من الإنكليز، ولم تستطع تلك القوى اعتقالهم، في هذا الوقت، كانت السلطة اللبنانية تقوم بحملات تعسفية ضد القرى التي اتهمتها بتقديم مساعدات لإسماعيل عبد الحق، ومنها إبل السقي[٤٨]، حيث أوقفت فايز منذر وعدداً من أقاربه، وذلك يدل على قلق السلطة في لبنان وفي فلسطين وسوريا، فتعاونوا جميعهم من أجل القضاء عليه، خوفاً من فؤاد علامة آخر، وفي هذا الصدد، تذكر جريدة البشير ما يلي: «يستفاد من الأنباء الأخيرة التي وردت من خفر الحدود الفلسطينية، أن إسماعيل عبد الحق ورجال عصابته، ارتكبوا ثلاث حوادث سلب جديدة في الحولة، قريباً من جسر بنات يعقوب، والمقول أن إسماعيل على اتصال دائم، مع بعض أرباب السوابق القاطنين في الأراضي اللبنانية، ويخشى أن يمثّل الشقي الأدوار التي مثّلها فؤاد علامة في السنة الماضية.

وقد استُدعي أمس الضابط الياس مدوّر، كومندان بلوك بيروت إلى السراي الصغير، لمقابلة وزير الداخلية، وربما عهد إليه تعقّب الشقي في هذين اليومين»[٤٩].

استطاعت السلطة اللبنانية إغراء أحد عملائها، المدعو محمود العوام، وكلفته القيام بتعقّب إسماعيل عبد الحق. وقد استطاع محمود العوام الذهاب إلى فلسطين، وأن يصل إلى مكان إسماعيل، حيث كان يقبع في إحدى المغاور في بلدة يركا الفلسطينية. فتردد إليه وتقرّب منه، فانخدع إسماعيل وانطلت عليه الحيلة، وقد تمكّن من قتله في المغارة في ٣١ أيار ١٩٣٧[٥٠]. ثم ذهب وأبلغ السلطة الفلسطينية، التي كانت على علم بما يقوم به هذا العميل طيلة شهر أيار ١٩٣٧ في فلسطين.

قدِمت السلطة بقوةٍ إلى المغارة، وسحبت جثته، واستلمها منهم الحرس البريطاني، الذي وضع الجثة في ١ حزيران ١٩٣٧، على بوابة مدينة عكا[٥١]، أمام المارة، لمدة يوم كامل، ثم تمّ نقلها إلى بلدة يركا ودُفن هناك.

٦

محمود ملحم عبد الحق
١٩٠٢- ١٩٥٤م

هو أخو المجاهد البطل إسماعيل عبد الحق، وُلد في قرية عين عطا، وكان ميسور الحال، أسهم في الثورة في منطقة راشيا، وبعدها عمل في الزراعة، ليعود مجدداً بحكم الواقع الذي فرضه إسماعيل ورفقاؤه، إلى تقديم العون للمجاهدين، فتعرّض للاعتقال بعد عملية وادي الحرير وحُكم عليه بالسجن تسع سنوات[٥٢]، خرج بعدها مع المجاهد سعيد فياض ليعود إلى عمله، ولكنه لم يُعمّر، فإن المرض قد أنهكه لشدة ما لاقاه من تعذيب وحشي، مما أثّر على حالته الصحية.

٧

شرف الدين ملحم عبد الحق
١٩٠٤م

كذلك هو أخو المجاهد إسماعيل، أسهم في معارك الثورة في راشيا ومجدل شمس، وفي الغوطة، عاد بعدها إلى عين عطا مسقط رأسه، فعمل في الزراعة وتربية الماشية، وكانت أحواله المادية جيدة. وفي عام ١٩٣٤، بدأ يساعد المجاهدين في تقديم العون لهم واستضافتهم، وقامت السلطة باعتقاله في أيار ١٩٣٥ وقد حُكم بالسجن لمدة ست سنوات[٥٢]، ذاق فيها شتى أنواع الإهانة والعذاب، ثم خرج بعدها ليعود إلى بلدته، ويعمل في الزراعة والتجارة.

٨

المجاهد صالح عباس العسل
١٩٠٥- ١٩٣٦م

في بلدة بكّيفا الواقعة قرب راشيا الوادي، وُلد صالح العسل وترعرع في هذه البلدة الوديعة الهانئة، فشبَّ في أسرة زراعية تسعى بجدٍّ وكدٍّ لأجل العيش الكريم، فوقف إلى جانب أسرته، وأسهم معها في معترك الحياة.

وما إن هبّت رياح الثورة السورية الكبرى، حتى سارع عشرات المواطنين في منطقة راشيا ووادي التيم، إلى الالتحاق بالثورة، ونجدة سلطان باشا الأطرش في نضاله ضد الانتداب الفرنسي، بغية تحرير سوريا ولبنان من هذا الاستعمار.

كانت أعين السلطة الفرنسية تراقب عن كثب، هذه التحركات في راشيا، فسارعت إلى اعتقال عدد كبير من المواطنين، وعملت على تجريد القرى من السلاح، في الوقت الذي قامت فيه بتوزيع السلاح على المسيحيين، وإذكاء النعرات الطائفية في لبنان.

في تلك الفترة، كان صالح لا يتجاوز العشرين عاماً، فسارع إلى دعم ومساندة أهله وأبناء عشيرته، في التصدي للمخطط الاستعماري، وما أن قُدّمت النجدات من دمشق وجبل العرب، لمساندة أهالي راشيا، حتى سارع صالح إلى الاشتراك في المعارك العسكرية، إلى جانب أبناء منطقته. فأسهم في معركة اقتحام قلعة راشيا وغيرها من المعارك في هذه المنطقة، فتعرّف آنذاك على المجاهدين، شكيب وهاب، أحمد هاني، حمد صعب، فؤاد علامة، فندي أبو ياغي، فارس سراي الدين، وعشرات المجاهدين الذين كان لهم شرف الجهاد في هذه المعارك البطولية.

انتقل صالح بعد احتلال الفرنسيين لمنطقة راشيا وحاصبيا، إلى جبل

العرب، وخاض إلى جانب رفقائه الأبطال، معارك مشرّفة أذاقوا فيها الفرنسيين والمرتزقة مرارة العيش، ولقّنوهم دروساً عسكرية في ساحات الوغى، في معارك اللجاه الأخيرة، رغم تفوّق الاستعمار في العدد والعتاد[٥٤].

بعد انتهاء الثورة، سكن صالح في السويداء، ثم عاد إلى بلدته بكّيفا، حيث عاد إلى العمل في الزراعة مدة من الزمن، سعى خلالها إلى إعادة ما خسره في مرحلة الثورة، حيث إن بيوتهم في تلك المنطقة دُمّر معظمها ونهبها الفرنسيون وأعوانهم[٥٥].

في سنة ١٩٣٣، التقى صالح العسل بالمجاهد فؤاد علامة، الذي جاء إلى بكّيفا، تطارده السلطات في كل من لبنان وفلسطين وشرق الأردن، ونزل في ضيافة محمد فياض وعدد من أقاربه وبعض الأفاضل من آل العسل كذلك.

ويروي لنا الشيخ سعيد محمد فياض[٥٦]، أن فؤاد علامة تردّد إلى منزل والده ما يقارب السنتين، وكان معه في بعض الأحيان صالح العسل وإسماعيل عبد الحق. ويتابع قوله أن فؤاد علامة أُعجب بشجاعة صالح العسل وقوة زنده، بينما صالح سحره في فؤاد علامة ذكاؤه وحذره الشديد وتخطيطه اللازم للأمور، فكان حديثه جذاباً، يجذب المستمعين، ويقودهم إلى حيث يريد أن يصل بكلامه.

ويتابع الشيخ أن فؤاد وصالح، اتفقا في عام ١٩٣٤ على القيام بأعمال مشتركة ضد القوات الفرنسية، وتنفيذ عدد من الهجمات طالت نقاطاً للتفتيش وحواجز عسكرية، كما استهدفت عملياتهما المتعاونين مع الاستعمار، وقد كان فؤاد علامة يتكل عليه في المهمات. وفي فترة وجيزة قاموا بتنفيذ عدد من العمليات، أربكوا فيها السلطة في منطقة جبل لبنان والبقاع والجنوب، فسعت السلطة جاهدة للقبض عليهم، ولكن دون جدوى.

بقي صالح ملازماً لفؤاد علامة في تلك الفترة، وأسهم معه في عملياته، إلى أن تُوّجت تلك العمليات، بحادثة وادي الحرير، التي هزّت أركان السلطة وزعزعت هيبتها في لبنان، فجنّدت السلطة الفرنسية وأعوانها في لبنان، معظم قواها العسكرية للقضاء على هذه المجموعة المجاهدة. وقامت السلطة وأجهزتها باعتقال عشرات المواطنين في قرى عين عطا، بكّيفا، راشيا، كوكبا، بعذران، بعقلين، بحجة إيواء المجاهدين ومساعدتهم، ووضعت نقاط

تفتيش كثيفة على جميع الطرق، وخصوصاً المعابر ما بين لبنان وفلسطين، خوفاً من انتقال المجاهدين إلى هناك وذلك في شهر أيار ١٩٣٥.

ورغم من جميع هذه الإجراءات القمعية، استمرّ صالح ورفقاؤه يتنقلون في الجبل والبقاع وراشيا، وفي الفترة أواخر تشرين الأول، انتقل صالح من بلدة بعقلين إلى راشيا، وذهب إلى بلدة العقبة، حيث كان يزور أحد المواطنين هناك، في ١٤ تشرين الثاني ١٩٣٥، فتمّ الغدر به، حيث دُسّ المخدّر له في الطعام، فنام دون أن يشعر بما يُحاك له، وما هي إلاّ برهة صغيرة، حتى قامت قوة أمنية بالتوجه من راشيا إلى العقبة، فاعتقلته دون أي اشتباك مسلّح معه، وكان على رأس القوة، القائد نور الدين الرفاعي والضابط نجيب علوية، وذلك في ١٥ تشرين الثاني، فتمّ نقله إلى صيدا ومن هناك إلى بيروت[٥٧].

وفي ١٧ تشرين الثاني، قام القومندان «لا فارج» الفرنسي باستجوابه في المحكمة العسكرية، ثم استجوب في ١٩ من الشهر نفسه، وخضع إلى العديد من جلسات الاستجواب والتحقيق والتعذيب، وفي نهايتها صدر على المجاهد صالح العسل حكمٌ بالإعدام، وهذا نصّه[٥٨]: «نظر المجلس العدلي المختلط في الدعوى على صالح العسل ورفيقيه حمد عبد الولي وعلي العسل، المتهمين بقتل يوسف كساب وزوجته في الكفير قرب حاصبيا، بتاريخ ١٩٣٣/١١/١٤. وقد ثبت الجرم على الأشقياء بشهادة الشهود. فلفظ المجلس حكمه مساء الأربعاء الفائت في ١ تشرين الثاني ١٩٣٦، على صالح العسل وعلى حمد عبد الولي بالإعدام وعلى علي العسل بالسجن خمس عشرة سنة، وبتعويض نقدي قدره ٥ آلاف ليرة سورية لورثة القتيلين»، وقد نُفذ حكم الإعدام في اليوم التالي لصدور الحكم، وقد مات المجاهد صالح العسل عازباً.

٩

مزيد محمد مغامس
١٩٠٥م-
وكايد مغامس

وُلد في كوكبا في قضاء راشيا، شبّ وترعرع في البلدة، فعمل في الزراعة وتربية الماشية، أسهم إلى جانب المجاهدين في الثورة في منطقة راشيا وفي إقليم البلان والغوطة وفي معظم معارك الثورة، وبعد انتهاء الثورة، عاد إلى بلدته يتابع عمله كالمعتاد. وفي عام ١٩٣٥، استضاف المجاهد فؤاد علامة ومجموعته، واشترك معهم في عملية وادي الحرير، فقامت السلطة في أواخر صيف ١٩٣٥ باعتقاله مع شقيقه كايد مغامس، فحُكم بالسجن ثماني سنوات وحُكم أخوه ثماني سنوات[٥٩]، خرجا من بعدها ليعودا إلى الأعمال الزراعية في كوكبا.

١٠

المجاهد رشيد حسين سعيد حماده
١٩٠٩- ١٩٩٠م

في بلدة بعقلين، وُلد المجاهد رشيد حماده، وفي سن السادسة، أدخله أهله إلى مدرسة البلدة، فلم يكمل عامه الدراسي بسبب نشوب الحرب العالمية الأولى، وما تلاها من أحداث ألقت بثقلها على لبنان يومذاك.

شبّ رشيد واشتدّ ساعده، فهبّ إلى مساعدة أبيه في الأعمال الزراعية، وفي نهاية العقد الثالث من القرن العشرين، مال إلى التجارة، فعمل ما بين بعقلين والبقاع، ثم ذهب في العام ١٩٣١ إلى فلسطين، فعمل في مدن نابلس وصفد والقدس وغيرها[٦٠] واستمر حتى العام ١٩٣٣، وقد التقى هناك بالمجاهد فؤاد علامة ورفقائه. وفي العام ١٩٣٤، عاد إلى لبنان، ليزاول التجارة بين البقاع والجبل.

كانت علاقة رشيد حماده جيدة مع آل راجح، وكانت تربطه صداقة متينة مع خليل راجح ورشيد ومجيد راجح. وفي منتصف ١٩٣٤، تعرّف عن كثب إلى فؤاد علامة في منزل مجيد راجح، فأصبح لا يفارق تلك الأمسيات، التي كان يحضرها عدد كبير من شباب بلدة بعقلين.

في أواخر عام ١٩٣٤ أسهم رشيد في عدد من العمليات العسكرية إلى جانب فؤاد علامة وإسماعيل عبد الحق وصالح العسل ومجيد راجح، وذلك في جنوب لبنان والبقاع ووادي القرن.

اشترك رشيد في عملية وادي الزينة[٦١]، حيث وقف إلى جانب أمين علم الدين على الطريق، يفتشان السيارات، إلى أن وصلت سيارة دورية، في داخلها اثنان من رجال الشرطة، ففتح رجال الدورية النار، فأطلق أمين الرصاص فقتل أحدهما وجرح الآخر، بعد ذلك، انسحبت المجموعة من المنطقة.

على أثر هذه الحادثة وما تلاها من أحداث، قامت بها مجموعة فؤاد علامة، واعتقال السلطة لأحد المواطنين المقرّبين منهم، لجأت السلطة إلى حملة مداهمات كبيرة في بلدة بعقلين، ولكنها لم تستطع اعتقال رشيد حماده، فعمدت إلى اعتقال عشرات المقرّبين منه، من رجال وشيوخ ونساء، وسوقهم إلى سجن بيت الدين وزحلة.

إثر ذلك، قام الشيخ خليل سعيد حماده، بالتوجّه إلى منزل رشيد وطلب من أخته التي هي زوجة رشيد، أن تتصل به لأنها تعرف مكان وجوده، وتبلّغه ضرورة تسليم نفسه، حيث إن عشرات المواطنين يتعذبون في السجون بسببه. وبعد فترة وجيزة، قام رشيد حسين حماده، بتسليم نفسه إلى السلطة، ونُقل إلى سجن الرمل في بيروت وأطلقت السلطة أقاربه، وقد كان آخر مَن سلّم نفسه.

في التحقيق الأول، لم يعترف رشيد بما نُسب له، ولكنه عاد واعترف باشتراكه في عملية وادي الزينة، وقد صدر حكم بسجنه مدى الحياة، وقد تدخّلت السيدة نظيرة جنبلاط[٦٢] والسيد أمين بك خضر من بلدة بعقلين، وتمّ تخفيف الحكم إلى عشر سنوات، وقد خرج من السجن قبل أن يمضي المدة المحكوم بها.

بعد خروجه من السجن، عاد إلى بلدة بعقلين، فافتتح متجراً في وسط البلدة، واستمر في مزاولة الأعمال التجارية في بلدته، إلى أن وافته المنية في سنة ١٩٩٠.

١١

المجاهد رشيد يوسف راجح
١٩١٠- ١٩٨٥م

وُلد رشيد راجح في بلدة بعقلين، في أسرة متواضعة، فلم يرغب الدراسة بل مال إلى تعلّم مهنة قص الشعر، فتعلّمها، وفتح صالوناً في ساحة البلدة، فكان أهل بعقلين يقصدونه دائماً، حيث اشتهر في بعقلين وجوارها[٦٣].

وعند مجيء المجاهد فؤاد علامة إلى منزل مجيد راجح في بعقلين، أرسل فؤاد طلبه كي يقصّ له شعره، فلبّى رشيد طلبه، فأُعجب فؤاد برشاقته، وطلب إليه أن يكون حلاقه الخاص دائماً.

ويروي المعمّرون عن رشيد راجح أنه في كثير من الأحيان، كان فؤاد يرسل بطلبه، فيذهب دون أن يجده، ولم يتوان رشيد راجح عن اللحاق بفؤاد علامة والقيام بمهمته على الرغم من المخاطر المحدقة به. ويروون عن رشيد قوله أنه في معظم الأحيان، كان يحلق لفؤاد ذقنه أو شعره، وكانت يد فؤاد على زناد مسدسه، خيفة من أي عملية دهم أو اعتقال له[٦٤].

استمرّ رشيد يتردّد إلى منزل مجيد راجح حيث يسهر فؤاد ورفقاؤه، إلى أن تمّ اعتقال معظم المجموعة، واعتقل رشيد راجح وحسين راجح والد خليل سوياً. ونُقل رشيد إلى سجن بيت الدين، ثم إلى زحلة، وقد تعرّض للتعذيب كي يعترف عن مكان تواجد فؤاد، فلم يعترف بشيء، بل قال أنه كان يقص له شعره ويأخذ بدل أتعابه، ولا يتدخّل في شؤون أعماله وأعمال مجموعته.

وبعد ثلاثة أشهر، أُطلق سراحه مع حسين راجح، وعاد إلى مزاولة العمل في صالون الحلاقة في بعقلين، ووضعت السلطة مراقبة مشددة عليه، حيث لم يقم بأي نشاط عسكري ضد السلطة وأعوانها، واستمرّ في عمله إلى أن توفاه الله في العام ١٩٨٥م في منزله في بعقلين.

١٢

المجاهد سعيد محمد فياض
١٩١٠م[٦٥]

وُلد المجاهد سعيد محمد فياض في بلدة بكّيفا – في قضاء راشيا، فشبّ وترعرع في هذه البلدة الكريمة، التي أنجبت عشرات الأبطال والمجاهدين، وقدّمت العديد من الشهداء على مذبح الحرية، في مواجهة المستعمر الفرنسي وأعوانه، فكان لهذه البلدة سجل حافل بالوطنية خلال الثورة السورية الكبرى وما تلاها من نضالات ضد المستعمر الفرنسي، واستمرت حتى رحيله عن لبنان.

وحين بلغ الخامسة عشر من العمر، تفتحت عيناه على لهيب المعارك وأهوالها، حيث كان لمنطقة راشيا نصيب كبير فيها. في هذا العمر اليافع، لم يتوان عن المساعدة قدر الإمكان، فكان يقوم بحمل الطعام والماء إلى المجاهدين في راشيا والعقبة وحاصبيا وأماكن تواجدهم. واستمر مع المجاهدين حتى رحيلهم إلى الأزرق، فذهب في القافلة النازحة من راشيا إلى مجدل شمس فجبل العرب في ٦ نيسان ١٩٢٦. وبقي هناك فترة، عاد بعدها إلى راشيا، ليعود إلى ممارسة الأعمال الزراعية وتربية الماشية. واستمر المجاهد سعيد في هذا العمل حتى مطلع ١٩٣٤، حيث بدأ فؤاد علامة وصالح العسل وإسماعيل عبد الحق يترددون إلى منزله، ونزلوا في ضيافته مرات عدة، وكان يقوم بنقل الغذاء والذخيرة لهم في أماكن تواجدهم في منطقة راشيا وجوارها.

وبعد قيام المجاهد فؤاد علامة بعملية وادي الحرير، قامت السلطة بحملة اعتقالات واسعة، شملت قرى بعذران وعين عطا وبكيفا، وقد اعتقل في ١٥ أيار ١٩٣٥ المجاهد سعيد محمد فياض، وصدر قرار بسجنه ثماني سنوات،

أمضى منها سبع سنوات وخرج بعد ذلك ليعود إلى بلدته، يعمل مزارعاً في بلدته وما زال إلى يومنا هذا، يتذكر بحسرة ومرارة تلك الأحداث التي مرّت على منطقته، وما خلّفته من دمار وخراب وقتل وتشريد، وما قام به الفرنسيون من تعديات وأعمال وحشية.

١٣

المجاهد خليل حسين يوسف راجح
١٩١٢- ١٩٨٤م

في بلدة بعقلين وُلد المجاهد خليل راجح في أسرة كريمة، تعمل في ميدان الزراعة والتجارة. وفي سنّ لم يتجاوز الخمسة عشر عاماً، بدأ يرافق والده في الرحلات التجارية في فصلي الربيع والصيف، ما بين بلدة بعقلين في الشوف وبلدة المحيدثة في البقاع.

وما إن اشتدّ ساعده، حتى بدأ يعمل في زراعة الأرض، ثم عمل بعد ذلك في معصرة للزيتون في البلدة في فصل الشتاء، يملكها الشيخ فرحان رضي الدين.

في تلك الفترة، تفتّح وعي خليل راجح على أخبار الثورة السورية الكبرى، فكان يسمع من الناس الأخبار عن مجازر الفرنسيين وتنكيلهم بالمدنيين، واعتقال المجاهدين والأبرياء، فيغلي الدم في عروقه، وتهب في نفسه عاصفة الانتقام، ولكن صغر سنّه لم يسمح له بالإسهام في تلك المعارك والمواجهات.

بقيت هذه الصور في مخيّلة خليل فترة طويلة من الزمن، إلى أن التقى في أواخر عام ١٩٣٤ بالمجاهد فؤاد علامة، بينما كان ينقل حملاً من الحبوب من المحيدثة إلى بعقلين، وذلك في جبل الباروك. ترافق خليل مع فؤاد علامة في تلك الرحلة إلى بعقلين، وقد سلّمه فؤاد بندقيته طوال الطريق، وأخذها في مدخل القرية، حيث قال له: «إنني ذاهب إلى منزل قريبك مجيد راجح فاتبعنا إلى هناك»[٦٦].

لدى وصول خليل إلى منزله، أنزل حمل الحبوب، وتوجّه فوراً إلى منزل مجيد راجح حيث كان يضم مجلسه: فؤاد علامة، إسماعيل عبد الحق، رشيد سعيد حماده، رشيد راجح، كامل شمس، وأمين علم الدين وآخرين. فسهروا حتى الفجر، ثم تفرّقوا، واستمرّت هذه السهرات لياليَ متتالية، كان فؤاد

علامة يقص عليهم خلالها أخبار معارك الثورة السورية الكبرى، وأخبار المنفى في شرق الأردن، وبطولاته ضد اليهود في فلسطين، فكان خليل، الشاب اليافع يتشوّق إلى سماع تلك الأخبار، وأحسّ بشعور غريب يدفعه إلى الاشتراك في العمليات العسكرية ضد الفرنسيين وأعوانهم.

طلب خليل من فؤاد علامة أن يشركه في عملياته العسكرية، موضحاً أنه يملك بندقية خاصة به، وبندقية ثانية لوالده، فاستجاب فؤاد لهذا الطلب الكبير. وبعد فترة، أرسل فؤاد علامة المجاهد أمين علم الدين إلى منزل حسين يوسف راجح، فاشترى البندقية له، والتحق خليل مع فؤاد علامة ومجموعته دون أن يخبر والده، واتجهوا نحو البقاع. وصلوا إلى الحدود اللبنانية – السورية في الثامن من أيار ١٩٣٥، وفي صباح التاسع منه نزلوا إلى منطقة وادي الحرير، فقاموا بقطع الطريق وحجزوا عدداً من السيارات معظمها للفرنسيين، ومن ضمنها حاكم جبل الدروز الفرنسي الكولونيل تاريت. وقد أحدثت هذه العملية ردّة فعل لدى السلطة التي سعت جاهدة لاعتقال المجموعة، ولكنها فشلت. رجع خليل راجح إلى منزله وكأن شيئاً لم يكن، وتوالت اللقاءات في منزل مجيد راجح. وفي شهر تشرين الأول ارتأى فؤاد علامة أن يوجّه ضربة على خط الساحل يربك بها السلطة، فتوجّه مع مجموعته إلى وادي الزينة القريبة من صيدا.

في هذه المحلة، نزل أمين علم الدين وكامل شمس ومجيد راجح وخليل راجح ورشيد حماده إلى الشارع، وبدأوا بحجز السيارات، ثم تفتيشها. في هذه الأثناء، وصلت سيارة تقلّ عسكريين، فحاول المجاهدون اعتقالهما، ففتح أحدهما النار، فما كان من أمين علم الدين إلاّ أن أطلق النار، فقتل العسكري لحد الخوري، وأُصيب رفيقه الآخر بجروح بالغة، وعلى الفور، قامت المجموعة بالفرار قبل أن تصل القوة العسكرية من صيدا إلى هذه المنطقة.

عاد خليل إلى منزله، وفي اليوم التالي ذهب إلى عمله في معصرة الزيتون، فسأله صديقه سليم سليمان حمزه عن سبب غيابه عن العمل لمدة يومين، فأخبره خليل ماذا حصل معهم في وادي الزينة، حيث تباهى بهذا العمل العسكري. وأصبح خليل يقص الأحاديث في العمل على صديقه سليم حمزه، ويخبره عن بطولات فؤاد علامة.

في تلك الفترة، كانت السلطة تشدد المراقبة على المجاهدين، فقامت باعتقال سليم حمزه، فاعترف بما أخبره خليل راجح، فقامت السلطة بمداهمة بعقلين، واعتقلت العشرات، ومنهم خليل راجح ووالده وأقاربه. نُقل خليل إلى سجن بيت الدين، ثم إلى سجن زحلة، ثم نُقل إلى سجن الرمل في بيروت. وقد سُجن والده لمدة ثلاثة أشهر، بينما حُكم على خليل بالسجن لمدة ثلاث سنوات، حيث صدر الحكم في ١٢ آذار ١٩٣٧[٦٧]، وأمضى مدة سجنه في بيروت وخرج في العام ١٩٤٠.

في أثناء عملية اعتقالهم، قامت السلطة بمداهمة منزل حسين راجح والد خليل في بعقلين، ونهبت محتوياته من مواد غذائية وأثاث، حيث لم تُبقِ لهم على شيء، فصادروا حتى الدجاجات، وقاموا بحمل ثور وإخراجه من القبو بغية ذبحه، وكان يرافقهم مختار بعقلين كامل تقي الدين، في تلك الأثناء، اعترضتهم زوجة حسين راجح، فدفعها الجنود جانباً، فصرخت في وجوههم وشتمتهم، حينذاك تدخّل المختار كامل تقي الدين، وطلب من القوة إرجاع بعض الأواني المنزلية والأثاث وترك رأس البقر، وتبادل الشتائم معهم، وهدّدهم بالانسحاب وعدم مرافقتهم، وحمّلهم مسؤولية ما سيحصل لهم نتيجة تصرفاتهم اللاإنسانية[٦٨].

بعد هذا التهديد، تراجعت القوة واستجابت لبعض مطالب المختار، وقد ساعد المختار عائلة حسين راجح في محنتها مع السلطة، وأبدى تعاطفاً ملحوظاً مع عائلات المجاهدين في بلدة بعقلين.

أما خليل راجح، فبعد خروجه من السجن، رجع إلى مزاولة عمله في الزراعة والتجارة ما بين بعقلين والبقاع، واستمرّ على هذه الحال حتى أواخر سني حياته، حيث توفّي في العام ١٩٨٤ في بلدته بعقلين.

المواجهات والحوادث العسكرية

٩

عملية وادي الحرير

عمدت السلطة في لبنان في مطلع عام ١٩٣٥، إلى تشديد قبضتها الأمنية، فقامت بأعمال تعسفية بحق عدد كبير من القرى، في الشوف وعالَيه وراشيا وحاصبيا، لممارسة الضغط على الأهالي لوقف الدعم المادي والعسكري للمجاهدين، وخصوصاً مجموعة فؤاد علامة.

إلاّ أن هذه الإجراءات والأعمال القمعية باءت بالفشل، فلم تستطع النيل من هذه المجموعة، التي يقودها شاب ذكي حذر مقدام. وإزاء هذا الواقع، قررّ فؤاد علامة أن يوجّه ضربة قاسية لاذعة للسلطة، خارج تلك المناطق الآنفة الذكر، في عملية يربك بها المستعمر وأعوانه، ويبرز ضعف هذه الإجراءات ووهنها أمام روح التمرّد الجبلي الوطني.

تنفيذ الخطة

في مطلع شهر أيار ١٩٣٥، توافد المجاهدون إلى منزل مجيد راجح في بعقلين، فحضر فؤاد علامة وصالح العسل ورشيد راجح وخليل راجح وأمين علم الدين وكامل شمس وإسماعيل عبد الحق ورشيد حماده. فتشاوروا فيما بينهم، وتمت الموافقة على تنفيذ عملية عسكرية في وادي الحرير، بعيداً عن أعين السلطة، التي ركّزت اهتمامها على منطقة الشوف وراشيا. وقال فؤاد لرفقائه: «إن هذه العملية تهدف إلى زعزعة هيبة المستعمر الفرنسي، وإذلال عناصرهم، ولا نريد قتلهم، أو قتل أي مواطن، ولكن إذا هوجمنا سنضطر إلى الردّ بالمثل»[٦٦].

بعد ذلك، طلب فؤاد من أمين علم الدين، الذهاب إلى منزل حسين

راجح، وشراء البندقية الحربية منه، فذهب معه خليل راجح، واشترى البندقية بمبلغ ٣٥ ليرة آنذاك، وانصرف، ثم تبعه خليل وأخذ بندقيته، ولم يعلم أحد من أهله شيئاً عن هذه العملية[٧٠].

وفي الثالث من أيار، انطلق المجاهدون نحو البقاع، ومن ثم توجّهوا نحو منطقة راشيا، ومن هناك واكبهم عدد من المجاهدين من قرى كوكبا، وبكيفا، وعين عطا والعقبة وراشيا، ثم تابعوا سيرهم نحو وادي الحرير.

وصل المجاهدون إلى وادي الحرير في مساء الثامن من أيار، فاستراحوا بعد عناء المشوار الطويل، وفي الصباح، قام فؤاد بتوزيعهم على كتفي الوادي، وطلب أن يكون معه أربعة عناصر يقطعون وسط الطريق. وبعد ظهر يوم الخميس التاسع من أيار، نزل فؤاد إلى الطريق، يرافقه صالح العسل وأمين علم الدين وكامل شمس ومجيد راجح، فاعترضوا خمس عشر سيارة، بينها سيارة واحدة قادمة من بيروت إلى دمشق. والجدير بالذكر أن أبرز ما جرى في هذه العملية ثلاثة أمور رئيسية وهي:

١. توقيف الهر رودولفار الوزير الألماني، وكيل شركة فوكلاندر لآلات التصوير، حيث تمّ مصادرة آلات التصوير التي بحوزته، وتمّ إخلاء سبيله ولم يُمسّ بأذى.

٢. توقيف حافلة كبيرة تنقل عدداً كبيراً من ضباط وأفراد مشاة البحرية الفرنسية، فتمّ تجريدهم من سلاحهم الفردي، كما أُخلي سبيلهم ولم يُحتجز أي منهم، فتابعوا سيرهم نحو بيروت.

٣. إنزال حاكم جبل الدروز الكولونيل تاريت، الذي كانت ترافقه زوجته، من سيارته إلى الأرض، فهرعت زوجته إلى نزع حليها من يديها ونقودها، وتقديمهما لفؤاد علامة مقابل الإعفاء عن زوجها، لكن فؤاد أعاد كل شيء لها، ورفض أخذ أي شيء منها، وطلب منها أن تعود إلى السيارة. وطلب فؤاد من الكولونيل تاريت أن يتأهب ويؤدي له التحية العسكرية، ففعل على الفور. وهنا قال له فؤاد: «إنني أعتبر أن فرنسا أدّت تحية لفؤاد علامة، تستطيع الآن أن ترحل. إننا نريد توجيه رسالة إلى سلطتكم فقط، عليها معاملة الناس بالرفق، فإننا قادرون وكان في متناول يدنا، هذا اليوم، قتل أكثر من ثلاثين ضابطاً وجندياً فرنسياً، ولكننا لا نريد سفك الدماء، هذه

رسالة إنسانية نوجهها بواسطتكم، إلى السلطة الفرنسية واللبنانية، علّها تعي ما تقوم به، وتتراجع عن أعمالها القمعية واللاإنسانية»[٧١].

وبعد تنفيذ العملية، عادت المجموعة إلى منطقة البقاع، وتفرّق المجاهدون، ولم تعلم السلطة على الرغم من أعينها المنتشرة، عن مكان تواجد المجاهدين شيئاً.

ردود الفعل الإعلامية على عملية وادي الحرير

ذكرت جريدة «صوت الأحرار» تحت عنوان: «عصابة لصوص تسلب خمس عشرة سيارة في وادي الحرير»، ما يلي[٧٢]: «وادي الحرير مكان رهيب، يرجع بالذاكرة إلى عهد سحيق، كانت العصابات السلابة تكمن فيه للقوافل المارّة، من هناك، حتى أصبح مجرّد ذكر وادي الحرير يزرع الخوف في القلوب. إلاّ أن السيارات في عهدنا هذا، محت رهبة هذا الوادي وأصبحت الطريق فيه، آمنة كطريق بيروت – عاليه.

عصابة سلابة: لكن عصابة سلابة ظهرت مساء الخميس في هذا الوادي يديرها الشقي المشهور فؤاد علامة.

من هو رئيس العصابة: فؤاد علامة شاب في ٢٩ من عمره، من أهالي قرية بعذران الشوف، اشترك في حوادث السلب والنهب التي وقعت في جبل لبنان خلال سنة ١٩٢٥ – ١٩٢٦، وارتكب بعض جنايات قتل ثم فرّ خارج الحدود، فحوكم غيابياً وحُكم عليه بالإعدام. وفي العام ١٩٣٣، ارتكب جناية قتل في فلسطين، فحُكم عليه من أجلها بالإعدام أيضاً، ثم ارتكب جناية ثالثة في شرق الأردن، وهكذا أصبح طريد العدالة في بلادنا وفلسطين وشرق الأردن، وراح رجال الأمن يتحرّون عنه. وقد أيدّت الإفادات التي استقصيناها من الركاب الذين سُلبوا، أن زعيم العصابة، صرّح علناً للكولونيل تاريت حاكم جبل الدروز، بأنه رئيس العصابة ويدعى فؤاد علامة.

وقد سلبت العصابة ١٥ سيارة، ١٤ كانت قادمة من دمشق إلى بيروت، وواحدة من بيروت إلى دمشق. من بين المسلوبين، بعض البحّارة الفرنسيين، وكانوا عائدين في رحلة من دمشق إلى بيروت، في سيارة كبيرة، وأمرهم ضباطهم أن لا يقاوموا كي لا يقع بينهم ضحايا، ومنعهم من الإتيان بأي حركة.

حاكم جبل الدروز: وفي النهاية وصلت سيارة تقلّ حضرة الكولونيل تاريت حاكم جبل الدروز، وكان مرتدياً ملابسه المدنية، بطريقه إلى بيروت لتشييع فخامة العميد. وقد استعمل الحكمة، فلم يدِ أي مقاومة أو معارضة لاعتقاده أنها لا تفيد، فقدّم إلى الأشقياء محفظة دراهمه، وراح يمعن النظر في وجوههم، فالتفت إليه رئيسهم وقال له: «لا تحدّق إلينا كثيراً، أنا فؤاد علامة». قال الشقي ذلك، وتناول بضع ليرات من محفظة الحاكم وهو يقول: «لا أجهل أنك ذاهب إلى بيروت، ولذلك أقاسمك ما تحمل، وأترك لك ما يؤمن نفقاتك هناك».

ردّاً على ما ذكرته جريدة صوت الأحرار، روى لنا فؤاد حسين علامة ابن أخي المجاهد فؤاد علامة، أن الكولونيل تاريت لدى وصوله إلى الحدود، سأله الخفير، مَن يقطع الطريق؟ فأجابهم: «الشريف فؤاد علامة». ولدى وصول الكولونيل تاريت إلى ظهر البيدر، كانت هناك قوة بإمرة مسعود يوسف بك لطيف، والد اللواء نديم لطيف، فسأله مسعود عن حادثة وادي الحرير، فقال له الكولونيل تاريت: «إن هذا الشاب وسيم وآدمي»، وأنه احترم مدام تاريت، ولم يتعرّض لها على الإطلاق، وقال له: «بشرفي وشرف فرنسا، إذا سلّم نفسه لي، لم أدعه يجلس أكثر من ثلاثة أشهر في السجن. فهو أرجع لي المحفظة ورفض أن يأخذ خاتماً قدمته له زوجتي، فرفض رفضاً قاطعاً الذهب والمال». ولكن الرقيب مسعود لطيف لم يجرؤ على البوح أمام الكولونيل، بأن فؤاد علامة ابن بلدته بعذران كذلك، وهو على صداقة معه[٧٣].

ردود الفعل العسكرية على العملية

ذكرت جريدة صوت الأحرار تحت عنوان «حادثة وادي الحرير» ما يلي[٧٤]:
«لا يزال التحقيق مستمراً في قضية عصابة الأشقياء، التي سلبت السيارات في وادي الحرير. وبما أن حاكم جبل الدروز وبعض الجنود الفرنسيين في جملة المسلوبين، فقد تولّى المدعي العام للمحكمة العسكرية، التحقيق في الحادثة. وقد اهتمت مديرية الأمن العام للحادث اهتماماً خاصاً. فعقدت اجتماعاً حضره الأستاذ أسعد البستاني رئيس البوليس العدلي في لبنان، وقد

تقرر إرسال بعض رجال التحرّي إلى مكان الحادث، لإجراء تحقيق سرّي، ومعرفة هوية الأشخاص الذين ارتكبوا هذه الجناية».

وتحت عنوان «فؤاد علامة قائد عصابة الأشقياء» ذكرت صوت الأحرار ما يلي[٧٥]: «اعتقلت السلطة ٤١ شخصاً من القرويين في بعذران وعين عطا وبكيفا ومناطق البقاع، لاشتباهها بإيوائهم فؤاد علامة وصالح العسل. وإن قيادة الدرك عهدت إلى الياس المدوّر بإدارة الحركات الدركية، في راشيا ومناطق الجنوب لمطاردة عصابة وادي الحرير، وقد استلم أمس أعماله، وقد اتخذ نقاطاً عسكرية، لمنع دخول الأشقياء فلسطين، كما أن السلطة الفلسطينية أخذت بدورها التدابير نفسها».

كما ذكرت صوت الأحرار تحت عنوان: «علامة وصالح العسل» ما يلي[٧٦]: «إن فؤاد علامة وصالح العسل لا يزالان متواريين عن الأنظار، وقد يكونان لجآ مع باقي أفراد العصابة إلى خارج لبنان.

وقد اتصل بقيادة الدرك المولجة بمطاردة الأشقياء، نبأ التجاء الأشقياء إلى قرية السريري، ولما تحرّى الدرك منازل هذه القرية، لم يعثروا إلا على مسدس واحد وثلاث بنادق وكمية من الخرطوش».

كما ذكرت جريدة صوت الأحرار ما يلي[٧٧]: «استطاعت قوة من الدرك اعتقال محمد صالح مهنا من أهالي راشيا وهو في الخامسة والثلاثين من العمر، ثم اعتقلوا أخاه قاسم. وقبل أن يعتقلوه أطلق النار، فأصاب دركيين بجراح خطرة، كما أصاب الأونباشي جبران كرم قائد مخفر جب جنين، بجراح في يده ورجله».

٢

مقتل الليوتنان تينه
١٩-١١- ١٩٢٥م في بكّيفا

بدأت الاستعدادات الفرنسية للدفاع عن قلعة راشيا، فجهّزت الرشاشات الثقيلة ومراكز رمي القذائف، وطوّقت القلعة بستار من الأسلاك الشائكة. كما تمّ تدمير بعض البيوت القريبة منها، ليتسنى للفرنسيين مراقبة محيطها بشكل جيد.

وفي صباح التاسع عشر من تشرين الثاني، توجّهت من داخل القلعة فرقتان للاستكشاف، بناء على طلب قائد الحامية غرانجر، وكانت المفرزة الأولى، بقيادة غينار، توجهت نحو حرمون، والمفرزة الثانية بقيادة الليوتنان غاردي توجهت نحو بيت لهيا، وذلك لرصد تحرك المجاهدين وأمكنة تجمعهم[٧٨].

ولكن المجاهدين تركوا هذه المفارز تتقدم، ثم قاموا بتطويقها، وأصلوها ناراً حامية، فاستطاعوا قتل ثلاثة عناصر وأسر ثلاثة، وجُرح خمسة أنفار، كما أُبيدت معظم الخيول، مما اضطر هذه المفارز إلى طلب النجدة من القوة المرابطة في القلعة.

توجّه الليوتنان تينه من قلعة راشيا نحو العقبة – بكّيفا، قاصداً بيت لهيا، وكان يصطحبه ثمانون عنصراً من الدرك اللبناني، والضباط توفيق طليع وضاهر أبو ملهب والاسبيران سعيد صوما الذي يعمل مترجماً له.

كان المجاهدون في بكّيفا والعقبة يكمنون للقوة المتقدمة، حيث إن المفرزتين السابقتين تشتتا، وكان فؤاد علامة يعاونه مجموعة من المجاهدين يكمن في بكيفا، ومجموعة أخرى يقودها أحمد هاني في العقبة، إضافة إلى عدد من سكان هاتين البلدتين، الذين يحملون السلاح دفاعاً عن بلداتهم.

ولدى وصول القوة إلى غربي العقبة، أطلقت مجموعة فؤاد النار عليها، فقتل الأسبيران سعيد صوما الذي كان يسير إلى جانب الليوتنان تينه، فهوى عن حصانه، وانبطح تينه على الأرض، يزحف طلباً للنجاة، ويختبئ في إحدى سواقي الماء ريثما يتوقف إطلاق الرصاص. وقد استمرّ إطلاق النار على تينه ومجموعته زهاء الساعة، فأمر تينه المجموعات بالتراجع، وأن يتم الانسحاب بشكل تكتيكي، حيث طلب منهم التراجع كمجموعات صغيرة حتى لا تتعرّض كلها للإبادة.

حاول قسم من هذه الشراذم التقدّم نحو العقبة، فتصدّى لهم فؤاد علامة ومجموعته، فاتجهوا شمالاً، وهبطت القوة المنسحبة إلى وادٍ يقع ما بين العقبة ومزرعة السماح. وكانت قوة صغيرة تقف مع الملازم ضاهر بو ملهب بعيدة حوالي خمسين متراً عن تينه. قام بو ملهب بإرسال الدركي الياس المعلوف إلى تينه، كي يقدم له حصاناً يمتطيه بعد أن فقد جواده، فما كان من مجموعة فؤاد إلاّ أن صرعت الياس معلوف وحصانه، فجزع تينه لهذا المنظر، وهبّ يهرول يريد التقدّم باتجاه راشيا، في هذه الأثناء، وصلت نجدات من القلعة لفك الحصار عن قوة تينه، فقامت هذه النجدة بإطلاق الرصاص بغزارة على قرى العقبة وبكيفا ومزرعة السماح، حيث استطاعت قوة تينه رفع رؤوسها والتوجه نحو بكيفا – راشيا.

قام أبو ملهب بإرسال جواد آخر إلى تينه بواسطة النفر راغب طالب، واستطاع تينه تحت هذا الغطاء الكثيف، أن يتقدم على حصانه يريد الفرار، فما كان من فؤاد ومجموعته إلاّ أن تعقبه والتف عليه، وأطلق النار عليه فهوى عن حصانه، حيث أصابته رصاصة في خاصرته اليمنى ورصاصة اخترقت صدغه الأيسر وخرجت من صدغه الأيمن. وعندما سقط تينه، فرّ العسكر من حوله، وقام فؤاد ومعه يوسف الهبري وعلي العسل وكنج العسل وآخرون بأسر النفر راغب طالب وانتزعوا منه سلاحه، ثم تقدم فؤاد وأجهز على تينه وسحب منه مسدسه للذكرى، ثم قام كنج العسل بأخذ ساعته وتركوه في ساحة البلدة.

بعد هذه العملية، توجه فؤاد علامة ومجموعته إلى العقبة، فالتقى مع أحمد هاني، وأبلغه بمقتل الضابط تينه، الذي أقرّ راغب طالب عن اسمه، ثم أطلقوا فيما بعد سراح هذا العسكري[٧٩].

وفي اليوم التالي، توجه فؤاد علامة وأحمد هاني ومجموعاتهما إلى منطقة راشيا قرب القلعة وأسهموا مع المجاهدين في اقتحام قلعتها.

أما السلطة اللبنانية، فإنها اعتقلت في نهاية عام ١٩٢٦ كلاً من يوسف الهبري وكنج العسل وعلي العسل وشهاب العوام وسعيد فياض ومزيد مغامس وعشرات المجاهدين، حيث اتهمت كلاً من يوسف الهبري وعلي وكنج العسل وشهاب العوام بقتل تينه. وقد حوكموا أمام المجلس العدلي في ١٠ أيار ١٩٢٧، ولكنهم جميعهم أنكروا هذه التهمة وقال يوسف الهبري إنه لم يطلق الرصاص على تينه، كما أنكر ذلك الباقون[٨٠].

ولكن السلطة أصدرت حكماً قضى بإعدام الهبري وكنج العسل وحُكم على شهاب العوام وعلي العسل بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة. إلاّ أن رئيس الجمهورية أبدل قرار الإعدام على كنج العسل إلى حكم المؤبد مع الأشغال الشاقة، بينما أُعدم رفيقه يوسف الهبري في ١٨ أيار ١٩٢٧. كما صدرت على المجاهدين الآخرين من قرى بكيفا والعقبة وكوكبا أحكاماً تراوحت بين خمس سنوات وخمس عشرة سنة مع الأشغال الشاقة، ولم تستطع السلطة القبض على فؤاد علامة أو أحمد هاني وباقي أفراد المجموعة التي انتقلت إلى الأزرق بعد انتهاء الثورة السورية الكبرى.

حقائق حول إبدال حكم الإعدام

قامت شقيقة كنج العسل بزيارة معظم القيادات الدرزية، من أجل التوسّط لأخيها، ولكن لم يستطع أحد مساعدته. فذهبت إلى سجن الرمل وقابلت أخاها، وأخبرته أن لا أحد من الزعماء يستطيع إلغاء عقوبة الإعدام التي يتوقّعها. فقام كنج العسل بكتابة رسالة إلى الأمير فؤاد أرسلان، جاء فيها: «عطوفة الأمير فؤاد أرسلان المعظّم: عبيدكم تحت حبال الموت أنقذونا يا خليفة الله». حملت شقيقته الرسالة وذهبت فوراً إلى مكتب الأمير فؤاد أرسلان، فطلبت من الحرس مقابلته، فرفضوا، فصرخت بوجههم فسمع الأمير صراخها، فقام من مكتبه وطلبها، قامت شقيقة كنج بتسليمه الرسالة، وعندما قرأها ارتجف واقشعرّ جسمه، فصاح بها: «مَن هو المحامي المكلّف بالدفاع عنه؟» فأخبرته عن اسمه. اتصل الأمير فؤاد بمحامي كنج

العسل، فقال له المحامي: «إنّه يتوقّع إصدار حكم بالإعدام على كنج العسل قريباً، ولا يستطيع المساعدة بشيء». بعد ذلك، اتصل الأمير فؤاد برئيس الجمهورية، وطلب منه المساعدة، فردّ عليه رئيس الجمهورية بأنّ القرار ليس في يده، بل هو في يد المفوض السامي.

نهر الأمير فؤاد مرافقه، وطلب منه أن يوضّب له حقائبه، وبعد ذلك، استقلّ سيارته وتوجّه إلى قصر الصنوبر لمقابلة المفوض السامي. ولدى وصوله نزل المفوض للقائه في باحة الدار، وعانقه وطلب منه الدخول، فرفض الأمير فؤاد قائلاً له: «إنني حزمت حقائبي، وسأخرج من هذه البلاد وسنعود إلى إشعال الثورة ثانية، إذا لم تكسر حكم الإعدام بحق كنج العسل». فاستجاب المفوض السامي إلى طلب الأمير فؤاد، واتصل برئيس الجمهورية طالباً منه إبدال قرار الإعدام الذي سيصله بحق كنج العسل إلى الحكم المؤبد. فشكر الأمير فؤاد المفوض السامي، وعاد إلى مكتبه، وهكذا بالفعل، أُبدل القرار الصادر من المحكمة بالإعدام على كنج العسل إلى الحكم المؤبد مع الأشغال الشاقة[٨١].

هوامش مجموعة فؤاد علامة

١ مقابلة شخصية مع ابن أخيه فؤاد حسين علامة في بعذران في ٢٠٠٣/١/١٩.

٢ مقابلة شخصية مع فؤاد حسين علامة في ٢٠٠٣/١/٣١.

٣ مقابلة شخصية مع نجل المجاهد فندي أبو ياغي في كفرفاقود في ١٩٩٩/٩/٩.

٤ كرم ملحم كرم، مجلة ألف ليلة وليلة، ص ٥٧.

٥ أدهم آل جندي، تاريخ الثورات السورية الكبرى، ص ٢٠٩. وحديث ابن أخيه فؤاد حسين علامة.

٦ فؤاد حسين علامة في ٢٠٠٣/٣/٢٧.

٧ ورد ذلك في مجلة ألف ليلة وليلة، وفي مذكرات سلطان باشا الأطرش ص ١٧٠ ومقابلة مع فخر الدين هاني، ومع ابن أخيه فؤاد حسين هاني.

٨ فؤاد حسين هاني، مصدر سابق.

٩ مقابلة شخصية مع السيد رجا سلوم في بعقلين في ٢٠٠٣/٣/٢٥ ومع ابن أخيه فؤاد علامة.

١٠ فؤاد حسين علامة، مصدر سابق، في ٢٠٠٣/٣/٢٧.

١١ جريدة صوت الأحرار، عدد ١٣ أيار ١٩٣٥، ص ٤.

١٢ جريدة صوت الأحرار، عدد ٢٤ أيار ١٩٣٥، ص ٤.

١٣ جريدة صوت الأحرار، عدد ١١ أيار ١٩٣٥، ص ٤.

١٤ جريدة صوت الأحرار، عدد ١٥ أيار ١٩٣٥، تذكر الإعتقالات والأعمال القمعية.

١٥ مقابلة مع فؤاد حسين علامة، ٢٠٠٣/٣/٢٧.

١٦ راجع جريدة النهار أعداد ٦، ٧، ٨ تشرين الثاني ١٩٣٥ وصوت الأحرار أعداد ٦,٧، ٨، ٩ تشرين الثاني ١٩٣٥.

١٧ مقابلة مع فؤاد حسين علامة، ٢٠٠٣/٣/٢٧.

١٨ مقابلة شخصية مع نجله هايل مجيد راجح في بعقلين في ٢٠٠٣/١/١٠.

١٩ مقابلة شخصية مع نجله هايل مجيد راجح في بعقلين في ٢٠٠٣/١/١٠.

٢٠ راجع أعداد لسان الحال وصوت الأحرار في ١٩٣٥/٥/١١ وأعداد ١٠/٥ حتى ١٩٣٥/١٠/١٠.

٢١ راجع جريدة البيرق، عدد ١٣ آذار ١٩٣٧.

٢٢ مقابلة مع الشيخ زاكي ملحم علم الدين في بعقلين في ٢٠٠٢/٨/٢٦.

٢٣ مقابلة شخصية مع رشيد حسين راجح في بعقلين في ٢٠٠٢/٨/٢٠.

٢٤ راجع لسان الحال، عدد ١٩٣٥/١٠/٥.

٢٥ الشيخ زاكي علم الدين، مرجع سابق.

٢٦ نُفِّذ حكم الإعدام في ١٩٣٧/١٢/١٥. راجع جريدة النهار عدد ١٩٣٧/١٢/١٦.
٢٧ و٢٨. لقاء شخصي مع ابن أخيه أمين شريف شمس في مدينة عاليه في ٢٠٠٣/٥/٦.
٢٩ استشهد وديع شمس شقيق المجاهد كامل شمس في معركة الفالوج قرب راشيا، راجع مذكرات سلطان باشا الأطرش ج٢، ص ١٧.
٣٠ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج٢، ص ١٨.
٣١ السيد أمين شمس، مصدر سابق.
٣٢ شريف شمس شقيق المجاهد كامل شمس، وحدثنا بذلك نجله أمين شمس.
٣٣ جريدة البشير، عدد ١٩٣٥/١٠/٣١.
٣٤ مقابلة شخصية مع رفيقه سعيد محمد فياض في بكيفا في ٢٠٠٣/٤/١٠.
٣٥ جريدة صوت الأحرار، عدد ١٩٣٥/٥/٢٤ وفيها تشويه للحقيقة وللواقع.
٣٦ مقابلة شخصية مع السيد فؤاد حسين علامة في بعذران في ٢٠٠٣/٣/٢٧.
٣٧ مقابلة شخصية مع السيد رشيد راجح، مصدر سابق.
٣٨ جريدة صوت الأحرار، عدد ٢٤ أيار ١٩٣٥.
٣٩ جريدة صوت الأحرار، عدد ١١ أيار ١٩٣٥.
٤٠ جريدة البشير، عدد ١٩٣٥/١٠/١.
٤١ جريدة صوت الأحرار، عدد ١٩٣٥/١١/١٦.
٤٢ جريدة البيرق، عدد ٢١ شباط ١٩٣٧.
٤٣ و٤٤. جريدة البيرق أعداد ٢ و ٤ آذار ١٩٣٧.
٤٥ راجع جريدة بيروت، وجريدة النهار عدد ٦ آذار ١٩٣٧.
٤٦ جريدة البيرق، عدد ١٩٣٧/٣/١٢.
٤٧ جريدة البيرق، عدد ٣٠ آذار ١٩٣٧.
٤٨ جريدة البيرق، عدد ١٤ نيسان ١٩٣٧.
٤٩ جريدة البشير، عدد ٢٨ نيسان ١٩٣٧.
٥٠ جريدة البيرق، عدد ٣١ أيار و١ حزيران ١٩٣٧.
٥١ حدثت السيد رشيد حسين راجح شقيق المجاهد خليل راجح، لأنه كان متوجهاً إلى فلسطين لزيارة أخيه، وقد شاهد جثة إسماعيل عبد الحق على طريق عكا في ١٩٣٧/٦/١ شخصياً، ورأى مئات المواطنين يحتشدون لرؤيتها. وفي اليوم التالي، أطلقت السلطة الفلسطينية – البريطانية، سراح المعتقلين في قرى بقعاتا والبقيعة حيث كانوا يسهرون سوياً مع إسماعيل عبد

الحق، ومن بينهم أشخاص من بعقلين.

٥٢ و٥٣. راجع جريد النهار عدد ١٩٣٥/١٠/٢٨.

٥٤ مقابلة شخصية مع الشيخ سعيد محمد فياض رفيق المجاهد صالح العسل في بكيفا في ٢٠٠٣/٤/١٠.

٥٥ مقابلة شخصية مع الشيخ إبراهيم العسل في بكيفا في ٢٠٠٣/٤/١٠.

٥٦ الشيخ سعيد فياض، مصدر سابق.

٥٧ جريدة صوت الأحرار، عدد ١٩٣٥/١١/١٦.

٥٨ جريدة البشير، عدد ٤ نيسان ١٩٣٦.

٥٩ راجع جريد النهار عدد ١٩٣٥/١٠/٢٨.

٦٠ مقابلة شخصية مع نجله الشيخ رفيق رشيد حماده في بعقلين في ٢٠٠٣/١/١٥.

٦١ جريدة لسان الحال، عدد ١٩٣٧/١٠/٥.

٦٢ الشيخ رفيق رشيد حماده، مصدر سابق.

٦٣ مقابلة شخصية مع نجله حسين رشيد راجح في بعقلين في ٢٠٠٢/٨/٢١ ومع ابن عمه رشيد.

٦٤ مقابلة شخصية مع السيد رجا سلوم في بعقلين في ٢٠٠٢/٨/٢٧.

٦٥ مقابلة شخصية معه في منزله في بكيفا في ٢٠٠٣/٤/١٠.

٦٦ مقابلة شخصية مع أخيه رشيد حسين راجح في بعقلين في ٢٠٠٢/٨/٢٠.

٦٧ جريدة البيرق، عدد ١٣ آذار ١٩٣٧.

٦٨ مقابلة شخصية مع أخيه رشيد حسين راجح في بعقلين في ٢٠٠٢/١١/٢٥.

٦٩ فؤاد حسين علامة، مصدر سابق.

٧٠ رشيد حسين راجح، مصدر سابق.

٧١ فؤاد حسين علامة، مصدر سابق.

٧٢ جريدة صوت الأحرار، في ١٩٣٥/٥/١١.

٧٣ مقابلة شخصية مع السيد فؤاد حسين علامة في بعذران في ٢٠٠٣/١/٣١.

٧٤ جريدة صوت الأحرار، عدد ١٩٣٥/٥/١٤.

٧٥ جريدة صوت الأحرار، عدد ١٩٣٥/٥/١٥.

٧٦ جريدة صوت الأحرار، عدد ١٩٣٥/٥/٢٠.

٧٧ جريدة صوت الأحرار، عدد ١٩٣٥/٥/١٦.

٧٨ جريدة لسان الحال، عدد ١٩٢٧/٥/١٤.

٧٩ حديث شخصي مع السيد فؤاد حسين علامة في بعذران في ٢٠٠٣/٣/٢٧.

٨٠ جريدة لسان الحال عدد ٥/١٢ و ١٧ و ١٩٢٧/٥/١٨.

٨١ جريدة لسان الحال عدد ١٩٢٧/٥/١٨، وحديث شخصي ذكره لنا السيد خليل قاسم أبو خزام في ٢٠٠٣/٥/٦ في منزله في كفرحيم حيث روى لنا حادثة شقيقة كنج العسل مع الأمير فؤاد أرسلان.

٧

بعض الأحكام والإجراءات التي قامت بها السلطة المنتدبة في لبنان

في خلال فترة الانتداب، وإبّان اشتداد الحملة المناوئة للوجود الاستعماري الفرنسي في المشرق العربي، التي قادها عشرات المجاهدين في جبل لبنان، أقدمت السلطة على تنفيذ عدد من الإجراءات العسكرية التعسفية، بحق هؤلاء الوطنيين الشرفاء، تناولت فيها أحكاماً بالإعدام غيابية ووجاهية، وأحكاماً بالسجن المؤبد والأشغال الشاقة، كما تناولت في معظمها إجراءات صارمة بحق الوطنيين الأبرياء، حيث تمّ القبض على الآلاف الأشخاص في جبل لبنان، وتعرضوا للإهانة والتعذيب بحجة مساعدة المجاهدين. إضافة لذلك، أقدمت السلطة على عزل كبار الموظفين في سلك الدولة، كما عزلت مخاتير ومشايخ صلح في عدد من القرى في الشوف وعالَيه والمتن، فتمّ تحويل بعضهم إلى المجلس العدلي، تحت حجج وذرائع مختلفة، رمت من ورائها السلطة إلى إرهاب المواطنين والتنكيل بهم. وإننا إذ نذكر هنا بعض هذه الإجراءات حسب تسلسلها الزمني، وهي جزء بسيط تيسّر لنا الإطلاع عليه، يُبيّن بوضوح مدى القمع الذي مارسته السلطة وأعوانها لتثبيت أقدام الانتداب.

١ . تحت عنوان «الإعدام في لبنان» ذكرت جريدة الحقيقة ما يلي:
حكم المجلس العسكري في لبنان بحادثة عين تراز على كل من: فندي أبو ياغي وأخيه عارف وعلي يوسف علي وأخيه سلمان وعلي حسين أحمد ويوسف حمندي وفهد أمين فهد بعشرين سنة في الأشغال الشاقة. وعلى كل من وجيه بك نكد وجاهياً وشريف بك نكد غيابياً بخمسة عشر سنة،

ورؤوف بك نكد خمس سنين، وحكمت أيضاً على عدة أشخاص بالحادثتين أحكاماً لا تتجاوز الستة أشهر.

وحكمت بحادثة قتلى الدامور بإعدام عامر أحمد خداج ورشيد محمود أبو علي وبركات ملحم يوسف ورشيد محمود سليمان وحمزة داوود ونايف يوسف الحداد. وعلى كل من خطار قاسم وأرسلان خطار وعباس حسين صالح وفرحان حمد بعشرين سنة أشغال شاقة، وعلى كل من أحمد عباس خداج، داود وعلي الدين ١٥ سنة.

٢. قرار نمرة ١٨٢ – القومندان ترابو – حاكم لبنان الكبير

بناء على القرار نمرة ٣١٨ الصادر في ٣١ آب، والقرار نمرة ٣٣٦ الصادر في ١٦ أيلول ١٩٢٠ بإنشاء لبنان الكبير ووضع نظام إداري مؤقت له. وبناء على القرار نمرة ٣٣٩ الصادر في أول أيلول بتعيين الكابتن دي فريجات ترابو حاكماً للبنان الكبير، وحيث أن سليم أفندي علم الدين المستشار في مجلس الاستئناف في بيروت قد مسّ القضاء، لأنه في ٢٨ الجاري، تغدّى في بيت، وعلى مائدة شخص متهم بمسألة جنائية، عرفها علم الدين أفندي بصفته عضواً في دائرة الاتهام، التي اتهمته منذ بضعة أيام وعُرف أكثر من ذلك.

وبناء على طلب مدير العدلية وبعد استشارة للمستشار القضائي يُقرّر:

١. فصل سليم أفندي علم الدين المستشار في مجلس الاستئناف من وظيفته.

٢. على مدير العدلية ومدير المالية تنفيذ هذا القرار وكل ما يتعلق به.

بيروت ٣٠ ت٢ ١٩٢٠

ترابو حاكم لبنان الكبير

٣. ورد في جريدة لسان الحال ما يلي:

إطلاق سراح المسجونات الدرزيات الموقوفات بسبب حوادث الشوف الأخيرة. وقد أمر حاكم لبنان إطلاق سراحهن بناء على رجاء شيخي العقل من سجون بيت الدين وجديدة المتن.

٤. إطلاق سراح معتقلين:

أذنت السلطة العسكرية في الشوف بإطلاق سراح كل من: أمين بك حماده، محمود أفندي الطويل، وسلوم أفندي قاسم حماده المعتقلين في بعبدا.

٥.

فرضت الحكومة على معاصر الشوف مبلغ ألف ليرة سورية غرامة مالية على أهالي قرية معاصر الشوف، بدعوى أن أشقياء أقدموا على تخليص رفيق لهم وقتل الدركي شكري حرب.

٦.

حكم المجلس الحربي بالحبس ٣ أشهر وغرامة ٢٥٠ فرنك على داوود شبلي من عماطور لاقتنائه أسلحة ممنوعة. وعلى زين بن خالد شاكر الصمد من بعقلين بالحبس شهرين وغرامة ٢٠٠ فرنك للسبب نفسه.

٧. في المجلس العسكري:

كان المجلس الحربي الفرنساوي في الثغر، قد حكم غيابياً بالإعدام على المدعو علي يوسف من أهالي ديربابا الشوف، لقتله المرحوم فؤاد بك جنبلاط، ولاشتراكه وعصابة الشقي المعروف شكيب وهاب. وبعد إلقاء القبض على علي المذكور، أُعيدت محاكمته قبل ظهر أمس، وبعد التأمل أصدر المجلس قراراً بتبرئته، وإخلاء سبيله لعدم ثبوت الجناية عليه.

٨. في المجلس الحربي:

حكم المجلس الحربي الفرنساوي على حسن عبد الخالق من مجدل بعنا بالسجن ٢٠ سنة والنفي ٢٠ سنة، والذي قُبض عليه أثناء احتلال مجدل شمس، وذلك لمساعدته الثوار بالزاد والعتاد، وحُكم على المدعو محمود إسماعيل من جب جنين ٢٠ سنة بالأشغال الشاقة، لاشتراكه مع عصابة شكيب وهاب بالاعتداء على راشيا.

٩. شيخ رأس المتن:

على أثر التحقيق الذي أجراه يوسف أفندي شربل مع أسعد مكارم شيخ رأس المتن، أصدر رئيس الجمهورية مرسوماً بعزل الشيخ المذكور من وظيفته، وربما أُحيل إلى المجلس العدلي، بتهمة إيواء رجال العصابات.

١٠. المتهمون بإيواء العصابات:

تابع المحقق العدلي يوسف أفندي شربل التحقيق مع علي مكارم شيخ قرية رأس المتن وكل من فارس مكارم وفارس نويهض بتهمة إيواء رجال العصابات.

.١١

عُزل سلامة الغضبان وسليم شرف الدين الحسنية مختار وشيخ صلح عين وزين لإهمالهما إخبار الحكومة عن وجود أشقياء في قريتهما.

.١٢

عُزل سليمان ضاهر وأمين حسين عبد الصمد شيخا صلح قريتي المختارة وعين قني من محافظة الشوف، لأنهما لم يُعلما الحكومة عن وجود أحد الشذاذ في قريتهما.

.١٣

قُبض على مختار عين وزين والبنّيه والجاهلية وفرض غرامات على القرى التي ثبت أنها تأوي العصابات وتخفي أمرها عن السلطة.

.١٤

أُطلق سبيل عجاج شاهين شيخ قرية بطمه لعدم وجود أدلة في الجرم المنسوب إليه.

١٥. الحكم على جناية ضهر البيدر:

نحو الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر يوم الأربعاء لفظ المجلس العدلي

حكمه بالإعدام على أمين محمد ملاعب لثبوت اشتراكه عمداً في جناية ضهر البيدر وحاصبيا والمتن. وقد صدّق رئيس الجمهورية حكم الإعدام، وموعد تنفيذه نهار غد السبت عند بزوغ الفجر. وحُكم على كل من نجيب وحمود ملاعب بالسجن سنة واحدة لثبوت إيوائهما أمين المذكور. وبرّأ كل من فندي عدنان ويوسف زيدان وسلمان عسّاف.

١٦. في المجلس العدلي:

مساء أول أمس حكم المجلس العدلي في الثغر، بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة على الثائر المدعو محمود زيتونة وبالسجن مدة ١٥ سنة مع الأشغال الشاقة على كل من محمود المشطوب وداوود محاسن. وبالسجن ستة أشهر على كل من حسين صالحة ويوسف غزال وسعيد المشطوب. الأولون لمحاولتهم قتل أنطون يوسف هاشم وولديه مسعود وداوود وزوجته، والآخرون لإيوائهم الثوار وتقديم ما كانوا يحتاجون إليه من أكل وشرب.

١٧. بناء على اقتراح وزير العدلية يرتسم ما يلي:

المادة الأولى: كُفّت يد سعيد بك زين الدين الرئيس الأول لدى محكمة الاستئناف وملحم بك حمدان المحامي العام لدى محكمة التمييز. وأُحيلا إلى المجلس التأديبي وذلك من أجل الأعمال المنسوبة إليهما في التقرير المذكور.

١٨. حول جناية بيصور:

عاد المحقق العدلي فيليب أفندي بولس من بيت الدين بعد أن انتهى من التحقيق في جناية مقتل الأونباشي مهنا إبراهيم في قرية بيصور من يد الشقي أحمد دعيبس. وقد أصدر مذكرة توقيف بحق سبعة من أهالي القرية بتهمة تدخل فرعي في الجناية وإيواء الشقي وهم: حسن أحمد العريضي وزوجته عطارد وابنته لميس. وعبد الله العريضي وأمين أسعد العريضي والشيخ نجيب مسعود صبح. فقبض عليهم وأحيلوا إلى نيابة المجلس العدلي العامة. وقد أوقف القومندان روزنفالون والد القاتل الفار ووالدته واعتقلهما في بيت الدين بصفة رهينتين.

١٩. في المجلس العدلي:
تابع المجلس العدلي استماع أقوال الشهود قبل ظهر أمس في قضية داود غرزالدين، وبعد نهاية استماع الشهود، وقف المحامي فؤاد بك عمون وألقى مطالعته، فطلب الحكم على المتهم بالإعدام، بصفته محرضاً للعصابات التي دخلت المتن، وإغراء أفرادها بالمال والأعتدة على الفتك بالمسيحيين في ذلك القضاء. وأدلى على صحة ذلك بإفادات شهود الحق العام وظروف وقوع الحوادث.

وبعد الانتهاء من مطالعته وقف المحامون عن المتهم (يوسف السودا وملحم غرز الدين)، فدافعوا عن موكلهم دفاعاً شديداً، وطلبوا في ختام دعوتهم تبرئته. وقد حكم المجلس العدلي عليه بالسجن المؤبد بأكثرية ثلاثة أصوات مقابل صوتين طلبا الإعدام. وحُكم في الدعوى على محمود علي المشطوب ٣ سنوات لإدلائه بشهادة كاذبة.

٢٠. الحكم في جناية المشرفة:
اجتمع المجلس العدلي المختلط عند ظهر أمس لتلاوة قرار الحكم في مقتل الضابط إبراهيم الخوري في قرية المشرفة، فحكم على أسعد سليمان سراي الدين بالأشغال الشاقة المؤبدة وضبط أمواله وأملاكه، وعلى شاهين محمد سراي الدين بالأشغال الشاقة ١٥ سنة مع ضبط أمواله وأملاكه، وعلى الشيخ قاسم عجيب بالسجن ثلاث سنوات مع إسقاطه من الحقوق المدنية، وعلى المختار أحمد حمدان بالسجن سنتين مع إسقاطه من الحقوق المدنية، وعلى جميلة زوجة أسعد سليمان سراي الدين بالسجن سنتين، وبرأت ساحة أمين محمد سراي الدين.

٢١. في المجلس العدلي:
يلتئم المجلس العدلي قبل ظهر السبت المقبل، لمباشرة محاكمة كل من: سامي بوعرم وسليم حمية وسجيع العكاز وسعيد حمزة سراي الدين، بتهمة الاشتراك مع عصابات الشوف.

٢٢. في المجلس العدلي:
اجتمع المجلس العدلي المختلط أمس برئاسة المسيو أفيليه لمحاكمة سليم مرعي الفار من وجه الحكومة والمتهم بقتل إسكندر شاهين في بتاتر، وحمدان شاهين زويهد الموقوف والمتهم بسلب صندوق بريد حاصبيا والتحاقه بعصابات زيد الأطرش. وحكم المجلس العدلي بإعدام سليم مرعي وتبرئة حمدان شاهين زويهد.

٢٣. في المجلس العدلي:
اجتمع المجلس العدلي المختلط قبل ظهر أمس برئاسة المسيو أفيليه لمحاكمة يوسف وأسعد ملاعب المتهمين بقتل المكّارين الخمسة في ضهر البيدر. فتليت أوراق الإحالة الأوليّة ومضبطة الاتهام، وبعد استماع أقوال الشهود، ومطالعة النائب العام فؤاد بك عمون، اختلت هيأة المجلس، وعادت فأصدرت حكمها على المتهمين المذكورين بالإعدام.

٢٤.
جيء أمس إلى بيروت بعلي العريان، المطلوب من لدن المحقق العدلي أفندي شربل، بتهمة الاشتراك بقتل سليم عربي مختار قرية كفرقوق انتقاماً منه، لإدلائه شهادة ضد آل العريان. وبعد أن استنطقه، أصدر بحقه مذكرة توقيف غير مؤقت وأودع السجن.

٢٥. في المجلس العدلي:
حكم المجلس العدلي في قضية مقتل الدركي أسعد نصر في رويسات صوفر في ١٩٢٦/٦/٦ على سعيد حمزة سراي الدين بالإعدام حكماً غيابياً، وحكم وجاهياً على كل من: سليم بوعرم وسامي بوعرم ومحمود زيتونة، بالأشغال الشاقة المؤبدة، وعلى داوود محاسن وفارس السرحمولي ١٥ سنة أشغال شاقة.

٨

إسهام المجاهدين اللبنانيين الدروز في الثورات

أ

مجاهدو المجموعات اللبنانية في الثورة السورية الكبرى

جبل الدروز تحت الحكم الفرنسي

بعد وفاة الأمير سليم الأطرش حاكم جبل الدروز في ١٥ أيلول ١٩٢٣، دخل الفرنسيون على خط إثارة الخلافات والدسائس بين الزعماء الدروز، وخصوصاً آل الأطرش، لتولي هذا المنصب الشاغر، وكان للمستشار كاربييه، الذي خلف القومندان ترانكا، اليد الطولى في إحداث هذا الشرخ، سعياً للوصول إلى تنصيب نفسه حاكماً للجبل دون منازع[١].

وفي مدة وكالته التي لم تتجاوز الأشهر الثلاثة، اتخذ إجراءات وتدابير إدارية عدة، أهمها تخفيض عدد المديريات في الجبل، ثم حلّ المجلس النيابي، وانتخاب بديل له في أربع وعشرين ساعة، حيث جاء بمجلس يمنحه السلطة والصلاحيات في مرحلة قادمة[٢].

أسباب اندلاع ثورة ١٩٢٥

بعد تسلم الكابتن كاربييه مسؤولية حاكمية جبل الدروز، شرع بتنفيذ سياسة رعناء ضد سكان الجبل وزعمائه، فعمد إلى إهانة العديد من قادة الجبل، ونشر بذور الخلاف بين أبنائه، والتدخّل في الشؤون الدينية الداخلية، فضلاً عن محاولته تغيير النمط الاجتماعي للمجتمع الدرزي[٣]. هذه الإجراءات سعى إلى فرضها بالقوة، واستعمل العنف والشدة في تطبيقها، وزرع قرى الجبل برجال الإستخبارات، ينقلون إليه تقارير يومية عن الحالة العامة، فالويل لكل مَن يخالف أمراً، أو ينفذ عملاً دون معرفة هؤلاء العملاء وأسيادهم.

وفي خلال سنة ونصف من هذا الحكم الجائر، الذي لم يشهد له الجبل مثيلاً حتى في أيام الجور العثماني، بدأت بذور الثورة والتمرّد تفرّخ، في أرض خصبة صالحة.

ففي الخامس من نيسان ١٩٢٥، قام الجنرال ساراي الذي حل مكان ويغان، بالتوجه إلى جبل الدروز[٤]، في زيارة تفقدية، فقام الكابتن كاربيه بحشد الألوف من الدروز عنوة لاستقبال سيّده، وإظهار رضى الدروز عن سياسة فرنسا في الجبل.

لكن الأحرار الوطنيين عرفوا مدى خطورة السياسة التي يتبعها كاربيه، فكلفوا الأمير حمد الأطرش أن يقوم على رأس وفد بمقابلة ساراي، يحمل إليه عريضة تضم شكاوى السكان ومطالبهم. رفض ساراي استقبالهم في السويداء وأرسل بطلب الوفد إلى دمشق، ذهب الوفد إلى دمشق، وحصل تلاسن بين ساراي وأعضائه، فما كان من الزعيم عقلة القطامي[٥] إلا أن واجه ساراي، فأمر باعتقاله، وطلب من الوفد مغادرة دمشق إلى السويداء وإلا ألحقهم بزميلهم.

وتصاعدت وتيرة التوتر الدرزي ضدّ فرنسا، فرأى المفوض السامي الجنرال ساراي، أن المخرج يكون بإبعاد كاربيه عن جبل الدروز مؤقتاً، وتعيين الكابتن رينو مكانه في ١٧ أيار ١٩٢٥[٦]. رحّب الدروز بتعيين الكابتن رينو، وقدموا من قرى الجبل كافة للسلام عليه، ورفعوا له لائحة كبيرة بالتعديات والانتهاكات والمظالم التي مارسها كاربيه، وأملوا منه إيصال هذه الشكاوى إلى المراجع الفرنسية الكبرى، وطلبوا منه مساعدتهم، مع إشعاره بأن عدم سماع المسؤولين الفرنسيين لهذه الشكاوى، سيؤدي إلى مظاهرات وأعمال عدائية بين الطرفين.

بذل الكابتن رينو تساهلاً ملحوظاً مع قادة الدروز في سوريا، وربما كان يطمح من جراء هذه التسهيلات، إلى تسلمه الحاكمية بدلاً من كاربيه، وقد أوعز للقادة بتشكيل وفد للذهاب إلى بيروت، ومقابلة ساراي، ذهب الوفد الدرزي إلى بيروت، لكن ساراي رفض مقابلته، فعاد الوفد خائباً، في حين كانت التجمعات الدرزية في قرية المزرعة، تنتظر نتائج ذلك اللقاء، ولما علموا بالنتيجة، شاع جو من الاستنفار والعداء لفرنسا، وبدأت النخوات

والحداء للقيام بالثورة[٧]، فقام الكابتن رينو بنقل ذلك إلى رؤسائه، ولكن مواقف رينو لم تعجب جماعة حزب العسكر الفرنسي، الملتف حول ساراي، فأقنعوه بعزل رينو، واتهموه بأنه وراء التساهل مع جبل الدروز، وطلبوا منه إعادة كاربيه، وهذا ما حصل بالفعل. فقد قطع كاربيه إجازته، وعاد إلى جبل الدروز لاحقاً.

في هذه الأثناء، دعت الجمعية الوطنية السريّة التي تضم نخباً جيدة من الشباب الدرزي، إلى التظاهر في ساحة السويداء في الثالث من تموز ١٩٢٥، فانطلقت التظاهرة من ساحة الطرشان باتجاه مقر المجلس النيابي الدرزي، وبدأت الجموع تندد بكاربيه[٨] وسياسته الظالمة وتدعو إلى إسقاطه، وفي الوقت نفسه، كانت نداءات تشكر رينو وتبارك مواقفه. ولكن في هذه اللحظات الحاسمة، يخرج المجلس النيابي بقرارات خطيرة، أهمها الطلب بعودة كاربيه إلى جبل الدروز وذلك بضغط من رئيسه، عميل السلطة فارس سعيد الأطرش، الذي خرج من المجلس ليلاقي نصيبه من أعمال الإهانة والضرب على يد الشبان الأحرار، ولولا تدخل الأمير حمد الأطرش، لكان مصيره الموت المحتّم.

في أثناء ذلك، هرعت قوة تقدّر بأكثر من مئة جندي بقيادة الكابتن موريل صديق كاربيه الحميم، فاشتبكت مع المتظاهرين، فصمد المجاهدون، وتراجعت القوة، وأُصيب موريل بجراح، وقد حال الكابتن رينو دون وقوع مزيد من أعمال العنف[٩].

ولدى وصول هذه الأنباء إلى دمشق، هاجت السلطة الفرنسية، وقامت بفرض شروط قاسية على جبل الدروز، وتم إبلاغها إلى رينو وقام بدوره بإيصالها، فرفض الدروز قسماً منها، ووافقوا على بعضها. وأهم الشروط المرفوضة هي: تسليم المتظاهرين وزعمائهم للسلطة[١٠].

إزاء ذلك، قامت السلطة الفرنسية بدفع قوة عسكرية بقيادة القومندان تومي مارتان بتاريخ ٦ تموز ١٩٢٥، عن طريق بصرى الشام، فدخل السويداء، يحمل في جعبته أمراً بتسلّم الوكالة من رينو[١١]، الذي رجع إلى وظيفته في دوائر الاستخبارات الفرنسية في دمشق. لم يتقدم أحد من أعيان الدروز للترحيب بهذا الحاكم الجديد، فهم في انتظار ما سيقوم به.

بادر مارتان إلى خداع قادة الدروز، فطلب منهم الاجتماع في السويداء، وإبلاغهم أن الجنرال ساراي ينتظرهم في دمشق للاستماع إلى مطالبهم، وذهب الوفد إلى دمشق ومن ضمنه الأمراء: حمد الأطرش، وعبد الغفار ونسيب ومتعب وحسين وصياح الأطرش، وحسني صخر وعقلة القطامي، وغيرهم، وتخلّف سلطان باشا الأطرش، بحجة وعكة صحية، بعدما اتفق في رساس مع الأمير متعب الأطرش على جميع ما يستجدّ من أمور.

وصل الخبر سريعاً إلى الجبل بأن ساراي اعتقل الوفد، وأبعدهم إلى منطقة الميادين في دير الزور، وكانت الشرارة الأولى لانطلاق الثورة في سوريا في الثامن من تموز ١٩٢٥[١٢].

انطلاق الثورة السورية الكبرى

بدأ سلطان يتجوّل في قرى الجبل، ويرسل المجاهدين للاتصال بالقرى لحثّهم على الثورة. وفي السابع عشر من تموز ١٩٢٥، كان سلطان باشا في بلدته القريّا وفي المساء زاره شيخ العقل أبو علي هاني الحناوي، يرافقه عدد من رجال الدين[١٣]، فباركوا خطوة سلطان، وأعلنوا تضامنهم معه، كما نقلوا إليه تأييد الشيخ أحمد الهجري والشيخ حسن جربوع، شيخي العقل كذلك، وتمنّوا له النجاح في مسيرته.

وصباح الثامن عشر من تموز، استيقظ سلطان باشا على حداء الثوار في دارته، فنهض ليرى جموعاً غفيرة من المجاهدين السوريين واللبنانيين، تهتف بحياته وتزغرد وتنشد الأغاني الحربية. قام سلطان بالانطلاق مع الثوار من دارته إلى قرية بكّا ثم أم الرمان فقرية عنتر ثم إلى قرية المشقوق ثم إمتان ومنها اتجهوا نحو ملح. وفي كل قرية كانوا يدخلونها، كانت حرارة الاستقبال عالية أكثر من حرارة الجو في تموز[١٤].

وفي العشرين من تموز صباحاً، وصل سلطان والثوار إلى عرمان، فقامت طائرتان فرنسيتان بالاستطلاع، فأطلق المجاهدون النار عليهما، فأسقطوا واحدة منهما قرب أمتان وأسروا طيّارها. ثم انطلق سلطان نحو صلخد[١٥].

وفي أثناء تحرك سلطان الشعبي، كانت حملة فرنسية بقيادة الكابتن نورمان تتحرك من السويداء نحو الكفر، في السابع عشر من تموز، حيث

بدأت الحملة بحفر الخنادق، وإقامة المتاريس، في محاولة لقطع الطريق ما بين صلخد والسويداء، والوقوف في وجه أي تقدّم للمجاهدين نحو مدينة السويداء وحاميتها العسكرية.

علم سلطان ما يقوم به نورمان، فأرسل مبعوثين إلى الكفر للطلب من نورمان بأن لا يقف في وجه الثوار الذين سيتجهون نحو السويداء قريباً. في العشرين من تموز وصل المبعوثان إلى الكفر، واجتمعا بزعيمها الشيخ أسعد مرشد، فقام على رأس وفد بإبلاغ نورمان مطالب سلطان باشا، فاستخف نورمان بالأمر، ولكن أسعد مرشد نصحه بالمغادرة، فثار نورمان ووجه كلاماً نابياً، وقال لهم: «أبلغوا سلطان أنني بانتظاره هنا»[١٦].

معركة الكفر وإسهام المجاهدين اللبنانيين فيها

عاد الرسولان إلى سلطان وأبلغاه بالأمر، فهاج الثوار وبدأوا بالتجمّع، وفي صباح الواحد والعشرين من تموز ١٩٢٥ انطلقوا نحو الكفر، حيث كانوا يتدافعون، كل يريد أن يكون له شرف السبق في هذه المعركة، والمساهمة فيها.

والجدير ذكره، أن المجاهدين الدروز اللبنانيين، كان لهم شرف الإسهام في هذه المعركة، حيث تجاوز عددهم الأربعين فارساً، منهم: فندي أبو ياغي زهر الدين ومجموعته، وقد انطلق من رساس إلى القريّا ورافق سلطان في تجواله[١٧]، وبعض أفراد من مجموعة شكيب وهاب وسعيد ملاعب وحسن ثابت، إضافة إلى عناصر درزية لبنانية، كانت تقطن في محافظة السويداء منذ سنة ١٩١٥، وهم من قرى الشوف وعاليه والمتن وحاصبيا وراشيا. وعرفنا منهم: شاهين ملاعب وفارس سراي الدين وحسين محمود ضو ويوسف سليم شرف الدين وقبلان حيدر.

قام المجاهدون: مصطفى الأطرش وحمزة درويش وفندي أبو ياغي وفارس سراي الدين وملحم سلوم وشهاب غزالة[١٨] ومجموعة من الفرسان، بتقدّم المجاهدين السائرين نحو الكفر، فسلكوا طريقاً وعرة شائكة، ليصلوا إلى موقع الحملة الفرنسية الرابضة في الكفر، فباغتوا أفرادها، ودخلوا في وسط صفوفها، فأعملوا السيوف في رقاب جنودها وضباطها، ومشوا من أول الحملة إلى آخرها، وأعادوا الكرّة ثانية، حيث إن الفرنسيين كانت

خيولهم مربوطة ومنزوعة السروج، فلم تدع لهم هذه المباغتة وضع سروج خيولهم، ومواجهة الفرسان الدروز، ومني الفرنسيون بهزيمة نكراء على ايدي الثوّار الوطنيين[١٩].

وفي هذه المعمعة، وصلت البيارق إلى الكفر، فاندفع الثوار يهاجمون الجنود، فكانوا ينقضون على رماة الرشاشات، يسقط الأول فيتبعه الثاني فالثالث، حتى يصل إلى رامي الرشاش، فيطعنه بالخنجر أو بالفأس.

أربعون دقيقة بالتحديد، كانت كافية للقضاء على هذه الحملة النورمانية الفرنسية، فلم يعرف نورمان طريق الهروب، فوقع في قبضة الثوار مع ضباطه، فقُتلوا، وقليل نجا بروحه وفرّ نحو السويداء، والتجأ إلى حاميتها في القلعة.

شكّل هذا النصر السريع الكبير زخماً عظيماً لانطلاق الثورة، ورغم سقوط أربعة وخمسين شهيداً، بينهم الأمير مصطفى الأطرش وإسماعيل جاد الله الأطرش وشهاب غزالة[٢٠] حامل بيرق بلدة ملح وعشرات الجرحى، فإن سلطان تابع مسيرته، وانتقل برفقة المجاهدين إلى قرية قنوات[٢١]، حيث استقبلهم أهلها بالتكبير والتهليل، فيما كانت الجماهير الشعبية في مدينة صلخد، تقوم بمهاجمة مباني البعثة الفرنسية في هذه المدينة، فتحرقها وتفتك بحراسها، ويتجمع المجاهدون السوريون واللبنانيون لينطلقوا من هذه المنطقة نحو السويداء، للقاء مع سلطان باشا ومحاصرة قلعة السويداء العسكرية.

معركة المزرعة

بعد الانتصار الساحق الذي حققه المجاهدون على جيش الاستعمار في الكفر، انتقل سلطان ورفقاؤه المجاهدون إلى قرية قنوات، فبدأت الوفود تتقاطر من قرى جبل العرب، لتعزية سلطان بأخيه المجاهد مصطفى الأطرش وباقي الشهداء المجاهدين. وفي هذه الأثناء، أرسل سلطان إلى عموم قرى الجبل منشوراً يحثهم على الجهاد، فكان الجواب بالتأييد والوعد بإرسال النجدات.

أما الفرنسيون الذين ضعقهم هذا الانكسار لقوتهم وهيبتهم في جبل العرب، فقد قاموا على وجه السرعة، بحشد جيش جرار يفوق عديده العشرة آلاف مقاتل، تدعمه الدبابات والآليات الثقيلة والطائرات، وأوكلوا أمر قيادته إلى الجنرال ميشو، الذي زحف من ناحية درعا متقدماً نحو بلدة المزرعة، في الثلاثين من تموز، بغية احتلال الجبل والقضاء على الثورة، وفك الحصار عن حامية السويداء.

وفي صباح الثلاثين من تموز، قام سلطان بجولة على قرى المقرن الغربي، يرافقه كوكبة من المجاهدين السوريين واللبنانيين، وعقد اجتماعاً قرب نبع قراصة[٢٢]، لدراسة الموقف المستجد ومواجهة القوات الفرنسية التي ستتقدم نحو السويداء، وبعد التشاور مع مختلف زعماء وقادة المجاهدين تقرر متابعة الثورة والتصدي للجيش الفرنسي، كما تقرر أن تقوم كل بلدة بحمل بيرقها، وأن يسير مجاهدوها وفرسانها تحت لوائها، وأن يتم تزويد هؤلاء المجاهدين بالطعام والماء والذخيرة على حساب كل بلدة، وتكون جميع هذه الوحدات مرتبطة مباشرة بقيادة الثورة. كما تم الاتفاق على فتح جبهة تمتد أكثر من ثماني كيلومترات، تبدأ من قرية تعارة ثم قراصة شمالاً، حتى سميع والدور جنوباً.

وقبل أن تشارف شمس الثلاثين من تموز على الغروب، بدأت طلائع البيارق العربية الزاحفة نحو ساحة المجد بالوصول تباعاً، ترفرف فوق رؤوس المجاهدين من فرسان ومشاة، يهزجون وينشدون الأغاني الشعبية الحماسية، التي ورثوها عن أجدادهم في منازلة الحملات الغازية.

وإننا إذ نذكر بعض أسماء المجاهدين من جبل لبنان، الذين وصلتنا أسماؤهم، وكان لهم شرف الإسهام في هذه المعركة، حيث انضووا تحت بيارق القرى، وساروا مع رفقائهم المجاهدين السوريين إلى ساحات الوغى وهم: شاهين ملاعب، فارس سراي الدين، فندي أبو ياغي، حسين محمود ضو، يوسف سليم شرف الدين، يوسف ملاعب، مطر مطر، حمد صبح، أمين مطر، علي بو هنا، حسين علي ضو، رشيد أبو ضرغم، رشيد شاهين نصر، يوسف مجيد نصر، سعيد ومحمود خطار نصر، حمد صعب، محمد أمان الدين، ملحم أمان الدين، محمد رضي الدين وأخوته

رشيد وسليم وخليل، محمد سعيد الأعور وأولاده فندي وسعيد، علي علم الدين شرف الدين وأخوه يوسف، يوسف القعسماني، حسن وسعيد حميدان، شاهين زيدان، حسين حماد، خطار هرموش وابنه جميل، مصطفى وسلمان وعلي أسعد مصلح، سعيد مجيد خداج، حسين ورشيد محمود الغريب، علي الديب، قاسم محمد الغريب، علي حسين عزام، علي محمد أبو خزام، حسين يوسف فياض، رشيد محمود الحسنية، علي منصور الحسنية، سعيد وعباس الحسنية، سعيد قاسم سلوم، أمين حمد سلوم، فخر الدين هاني، شاهين سلمان هاني، سليم أمين حماده، سعيد أبو تين، أمين الفقيه، حمد الفقيه، حسن هرموش، نمر زهر الدين، أحمد أمين البتلوني، سعيد خفاجة، سعيد الجباعي، حسين ناصر الدين أبو زكي وأولاده سليم وأسعد، قاسم شاهين أبو زكي وابنه سلمان، وخطار يوسف أبو زكي، وقبلان حيدر وسليم أبو ياغي.

بدء المعركة

في صباح ٣١ تموز ١٩٢٥، بدأت المعركة بشن هجوم صاعق، من المجاهدين الخيالة في محور قراصة وتعارة إلى ناحية الجنوب الغربي، ضد القوات الفرنسية المتقدمة، ودارت رحى معركة ضارية استمرت حتى منتصف النهار، تقهقر على أثرها الفرنسيون، بعدما تكبدوا خسائر فادحة، وتراجعوا غرباً نحو مشارف بصرى الحرير[٢٣]، كما حصلت مناوشات على المحاور الباقية استمرت حتى مغيب الشمس.

وفي اليوم الأول من آب ١٩٢٥، لجأ الجنرال ميشو إلى خدعة حربية عظيمة، فأمر قواته الخيالة من المغاربة والسنغاليين، بالتقدم من شرق وجنوب تل الخروف، تحت تغطية مدفعية ورشاشة مركزة وكثيفة، تدعمها الطائرات الحربية، فاستطاعت هذه الفرقة أن تتقدم نحو الدور ثم سميع، وهنا صمد الثوار بعد أن توالت النجدات، ففرت الفرقة عائدة أدراجها نحو تل الخروف، حيث كان ميشو قد ركّز عشرات رجال القنّاصة، المزوّدين برشاشات ثقيلة، وما إن وصل المجاهدون إلى السهل المنبسط أمام تل الخروف، حتى انهال الرصاص كزخّات المطر، فسقط أكثر من ثلاثين

شهيداً دفعة واحدة، ولكن ذلك، لم يثنِ المجاهدين الذين استمروا في مواجهة الفرنسيين، والتحموا معهم في معركة بطولية في موقع تل الخروف[٢٤]، ولكن الضغط المتواصل من قبل الجيش الفرنسي وتركيز قواته على هذا المحور، جعل الثوار ينسحبون، حاملين جرحاهم إلى الخطوط الخلفية، واتخذوا من القرى المجاورة لطريق المزرعة، أماكن لهم لوقف الزحف نحو السويداء، في ريمة حازم والمجدل والسجن ونجران. وقد استشهد في موقعة تل الخروف من المجاهدين اللبنانيين البطل سليم حسين أبو زكي من بلدة عينبال الشوف.

في هذه الأثناء، وأمام تراجع المجاهدين، تقدّم ميشو بقواته على الطريق الرئيسي قاصداً نبع المزرعة، تاركاً وراءه في منطقة الدور وسميع، الآليات الثقيلة والمدفعية والعربات، التي تحمل المؤن والذخائر يحرسها مئات الجنود، على أمل أن يتقدم في الثاني من آب نحو السويداء، ثم تتبعه تلك القوافل.

وفي هذه الأثناء، انتقل سلطان وعشرات المجاهدين إلى قرية سليم، للتباحث في وضع خطة للهجوم، وكان سلطان ورفقاؤه في حالة مضنية، أنهكهم التعب والجوع، وخيّم على أجواء اللقاء في مضافة الشيخ يوسف مسعود[٢٥]، الوجوم وقليل من اليأس، بعد التقهقر في موقعة تل الخروف، وبينما هم في هذه الحالة، وإذ بصيحات النصر تدوّي خارج المضافة، يطلقها المجاهد محمود أبو يحيى من قرية شقا، فهب سلطان والمجاهدون ليروا الغنائم التي كسبها مجاهدو المقرن الشرقي في عصر ذلك اليوم، حيث ضربوا مؤخرة جيش ميشو، واستطاعوا محاصرتها ومصادرة البغال بحمولتها، وعطّلوا المدفعية والآليات، وأعملوا السيوف في رقاب جنودها، الذين فرّ قسم كبير نحو نبع المزرعة لإبلاغ ميشو بالأمر[٢٦].

عند ذلك، هبّ حمزة درويش وفندي أبو ياغي وفارس سراي الدين والأمير حسن الأطرش ينتخون، حيث رموا حطاتهم وبدأوا يهزجون ويحدون، ودبّت الحماسة واستبشر الثوار خيراً، فأوفد سلطان الرسل على الفور، إلى القرى المجاورة وإلى السويداء يبشرهم بالنبأ السعيد، ويدعوهم إلى شحذ الهمم، والتوجه إلى ساحة المعركة.

أعطى القائد إشارة الانطلاق، فانقضّ المجاهدون بهجوم صاعق اخترقوا فيه خطوط العدو، وبدأ الالتحام بالسلاح الأبيض، فكانت العساكر تفرّ أمام الثوار، بينما كانت المصفحات تحاول التقدم، فيهاجمها المجاهدون ويقلبونها، ويقتلون سدنتها ويحرقونها[٢٧].

ثوار يحملون البنادق والعصي والمناجل في مواجهة جيش مستعمر، مجهز بأحدث الآليات والمدافع والرشاشات، وقد اعترف الجنرال أندريا في كتابه ثورة الدروز وتمرّد دمشق، ترجمة الأستاذ حافظ أبو مصلح، عندما قال: «شجاعة الدرزي خارقة مذهلة، وإيمانه بالتقمّص، والعودة إلى الحياة مرة ثانية بعد الموت بوضع أفضل، إذا مات دفاعاً عن الوطن، يجعلانه يحتقر الموت. وكثيراً ما أذهلنا الدروز، إبّان ثورة ١٩٢٥، حين كانوا ينقضّون على قواتنا المجهزة بالرشاشات، وجهاً لوجه، دون أن يتخذوا متراساً، أو أي شيء يقيهم رصاصنا المنهمر»[٢٨].

وحول هزيمة جيشهم في المزرعة يقول: «هذه المأساة ما تزال مرسومة على أديم الأرض، وهي حقاً منظر للدمار فظيع... العظام مبعثرة فوق التراب، ومومياء الأجساد البشرية التي جففتها شمس المشرق، ملقاة في كل مكان. هنا عربات مقلوبة محطمة الدواليب... وهناك شاحنات محروقة لم يبقَ منها إلا هياكلها... إنها لمعركة محزنة حقاً، تجلب الضيق والغم، وهي شهادة ظاهرة على المصيبة التي حلّت بنا»[٢٩].

استطاع ميشو الهرب من أرض المعركة بعدما أُصيب فيها، حيث أقلّته دبابة نحو إزرع وحوارن[٣٠] تاركاً جيشه تحت ضربات الثوار، أما المجاهدون، فبعد هذا النصر العظيم، عادوا إلى قراهم، قسم يحمل الشهداء الأبرار لدفنهم وتأبينهم، وقسم يحمل الجرحى المقاومين للمعالجة.

ومن المجاهدين اللبنانيين الذين أُصيبوا في هذه المعركة، المجاهد يوسف سليم شرف الدين من السمقانية[٣١]، في موقعة تل الخروف، وكان إلى جانبه أبناء عمه وقسم من أبناء منطقته، إضافة إلى أبناء عرى، ومنهم قاسم الزغبي[٣٢] الذي أُصيب في هذه المعركة إصابة بالغة، وكان إلى جانبه محسن قسام وفياض الحلبي وحسن زين ونجم حمزة ويوسف الزغبي ومحمد الخطيب، وتوفيق الشبل وعبد الرحمن النابلسي من بلدة عرى. كذلك

أُصيب المجاهد محمد سعيد الأعور من بلدة قرنايل، وكان يسير تحت لواء قرية تعلا – ناحية شهبا في اليوم الثالث للمعركة، ونقل إلى خارج المزرعة للمعالجة(٣٣).

كما استشهد في معركة المزرعة في اليوم الثاني المجاهد المغوار نمر زهر الدين من بلدة عين عنوب – قضاء عاليه الذي كان يسير تحت لواء ولغا، وإلى جانبه سقط الشهيد المجاهد محمد زهر الدين من بلدة ولغا كذلك(٣٤).

بعد الهزيمة التي مُني بها الفرنسيون في معركة المزرعة، انتشرت أخبار هذا النصر في أرجاء بلدان العالم، فسارع المجاهدون اللبنانيون المتواجدون في مصر وفلسطين والأردن والحجاز، وعشرات المجاهدين بل مئات من مختلف قرى جبل لبنان وحاصبيا وراشيا، للالتحاق بالثورة وطرد الفرنسيين من هذه الديار، فوصل منهم: الأمير عادل أرسلان وشكيب وهاب وفؤاد سليم وفرحان شعلان (أبو حمدان)، طاهر وحسين وعلي أبو شقرا، أمين ومحمود أبو تين، سعيد وعبد الغني وشاهين ومحمد ملاعب، فندي وطليع الأحمدية، حسيب وتوفيق وسلمان ذبيان، رشيد وأحمد عبد الباقي، نجيب وعبد الله أبو حمزة، أحمد البتلوني (ملقّب أحمد أمين)، حسين وشريف أبو رسلان، عارف عطا الله، سليم الشمعة، نعيم خطار، إبراهيم ونايف وأمين ونجيب حمزة، حسين محاسن، ملحم أبو كامل، يوسف قيس، حسين البنّا، سليم الريّس، نجيب وسليم حماده، محمود حسون، عبد الله حسون، فراس عبد الخالق، عباس عبد الصمد، عباس علامة، عباس غريزي، خليل بدور، سليمان الأعور، سليمان محمود، نمر الصفدي، نجيب الأعور، نايف عزام، محمد أبي عاصي، مجيد غريزي، محمد القلعاني، فريد الأحمدية، سليم عبد الصمد، حسين العقيلي، حسين سويد، سليم الأحمدية.

توافد هؤلاء المجاهدون منذ منتصف آب وحتى منتصف أيلول ١٩٢٦م، وأسهموا في معظم معارك الثورة، إلى جانب المجاهدين الذين شاركوا في معارك الكفر والمزرعة التي ذكرناها سابقاً.

وفي شهر آب وحتى منتصف أيلول، شدّد المجاهدون الحصار على قلعة السويداء، وقد استطاع القائد فؤاد سليم، إصلاح ثلاثة مدافع كسبها الثوار في معركة المزرعة، وقام بإخفائها بعيداً عن مراقبة الطائرات الحربية، وبدأ بدكّ

أبراج القلعة، حيث استطاعت إحدى القذائف أن تصيب تجمعاً للجنود الفرنسيين داخل القلعة، وتسبب عشرات الإصابات، وقد نُكّست الأعلام على أبراج القلعة حزناً على فقدان هؤلاء الجنود. أما الطائرات الفرنسية فكانت يومياً تقوم بقصفٍ لمواقع الثوار حول القلعة، وترمي المؤن إلى الجنود المحاصرين في داخلها، وغالباً ما كانت هذه المؤن، تسقط خارج القلعة في جانب الثوار، الذين كانوا يسددون نيران بنادقهم إلى الطائرات، فتضطر إلى الارتفاع، فيختلّ تحديد الأهداف لديها.

وفي ١٧ آب ١٩٢٥، وصل وفد من قادة دمشق الوطنيين، واجتمعوا بسلطان باشا الأطرش وقادة المجاهدين[٣٥]، واتفقوا على إرسال قوة درزية إلى دمشق مؤلفة من ١٥٠٠ مجاهد، لمساندة الثوار في دمشق وإخراج القوات الفرنسية منها، وقد حُدّد لقاء القوتين في ٢٤ في منطقة العادلية.

تحركت القوة المجاهدة من جبل الدروز، وكانت تسير فصائل منفصلة خوفاً من غارات الطيران، ولدى وصول القوة إلى بداية حي الميدان، لم يجدوا أحداً من ثوار دمشق، في تلك الأثناء، تسرّبت معلومات إلى قيادة الفرنسيين في دمشق، فقامت الطائرات بقصف تجمّع الثوار، فسقط منهم شهداء كثر، فانكفأ قسم منهم عائداً إلى جبل العرب[٣٦]، وقسم آخر توغّل في بساتين الغوطة، فحصلت معركة عنيفة بين المجاهدين والقوات الفرنسية قرب قرية الكسوة[٣٧]، واستطاع المجاهدون ضرب سيارة الجنرال سوله الذي جُرح في فخذه اليمنى والكابتن دوكوتل في ذراعه وفخذه، كما أُصيب السائق في كتفه، لكنهم نجوا من الموت. وقد غنم المجاهدون في هذه المعركة خيولاً وسلاحاً، عادوا بها إلى جبلهم، تاركين الغوطة، إذ إن أهلها وأهل دمشق لم يتحركوا يومذاك، نتيجة التدابير الفرنسية المشددة، وحملات الاعتقالات والإرهاب التي طالت الوطنيين فيها.

استمرت غارات الطيران الحربي على مواقع الثوار المحيطين بقلعة السويداء في شهر أيلول، فسقط المجاهد سليم صلاح الدين من بلدة بعقلين شهيداً على أرض المعركة، حيث أصابه الرصاص المنبعث من رشاش الطائرة، بينما كان يقوم بالتصويب عليها في الخامس من أيلول ١٩٢٥.

ونتيجة لهذه الغارات الوحشية، استشهد عشرات الشيوخ والنساء

والأطفال في بيوتهم[٣٨]، حيث كانت الطائرات تدك المنازل الآمنة، انتقاماً للانكسار الكبير لقواتهم في معركة المزرعة.

معركة المسيفرة

تزعزعت هيبة الاستعمار الفرنسي بعد معركة المزرعة الخالدة، فآثر الفرنسيون إرسال الجيوش من المستعمرات في أفريقيا وغيرها إلى لبنان بحراً، ثم نقلها بالقطارات إلى دمشق فدرعا. وبدأت القوات الفرنسية تحتشد في خربة غزالة وبصرى في حوران، ثم ما لبثت هذه القوات أن تقدّمت فصائل منها من الخيّالة والمشاة نحو المسيفرة، فاحتلتها في الرابع عشر من أيلول ١٩٢٥، وكانت القوات المحتشدة تنوف عن عشرين ألف جندي.

كان سلطان باشا الأطرش في قرية سهوة البلاط مع القادة المجاهدين الأمير عادل أرسلان وفؤاد سليم وشكيب وهاب والدكتور عبد الرحمن شهبندر ونسيب البكري ونزيه المؤيد العظم وعقلة القطامي، وإذ برسول يحمل كتاباً من القائد محمد عز الدين الحلبي من قرية الثعلة، يعلم المجتمعين، أن الجيش الفرنسي تمركز في المسيفرة، وأقام التحصينات، ويقترح مهاجمة القوات الفرنسية وإخراجها من المسيفرة، قبل أن تصبح قاعدة صلبة تنطلق منها الغارات الفرنسية البرّية[٣٩].

انتقل قادة المجاهدين إلى قرية كناكر، يرافقهم مئات المجاهدين، وكان رأي بعض القادة، عدم مواجهة الفرنسيين في سهل منكشف وأن الهجوم مغامرة خطيرة[٤٠]، ولكن حماسة المجاهدين طغت على التعقّل والتروّي، فأصبح أمر الهجوم لا مفرَ منه، وبدأت طلائع المجاهدين تتقدّم نحو تلول خليف في مقابل مراكز الفرنسيين، في حين كانت قوة من المجاهدين تقدّر بألف مجاهد، متمركزة في قرية الثعلة. فبدأت القوات المجاهدة تتقدّم بحذر شديد نحو خطوط العدو، وإذ بأحد الجواسيس المندسّين وقيل إنه من آل الأطرش، يطلق عياراً نارياً في الفضاء، ممّا نبّه الجنود الفرنسيين، فبادروا إلى إضاءة الكواشف الليلية[٤١]، وبدأ الرصاص ينهمر على المجاهدين بغزارة من التحصينات والخنادق الفرنسية، وراح المجاهدون يتساقطون أمام هذه الخنادق. لكن كل ذلك، لم يخفف من عزيمة الأبطال الأشاوس الذين

استطاعوا دخول البلدة، وفتح ثغرة في دفاع القوات الفرنسية، وكان على رأس هؤلاء المجاهدين، حمزة درويش، شكيب وهاب، فندي أبو ياغي، فارس سراي الدين، أحمد عبد الباقي، كايد نعيم، وعشرات المجاهدين السوريين واللبنانيين، وقد استبسل المجاهدون، حيث سقطت فرس فندي أبو ياغي في المعركة، فتحول إلى الأرض، ورابط خلف أحد الجدران، وبدأ إطلاق النار على الجنود القوقازيين مع مجموعة من رفقائه، وإذ بطائرة تُسقط إحدى قنابلها قربه، فلم تنفجر، واستمر في متراسه، ثم تقدّم ليقتل قائد القوة، ويحزّ رأسه ويضعه في خرج الفرس، حمله بعدها وقدّمه إلى سلطان باشا الأطرش[٤٢].

وقد أبدى المجاهدون بطولات خارقة في هذه المعركة، فأُصيب المجاهد يوسف سليم شرف الدين الذي كان يحمي أحد المجاهدين على سطح أحد المنازل، حيث كان يزرع الراية، فجاءت الإصابة في يده اليسرى، ولكن هذه الإصابة لم تمنعه من متابعة المعركة. كما أُصيب المجاهد علي حسين قبلان عزام من معاصر الشوف برصاصة اخترقت صدره الأيمن وخرجت من كتفه، فحمله رفقاؤه المجاهدون وأخرجوه من الناحية الشرقية للبلدة، حيث ضُمّدت جراحه مؤقتاً. كما أُصيب المجاهد بشير سعيد جعفر[٤٣] من بلدة بشتفين بشظية بترت ساقه اليسرى فتحامل على الإصابة وزحف إلى خارج البلدة وقام بتمزيق قميصه وربط ساقه في محاولة لوقف النزيف مؤقتاً. ثم نقل إلى إحدى المضافات حيث كان يتواجد الدكتور عبد الرحمن شهبندر والأمير عادل أرسلان، فدخل أحد المجاهدين يطلب من الشهبندر معالجة بشير جعفر، فقال له: «إنني لست طبيباً هنا، ولا أستطيع مداواته حيث لا يوجد معي معدات للجراحة ولا أدوية». فسمع الحديث المجاهد بشير جعفر حيث كانت ساقه ما زالت معلّقة بفخذه ولكنها ترنح. فقام سعيد بطيّ ساقه وقطعها ورماها أمام الشهبندر وقال له: «تستطيع معالجتها الآن». وبعد معركة المسيفرة، أُسعف المجاهد بشير ووُضعت له ساقٌ خشبية، وعلى الرغم من حالته الصحية فإنه تابع خوض المعارك إلى جانب رفقائه المجاهدين في الغوطة وراشيا وحاصبيا واللجاه.

استطاع المجاهدون بفضل صمودهم احتلال معظم أنحاء قرية المسيفرة، وبدأوا يحاصرون الجنود الفرنسيين، فقامت الطائرات بقصف

مواقع الثوار المحيطين بالقرية بشكل مركّز وعنيف، مما اضطرهم إلى التراجع، وقطع الصلة مع المجاهدين في الداخل، وفي هذه الأثناء، بدأت طلائع القوات الفرنسية تصل إلى مشارف المسيفرة، لتعزيز المحاصرين، فارتأى المجاهدون الانسحاب ليلاً من القرية، كي لا يعرّضوا أنفسهم للهلاك، فحملوا جرحاهم وغنائمهم وخرجوا تحت جنح الظلام، بعد مواجهة عنيفة استمرت أكثر من ١٥ ساعة دون طعام وماء، فتنفّس الجيش الفرنسي الصعداء، وإذ بانكساره يتحول إلى نصر، حيث ترك المجاهدون أكثر من ١٢ راية مرفوعة على أسطح المنازل، فقام الجنود الفرنسيون بانتزاعها، وأوهموا القوات المتقدمة بأنهم غنموها.

والجدير بالذكر في هذه المعركة، أن قسماً من المجاهدين تلهّى بالغنائم، وترك المواجهة، حيث قام على أثر ذلك، المجاهد شكيب وهاب بقتل الخيول الفرنسية، كي لا تصبح هدفاً للمقاتلين يتلهون بها عن متابعة المعركة(٤٤)، ثم قام شكيب مع حمزة درويش بحث المقاتلين على البقاء في ساحة المعركة، ومطاردة الجيش الفرنسي الذي كان يفرّ نحو الغرب، ولكن همّة معظم المقاتلين فترت، وبدأوا بالانسحاب والاكتفاء بالغنائم التي كسبوها من أسلحة وذخائر وخيول، فغادر معظمهم، قاصدين قراهم، ومردّ ذلك إلى غياب التنظيم في سدنة القيادة في هذه المعركة.

بعد هذه المعركة الكبيرة، بدأ الجيش الفرنسي يجهّز نفسه للزحف نحو السويداء حسب الخطة المرسومة له، في المقابل، لم يكن لدى المجاهدين المتسع من الوقت لإعادة تنظيم الصفوف، بعد خسارة المئات من الشهداء والجرحى في هذه المعركة، الذين نُقلوا إلى خارج دائرة الاشتباكات للمعالجة، وليس بمقدورهم الدخول قريباً في معارك جديدة، إضافة إلى تحوّل مجاهدي السويداء فوراً نحو مدينتهم، لإجلاء النساء والأطفال والشيوخ، وحمل بعض المؤن إلى القرى البعيدة، خوفاً من تعرّضهم للتنكيل الوحشي الفرنسي.

وفي هذه المعركة البطولية، استشهد المجاهد شاهين صلاح الدين من بلدة بعقلين، كما استشهد المجاهد سلمان قاسم شاهين أبو زكي من بلدة عينبال الشوف. وقد اشترك في هذه المعركة مع إخوانه الذين كانوا يسكنون في بلدة الرحى محافظة السويداء منذ العام ١٩١٥.

إنقاذ حامية السويداء المحاصرة

تقدّم الجنرال غاملان بحملته نحو السويداء في ٢٢ أيلول ١٩٢٥، سالكاً طريق المسيفرة – أم ولد – كناكر. فوصل في ٢٣ إلى كناكر، فاحتلها ودمّر معظم منازلها، بعد تعرّض الحملة لإطلاق النار من المنازل، فانسحب المجاهدون نحو تل الحديد. عند ذلك، قامت الطائرات بقصف تجمعات المجاهدين، الذين تراجعوا نحو التلال، وفي المساء باتت الحملة قرب تل الحديد، وفي الصباح الباكر ٢٤ أيلول زحف غاملان نحو السويداء، حيث مهّدت الطائرات والمدفعية لدخوله بقصف جوّي وبرّي عنيف، فاستطاع الوصول إلى قلعة السويداء، وإنقاذ حاميتها المحاصرة منذ شهرين[٤٥].

أما المجاهدون فبدأوا يتجمعون حول محيط السويداء من ناحية الشرق والجنوب، وقاموا بقطع الماء عن السويداء، بعد أن أفرغوا خزاناتها لدى انسحابهم. فاضطر غاملان إلى إرسال مجموعة لنقل الماء من مصاد قرب القلعة، فانقضّ عليها الثوار وأبادوها وهي مؤلفة من أربعين جندياً. ولما رأى غاملان أن تأمين الماء لحملته عسير، وأن جموع المجاهدين بدأت بالتقدّم نحو قواته، فضّل الانسحاب والتراجع إلى المسيفرة، فانسحب في صباح السادس والعشرين[٤٦] من أيلول، مستغلاً الضباب الذي حجب الرؤيا، ولم يكتشف الثوار انسحابه إلا بعد أن قطع مسافة طويلة، وعاد إلى المسيفرة.

فشل حملة غاملان الثانية في احتلال السويداء

في بلدة المسيفرة، حشد غاملان قوة تنوف عن ٣٠ ألف جندي، مجهّزين بالأسلحة الحديثة، وتقدّم في ٣ تشرين الأول ١٩٢٥ بهذه القوات من المسيفرة باتجاه السويداء، يريد احتلالها ومن ثم التقدّم نحو صلخد. وقد بث إشاعة أنه سيتقدّم نحو صلخد أولاً، وقام بإرسال فرقة صغيرة على هذا المحور لإيهام الثوار بذلك، وقد نجح أولاً، حيث رابط المجاهدون على طريق بكّا – القرية – صلخد بانتظاره، وتقدمت الحملة الرئيسية نحو المجيمر وعرى. فاستطاع احتلال بلدة المجيمر وتقدّم نحو عرى، ولكنه لم يدخلها، وعند مغيب الشمس رابطت قواته بين كروم القريتين، في هذه الأثناء بدأت بيارق الثوار تتوافد إلى عرى وجوارها لوقف زحف الحملة. وفي

المساء دارت رحى معركة شرسة في منطقة خربة سحر[٤٧] شرق عرى، فاستعمل الفرنسيون الدبابات والمدافع في الهجوم، في محاولة لإبعاد الثوار، ولكن المجاهدين استبسلوا في الدفاع عن مواقعهم، وكان القادة فؤاد سليم ومتعب الأطرش وحمزة درويش وأحمد هاني وفندي أبو ياغي ونسيب الأطرش، ينخّون المجاهدين على الاستمرار في الدفاع، فاستطاع الثوار الأبطال سحق هذه القوات وأسر حوالي ٢٢٠ جندياً من الأعداء، والاستيلاء على قسم كبير من الذخيرة والعتاد، وفي الصباح، قامت الطائرات بالإغارة على مواقع المجاهدين، فتراجعوا إلى جنوبي عرى، فنظم غاملان حملته من جديد وتقدم نحو رساس واستطاع دخولها بعد اشتباكات عنيفة مع المجاهدين وأهلها الذين استبسلوا في الدفاع عن أرضهم، حيث كان يوم السادس من تشرين الأول يوماً مشهوداً في معارك الثورة السورية[٤٨].

وأمام شجاعة المجاهدين، رأى غاملان أنه لا مفرّ من المواجهة، فقام بحفر الخنادق على خط يمتد من شمال رساس حتى غرب عرى بمسافة تزيد عن ٢ كيلو متر، ثم تمركزت قوة لهم قرب موقع أم الشراشيح. وفي اليوم التالي طلبوا من أهالي رساس والأمير متعب الأطرش أن يسلموا أنفسهم، وفي عصر ذلك اليوم السابع من تشرين الأول ١٩٢٥، أقدم الفرنسيون على نسف منزل متعب الأطرش وفندي أبو ياغي وعشرات المنازل لآل حمزة وآل عكوان ونصر في رساس، كما قاموا بقطع الأشجار انتقاماً لخسائرهم الفادحة في هذه البلدة الصامدة[٤٩].

وكان المجاهدون في السادس والسابع من تشرين الأول يناوشون القوات الفرنسية، حيث حرموا جنودها طعم النوم، وفي اليوم الثالث، تقدّم الأمير متعب الأطرش يرافقه فايز ويوسف الأطرش وفندي أبو ياغي وسلمان وعارف القاضي ويوسف ملاعب وعدد من المجاهدين نحو وادي مشبك الوديان واشتبكوا مع القوات الفرنسية في معركة ضارية، فتراجع الفرنسيون، وبدأت الرشاشات تقصفهم من المتاريس المحصنة غرب رساس. وقد أعاق تقدمهم أحد الرشاشات المنصوبة داخل إحدى الدشم، فتناول الأمير متعب المنظار وكشف موقع الرشاش، وطلب من المجاهدين التقدم على أن يقوم هو شخصياً بإسكات الرشاش. وقد قال لنا

شاهد عيان إنه بعد التعامل مع هذه الدشمة، وإسكات الرشاش، تقدّم المجاهدون ليشاهدوا جثث ستة عشر جندياً سنغالياً ممدّدة داخل وخارج هذه الدشمة، مصابين في رؤوسهم.

بعد ذلك، وصل حمزة درويش ومعه قوة من المجاهدين السوريين واللبنانيين لنجدة الأمير متعب ورفقائه، ودارت معركة ضارية على نبع أم الشراشيح، فاستطاعوا قهر القوات الفرنسية التي بدأت تهرب نحو الغرب، فقامت الطائرات بقصف المجاهدين، فقتلت فرس الأمير متعب الأطرش، وأُصيب بجراح بسيطة في جبهته، فارتمى على الأرض وأطلق النار على الطائرات المغيرة المنخفضة، واستطاع إسقاط واحدة منها[٥٠].

تابع المجاهدون على مختلف المحاور الضغط على الحملة الفرنسية، فهرب غاملان نحو كناكر.

استمر المجاهدون بالضغط على الحملة، وأيقن غاملان أن مصيره سيكون كسلفه ميشو، فقرر الانسحاب نحو المسيفرة، فلحق به المجاهدون، يتقدمهم فؤاد سليم وعشرات المجاهدين من لبنان وسوريا، فلم يتركوا له مجالاً للهروب نحو المسيفرة، فلجأ إلى قرية الثعلة مساء السابع من تشرين الأول ١٩٢٥، وفي الصباح انسحب نحو المزرعة يجر أذيال الهزيمة[٥١].

وقد استطاع المجاهدون طوال أسبوع من المعارك الضارية في عرى ورساس وكناكر إنزال خسائر فادحة في صفوف حملة غاملان، والحؤول بينه وبين احتلال السويداء، فاتجهت بعد ذلك حملته نحو إزرع وقرى حوران، وقامت القيادة الفرنسية بإقالته وتعيين أندريا مكانه. وقد عزا الجنرال أندريا هذا الانسحاب إلى حلول فصل الشتاء، وعدم قدرة الجيش على مواجهة الثوار في الظروف الطبيعية القاسية.

وقد بقيت الطائرات الفرنسية تُغير على قرى الجبل، وخصوصاً السويداء وصلخد وناحيتها طوال أربعة أشهر من تشرين الأول حتى آذار ١٩٢٦، مسببة وقوع عشرات الضحايا الأبرياء في صفوف السكان[٥٢].

مجاهدو جبل لبنان في حملة الإقليم والغوطة

بعد الانتصارات الكبيرة للثوار في جبل العرب على القوات الفرنسية، تقاطر

المجاهدون من مختلف المناطق اللبنانية وخصوصاً في جبل لبنان، حيث لم يبقَ قرية إلا وأسهمت في معارك الجهاد ضد المستعمرين. فتوجه مئات المجاهدين للالتحاق برفقائهم، الذين كان لهم شرف الإسهام في معارك الكفر والمزرعة والمسيفرة ورساس وعرى والسويداء.

وفي أواخر تشرين الأول ١٩٢٥، قررت قيادة الثورة إرسال حملة عسكرية إلى الإقليم والغوطة، لتعزيز وضع المجاهدين في مواجهة العدوان الفرنسي، فسارت الحملة بقيادة الأمير زيد الأطرش[٥٣]، يرافقه قادة ورؤساء مجموعات، نذكر منهم: فؤاد ونصري سليم، حسيب ذبيان، فؤاد صعب، أحمد هاني، خطار هرموش، شكيب وهاب، مرعي حاطوم، فندي أبو ياغي، سليم الدبيسي، فارس مزهر، أسد وحمد قرقوط، علي عامر، شاهين أبو فخر ومحمد كيوان، صيّاح وأسد وفضل الله الأطرش، خليل بصله، سعيد اليماني، زكي الدروبي، حميد عوض، صبري فريد البديوي، فارس مفرج، حسين أبو عسلي وغيرهم...

وقد سبق الحملة، قيام مفرزة استطلاعية بقيادة شكيب وهاب والشيخ ديب القديمي[٥٤]، بالتقدم نحو منطقة جبل الشيخ (عرنة وجوارها)، في حين وصلت الحملة إلى بلدة الخيارة، فكان في استقبالها، المجاهد نسيب البكري وعدد كبير من قادة مجموعات المجاهدين في الغوطة.

في هذه الأثناء، كانت، مجموعة من المجاهدين اللبنانيين ومنهم: محمد ورشيد وملحم سلوم رضي الدين، وسعيد ومحمود أبو تين، وفارس سراي الدين، وعارف أبو عجرم، قد توجهت إلى منطقة قلعة جندل وجوارها، على أثر قيام رسول من تلك المنطقة بإبلاغ سلطان باشا، أن القوات الفرنسية بدأت تطوق قرى جبل الشيخ وتقوم بمضايقة الأهلين، وتصادر السلاح في أواخر شهر تشرين الأول ١٩٢٥.

حادثة قلعة جندل[٥٥]

روى المجاهد محمد رضي الدين سلوم أحداث هذه المعركة التي أسهم فيها كما يلي: «وصل الفرنسيون إلى قلعة جندل، فطوقوها في ١٩٢٥/١٠/٣١، وأنذروا الأهالي بأن يسلموا شبابهم الذين يقاتلون مع

الثوار، وإلا سيعرضون أنفسهم للاعتقال والتعذيب. فقام الأهالي بإرسال الأخبار إلى المقاتلين، طالبين منهم تسليم أنفسهم للجيش الفرنسي. وعندما علم مقاتلو قلعة جندل، وافق قسم منهم على التسليم، فتركوا مواقعهم القريبة من قلعة جندل وقرروا العودة إلى البلدة، خوفاً من قيام الفرنسيين بالتنكيل والبطش بأهلهم. وصل هذا الخبر إلينا، وكنت مع مجموعة المجاهدين اللبنانيين من بلدة بعقلين وجوارها، فغضبت لتصرّف بعض مقاتلي قلعة جندل، وعزمت على منعهم من العودة والاستسلام، فنهضت وسار معي سعيد أبو تين وفارس سراي الدين وأخي ملحم ومحمود أبو تين، وتوجهنا إلى تلة مشرفة على قلعة جندل، وبدأنا بإطلاق النار على الفرنسيين، ردّ علينا الجيش الفرنسي بكثافة نيران لا تُتصوّر، ظناً منه أن المجاهدين زاحفون نحو المجدل، عند ذلك، توقف المقاتلون الذاهبون لتسليم أنفسهم، واشتركوا معنا في المعركة، كان الاشتباك عنيفاً، فصمد المجاهدون واستطعنا هزم الفرنسيين وإخراجهم من قلعة جندل، فدبّ الذعر والرعب في صفوفهم. في هذه الأثناء، كانوا يعتقلون عدداً من الأهالي، وفي انسحابهم، قاموا بتدمير وتخريب المنازل، ثم قاموا بقتل المعتقلين الأبرياء انتقاماً لما جرى لهم».

ويتابع المجاهد محمد كلامه فيقول: «عندما دخلنا البلدة، وجدنا على مصطبة أحد المنازل، ثلاثة عشر قتيلاً، مربوطين سوية صفاً واحداً، بحبل قبل إطلاق النار عليهم، وما زالوا حزمة واحدة. كان أحدهم مصاباً بجراح بسيطة، ولم يزل على قيد الحياة، فقمنا بفك وثاقه، وأسعفناه، فأنقذناه من الموت، وما زال حيا».

بعد حادثة قلعة جندل في ٢ و ٣ تشرين الثاني ١٩٢٥، أرسل المجاهدون رسولاً إلى مفرزة شكيب وهاب الاستطلاعية، فأبلغوه بالحادثة، وعلى الفور، قام بإرسال رسول من قبله إلى زيد الأطرش الموجود في قرية الخيارة، فتم إبلاغه بما جرى، فتحركت الحملة نحو جبل الشيخ.

انطلقت الحملة من بلدة الخيارة، نحو عرنة، فاستقبلها شكيب وهاب والشيخ ديب القديمي، ثم تابعت تجوالها في قرى: عين الشعرة، بعقسم، حُضر، سحيتا، حينا، وخربة السودا. بعد ذلك قرر قادة الثورة التقدم نحو بلدة مجدل شمس وجعلها مركزاً للقيادة نظراً لموقعها الإستراتيجي. ومن

مجدل شمس تقدم المجاهدون نحو حاصبيا، حيث رأت قيادة الحملة أنه يجب قطع طريق دمشق الدولية مع بيروت، وتطويق مدينة دمشق. فقامت مجموعة بقيادة حمزة درويش[٥٦] وفؤاد سليم ونزيه المؤيد العظم بالانطلاق إلى حاصبيا، فاستقبلهم أهلها بالترحاب، وقد وزع فؤاد سليم بياناً تصدّرته عبارة: «الدين لله والوطن للجميع»، وعاونه بذلك رفيقاه شكيب وهاب ونزيه العظم. وأمام تقدم المجاهدين نحو حاصبيا وجوارها، سعت السلطة الفرنسية إلى بث سموم التفرقة بين الدروز والمسيحيين، وعمدت إلى تسليح بعض الطائفيين لمواجهة المجاهدين والتصدي لهم تحت ذرائع مختلفة.

حادثة كوكبا

قام وفد من مسيحيي كوكبا يتقدمهم كاهنها، فالتقوا مع حمزة درويش في حاصبيا، ودعوه إلى مرافقتهم وتناول الغذاء في بلدتهم، فلبّى حمزة درويش طلبهم وسار معهم، ولدى وصولهم إلى أول البلدة، أطلقت عصابة يدعمها الفرنسيون النار على الموكب، فاستشهد ثلاثة مجاهدين، وهنا طلب حمزة من المسلحين الكف عن إطلاق النار، فلم يمتثلوا، وبادروا إلى الهجوم، عند ذلك، قامت المجموعات المرافقة بفتح النار ودارت معركة شديدة، انهزم فيها عملاء الفرنسيين، وقد استشهد كاهن[٥٧] البلدة برصاص عملاء السلطة[٥٨]. وعند ذلك، قام المجاهدون باحتلال البلدة عنوة، وأحرقوا بعض المنازل انتقاماً لاستشهاد رفقائهم، وقد أحدثت هذه المعركة بلبلة في المنطقة، واستغلها الفرنسيون لزيادة الحقد والفتن الطائفية.

وفي العاشر من تشرين الثاني توجه شكيب وهاب مع مجموعة إلى مزرعة برغز التابعة لآل شمس، ولدى وصوله تقدمت قوة من ستة عشر عنصراً من عصابة بطرس كرم، فاشتبكوا معهم، وأسروهم وجرّدوهم من سلاحهم، ثم أطلقوا سراحهم[٥٩]. لكن بطرس كرم رأى عكس هذا الموقف الشجاع الإنساني الوطني الذي اتخذه شكيب وهاب، فقرر مهاجمة برغز بقوات أكبر، وهكذا تقدم في ١١ تشرين الثاني لمهاجمة برغز، فاشتبك مع المجاهدين، فانهزم نحو مرجعيون، فلاحقه شكيب ومجموعته، ودارت معركة عنيفة، هرب بنتيجتها بطرس كرم وعصابته نحو صيدا، بعد أن ترك في

أرض المعركة عدداً من القتلى. وقد احتلّ شكيب وهاب مرجعيون، وطمأن أهلها المسيحيين أنه لن يؤذيهم، ثم انسحب منها وعاد إلى حاصبيا.

وفي ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٥، عقد المجاهدون اجتماعاً في حاصبيا التي صارت مقر القيادة، وأصدروا بياناً طمأنوا فيه المسلمين والمسيحيين أن عملياتهم لا تطال لبنان الصغير، شارحين فيه أهداف الثورة وغايتها. وقد قامت وفود من جبل عامل والنبطية بالتوجه إلى حاصبيا وتقديم الدعم للمجاهدين.

في قلعة راشيا

وفي السابع عشر من تشرين الثاني ١٩٢٥، بدأ الفرنسيون في راشيا بمضايقة الأهالي والتعرض لهم، فتصدى لهم أبناؤها، وقاموا بإرسال مبعوثين إلى حاصبيا يعلمون قادة المجاهدين بالأمر.

هبّ المجاهدون في حاصبيا لنجدة الأحرار في راشيا من مخالب الفرنسيين[٦٠]، وزحفوا في العشرين من تشرين الثاني ١٩٢٥، وتقدم الحملة طلائع القادة وهم: أسد الأطرش، شكيب وهاب، فؤاد ونصري سليم، أحمد هاني، فارس سراي الدين، فؤاد علامة، نزيه المؤيد العظم وصبري البديوي ومئات المجاهدين اللبنانيين والسوريين، شاركهم كذلك أهل العرقوب وقسم من عرب الأمير محمود الفاعور.

ولما رأى الفرنسيون وأعوانهم، أن المجاهدين يتقدمون نحو راشيا، فرّوا إلى داخل قلعة آل شهاب واحتموا بها، وكانوا قبل ذلك بيومين، قد حفروا الخنادق حولها، وأقاموا تحصينات دفاعية، عززوها بالأسلاك الشائكة، وهدموا عدداً من المنازل بجوار القلعة، لتسهيل عملية الرمي والمراقبة. حاصر المجاهدون القلعة من جنباتها الأربعة، وبدأ الاشتباك في ١١/٢١ مع المحاصرين، ولكن الرصاص لم يفعل شيئاً في هذه الجدران السميكة، فقرر المجاهدون اقتحام القلعة والدخول إليها.

قام نزيه المؤيد العظم[٦١] بخرق الجدران القريبة من القلعة، وقام أسد الأطرش وصبري فريد البديوي بتغطية العملية، فقطعوا الأسلاك الشائكة، في هذه الأثناء كانت القنابل اليدوية من سطح القلعة تنهمر على المجاهدين، فأُصيب نزيه المؤيد إصابة طفيفة في كتفه، لكنه لم يتراجع. وبعد قطع

الأسلاك الشائكة، جاؤوا بسلمين خشبيين، فربطوهما مع بعض، ورموهما على جدار القلعة، فصعد مجاهد من آل جربوع، ولدى وصوله إلى منتصف السلم، سقط شهيداً برصاص السنغاليين، ثم حاول مجاهد آخر وسقط كذلك شهيداً عن وسط السلالم. بعد ذلك، صعد نزيه المؤيد العظم، يحمل قنابل يدوية عدة، ولدى وصوله إلى منتصف السلم الثاني، بدأ برمي القنابل على السطح، وأخذ الصراخ يتصاعد من الجنود السنغاليين، الذين ابتعدوا عن حافة السطح، فوثب نزيه بسرعة وتبعه عدد من المجاهدين وبدأوا بإطلاق النار على الجنود الذين فرّوا من أمامهم وصُدموا من هذه المفاجأة.

أما في الجهة الغربية المقابلة، فقام أحمد هاني[٦٢] مع مجموعة كبيرة من الثوار، بالتقدّم نحو سور القلعة، واستطاع قطع الأسلاك الشائكة، وكان معه فؤاد علامة وشاهين هاني وعدد من أبناء منطقته ومجاهدون من جبل العرب ومنطقته راشيا، وقد استطاع ربط ثلاثة سلالم مع بعضها رماها على جدار القلعة، فصعد وحمل لحافاً مغطى بالكاز، ولدى وصوله إلى حافة السطح، أشعله ورماه على الجنود الذين ذعروا، وبدأوا يهربون، ثم لحقت به مجموعته وصعدوا إلى سطح القلعة، وبدأوا بمطاردة الجنود الذين فرّوا إلى السراديب والدهاليز، وقد ذكر أحمد هاني أنه في معركة راشيا استشهد ١٢ عنصراً من مجموعته قبل وصولهم إلى سطح القلعة.

وروى لنا ابن المجاهد أحمد عبد الباقي من عينبال الشوف[٦٣] نقلاً عن والده الذي كان في مجموعة شكيب وهاب، أن الجنود السنغاليين كانوا يرمونهم بالقنابل اليدوية، فيلتقطونها ويعيدونها إلى سطح القلعة، فتنفجر في صفوف السنغاليين، ويقول إنه أُصيب أكثر من عشرين شخصاً في مجموعتهم بين شهيد وجريح قبل اقتحام القلعة.

أما المجاهد كامل أمين شمس من بلدة بعقلين[٦٤] فقد صعد على أحد السلالم من جهة الغرب، ولدى وصوله إلى حافة سطح القلعة، أمسك به أحد الجنود السنغاليين الفارّين، وحاول رميه، ولكن المجاهد كامل شمس استطاع التغلّب عليه، حيث قام بقطع حنجرة هذا السنغالي بأسنانه، وقذفه من على السطح إلى الأرض، فعلا الحداء والتصفيق من جانب رفقائه المجاهدين، الذين كانت عيونهم مسمّرة تتابع هذا الصراع في الهواء.

وبينما كانت تدور معارك عنيفة على سطح القلعة، كانت المواجهات لا تزال ضارية عند مدخلي القلعة الشرقي والغربي، وعلى الرغم من الرصاص المنهمر على هذه المداخل، لمنع المجاهدين من الدخول عبر الأبواب، استطاع المجاهد الشيخ حسين كاسب من راشيا ومعه المجاهدون[٦٥]: حمد صعب، سعيد وأمين ومحمود أبو تين من بعقلين ومحمود ياغي (السمقانية) وسعيد الخفاجة وسعيد الجباعي (جباع) ومحمد كنج وسلمان الشوفي من مجدل شمس، أن يحطموا الباب الشرقي بالفؤوس والمعاول والبلطات، ويدخلوا إلى القلعة مهللين، فيفرّ أمامهم الفرنسيون إلى الأقبية يلتجأون إليها.

وعلى المدخل الغربي، استطاع شكيب وهاب وحمزة درويش وفندي أبو ياغي وفارس سراي الدين ومطر مطر وحمد صبح وأحمد عبد الباقي وعشرات المجاهدين اقتحام هذا المدخل وتحطيمه، فدخلوا إلى القلعة بالحداء والتكبير، وبدأوا يلاحقون الجنود، وقد استشهد في هذه المعركة المجاهد محمود ياغي من السمقانية، برصاص أحد الجنود داخل القلعة، عندما هجم محمود على إحدى الغرف وفتك بعدد كبير من الأعداء. كما استشهد المجاهد حسن صلاح الدين[٦٦] من بلدة بعقلين على مدخل الباب الكبير من ناحية الشرق.

زحف عشرات المجاهدين المحيطين بالقلعة إلى داخلها، بعد أن لجأت حاميتها إلى الأقبية والسراديب تتحصن فيها. وهنا قام قسم كبير من الثوار بالتلهّي بالسلب، وتركوا الجنود الفرنسيين والسنغاليين والمغاربة في الأقبية، بدل قتلهم أو أسرهم، فحمل كل واحد ما استطاع وخرج إلى القرى البعيدة. وعلى أثر ذلك، قام شكيب وهاب وحمد صعب وأحمد هاني بقتل عدد كبير من الخيول، كي لا يتلهّى بها الثوار، كما طلبوا منهم عدم الانسحاب، ولكن لم يبقَ سوى عدد ضئيل في القلعة، مع شكيب وهاب وحمد صعب، ونزيه المؤيد العظم وأحمد هاني وعناصرهم.

وفي عصر الرابع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٢٥، شاهد شكيب وهاب[٦٧] من على برج القلعة، القوات الفرنسية تتقدم من ناحية ظهر الأحمر، فاقترح على رفقائه الانتقال إلى خارج راشيا لمواجهتها، وتأخير سيرها، ريثما يستطيع أهلها مغادرتها، قبل وصول الفرنسيين والتنكيل بهم، لأن العدد الموجود من الثوار، لا يستطيع مواجهة هذه الحملة القادمة.

استطاع شكيب وهاب ورفقاؤه تأخير سير الحملة، حيث تصدّوا لها في عقبة راشيا، ثم انسحبوا نحو راشيا، فقامت الحملة الفرنسية بتدمير وإحراق بيوت العقبة، وتابعت سيرها، فوصلت إلى مشارف القلعة، وهناك دارت معركة شرسة مع مجموعة شكيب وهاب، حيث كان المجاهد أحمد هاني من بعذران، لا يزال يرابط مع مجموعة من أبناء بلدته وجوارها، من آل خطار وسلوم وشزبك وهاني وعلامة وأبو شقرا، على سطح القلعة، فاستطاع أحمد هاني ومجموعته الانسحاب، دون أن يصاب أحد منهم، مع مجموعة شكيب وهاب نحو حاصبيا.

والجدير بالذكر أنه في معركة عقبة راشيا، استبسل المجاهدون يوسف ملاعب (بيصور) وخليل حماده وأمين وسعيد ومحمود أبو تين (بعقلين) وأحمد عبد الباقي (عينبال) وحسين أبو زكي (عينبال) وفارس سراي الدين (عترين) وعلي وكنج العسل وفارس العقباني (بكّيفا وراشيا)[٦٨].

ومساء ٢٤ تشرين الثاني دخل الفرنسيون راشيا، فأمعنوا قتلاً ونهباً وتخريباً، وفي ٢٦ منه قاموا بصف المعتقلين وإطلاق الرصاص عليهم، ولم ينجُ قاضي المذهب الشيخ نعمان زاكي وأولاده[٦٩]، وبعد قتلهم حرق الفرنسيون داره، لأنه كان يؤوي الجرحى، الذين أجهز الفرنسيون عليهم جميعاً في عمل إجرامي ذهب ضحيته ما يقارب ٣٠٠ شهيد، معظمهم من الشيوخ والنساء والأطفال.

وبعد أن استتب الوضع للفرنسيين في راشيا، تقدموا بحملتهم نحو حاصبيا، حيث كانت تضم حوالي ٤٠٠ مجاهد، انقسموا إلى ثلاث مجموعات للدفاع عن هذه البلدة. الأولى بقيادة الشيخ علي شجاع وفارس سراي الدين على المحور الغربي، والثانية بقيادة شكيب وهاب وحمد صعب على المحور الشرقي الجنوبي، والثالثة بقيادة أحمد هاني على محور الشمال الشرقي. استمرت المواجهات ثلاثة أيام متتالية، حيث تعرّض المجاهدون لقصف عنيف بالطائرات والمدفعية، استمر القصف من الأول من كانون الأول ١٩٢٥ حتى الثالث منه، وفي الرابع منه شهدت جميع هذه المحاور قتالاً ضارياً، خاصة في منطقة العوجة، حيث أصبح الاشتباك بالسلاح الأبيض والخناجر، وكانت قوة المهاجمين تفوق أعداد الثوار بأضعاف،

فصمد المجاهدون واستطاعوا دحر القوات الفرنسية نحو مرجعيون[٧٠] بعد تكبيدها عشرات القتلى.

وفي صباح الخامس من كانون الأول ١٩٢٥، قامت الطائرات الفرنسية بغارات عنيفة على مواقع المجاهدين في حاصبيا، رافقها قصف مدفعي عنيف، مهّد لتقدم الحملة الكبيرة التي تزيد عن ألف مقاتل نحو حاصبيا، وبعد قتال استمر ساعة، انسحب المجاهدون من حاصبيا بعدما سطّروا أروع وقفات مهمة في الصمود والتضحية، وانتقلوا إلى مجدل شمس، فدخل الفرنسيون حاصبيا، وأمعنوا في نهبها وتدميرها مع عدد من المتطوعين معهم من أبناء مرجعيون وإبل السقي وغيرها.

معركة مجدل شمس الأولى

بعد احتلال راشيا وحاصبيا، ارتأت قيادة الحملة الفرنسية، أن تتقدّم نحو مجدل شمس المعقل الرئيسي الحالي للمجاهدين، فشكلت حملة ضخمة، انطلقت من القنيطرة، مسعدة[٧١]، نحو مجدل شمس، تتقدمها الآليات والمدرعات والدبابات، ممهدة لهذا التقدّم بقصف جوّي وبرّي كثيف. ولدى وصول الحملة إلى مشارف مجدل شمس في ١٩٢٥/١٢/٥، دارت معركة عنيفة، دمّر فيها المجاهدون عدداً من دبابات ومدرعات الفرنسيين، وأظهر المقاومون بطولات نادرة، فصمدوا في مواقعهم، وعبثاً حاول الفرنسيون عبر قصف طائراتهم زحزحة الثوار من أماكنهم. وبعد أن فشل الفرنسيون في التقدّم، قام المجاهد القائد فؤاد سليم، يرافقه حمد صعب، نجيب ذبيان، أحمد هاني، زين الدين شزبك، أحمد وملحم سلوم، فارس سراي الدين، كامل شمس، فندي أبو ياغي، علي طربيه، ملحم ورشيد ومحمد رضي الدين سلوم، سعيد حميدان، بشير أبو سعدى، حسين حمّاد، خطار وجميل هرموش، وسعيد ومحمود أبو تين، قبلان عزام، وعشرات من مجاهدي راشيا وحاصبيا والإقليم وجبل العرب ودمشق، بمطاردة القوات الفرنسية التي آثرت الانسحاب، فلحق بها الثوار حتى قرية سحيتا[٧٢]، ولكن فرحة النصر الكبير في هذه المعركة لم تكتمل، حيث أغارت إحدى الطائرات اللعينة، فأصابت شظية من قنابلها القائد البطل فؤاد سليم، قائد هذه

المعركة البطولية، فسقط شهيداً في أرض المعركة، بعد أن اطمأنت روحه الطاهرة من هزم الأعداء، في هذه المعركة التي خطط لها وقادها.

قام الأمير زيد الأطرش وصيّاح الأطرش وعدد من المجاهدين بدفن القائد الشهيد في بلدة سحيتا، ثم أقام السيد عمر آغا شمدين ضريحاً للفقيد الشهيد على رأس رابية في سحيتا، وقد أطلق على هذه التلة اسم البطل الخالد فؤاد سليم. وما إن وصل نبأ استشهاده إلى سلطان باشا الأطرش، حتى قال: «مات فؤاد وماتت روح الثورة، فذهب فؤاد وذهبت معه آمالنا في الثورة»[٧٣].

وبعد معركة مجدل شمس، استدعى سلطان باشا أخاه زيد الأطرش وحمزة درويش وصيّاح الأطرش وعلي عامر إلى السويداء، وأرسل ابن عمه الأمير متعب الأطرش لقيادة حملة الإقليم[٧٤]، حيث توجّه مع كوكبات من المجاهدين، فوصل إلى الغوطة، وسار معه من الغوطة أخوه يوسف الأطرش، علي عبيد، يوسف سرايا، سعيد البعيني وغيرهم. ولدى وصولهم إلى قرب قرية عين الشعرة، اشتبكوا مع حملة فرنسية بقيادة الكولونيل ماسيه، وقد أنجد حملة المجاهدين فارس طليعة ومجموعته، حيث كانت الحملة الفرنسية تطوق مجموعة محمود كيوان، ودارت معركة شرسة، استشهد فيها سبعة من مجموعة فارس طليعة، وخسر محمود كيوان سبعة عشر مجاهداً من مجموعته، بينهم المجاهد أمين الفطايري من جديدة الشوف[٧٥]، بينما زادت خسائر الفرنسيين عن ٦٠ قتيلاً. بعد ذلك، تابع الأمير متعب الأطرش سيره نحو مجدل شمس، وتمركز فيها، وقد انتقل إليها من الغوطة كذلك، المجاهدون محمود الطويل (بعقلين)، فضل الله الأطرش، أسعد كنج أبو صالح وحسين قيس وغيرهم.

وبعد أن تمركز الثوار في مجدل شمس، قررت قيادة الثورة التقدم بمفارز نحو البقاع، لضرب خط بيروت – دمشق، ومناوشة الفرنسيين، فانطلقت هذه المجموعات بقيادة شكيب وهاب وحمد صعب وأحمد هاني وخطار هرموش ومحمود كيوان وفارس مزهر وفارس حديفة، وفارس سراي الدين، وأسد قرقوط ومرعي حاطوم وسليم الدبيسي. وقد سجلت مواجهات عنيفة في عدد من المعارك في هذه المنطقة سنأتي على ذكرها.

أما الأمير زيد الأطرش وحمزة درويش وصياح الأطرش وعلي عامر،

وفندي أبو ياغي ومعهم عدد من المجاهدين[٧٦]، فقد غادروا مجدل شمس وانطلقوا نحو السويداء فوصلوها في أواخر كانون الأول ١٩٢٥.

المجاهدون يخوضون معارك بطولية في البقاع

انطلقت مفارز المجاهدين نحو البقاع، بناء لأوامر قيادة الثورة في مجدل شمس، فدارت في هذه المنطقة معارك عنيفة مع القوات الفرنسية وأعوانها، نورد أهم هذه المعارك وأحداثها، كما حصلت وهي:

١. معركة الحمّارة[٧٧]: بدأ الدرك اللبناني يعاونه عدد من العملاء المأجورين في بلدة الحمارة، بمطاردة الثوار ومراقبة تحركاتهم، بناء على أوامر فرنسية حيناً، وأحياناً بمبادرات شخصية. وقد قام هؤلاء مراراً، بمصادرة أحمال المكّارين والتعدي عليهم، وخصوصاً الدروز الذاهبين إلى جبل لبنان أو القادمين منه، ولم يكتفِ هؤلاء المعتدون بذلك، بل زجّوا بعض هؤلاء المساكين في السجون، وأنزلوا بهم أشد أنواع العذاب بتهمة مساعدة المجاهدين.

وعند تكرار هذه الأحداث، قرر المجاهدون احتلال هذه البلدة، فتقدمت مجموعة أحمد هاني ومجموعة حمد صعب وسعيد أبو تين[٧٨] ومعهم فارس حديفة وسليم الدبيسي مع مجموعتهم، وهاجموا بلدة الحمارة، فدارت اشتباكات عنيفة استغرقت ساعة من الزمن، وأسفرت عن احتلال المجاهدين لمخفر كفرمشكي، وأسر عناصره وتجريدهم من سلاحهم، ثم نقلهم إلى قرية السلطان يعقوب، وبعد مدة أطلق سراحهم.

٢. معركة مجدل عنجر: عقد المجاهدون في قرية السلطان يعقوب في مطلع شهر كانون الثاني ١٩٢٦ اجتماعاً حضره نسيب بك الداود، وعدد من أعيان ووجهاء قرى البقاع وراشيا، حيث تقرر في هذا الاجتماع: تكليف نسيب الداود ومرعي حاطوم ومجيد جمال شراء أسلحة وذخائر للمجاهدين من المال الذي تبرعت به هذه القرى، كما تقرر مهاجمة مجدل عنجر والتمركز فيها للسيطرة على خط بيروت – دمشق.

وبعد يومين من هذا الاجتماع، تحركت مجموعة بقيادة أحمد هاني إلى

مجدل عنجر، فقطعوا الطريق بالحجارة الضخمة، كما عمدوا إلى قطع أسلاك الهاتف. وفي أثناء عملهم، تصدت لهم دورية فرنسية فاشتبكوا معها، فاستشهد المجاهد توفيق حاطوم من مجاهدي السويداء – أم حارتين، كما قتل عدد من أفراد الدورية التي انسحبت من المنطقة. بعد ذلك، قامت مجموعات: شكيب وهاب، وحمد صعب، وأسد قرقوط، وخطار هرموش وسعيد أبو تين، وعبد الحليم الجردي وسليم جوديه، بمهاجمة مخفر مجدل عنجر وأسر عناصره، وغنم المجاهدون الذخيرة والأسلحة الموجودة فيه. وقد هرب عنصران إلى خارج مجدل عنجر، فأبلغا الفرنسيين، فسارعت القوات الفرنسية تدعمها الدبابات والمدرعات، بالتقدم نحو مجدل عنجر لتطويقها.

في هذه الأثناء، سارع الملازم في الدرك اللبناني الوطني أسد جمال من المحيدثة، بإبلاغ المجاهدين عن تحرك الحملة، وطلب منهم مغادرة المنطقة. ولكن الحملة وصلت، وطوقت البلدة، وبدأ الاشتباك مع المجاهدين في معركة ضارية، فاستشهد المجاهد جميل فرج من عين عنوب[٧٩]، كما استشهد أربعة مجاهدين وسقط عدد من الجرحى. وقد استبسل المجاهدون في الدفاع، وتمكنوا من فتح ثغرة في حملة الأعداء، نفذوا من خلالها إلى خارج مجدل عنجر، يحملون شهداءهم وجرحاهم. وفي أثناء انسحابهم، قامت الطائرات الحربية، بغارات جوية عنيفة، فجابهها المجاهدون بنيران بنادقهم، وقد استشهد في هذه الغارة، المجاهد شاهين سليمان هاني من بلدة بعذران[٨٠]، كما جُرِح المجاهد أسد قرقوط والمجاهد أحمد عبد الباقي في يده، ويوسف بشير أبو سعدى إصابة طفيفة.

٣. معركة الفالوج: في أواخر شهر كانون الثاني ١٩٢٥، كان المجاهدون يرابطون في قرى السفح الغربي لجبل الشيخ، ابتداء من عيحا إلى كفرقوق – دير العشائر – شمالاً وحتى سفوح راشيا جنوباً. مرت مجموعة من المتطوعين اللبنانيين قادمة من راشيا، فتبعها المجاهدون حتى وصلت إلى مخفر الفالوج. وفي الفالوج شاهد المجاهدون قافلة عسكرية كبيرة، تقوم بنقل الأسلحة والميرة، متجهة نحو راشيا، وتضم أكثر من ثلاثماية خيال وراجل من سنغاليين وفرنسيين ومغاربة. ولكن هذه القافلة، اضطرت للتوقف

بسبب رداءة الأحوال الجوية في الفالوج، بانتظار تحسن الطقس لاستكمال مسيرها. عند ذلك، قام المجاهدون بتطويق هذه القافلة، فأحسّ جنودها بالأمر، فالتجأوا إلى مخفر البلدة، وإلى الصخور يتحصنون ويتمركزون استعداداً للمعركة.

تقدم المجاهدون نحو مواقع الجنود، وإذ برصاص ينهمر عليهم، فدارت معركة طاحنة، سقط فيها عشرون شهيداً دفعة واحدة، من الشوف وعاليه والمتن وراشيا وحاصبيا وجبل الدروز ودمشق والغوطة. وعلى الرغم من ضراوة المعركة، استبسل المجاهدون وصمموا على احتلال البلدة والقضاء على هذه القافلة، فنفّذوا عمليات انقضاض انتحارية، ذُعر لها الجنود، فقسم قُتل وقسم استسلم، ولم يستطع أي فرد منهم الهروب. وقد قُتل أكثر من ٢٨٠ عسكرياً وضابطاً وأُسر الباقون.

أما شهداء هذه المعركة البطولية فقد عُرف منهم: وديع شمس (بعقلين)، فهد الفطايري (جديدة الشوف)، رشيد عبد الباقي (عينبال)[٨١]، حسين أبو علي وصالح أبو دهن (حاصبيا)، وهبه نخله (مجدل شمس)، حسين الحلح (ملح)، ومهاوش الصفدي (حُضر)، وعدد آخر من الشهداء الأبرار. كما عُرف من الجرحى: داود عبد الله (عيتات)، سليم الدبيسي (عرمان). وقد كانت هذه المعركة ضربة قاصمة للفرنسيين في البقاع، ولم يأتِ على ذكرها الكتاب الذهبي لجيوش الشرق.

٤. معركة كفرمشكي[٨٢]: قرر الثوار مهاجمة بلدة كفرمشكي في السادس من شباط ١٩٢٦، بعد أن تمادى بعض سكانها مع عناصر القوة الأمنية في مخفرها، في مطاردة المجاهدين ونصب الكمائن لهم، والتعدّي على القوافل القادمة من الشوف وعاليه والمتن. فتوزع المجاهدون إلى ثلاث مجموعات، هاجمت كفرمشكي من محاور ثلاثة كالتالي:

أ. مجموعة شكيب وهاب من ناحية الغرب.

ب. مجموعة أحمد هاني من جهة الشمال.

ت. مجموعة حمد صعب من جهة الجنوب.

وقد علمنا أسماء قسم من المجاهدين الذين شاركوا في هذه المعركة

وهم: سعيد قاسم خطار، ملحم علي خطار، نعيم أمين خطار، سعيد الحسنية، شمس الحسنية، فخر الدين إسماعيل هاني، فؤاد علامة، كامل شمس، حسين علامة، أحمد وأمين عبد الباقي، فارس سراي الدين، قاسم سعيد أبو ضرغم، سعيد ومحمود أبو تين، محمد وملحم ورشيد رضي الدين سلوم، أسعد محمد حميدان، شاهين زيدان، يوسف بشير أبو سعدى، يوسف القعسماني، قاسم حسين زهر الدين، خطار الفطايري، سليمان صلاح الدين، خليل أبو ضرغم، سعيد نجم الغصيني، علي أبو خزام، حسين أبو زكي، أمين علم الدين، سعيد ومعروف صعب، عبد الحليم وشفيق الجردي، حسن مرشد، مرعي حاطوم، حمد قرقوط، محمد السلمان، ذياب أبو محمود، حسين مرشد، قاسم الصحناوي، خليل بدور، سليم الشمعة، سليم عبد الصمد، رشيد شاهين نصر، محمود خطار نصر، محمد أمان الدين، هزيمة سعيد زهر الدين، حليم مجيد زهر الدين، عبد الله بو حسون، توفيق شمس.

بدأت مجموعات المجاهدين بالتقدّم، فدارت معركة عنيفة على جميع المحاور، استخدم فيها أعوان الفرنسيين الرشاشات الثقيلة، ولكن بسالة المجاهدين وتصميمهم على اقتلاع هؤلاء المعتدين، أدّى إلى فرار المعتدين من محاور الشمال والجنوب، والتجمع في المحور الغربي، فاشتدّ أزر الثوار وتقدموا على هذا المحور، وبعد معركة ضارية دامت قرابة خمس ساعات، استطاعوا احتلال كفرمشكي ومخفرها الحصين، فأسروا قسماً من عناصر المخفر، وقسم استطاع الفرار، كما سقط منهم أربعة عشر قتيلاً.

وقد روى لنا السيد رجا رضي الدين سلوم[٨٣]، نقلاً عن عمّه محمد الذي اشترك في هذه المعركة، فقال: «إن المجاهد فارس سراي الدين أُصيب في هذه المعركة، وكان يقاتل على المحور الغربي، حيث أظهر بطولات خارقة. وعلى الرغم من إصابته، تابع تقدمه حتى استطاع الوصول إلى رامي المدفع الرشاش، فطعنه بخنجره وقتله، وحمل المدفع الرشاش على خاصرته، ووصل إلى رفقائه، فرمى نفسه على الأرض مصاباً إصابات عدة، وعجز عن السير، فحمله محمد وملحم سلوم، ونقلوه إلى مكان بعيد عن المعركة، حيث قاما بصنع حمالة من القش والحصر القديمة، وضعاه عليها أثناء نقله، ثم اهتما به وعالجا جراحه».

وفي هذه المعركة، كان فؤاد علامة يقفز أمام أحمد هاني ابن بلدته وقائد المجموعة، فنهره مرات عدة خوفاً عليه من رصاص الجنود الفرنسيين، وعندما حاول فؤاد تجاوزه، تقدم أحمد نحوه يريد أن يؤنبه، ولكن المجاهد فخر الدين إسماعيل هاني الذي يكبر أحمد هاني نهاه عن تأنيب فؤاد، وطلب إليه أن يتركه، وقال له: «إن الأعمار بيد الله، فيجب أن لا تفتعل حساسية معه، وقد أبلى فؤاد بلاءً حسناً في المعركة».

٥. معركة حلوة[٨٤]: بعد احتلال كفرمشكي وتطهيرها من فلول السلطة، تقدم المجاهدون الذين شاركوا في كفرمشكي في العاشر من شباط نحو حلوة، فاشتبكوا مع الحامية الموجودة فيها، واستمر القتال ساعات عدة، استطاع المجاهدون بعدها طرد الحامية، بعد أن أوقعوا في صفوفها أكثر من عشرين قتيلاً وضعفهم من الجرحى، باعتراف الفرنسيين أنفسهم. ولكن المجاهدين تراجعوا إلى بلدات البيرة والرفيد والمحيدثة نظراً إلى سوء الطقس.

٦. معركة البيرة والرفيد: بعد فرار الحامية من حلوة، قامت القوات الفرنسية بالزحف من راشيا نحو تمركز المجاهدين في البيرة والرفيد، في ١٥ شباط ١٩٢٦، فتقدمت الحملة بقيادة الكولونيل لوفور نحو البيرة في ١٦ شباط، فتصدت لها مجموعات المجاهدين بقيادة: شكيب وهاب وحمد صعب وخطار هرموش وأحمد هاني، ودارت معركة ضارية، استعمل فيها الفرنسيون المدرعات والمدافع الرشاشة الثقيلة، وحاولوا تطويق المجاهدين، الذين تراجعوا نحو خربة روحا وكفردنيس، ولكن سارعت لدعمهم نجدات إخوانهم الثوار، فهبّ مجاهدو حلوة بقيادة نسيب الداود، ومجموعة من مجاهدي جبل الدروز بقيادة محمد شرف، الذين كانوا منتشرين في منطقة دير العشائر وكفرقوق، فاشتدت ضراوة المعركة، واستطاع المجاهدون الصمود والسيطرة على مجريات الأحداث، فهزمت الحملة الفرنسية، وتقهقر الكولونيل لوفور مع حملته الجريحة نحو راشيا في ١٨ شباط ١٩٢٦، بعد أن تكبّد ما يزيد عن مئتي قتيل وجريح، وغنم المجاهدون أسلحة وذخائر وخيولاً وافرة، وسقط لهم في هذه المعركة الكبيرة عشرون شهيداً[٨٥].

٧. معركة ينطا: التقى الجيش المهزوم بقيادة الكولونيل ليفور على مشارف راشيا، بجيش جرار يقوده الكولونيل كليمان غرانكور. فقررت القيادة العسكرية الفرنسية أن يزحف الجيش نحو الشمال، لإبعاد المجاهدين عن منطقة البقاع. زحفت الحملة في الخامس والعشرين من شباط نحو بلدة ينطا، حيث كانت مجموعات: شكيب وهاب وأحمد هاني وحمد صعب وخطار هرموش، ومجموعات من راشيا وحاصبيا وجبل العرب والغوطة متمركزة في هذه البلدة. كما زحفت حملة كبيرة من دمشق - الديماس نحو هذه المنطقة بقيادة الكولونيل فرن، وذلك لإحكام الطوق على المجاهدين.

وفي ٢٦ شباط ١٩٢٦، بدأت المعركة الطاحنة من جهات ينطا الأربع، فكانت الأرض تغور من تساقط الرصاص والقذائف كما وصفها أحد المجاهدين تحت أقدامهم. فاستبسل قادة المجموعات وعناصرهم، في الدفاع عن مواقعهم، على الرغم من القصف المدفعي الكثيف لإزاحتهم عن مراكزهم، وقد سجّل في هذه المعركة أبناء راشيا وحاصبيا، وأبناء حلوة وينطا بطولات خارقة، ففشلت القوات الفرنسية في احتلال ينطا في ذلك النهار الناري الملتهب العظيم[٨٦].

وما إن خيّم جنح الظلام حتى تراجع الفرنسيون إلى مشارف ينطا خوفاً من عمليات ليلية، ولكن المجاهدين آثروا الانسحاب، بعدما وقع في صفوفهم أربعون إصابة بين شهيد وجريح في هذه المعركة، واتجهوا في ظلمة الليل عبر الوديان والمسالك الوعرة، إلى قرى حينا وعرنة ومجدل شمس، بعد أن كبّدوا الحملة الفرنسية ما يزيد عن مئة قتيل وجريح، قام بعدها الفرنسيون في اليوم التالي باحتلال ينطا وتقدمت قواتهم إلى باقي قرى البقاع، حيث سيطروا سيطرة تامة على هذه المنطقة في الأول من آذار ١٩٢٦.

٨. معركة قطنا[٨٧]: قام المجاهد أحمد الباراقي، وهو عريف في الجيش الفرنسي يخدم في قطنا، بتسهيل عمل المجاهدين في ٢٠ آذار ١٩٢٦، حيث قُطعت أسلاك الهاتف ودُمرت بعض المنشآت، على أثر ذلك، قامت السلطة بتكليف القائد في الدرك زكي الحاجة بتعقّب المجاهدين. ولكن

أحمد استطاع إفشال مهمة زكي الحاجة، وسهل دخول المجاهدين بقيادة خليل بصله الذين أعدموا الحاجة بعد أسره، واحتلوا دار الحكومة، ثم أحرقوها، وأطلقوا سراح السجناء، وقام أحمد البارافي بخلع المستودع الحربي، ونقل الأسلحة والعتاد مع مجموعة خليل بصله إلى قلعة جندل، حيث كان يرابط المجاهد نسيب الداود وأعلموه بالأمر. أما القوات الفرنسية فسيّرت حملة كبيرة إلى قطنا، فاحتلتها دون مقاومة، وأقامت مراكز ومتاريس في البلدة وتحصن العسكر فيها.

على أثر هذه التطورات المتسارعة، عقدت قيادة المجاهدين اجتماعاً كبيراً في قرية عين الشعرة، حضره قادة المجموعات من جبل لبنان وراشيا وحاصبيا ودمشق وجبل العرب والإقليم(٨٨) عصر الثالث والعشرين من آذار، قرروا في نهايته مهاجمة بلدة قطنا، وإجلاء الفرنسيين عنها، نظراً لموقعها الإستراتيجي المسيطر على ممرات جبل الشيخ.

وفي فجر الخامس والعشرين من آذار ١٩٢٦، بدأ المجاهدون هجومهم على قطنا، فتقدموا نحو المراكز الفرنسية، ودارت اشتباكات عنيفة استمرت حتى مطلع الشمس، استخدم بعدها الفرنسيون الدبابات والمدرعات والرشاشات الثقيلة في صد الهجوم، حيث تمكّن الثوار من احتلال بعض المراكز في الليل، واستطاعوا ضرب أحد المواقع قرب مدرسة البلدة، حيث يتجمّع عشرات الجنود، فسقط أكثر من ثلاثين فرنسياً في هذه الاشتباكات دفعة واحدة.

صُعق الفرنسيون لهذه المفاجأة، فتدخّل الطيران الحربي وبدأ قصفاً جنونياً، وشنّت عشرات الغارات على مواقع المجاهدين، فاضطر الثوار إلى الانسحاب، بعد أن سقط ما يقارب العشرين شهيداً، عرفنا منهم: الضابط خطار هرموش (السمقانية)(٨٩)، سعيد خداج (كفرمتى)، وشهداء من دمشق وجبل العرب وحاصبيا وراشيا منهم: أحمد حاطوم، محمد عبد الصمد، حمود جعفر، محمد صبرا، عبد الله مزهر، وهبه الغاوي، ذياب وعبد اللطيف ومحمود ويوسف الشعراني، علي شروف، حمد عبد الحي.

وفي أرض المعركة، استمر المجاهد محمود كيوان مع مجموعته والمجاهد محمد شريف مللي الكردي مع عناصره، يواجهون القوات

الفرنسية، حتى استطاع معظم المجاهدين الانسحاب إلى خارج قطنا، فتغلغل عناصر هاتين المجموعتين في بساتين قطنا حتى غروب الشمس، انسحبوا بعدها إلى قلعة جندل وقسم ذهب إلى الغوطة. ولدى وصول المجاهدين إلى قلعة جندل، ثم إلى عين الشعرة، كان معهم جميل هرموش نجل الشهيد خطار هرموش، فقام جميل بالفتك بأكثر من عشرة جنود فرنسيين وسنغاليين، أسرى في عين الشعرة انتقاماً لوالده، مما حدا بالقادة شكيب وهاب وأحمد هاني وسعيد أبو تين إلى إيقافه عن متابعة تصفية هؤلاء الأسرى.

معركة مجدل شمس الثانية

تحركت القوات الفرنسية نحو مجدل شمس من محورين: الأول عن طريق مرجعيون غرباً نحو مسعدة، والثاني من القنيطرة - خان أرينبة، وشارك في هاتين القوتين، ما يقارب ستة آلاف جندي، معززين بالدبابات والمدرعات وبطاريات المدفعية والتموين، إضافة إلى ما يناهز الألف متطوع من اللبنانيين والسوريين.

وفي الثلاثين من أيار اصطدم المجاهدون بهذه القوات، فدارت معارك عنيفة في خان أرينبة، والغجر ومسعدة ووادي العسل وجباتا الخشب[٩٠]، حيث أنزل المجاهدون خسائر جسيمة في الحملة، بقيادة الأمير عادل أرسلان الذي هزمهم في جباتا الخشب واندحروا نحو بلدة خان أرينبة، فاضطروا للاستعانة بالطيران الحربي لإبعاد المجاهدين، الذين تراجعوا نحو مجدل شمس للدفاع عنها. وصلت الحملة الفرنسية والمتطوعون مساء الثاني من نيسان ١٩٢٦ إلى مشارف المجدل، ودارت مناوشات طوال الليل مع الثوار، وفي فجر الثالث من نيسان دارت معارك طاحنة على جميع المحاور، قامت القوات الفرنسية بقصف عنيف بالطائرات والدبابات والمدفعية، لكن المجاهدين استطاعوا الصمود، ودحر هذه القوات إلى جباتا الخشب وكفرشبعا وجوارها، في ساعات الصباح، وقاد هذه المواجهات البطولية المجاهدون: حمد صعب، حسيب ذبيان، فارس سراي الدين، أحمد هاني، سعيد أبو تين، أسعد كنج أبو صالح ومحمود الطويل حيث سجّلوا بطولات رائعة. إلا أن القوات الفرنسية اعتمدت خطة خرق الجبهة بتركيزها على

محور واحد، فقامت قواتها المدرّعة إضافة إلى الطيران بالتركيز على المحور الشمالي للمجدل، وبذلك استطاع الفرنسيون اختراق المواقع من ناحية نبع سعار[٩١] والتقدّم نحو منازل البلدة، وراحوا ينسفونها بالديناميت. عند ذلك، قام المجاهدون بالانسحاب نحو بلدة حُضر، في الوقت الذي بقيت مجموعات عدة تقاوم في مجدل شمس، ولكن الفرنسيين استطاعوا احتلال معظم البلدة، ودخلوها بدباباتهم، وقاموا بقصف المنازل التي كان أهلها والمجاهدون متحصنين فيها، ورفضوا الانسحاب مفضّلين الاستشهاد، فقضوا تحت الأنقاض. بعد ذلك، تابعت الحملة الفرنسية تقدمها نحو حضر، فتصدى لها المجاهدون، وقاموا بانسحاب تكتيكي نحو بلدة حينا، حيث كانت قافلة النازحين من الأهالي تتجه نحو جبل العرب.

بعد ذلك، قام المجاهدون حمد صعب[٩٢] وخليل مريود وسعيد الحلبي وآخرون، بالتوجّه إلى بلدة جدل، حيث يقيم سلطان باشا الأطرش والأمير عادل أرسلان وإبلاغهم بما جرى، وعن سير القافلة التي تضم الألوف من أبناء الإقليم، رجالاً ونساء وأطفالاً. فوصل حمد صعب ورفقاؤه، وأبلغوا سلطان الذي بعث على الفور رُسلاً إلى القرى والقيادات الدرزية، ثم تحرك يرافقه الأمير عادل أرسلان وعدد كبير من المجاهدين لملاقاة القافلة.

انطلقت القافلة من بلدة حينا فوصلت إلى كناكر العجم الواقعة إلى الشرق من سعسع، فأسرع أهلها إلى استقبالها، وفتحوا بيوتهم وأظهروا كرماً وضيافة لا مثيل لهما. وارتاحت الحملة يومين في كناكر العجم ثم تابعت سيرها إلى جبل العرب. في هذا الوقت كانت أعين السلطة تتابع تحرك القافلة، فأوعزت إلى قسم من عرب السلوط وعملائها بالتصدي للقافلة وذلك يوم ١١ نيسان ١٩٢٦ في منطقة بقع جمر.

دارت معركة عنيفة بين المجاهدين الذين يحمون القافلة مع هؤلاء المرتزقة والمتآمرين، واستمرت ساعات عدة، استبسل فيها المجاهدون، محمود الطويل وحسيب ذيبان وسعد كليب وفواز عزام وجميل عبد الله حامد، وهزيمة وفرحان زهر الدين، ورشيد شاهين نصر، وسلمان ملحم الشوقي، وسعيد أبو تين وفارس سراي الدين وعلي الديب، وحسين محمود الغريب، وما هي إلاّ ساعات قليلة حتى وصلت طلائع النجدة، يقودها سلطان

باشا والأمير عادل أرسلان، فدارت المعركة بشراسة أشد، بعدما شاهد سلطان باشا الحالة المرعبة التي عاشتها هذه القافلة، فانقض المجاهدون على أولئك المرتزقة، فولّوا الأدبار تاركين في ساحة المعركة عشرات القتلى والجرحى في صفوفهم.

أما في صفوف المجاهدين، فسقط عدد من الشهداء، في مقدمتهم فارس سراي الدين من (عينبال)[٩٣]، وفضل الله حاتم (عين الشعرة)، وصالح العفلق، سلمان الصفدي، محمد الصفدي، حسن الحلبي (مجدل شمس)، نصار منذر عربس (سحيتا)، صالح عماشة (بقعاتا)، سليم جوديه (قيصما). وقد أصيب المجاهد محمود الطويل بجروح بالغة مع عدد آخر من المجاهدين. بعد ذلك، تابعت القافلة سيرها، فوصلت إلى قرى الجبل، وتوزعت في معظم المناطق، حيث قام أهل هذه القرى بضيافتهم ومساعدتهم. وقد سقط من هذه القافلة حوالي مئة شهيد معظمهم من النساء والأطفال والشيوخ، قسم قضى في المعركة وقسم من المرض والجوع.

إسهام المجاهدين في معارك الغوطة

بعد فشل غاملان في احتلال السويداء وانسحابه إلى حوران، استتب الوضع لمجاهدي جبل الدروز، فأرسل سلطان باشا الأطرش نجدات عدة من مجاهدي جبل الدروز وجبل لبنان لدعم ثوار الغوطة ودمشق. فتوجهت أفواج المجاهدين بقيادة محمد عز الدين الحلبي ومحمود كيوان وصياح الأطرش ومحمود ومحمد أبو يحيى وحمزة درويش لمناصرة الثوار، وقد أسهموا في خلال شهر تشرين الأول ١٩٢٥ في معارك عدة ضد القوات الفرنسية وأعوانها في دمشق والغوطة، وكان يوم ١٨/١٠/١٩٢٥ يوماً مشهوداً[٩٤]، حيث استطاع المجاهدون مهاجمة الحامية الفرنسية في دمشق من محاور عدة، فكبدوها عشرات القتلى وأضعافهم من الجرحى، فصُعق الفرنسيون لهذه العملية، فقاموا في ١٩/١٠ بقصف دمشق بالطائرات[٩٥]، فوقع عشرات الشهداء معظمهم من الأطفال والنساء. أثار هذا الاعتداء الوحشي استنكاراً عالمياً، وتنديداً بالسياسة الفرنسية، مما اضطر فرنسا إلى تبديل مفوضها سراي بالسيد دي جوفنيل بعد ذلك. وفيما كان المجاهدون

يخوضون معارك بطولية، في راشيا وحاصبيا ووادي التيم وإقليم البلان، كانت تدور على محاور الغوطة، مواجهات عنيفة ضد الفرنسيين وأعوانهم، بقيادة محمد عز الدين الحلبي، والأمير متعب الأطرش وعلي الأطرش اللذين كانا على رأس حملة متجهة من جبل العرب إلى الإقليم، فأسهما في نجدة محمد عز الدين والمجاهدين، كما وصلت كوكبات من مجاهدي لبنان لتنضم إلى مجاهدي الغوطة، إضافة إلى إسهام بعض مجاهدي قرى سفح جبل الشيخ الشرقي في هذه المعارك.

معركة يلدا وببيلا

وصلت الأخبار إلى مجاهدي الغوطة بأن القوات الفرنسية ستزحف نحو قريتي يلدا وببيلا لاحتلالهما في الخامس من كانون الأول ١٩٢٥[٩٦]، فهب المجاهدون إلى هذه المنطقة لصد القوات الفرنسية، التي تقدمت نحو ببيلا، فدارت معركة طاحنة، وفي خلال ساعتين من الزمن، تمكن المجاهدون من صدّ تقدّم الحملة، وتطويقها، وبدأوا بالهجوم عليها، ودارت معارك بالسلاح الأبيض والقنابل اليدوية، وشعر الفرنسيون بأنهم سيلاقون مصير من سبقهم في معركة المزرعة الخالدة، فاستنجدوا بالطائرات، ولكن ضراوة القصف الجوي والبري لم تزحزح المجاهدين، الذين اقتحموا صفوف الفرنسيين، ووصلوا إلى رماة الرشاشات، فقتلوهم وغنموا ثلاثة رشاشات ثقيلة. عند ذلك، فرّت الدبابات والمدرعات نحو حي الميدان وثكنة القدم والمقبرة، يرافق هذا الانكسار الآلاف من الجند الذين ولّوا الأدبار. فتبعهم المجاهدون إلى حي الميدان والمقبرة، حيث استطاعوا طردهم من موقع المقبرة، ودارت معارك عنيفة في شوارع حي الميدان، فتقهقر الفرنسيون إلى ثكنة القدم، وقامت النساء والصبايا بتقديم الحلوى والطعام والشراب إلى المجاهدين في حي الميدان، وعمّ الفرح بهذا النصر العظيم.

عند ذلك، قامت القوات الفرنسية بدفع تعزيزات كبيرة تساندها الطائرات التي قامت بقصف عشوائي لحي الميدان، فانسحب المجاهدون نحو يلدا وببيلا ومنها إلى بساتين الغوطة، حاملين معهم الأسلحة والرشاشات والمؤن التي غنموها في هذه الموقعة. وقد استمرت القوات الفرنسية طوال الليل

تقوم بقصف الغوطة[٩٧]، خوفاً من تقدم المجاهدين نحو ثكنة القدم، وقد زادت خسائرهم عن ستمائة قتيل وجريح في هذه المعركة.

وقد استبسل في هذه المعركة الأمير متعب الأطرش وعلي الأطرش[٩٨] ومجاهدو مدينة السويداء، كما استبسل محمد عز الدين وأخوه وعناصر مجموعته، ومجاهدو يلدا وببيلا وحي الميدان والحريقة، ومجاهدون من لبنان علمنا منهم: الشيخ علي أبو رسلان، علي حسين قبلان عزام، رشيد أبو ضرغم، حسين محمود ضو، علي طربيه، محمود الطويل، علي وفرحان أبو هنا، رشيد محمود الحسنية، سعيد وعلي الحسنية، قاسم حسون ذبيان، علي فندي عزام، وأحمد أمين البتلوني[٩٩].

وقد أُصيب المجاهد علي حسين قبلان عزام من معاصر الشوف في ساقه، ولم يتراجع، بل استمر يقاتل حتى طُردت القوات الفرنسية، وشارك في ملاحقتها حتى أبواب دمشق، وبقي لمدة ثلاثة أيام منتعلاً حذاءه، وجراحه تنزف ببطء، فانتقل إلى جرمانا، حيث اضطر إلى تمزيق حذاءه بالسكين بعد أن تجمد الدم في داخله[١٠٠].

كذلك أُصيب المجاهد الشجاع الشيخ علي أبو رسلان من بلدة رأس المتن، وروى لنا نجله أنه كان يتقدم نحو إحدى الدشم التي تحصّن فيها رماة الرشاشات، فأُصيب في حنكه برصاصة أوقعت أربعة أضراس له، ثم أُصيب برصاصة في أعلى رأسه أدّت إلى جرح بسيط، فقام رفقاؤه بنقله، بينما تابع أفراد من مجموعته بينهم حمد الصحناوي وحسين زين الدين التقدّم واستطاعا قتل الرماة والاستيلاء على الرشاش الثقيل.

بعد ذلك، نُقل الشيخ علي أبو رسلان إلى خارج أرض المعركة بسرعة، وتمت معالجة جراحه، وبعد أن تماثل للشفاء، عاد إلى الإسهام في معارك الثورة في السويداء والغوطة في ربيع وصيف ١٩٢٦[١٠١].

كما أُصيب في هذه المعركة البطولية المجاهد علي الديب من بلدة كفرمتى في يده، عندما كان يطارد القوات المعتدية في أزقة حي الميدان، فقام بتمزيق قميصه، وساعده أحد المجاهدين على ربطها في موضع الإصابة، وتابع خوض المعركة إلى نهايتها، وقد شهد له رفقاؤه ببطولاته في هذه الموقعة الكبيرة[١٠٢].

بعد معركة يلدا وببيلا، راح مجاهدو جبل لبنان وجبل العرب يخوضون المعارك البطولية في قرى الغوطة، فأسهموا في العاشر من كانون الأول ١٩٢٥ في مهاجمة المراكز والمخافر الفرنسية في مدينة دمشق. وفي ١٥ منه، جرت مواجهات دامية في قرية جوبر، حيث تصدّى المجاهدون بقيادة محمد عز الدين الحلبي للحملة الفرنسية التي تُعد بالآلاف، تدعمها الطائرات والدبابات والمدرعات، وأسهم في هذه المعركة كذلك، أبناء جوبر ومجموعة ابن عكاش. دارت المعركة منذ الصباح، فثبت المجاهدون في مراكزهم، وعبثاً حاولت الطائرات الحربية زحزحتهم عن مواقعهم، لكنها فشلت، وأمّنت فقط للفرنسيين فرصة سحب قتلاهم وجرحاهم من أرض المعركة التي قدّرت بالمئات، بينما سقط من المجاهدين عشرة شهداء.

وفي عصر اليوم نفسه، شدّ المجاهدون أزرهم وشنّوا هجوماً معاكساً على الفرنسيين، فاضطروهم إلى الهرب نحو مدينة دمشق، واستبسل في هذه المعركة المجاهد محمد عز الدين الحلبي ومجموعته ومجموعات المجاهدين في الشوف، مما حدا بالمجاهد حسن الخراط إلى التقدم وتقبيل شاربي محمد عز الدين نظراً لما أبداه من شجاعة نادرة في هذه المعركة[١٠٣].

بعد هذه المعركة دارت معارك عدة في الغوطة، في شهري شباط وآذار، خاصة بعد وصول القائد فوزي القاوقجي ومحمد العاص، حيث نشبت معركة ضارية في قرية عربين، استمرت من الثالث حتى الخامس من آذار ١٩٢٦، فكانت عربين مقبرة للجنود الفرنسيين، الذين تركتهم الحملة صرعى في أرض المعركة وارتدت منهزمة نحو دمشق[١٠٤]، حيث أخلت معظم المخافر، ولم يبق سوى مخفرين في شبعا ودوما، وأصبحت القوات الفرنسية وأعوانها في دمشق في حالة حصار شبه دائم. وفي هذه المعارك، كان المجاهدون الدروز ينتقلون من جبل الشيخ إلى الغوطة، يشاركون في المعارك ثم يعودون إلى قراهم، كذلك دروز جرمانا والأشرفية وصحنايا.

وفي ٨ آذار زحفت حملة كبيرة من دمشق يقودها الكولونيل فرن متوجهة نحو الغوطة، قاصدة شبعا، تريد سحب هذه الحامية المحاصرة. تصدّى



المجاهدون للحملة المجاهدة، فسقط قائدها فرن صريعاً ظهر يوم ٨ آذار[١٠٥]، وفرّت الحملة عائدة إلى دمشق. وفي مساء ٩ آذار، انسحبت الحامية من مخفر شبعا نحو الكسوة – دمشق، وبذلك سيطر المجاهدون على معظم الغوطة في شهر آذار ١٩٢٦.

وعلى الرغم من انسحاب المجاهدين الدروز من الغوطة في أواخر آذار، نحو جبل الدروز استعداداً لخوض معركة السويداء التي كان الفرنسيون يجهّزون لها، إلا أن أزيز الرصاص لم يهدأ في الغوطة، فجرت مواجهات عدة بين المجاهدين والقوات الفرنسية وأعوانها، وقد قامت هذه القوات الغاشمة بارتكاب مجازر في حي الميدان وعدد من قرى الغوطة، انتقاماً لخسائرها في هذه المنطقة الصامدة.

مجاهدو لبنان مجدداً في الغوطة

أرسل القائد العام للثورة سلطان باشا الأطرش، القائد عادل النكدي إلى الغوطة على رأس أرتال من المجاهدين، معظمهم من اللبنانيين في أواخر شهر حزيران ١٩٢٦، من أجل أن يجمع شمل الثوار، وينظم المجموعات في الغوطة بالاشتراك مع القائد مصطفى وصفي والقائد فوزي القاوقجي، لتخفيف الضغط عن جبل الدروز، وقطع طرق الإمدادات.

وصل القائد عادل النكدي إلى الغوطة، فاجتمع بقاداتها، وتم الاتفاق على برنامج عمل وافق عليه معظم القادة، وتم إبلاغ قائد الثورة بذلك، فأثنى على جهود عادل النكدي، في جمع الشمل في هذه المنطقة الإستراتيجية، في الثورة السورية[١٠٦]. وقد شهد شهر تموز ١٩٢٦ معارك طاحنة بين المجاهدين والقوات الفرنسية وأعوانها، فكانت معارك بالا، كفربطنا، حمورية، عقربا، سقبا، جرمانا.

وفي هذه الأثناء، وصلت مجموعات من المجاهدين بقيادة عبد الحليم الجردي وحسين حماد وقسم من مجموعة أحمد هاني إلى الغوطة، بعد محاولتهم في ٢ تموز إقامة مواجهة في بعذران مع الفرنسيين، حيث خرجوا من الشوف، وتوجهوا إلى الغوطة، فأسهموا إلى جانب القائد عادل النكدي في معظم المعارك بدءاً من العاشر من تموز ١٩٢٦[١٠٧].

معركة بالا

بينما كانت المعارك الضارية تدور في قرية كفربطنا في العشرين من تموز ١٩٢٦، حيث تضعضع الجنود الفرنسيون، وأُصيبوا بخسائر فادحة، كانت قوات أخرى تتقدم نحو روز بالا، من جهة تل الذهب وحوش خرابو بعد أن وصلت إلى سقبا. شن الجنود الفرنسيون هجوماً عنيفاً على مواقع المجاهدين الذين يتقدمهم القادة: عادل النكدي، شوكت العائدي، الأمير عز الدين الجزائري، ورمزي الحمصي[١٠٨]. ودارت معارك عنيفة، فنازل المجاهدون القوات المعتدية في قتال مستميت، حيث لم يكن عدد المجاهدين يشكل ١٠٪ من القوة المهاجمة. لكن المجاهدين صمدوا في روز بالا، ثم انسحبوا نحو وادي الخير قرب جسر المطيّر، حيث وصلت نجدات من جرمانا ومن مجاهدي حي الشاغور، فدارت المعارك الضارية قرب نهر المليجي، فاندحرت القوات الفرنسية بعد أن تكبدت عشرات القتلى، أكثرهم من الخيالة الشركس، كما أسقط المجاهدون طائرة حربية تحطمت بالقرب من جسر المطيّر. إضافة إلى ذلك، غنم المجاهدون عشرات البنادق والأسلحة وكميات من المؤن، كما غنموا بعض الخيول التي تركها العسكر في أرض المعركة.

وقد استبسل في هذه المعركة المجاهد القائد عادل النكدي[١٠٩]، إذ أُصيب في كتفه فحمله المجاهد محمد رضي الدين سلوم من بعقلين يعاونه أحد المجاهدين، كما أُصيب المجاهد سليمان حسين الأعور من قرنايل في ساقه، ولكنه استمر في خوض غمار المعركة، انسحب بعدها لتضميد جراحه.

وقد علمنا بعض أسماء المجاهدين الذين أسهموا في هذه المعركة إلى جانب عادل النكدي وهم: محمد وملحم ورشيد رضي الدين سلوم، عارف أبو عجرم، يوسف بشير أبو سعدى، يوسف القعسماني، علي علم الدين، فندي وسعيد محمد الأعور، رشيد شاهين نصر، سعيد ومحمود خطار نصر، محمد أمان الدين، هاني أمان الدين، يوسف مجيد نصر، هزيمة وفرحان زهر الدين، رشيد أبو ضرغم، حسين محمود ضو، إسماعيل عبد الحق، صالح العسل، فارس سراي الدين، قاسم أبو ضرغم، مطر مطر، حمد صبح، علي وفرحان أبو هنا، بشير جعفر، يوسف ملاعب، سعيد خطار، شمس الحسنية، عبد الحليم

وشفيق الجردي، حسين حماد، فخر الدين إسماعيل هاني، نعيم خطار، أحمد سلوم، وغيرهم من مجاهدي حاصبيا وراشيا وجبل الشيخ والغوطة.

بعد هذه المعركة انتقل المجاهدون إلى جبهة حمورية، حيث اشتبكوا مع القوات الفرنسية، وشارك في هذه المعركة القادة: فوزي القاوقجي، شوكت العائدي، الأمير عز الدين الجزائري، وآل ديبو وأبناء عكاش[١١٠] وعدد كبير من مجاهدي الغوطة. تقدّمت القوات الفرنسية تدعمها الدبابات والمصفحات والطائرات التي قامت بقصف مواقع المجاهدين، فتصدى لها الثوار، وصدموا فرقة الفرسان المراكشيين، وأجبروهم على التراجع والاحتماء بالدبابات والمدرعات، واستمرت المعركة من الصباح حتى غياب الشمس، وكادت ذخيرة المجاهدين أن تنفد، فتراجعوا نحو الزور، بعد أن سقط منهم خمسة شهداء من أبناء الغوطة ودمشق، بينما زادت خسائر المهاجمين عن خمسين إصابة بين قتيل وجريح.

معركة سقبا

وصلت في ٢٥ تموز ١٩٢٦ نجدة من جبل الدروز يقودها الأمير متعب الأطرش[١١١]، تضم نحو مئة فارس، يرافقها المجاهدون نسيب البكري وزكي الدروبي وصبري العسلي. فاجتمعوا في قرية الهيجانة بالأمير عز الدين الجزائري وشوكت العائدي وعبد الله أمين التركي. بعد ذلك انتقلوا إلى مسرابا، فالتقوا بالقائد فوزي القاوقجي قائد المنطقة الشمالية في الغوطة.

في هذه الأثناء، كان المجاهد عادل النكدي في مسرابا[١١٢]، قرر القيام بجولة استطلاعية خارجها، فرافقه في جولته الدكتور أمين رويحة وجميل شاكر، ولكنهم تفاجأوا بتسلّل القوات الفرنسية إلى بساتين حمورة، زاحفة نحو سقبا، فرجعوا إلى مسرابا، وسار معهم حوالي ٣٠٠ مجاهد، حيث ربطوا خيولهم في أرض مسرابا، وتقدموا نحو سقبا. استطاع الفرنسيون خداعهم، فلم يطلقوا النار على المجاهدين إلا بعد أن وصلوا إلى وسط القرية، فبدأ الجنود الفرنسيون بإطلاق النار، فتفاجأ المجاهدون، الذين احتموا خلف الجدران ووراء الأشجار وفي أقنية الري، ودارت معركة عنيفة، ثبت فيها عادل النكدي وجميل شاكر ومعهم حوالي خمسين مجاهداً، بينما تراجع الباقون.

وبعد قتال استمر ساعتين، تراجعوا نحو مسرابا، وانتقلوا مع خيولهم، بعد أن سقط منهم عشرة جرحى، تمّ نقلهم إلى مركز مسرابا للمعالجة، إثر ذلك، اجتمع القادة في مسرابا للتشاور، فقرر متعب الأطرش العودة إلى جبل الدروز لطلب النجدة، حيث انسحب مع حملته، ولكنه لم يعد، حيث كانت تدور في جبل الدروز في المقرن الجنوبي والشرقي معارك طاحنة مع الفرنسيين، فاضطر على أثرها للبقاء هناك.

لكن القائد عادل النكدي بقي في الغوطة، تؤازره مجموعة كبيرة من المجاهدين اللبنانيين، فضّلوا البقاء في هذه المنطقة لضرب معاقل القوات الفرنسية وتخفيف الضغط عن جبل العرب.

معركة جرمانا

في ٣١ تموز تقدمت القوات الفرنسية نحو جرمانا، فتصدى لها المجاهد عادل النكدي ومجموعته، وحسين حماد ومجموعته، وعبد الحليم الجردي ومجموعته، والقائد مصطفى وصفي وأنصاره، ومجاهدو الشاغور وجرمانا، ومجموعة أحمد هاني كذلك.

تحصّن المجاهدون وراء الأشجار وفي أقنية الري، وبدأت المواجهة الصعبة، فكان المجاهدون يتنقلون من شجرة إلى أخرى، ويقفزون من قناة إلى قناة، ومن كومة ترابية إلى كومة أخرى، ينازلون الجنود الفرنسيين والسنغاليين، واستبسل المجاهدون في موقع سيدي الناس، فكان القائد عادل النكدي يتقدمهم ويدعوهم للجهاد، فأُصيب برصاصة في صدره سقط على أثرها شهيداً في ساحة المعركة، واستشهد إلى جانبه المجاهد الشيخ مصطفى سيف[١١٣].

وفي جهة ثانية، كانت تدور معركة حامية، استبسل فيها مجاهدو أحمد هاني، فسقط المجاهد فخر الدين إسماعيل هاني[١١٤] من بلدة بعذران شهيداً في هذه المعركة. ولدى سقوط الشهيد عادل النكدي، تقدّم المجاهد يوسف بشير أبو سعدى من بعقلين[١١٥]، غير آبه للرصاص، وأغار على موقع للجنود يتحصنون به، وكان رفقاؤه يصيحون به أن يرجع فلم يمتثل، فأُصيب برصاصات عدة، سقط على أثرها شهيداً في ساحة المواجهة

البطولية. وبعد ذلك، استمرت المعركة بضراوة، فاستبسل المجاهدون، واستطاعوا دحر القوات الفرنسية إلى خارج جرمانا، بعد أن تكبدت عشرات الإصابات في صفوفها.

وقام المجاهد محمود خطار نصر[١١٦] بحمل جثمان القائد عادل النكدي، عاونه بذلك رفقاؤه، كما قام يوسف القعسماني ومحمد وملحم سلوم بنقل جثمان الشهيد المجاهد بشير يوسف أبو سعدى، ومجموعة أحمد هاني قامت بنقل جثمان الشهيد فخر الدين هاني والشهيد المجاهد الشيخ مصطفى سيف، وقد جرى للشهداء حفل تأبيني، شارك فيه القائد مصطفى وصفي في بلدة جرمانا، في الأول من آب ١٩٢٦.

المجاهدون اللبنانيون في معارك الثورة الأخيرة

بعد استشهاد القائد عادل النكدي في الغوطة، انتقل قسم كبير من المجاهدين إلى جبل الدروز، فالتحقوا بالثوار في المقرن الشمالي، وقسم آخر اتجه إلى المقرن الشرقي، وقسم توجه إلى المقرن الجنوبي، وقسم عاد إلى لبنان. وفي شهور آب وأيلول وتشرين الأول، دارت معارك ضارية على مختلف جبهات القتال في جبل الدروز واللجاه، أسهم المجاهدون اللبنانيون في معظمها، واستشهد العديد منهم في تلك المعارك، وأهمها: نجران، خربة الصوخر، قيصما، الصورة الكبيرة، هضبة شهبا، رشيدي، الكفر.

والجدير بالذكر أنه سبق هذه المعارك، مواجهات دامية في خلال شهر نيسان وأيار وحزيران وتموز ١٩٢٦، حيث تمّ احتلال مدينة السويداء في أواخر نيسان، ومدينة صلخد في أوائل حزيران، وقد تكبّد الفرنسيون خسائر فادحة، كما سقط العشرات من المجاهدين في التصدي البطولي للزحف الفرنسي على هاتين المدينتين. وفي ١٤ حزيران ١٩٢٦، اتجهت حملة من مدينة صلخد إلى بلدة إمتان، قاصدة بلدة العانات، فوقعت معركة ضارية مع المجاهدين في إمتان[١١٧]، استمرت ساعات عدة، تدخل على أثرها الطيران الحربي لإبعاد المجاهدين، الذين انسحبوا نحو التلال، وقد استشهد في هذه المعركة المجاهد أحمد أمين البتلوني من بلدة جباع الشوف[١١٨]، الذي كان يقود مجموعة من المجاهدين اللبنانيين في هذه المعركة.

معركة نجران

في الرابع من آب ١٩٢٦، تحرك الجنرال أندريا على رأس حملة ضخمة إلى المزرعة – السجن – نجران[١١٩]، وقد سبق لهذه الحملة، أن تقدمتها فرقة من المتطوعين في الثالث من آب إلى قرية السجن، فدارت معركة مع المجاهدين، استمرت من عصر ذلك اليوم حتى مغيب الشمس، تكبّد فيها هؤلاء المعتدون خسائر كبيرة. وقد أرسل المجاهدون أحد الثوار إلى بلدة طربا، حيث يتواجد سلطان لإبلاغه بتقدم الحملة.

تحرّك سلطان ورفقاؤه بسرعة نحو نجران، فدارت في صباح الرابع من آب معركة عنيفة، استطاع خلالها المجاهدون تكبيد القوات المعتدية خسائر فادحة اعترف بها أندريا، ولم يستطع الفرنسيون إبعاد المجاهدين إلا بعد أن تدخل الطيران الحربي، وقصفه بعنف مواقع المجاهدين، فانسحبوا إلى التلال، وتقدمت الحملة نحو عريقة. وبعد يومين عاد الجنرال أندريا على الطريق نفسه، فدارت معركة ضارية بين قريتي السجن ونجران في موقع قلاع الجف[١٢٠]، فاستبسل المجاهدون في الدفاع استشهد المجاهد فضل الله هنيدي في هذه المواجهة البطولية، كما استشهد العديد من الثوار الدروز، وقد اضطرت الحملة أن تتقهقر إلى قرية السجن، وتغيّر وجهة سيرها، حيث سلكت طريق المجدل – كفر اللحف – ريمة الفخور – بريكة. وقد اشترك في هذه المعركة الأمير عادل أرسلان مع مجموعات كبيرة من المجاهدين من جبل لبنان.

معركة خربة الصوخر

كان سلطان باشا الأطرش يقوم بجولة في قرى المقرن الجنوبي في جبل الدروز، حيث وصل إلى خربة الصوخر الواقعة بين قريتي بكا وأم الرمان، فبات ليلته هناك، وفي صباح التاسع من آب ١٩٢٦، بينما كان يخطط مع رفقائه للانقضاض على قافلة تموينية ذاهبة نحو صلخد، اكتشف الفرنسيون تجمّعاً للمجاهدين، فتم إرسال فرقة من المتطوعين الدروز، تؤازرها فرق أخرى، للتصدي لهم، فدارت معركة عنيفة، استمرت أكثر من ساعتين، استشهد فيها خمسة مجاهدين، بينما سقط للفرنسيين وأعوانهم أكثر من

خمسة عشر قتيلاً[١٢١]. وفي هذه المعركة، حاول المتطوعة الدروز وغيرهم، اعتقال سلطان باشا الأطرش الذي قتل حصانه، فقام المجاهد حمد صعب والمجاهد صيّاح حمود الأطرش ومجموعة من المجاهدين، بالإغارة على هؤلاء المتطوعة في هجوم صاعق، واستطاعوا أن ينقذوا سلطان باشا، ويقدموا له فرساً، ويبعدوه من وسط الخطر سالماً. وقد استطاع الفرنسيون، الاستفادة من وثائق مهمة، وجدوها في سرج فرس سلطان باشا الأطرش[١٢٢].
أما المجاهدون الأبطال فلم ينسحبوا من مواقعهم، بل دافعوا ببسالة نادرة فاستطاعوا قهر فرقة المتطوعة وأعوانها، وتمكنوا من السيطرة على عدد من حمولة القافلة التي تضم أسلحة وذخائر، وعدد من الخيول بعدما فرّ العسكر إلى خارج أرض المعركة.

معركة قيصما

بعد موقعة خربة الصوخر، تابع سلطان باشا الأطرش تجواله في قرى المقرن القبلي، يرافقه المجاهدون، فوصل في ٢٢ آب إلى قرية قيصما، الواقعة بين قريتي ملح وعرمان. وقد قام أحد المواطنين الشرفاء، كان يخدم في الجيش الفرنسي من أبناء جبل الدروز، بإبلاغ سلطان مساء ٢٢ آب، أن القوات الفرنسية ستزحف من صلخد صباح ٢٣ آب، في حملة كبيرة قاصدة قيصما، من أجل القضاء على المجاهدين.

في هذه الأثناء، وصل المجاهد رشيد طليع يرافقه عدد كبير من المجاهدين، حيث كان يقوم بجولة في المقرن الشمالي، إلى بلدة قيصما، فاجتمع بسلطان باشا، وأطلعه على نتائج جولته، فيما أبلغه سلطان نية الفرنسيين بالزحف صباحاً نحوهم. استعد المجاهدون صباح ٢٣ آب ١٩٢٦، فتحركت الحملة الفرنسية التي كان يتقدمها المتطوعون الدروز الذين كان يقذف بهم الفرنسيون في أتون المعركة في مواجهة إخوانهم، ثم أُتبعت هذه الفرقة بالسنغاليين والفرنسيين والشركس والمراكشيين.

ترك المجاهدون الحملة تتقدم حتى وصلت إلى منتصف البلدة، فبدأوا إطلاق الرصاص عليها، فتساقط المتطوعون كورق التين، عند ذلك، طلب سلطان من الثوار عدم إطلاق النار على إخوانهم الدروز، بل على خيولهم

فربما يعودون إلى رشدهم وينسحبون من الجيش الفرنسي. وقد نفّذ المجاهدون تعليمات سلطان، حيث سقط أكثر من ستين جواداً، وفرّ المتطوعة من المعركة فتقدم السنغاليون والمراكشة والفرنسيون، فدارت معركة طاحنة، استطاع المجاهدون خلالها الصمود، فهزموا هذه الحملة شر هزيمة، وفي ذلك يعترف أندريا بقوله عن هذه المعركة: «إنه حادث مؤلم حقاً، لأن خسارتنا كانت كبيرة، عشرون قتيلاً بينهم ضابط فرنسي، وثلاثون أسيراً بينهم ضابط كبير. انتصار باهر حققه سلطان، أحدث انقلاباً كبيراً في الأهالي المستسلمين، فازداد التطوع في صفوف العصابات، وأسرع الدروز من الأزرق وقد سحرهم هذا الانتصار العظيم»[١٢٣].

وفي هذه المعركة تم أسر الضابط سوكر، الذي نقله المجاهد سعيد الجردي من الشويفات[١٢٤] برفقة عدد من المجاهدين، إلى منطقة اللجاه حيث يتمركز المجاهد محمد عز الدين الحلبي، فسلّمه إياه، وعاد مع رفقائه إلى قيصما. أما في صفوف المجاهدين، فقد سقط أربعة شهداء وعدد من الجرحى، بينهم المجاهد القائد رشيد طليع الذي أُصيب في كتفه[١٢٥].

الحملة الفرنسية على وادي اللوى

بينما كان المجاهدون في المقرن الجنوبي يتصدّون للقوات الفرنسية، في مدينة صلخد وقضائها، قام الجنرال أندريا بتسيير حملتين عسكريتين، انطلقت الأولى من مدينة شهبا، والثانية من ناحية براق باتجاه وادي اللوى في الرابع والعشرين من شهر آب ١٩٢٦[١٢٦]. فتقدمت الحملة الأولى واجتاحت قرى: السويمرة، المتونة، الصورة الصغيرة، ذكير، خلخلة، أم حارتين، وحزم. فتصدّى لها المجاهدون بقيادة محمد عز الدين الحلبي والأمير عادل أرسلان، في معظم هذه القرى. ولدى وصول الحملة الثانية إلى الصورة الكبيرة في محاولة لتطويق المجاهدين، دارت معركة ضارية في ٢٦ آب، كبّد فيها المجاهدون القوات الفرنسية خسائر فادحة، فاضطروهم إلى الانسحاب من الصورة الكبيرة، فتراجعت الحملة الثانية إلى براق، بينما الحملة الأولى اضطرت إلى العودة نحو شهبا، ولكنها تعرضت في انسحابها لانقضاض الثوار، مما أجبرها على تغيير خط سيرها

عبر طريق الهيث – شهبا، وفي تلال شهبا دارت معركة عنيفة بين الفرقة السنغالية والمجاهدين الذين تحصنوا وراء الصخور، فهزموا هذه الفرقة على الرغم من تدخل الطيران الحربي لإبعادهم، ولكن قذائف الطائرات والمدفعية فشلت في زحزحة صمود المقاومين، فاضطرت هذه الفرقة إلى التقهقر بعدما تكبدت خسائر فادحة، ويعترف الجنرال أندريا بذلك، ويقول: «ثلاثة قتلى بينهم ضابطان وعشرون جريحاً عدا المفقودين، دون أن نتمكن من اعتقال درزي واحد»[١٢٧].

أما المجاهدون فقد خسروا خلال هذا الأسبوع حوالي عشرين شهيداً وعدداً من الجرحى، تمّ نقلهم إلى اللجاه وإسعافهم. والجدير بالذكر، أنه على الرغم من استسلام بعض القرى للفرنسيين في هذه المنطقة، فإن أهاليها كانوا متعاطفين مع الثوار، ينقلون إليهم الطعام والماء، تحمله النساء والشبان إلى مواقع المجاهدين، لتعزيز صمودهم، كما قامت النساء بمداواة الجرحى والمصابين.

معركة رشيدي

في الثامن من أيلول، تقدمت حملة فرنسية كبرى في المقرن الشرقي نحو قرى: الكسيب، أم رواق، العجيلات، الغيضة. وفي وادي الغيضة دارت معركة بين الحملة والمجاهدين، تكبّد فيها الفرنسيون خسائر بشرية ومادية جسيمة، بعدها استطاعت الحملة الوصول إلى قرية المشنّف، فباتت هناك، على أمل أن تتقدم في اليوم التالي نحو قرية أشبكي.

في هذه الأثناء، أرسل سلطان بطلب النجدات، فوافاه الأمير عادل أرسلان ومجموعة كبيرة من المجاهدين اللبنانيين، كما وصلت إلى المنطقة مجموعة كبيرة من الثوار، من مجاهدي دمشق والغوطة، يتقدمهم عبدو الكلاس وشاكر العاص، وعبد المولى ومجاهدون من آل مريود[١٢٨].

استعد المجاهدون للقاء الحملة، وفي صباح العاشر من أيلول ١٩٢٦[١٢٩]، تقدمت الحملة من المشنّف نحو أشبكي، الرشيدي. ترك المجاهدون الحملة تعبر المنحدر الشديد في الرشيدي، حتى وصلت إلى الوادي، فبدأوا بإطلاق النيران الغزيرة عليها، ثم انقضوا على جناحها الأيسر،

فدارت معركة بالسلاح الأبيض، استعمل فيها المجاهدون الخناجر والسيوف والبلطات، فمزقوا هذا الجناح شر تمزيق، وفرت هذه الفرقة نحو وادي الرشيدي هائمة على وجهها، بعد أن سقط منها عشرات القتلى الجرحى، وكاد هذا النصر أن يكون شاملاً، لو لم يتدخل سلاح الطيران والمدفعية، فيقصف بشكل عنيف ومركّز مواقع المجاهدين، فاضطروا إلى الانسحاب، بعد قتال متواصل استمر أكثر من خمس ساعات، فتراجع المجاهدون نحو تلال أسعنا، أما الحملة فقد تابعت سيرها ووصلت عند المغيب إلى شُعف.

وقد أُعتبرت هذه المعركة من أضخم المعارك في المقرن الجنوبي، حيث امتدت مساحتها على جبهة طولها ستة كيلو مترات، فقد امتدت من قرية بوسان غرباً حتى أسعنا شرقاً، لم يعرف فيها الفرنسيون وأعوانهم سوى الهروب، فكانت أشبه بمعركة المزرعة الخالدة.

أما المجاهدون الذين أسهموا في هذه المعركة، فهم: الأمير عادل أرسلان، رشيد طليع، شكيب وهاب، عبد الحليم وسعيد الجردي، فندي أبو ياغي، حمد صعب، حسيب ذبيان، فؤاد علامة، شاهين ملاعب، رشيد شاهين نصر، داود عبد الله، محمد فرج، محمد شيّا، توفيق ذبيان، صالح خويص، مصطفى وسعيد محمود، أسعد كنج أبو صالح، محمود كيوان، سعيد أبو تين، حسين حماد، طليع وفندي الأحمدية، هاني الدلغان، أحمد هاني، علي أبو رسلان، رشيد أبو ضرغم، أحمد وأمين علي عبد الباقي، قاسم حسين زهر الدين، بشير سعيد جعفر، محمد وملحم رضي الدين سلوم، جميل هرموش، وسعيد محمد الأعور، حسين محاسن، محمود البتلوني، محمود الطويل، محمود حسون، حسين علي الحسنية، حسين داود الحسنية، داود أبو شقرا، يوسف أمين سليم، أمين حمد سلوم، سعيد أبو كامل. كما اشترك مئات المجاهدين من جبل الدروز وجبل الشيخ ومنطقة راشيا وحاصبيا والإقليم، إضافة إلى مجاهدي دمشق والغوطة. وفي هذه المعركة البطولية، استشهد أكثر من ثلاثين مجاهداً في التصدي البطولي، عرفنا منهم المجاهد الكبير عبد الحليم الجردي من بلدة الشويفات، والمجاهد البطل محمد شيّا من شانيه. كما جُرح المغوار حمد صعب.

معركة الكفر

بعد الانتصار في معركة الرشيدي، انتقل الأمير عادل أرسلان والمجموعات المجاهدة إلى قرية الكفر، ثم انتقل سلطان باشا وكوكبات المجاهدين للقاء الحملة القادمة من صلخد نحو السويداء. وفي الرابع عشر من أيلول فجراً، تحركت الحملة، يتقدمها الأعوان، فاحتلت قرية حبران، وتقدمت نحو الكفر، حيث كان المجاهدون بانتظارها. دارت معركة عنيفة وضارية استبسل فيها المجاهدون، فصمدوا في مواقعهم في حين حاول الفرنسيون تطويقهم، ففشلت الخطة، واستطاع المجاهدون إنزال هزيمة بالفرنسيين والمتطوعين الدروز والشركس، وسجّلوا بطولات خارقة في ميدان المعركة. وقد اعترف الجنرال أندريا بفشل عملية التطويق(١٣٠) التي كان يريدها أمام صمود المجاهدين وبطولاتهم. وقد استشهد من الثوار عشرة أبطال، وتم أسر أحد عشر شخصاً، وقعوا في كمين نصبه الفرنسيون. بينما سقط للفرنسيين أكثر من سبعين شخصاً بين قتيل وجريح.

المجاهدون يتصدون للزحف الفرنسي على اللجاه الشرقية

أ. معركة صميد الأولى

جهّزت القوات الفرنسية في العشرين من شهر تشرين الأول ١٩٢٦، حملات عسكرية عدة على منطقة اللجاه الشرقية، حيث يتمركز المجاهدون في قرى صميد وواكم، فانطلقت الحملة الأولى من السويداء في ٢١/١٠/١٩٢٦ بقيادة الكولونيل كاله نحو مدينة شهبا، فوصلت في ٢٢ منه، واستمرت لمدة يومين في شهبا، حيث تجهزت بالتموين. في هذا الوقت، كانت مجموعة من الطائرات الحربية تغير على مواقع المجاهدين، في صميد وواكم ودامة والخرسا، وقد استطاع المجاهدون إسقاط طائرتين في الرابع والعشرين من تشرين الأول(١٣١).

وفي ٢٥/١٠ انطلقت الحملة من شهبا نحو الصورة الصغيرة، فاستولت عليها، ثم تابعت تقدمها نحو الخالدية، التي تمركزت فيها قوات الكولونيل مارتان. في هذا الوقت حاول اللواء الأول من الرماة المراكشيين تطويق

المجاهدين في قرية رديم، لكن المحاولة فشلت، واستطاع الثوار الانسحاب نحو واكم بعدما كبّدو العدوّ سبعة قتلى و٢٢ جريحاً.

وفي ١٠/٣١ تقدمت مفرزة من الحملة لاستكشاف صميد[١٣٢]، ولدى وصولها إلى مشارف المجدل، تصدّى لها المجاهدون، وعلى الرغم من تدخل الطيران بشكل عنيف، إلا أن ذلك لم يؤثر على معنويات المجاهدين الذين تحصنوا في أماكن شبه آمنة، وقاموا بمنازلة القوات المعتدية، فكبّدوها عدداً كبيراً من القتلى والجرحى، فاضطرت هذه المفرزة إلى التراجع نحو شهبا.

وفي ١٩٢٦/١١/٨ زحفت قوتان عسكريتان، الأولى بقيادة الكولونيل كاله، تقدمت عبر المجدل نحو صميد، والثانية بقيادة مارتان عبر طريق الخرسا – صميد، في محاولة لتطويق الثوار والإطباق عليهم. تقدمت القوتان ببطء، ودار الاشتباك العنيف بين المجاهدين وهاتين القوتين، فصمد المجاهدون في مواقعهم، وعبثاً حاولت الطائرات بغاراتها العنيفة زحزحتهم من أماكنهم، فلم تستطع، واستطاع الثوار إسقاط طائرتين منها.

بعد ذلك، قام المجاهدون بشن هجوم على مواقع لواء الرماة المراكشيين الأول، فتقدم قائد كتيبة الرماة الليوتنان الفرنسي دسرغرس دولو[١٣٣]، وذلك لرفع معنويات عساكره المنهارة، ولكنه ما كاد يصل إلى ميدان المعركة حتى صرعه رصاص الثوار، فخرّ قتيلاً، وبدأ رجاله بالفرار والانسحاب.

تابع المجاهدون هجومهم على الحملة الفرنسية، وسجل المجاهد حسين حمّاد بطولات خارقة، في انقضاضه على معاقل الفرنسيين، يرافقه عدد من مجاهدي الشوف وعاليه، وعلى الرغم من ضراوة المعركة، لم يتراجع البطل حسين حماد، فأصرّ على دحر فلول الفرنسيين عن هذه المنطقة، وبقي يناضل إلى أن أصابته رصاصة قاتلة، سقط على أثرها شهيداً في ساحة الشرف والجهاد[١٣٤].

لكن رفقاءه لم يتوقفوا عن مواصلة المعركة، فاضطرت الحملة الفرنسية إلى التراجع نحو شهبا، تجر أذيال الهزيمة، دون أن تحقق أي نصر في بلدة صميد أو جوارها، وقد سقط أكثر من عشرين قتيلاً وأكثر من أربعين جريحاً، بينهم ضباط كبار في صفوف الفرنسيين؛ أما خسارة المجاهدين فكانت ثلاثة ثوار وعدداً من الجرحى.

ب. معركة صميد الثانية

بعد معركة صميد الأولى نزح قسم من المجاهدين إلى الأزرق، وبقي ما يقارب أربعمائة مجاهد في هذه المنطقة[١٣٥]، يتمركزون في كهوفها ومغاورها الصخرية الحصينة. وقد انتظر الفرنسيون انتهاء فصل الشتاء البارد، فجهزوا في نهاية شهر آذار ١٩٢٧، خمسة جيوش جرارة، انطلقت من خمسة محاور نحو صميد – واكم، لإخراج المجاهدين المرابطين في هذه المنطقة الحصينة المستعصية. تقدمت القوات الفرنسية في الثلاثين من آذار، تدعمها الطائرات والمدفعية في توغلها، فتصدّى لها المجاهدون في مناطق عدة، كان أهمها على محور المسمية – صميد، حيث شنوا هجوماً كاسحاً على الجيش الأول الذي يقوده الكولونيل بوجان، فأنزلوا خسائر فادحة في صفوف رماته السنغاليين والمراكشيين والتوانسة وغيرهم من المرتزقة.

إلا أن المجاهدين لم يستطيعوا الصمود أكثر من يوم واحد، أمام جيوش جرارة تتجاوز الخمسة والعشرين ألفاً، مدعومة بالطائرات والمدفعية والمدرعات، فآثر المجاهدون الانسحاب نحو الأزرق، وقسم آخر توجه نحو غور الصفا، حيث استشهد في هذه المواجهات البطولية ٤٧ شهيداً وجُرح ثمانون[١٣٦]، بينما وقع في الأسر أربعون شخصاً. وقد استشهد في هذه المعركة المجاهد علي العسل من بكيفا، والمجاهد سعيد البري من بلدة عين عطا، كما استشهد المجاهد قاسم سعيد أبو ضرغم من بلدة بعقلين المجاهدة[١٣٧].

المجاهدون اللبنانيون الذين انتقلوا إلى الأزرق

بعد المعارك الضارية في منطقة اللجاه، وانتقال سلطان باشا الأطرش ومعظم المجاهدين، إلى منطقة الأزرق، في إمارة شرق الأردن، انتقل قسم من المجاهدين اللبنانيين ما بين أواخر سنة ١٩٢٦ وصيف ١٩٢٧، ولكن قسماً منهم عاد إلى لبنان وبقي قسم في المنفى. وهذه لائحة بأسماء المجاهدين الذين استقروا في الأزرق بادئ الأمر، ثم انتقلوا إلى وادي السرحان: إبراهيم حمزة، أحمد عبد الباقي، أسعد كنج أبو صالح، أمين حمزة، توفيق شمس، توفيق صالحة، جميل هرموش، حسين وعلي وشريف أبو رسلان، حسين أبو

شقرا، حسيب ذبيان، حسين سويد، حسين العقيلي، حسين وعباس ومجيد غريزي، حسين محاسن، حمد صعب، داوود عبد الله، رشيد حماده، سعيد أبو تين، سعيد الجردي، سعيد الغصيني، سعيد نايف صعب، سليم وفريد وفندي الأحمدية، سليم الشمعة، سليم وعباس عبد الصمد، سليمان ونجيب الأعور، سليمان محمود، شكيب وعارف وهاب، عباس علامة، عبد الله أبو حسون، فارس عبد الخالق، فندي أبو ياغي، فؤاد علامة، قاسم حسين زهر الدين، محمد أبو عاصي، محمد حماده، محمود علامة، محمد القلعاني، محمد ويوسف ملاعب، مصطفى وسعيد محمود، نايف عزام، نجيب أبو حمزة، يوسف قيس[١٣٨].

ب

المجاهدون اللبنانيون الدروز في الثورة الفلسطينية

عقد في النبك بتاريخ ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٩ مؤتمراً شاملاً، تطرق البحث فيه إلى الأوضاع في سوريا، وما آلت إليه المفاوضات بين السلطة الفرنسية وأركان الحكم في سوريا، كما تطرق البحث إلى موضوع القضية الفلسطينية. وقد أصدر المجتمعون قرارات مهمة عُرفت بقرارات مؤتمر الصحراء[١٣٩].

ومن جملة هذه القرارات، استنكار المجاهدين للاعتداءات الصهيونية على العرب في فلسطين، والمطالبة بإلغاء وعد بلفور المشؤوم والمخالف لحقوق العرب الطبيعية والشرعية في فلسطين، والمناقض لعهود بريطانيا العظمى التي قطعتها للشعب العربي؛ معتبراً إن إلغاء وعد بلفور والتحالف مع الأمم العربية على أساس الاعتراف بحقوق العرب الوطنية المشروعة وسيادتهم في بلادهم هو أفضل وسيلة لتصفية العلائق البريطانية في الشرق الأدنى، على أساس يحفظ شرف بريطانيا العظمى ويضمن السلام العالمي لخير الإنسانية وتقدّم المدنية.

وفي شهر تشرين الثاني ١٩٢٩، قام المجاهد شكيب وهاب بالاجتماع مع المفتي أمين الحسيني في القدس[١٤٠]، وتناول اللقاء موضوع الاعتداءات الصهيونية، المدعومة من الانتداب البريطاني، فطلب شكيب من المفتي تنظيم عصابات، للقيام بحملة ثورية يمكن أن تستمر ما لا يقل عن عام واحد. ولكن المفتي قال إنه لا يعتبر ذلك ضرورياً في الوقت الراهن. وفي ذلك الحين، كان المفتي أمين الحسيني يأمل أن يقوم البريطانيون بدور فعّال، لوقف التعديات الصهيونية ومساندة العرب، وأنه لا مجال لجر العرب إلى حرب في فلسطين مع الجيش البريطاني والقوات اليهودية معاً.

لكن الاضطرابات اشتدت في أواخر سنة ١٩٢٩ بين العرب واليهود، حيث قام الصهاينة بشراء كمية كبيرة من الأسلحة، إضافة إلى مساعدة البريطانيين في مدّهم بالسلاح كذلك، وقيام الصهاينة بارتكاب المجازر في عدد من القرى، ضد النساء والأطفال والشيوخ، شاركهم في بعضها الجند البريطاني بحسب اعتراف السلطة في فلسطين في ١٩٢٩/٨/٢٥[١٤١].

في هذه الأثناء، تحركت مجموعات من مجاهدي الثورة السورية، لبنانيين وسوريين، للإسهام في هذه الثورة، مؤمنين بأن النضال العربي، وفي أي بقعة عربية، وحدة لا تتجزأ. فبدأت هذه الكوكبات الشريفة تصل إلى أرض فلسطين، خصوصاً بعد عملية صفد في تشرين الأول ١٩٢٩، بقيادة المجاهد أحمد طافش، ليشتركوا في أواسط تشرين الثاني في معركة صفد الثانية، ويتصدوا لليهود وللجيش البريطاني في معركة هُزم فيها العدو المشترك[١٤٢].

أما المجاهدون اللبنانيون الدروز، فكان معظمهم ينزل في ضيافة إخوانهم دروز الجبل، الذين قدموا لهم كل مساعدة، وأسهموا في التصدي للعدوان، وكانت قرى المغار، يركا، حرفيش، بوسان، بيت جن، كفرياسيف، الرامي، جولس وغيرها، موئلاً للمجاهدين، ومركزاً لانطلاق غاراتهم على المراكز والمستعمرات والتجمعات الصهيونية والبريطانية.

استمرّ مجاهدو الثورة السورية في تصدّيهم للاعتداءات الصهيونية والبريطانية في فلسطين، من سنة ١٩٢٩ حتى ١٩٣٣، كانوا يتنقلون خلالها بين فلسطين وإمارة شرق الأردن والنبك. فقام عدد منهم بأعمال بطولية، أرعبت الجيش البريطاني واليهود في معظم المدن الفلسطينية، فكان المجاهدون فؤاد علامة، وإسماعيل عبد الحق، وصالح العسل، وفندي أبو ياغي زهر الدين، وقاسم زهر الدين، وحمد صعب، وملحم ورشيد سلوم رضي الدين، وسعيد أبو تين، ونعيم خطار، وسليم الريّس في طليعة هؤلاء الثوار الذين زلزلوا الأرض تحت أقدام الصهاينة، وجعلوهم يعيشون في كابوس دائم من الرعب والخوف والقلق.

قام فندي أبو ياغي ومجموعته بعمليات عسكرية في مدن صفد ونابلس وجنين وطولكرم ويافا والقدس، كما قام فؤاد علامة ومجموعته بعدد من

العمليات ضد اليهود والبريطانيين، مما أزعج السلطة في فلسطين، فقامت في سنة ١٩٣٣، برصد جائزة مقدارها خمسمائة ليرة ذهبية، لمن يقوم بإلقاء القبض أو قتل المجاهد فؤاد علامة، حيث وزعت السلطة رسمه، على جميع مخافر السلطة ومراكز الحدود(١٤٣).

ومثلما كان يقوم اليهود بالاعتداء على المواطنين العرب، كان فؤاد علامة يرد في غير منطقة، بالانتقام منهم، فيدخل على مستعمراتهم ومراكز تجمعاتهم، فيقوم بقتلهم، وكان يتجنب النساء والأطفال والشيوخ. وفي شهر أيار ١٩٣٣، قام بقتل أحد الضباط البريطانيين في بلدة المغار، فجنّ جنون القيادة البريطانية، وأرسلت قوات كبيرة، فاعتقلت عدداً من المواطنين ولكنها أخلت سبيلهم، بعدما علمت أن المنفذ هو فؤاد علامة، والسبب هو تحرّش الضابط بالنساء ومحاولته التعدّي على إحداهنّ(١٤٤).

وفي شهر حزيران ١٩٣٣، قامت السلطة باعتقال زوجة المجاهد نجيب الأعور، باشتراك زوجها في عمليات ضدّ السلطة واليهود، فعلم فؤاد علامة، أن الزوجة موجودة في مخفر بلدة البقيعة الفلسطينية. فانتقل مع مجموعته، واقتحم المخفر حيث كان يتواجد فيه خمسة عناصر، وقام بتخليص المرأة، وتجريد العسكريين من أسلحتهم، وتنبيههم إلى عدم تكرار الحادثة(١٤٥). ثم انطلق ووضع سلاح العسكريين على مقربة من المخفر، فهؤلاء الخفراء هم من أبناء الشعب الفلسطيني، ولم يرد فؤاد علامة أن تعاقبهم السلطة، فأرسل لهم خبراً عن مكان السلاح ليتسلموه، وهذا يدل على شهامته وعطفه على أبناء قومه العرب، مهما غرّر بهم الاستعمار.

روى لنا المجاهد الشيخ سعيد محمد فياض من بلدة بكّيفا، حادثة أخبره إيّاها شخصياً المجاهد فؤاد علامة سنة ١٩٣٥ وهي(١٤٦): «دفع القائد الإنكليزي في فلسطين، المستر فولي، مبلغاً كبيراً لمن يستطيع القبض على فؤاد علامة في سنة ١٩٣٣. وفي شهر أيار ١٩٣٣، بينما كانت زوجة المستر فولي ذاهبة إلى بحيرة طبريا، قامت مجموعة فؤاد علامة باعتراض سبيلها، وانتزعوا الحلى من يديها. فسألتهم من هو قائدكم؟ فأجابوها بتباهٍ: فؤاد علامة. فطلبت منهم أن يعرّفوها على شخصيته، فقام أحدهم بنقلها إلى مركز تواجده. وبعد أن قابلته، أخبرته بما حصل معها، فطلب من المجموعة أن

تحضر بكاملها، وبعد حضورها، طلب فؤاد من عناصره، إرجاع الذهب كاملاً إلى السيدة. فأرجعوا الذهب، ثم سألها إلى أين ستذهبين؟ فقالت: سأعود إلى حيفا. وهنا قامت السيدة بإعطاء قسم من الذهب لفؤاد، لكنه رفض، وبعد إصرارها ورفضه، قدّمت له ساعة يد هدية، فقام فؤاد بإهدائها مسدساً، وقال لها: إنني هنا أنتظر زوجك، إذهبي وبلغيه ذلك، لقد دفع للناس مبالغ كبيرة للقبض عليّ، فأنا أنتظره هنا.

ذهبت زوجة المستر فولي إلى منزلها، فقامت بارتداء بنطالٍ عسكري ووضعت المسدس إلى جانبها، فرآها زوجها فولي، فقال لها: من أين لكِ هذا؟ فأخبرته ما حصل معها.

عند ذلك، أرسل المستر فولي أحد رجاله إلى فؤاد علامة يتشكره، ويشيد بشهامته، لعدم السماح لعناصره بالتعدي على زوجته، كما قام بغض الطرف مرات عدة عنه، في أماكن تجواله إلى أن انتقل إلى لبنان».

وقد روى لنا ابن أخيه فؤاد حسين علامة(١٤٧)، أن عمه فؤاد، كان برفقة إسماعيل عبد الحق وصالح العسل وعدد من مجاهدي فلسطين وحوران، ينزلون في بلدة فرّادة الفلسطينية في أواخر شهر حزيران ١٩٣٣، في منزل أحد الأصدقاء، فقامت قوة كبيرة بتطويق المنزل بعدما أبلغها أحد الوشاة. طلب فؤاد من المجموعة الانطلاق والاشتباك مع القوة، بينما استمر هو يراقب المعركة على مهل.

بعد برهة وجيزة، دخل عليه أحد المجاهدين قائلاً له: لقد استشهد مرافقك من بلدة سعسع السورية، فهبّ فؤاد منتفضاً يزمجر ويتهدد، فخرج من المنزل يحمل مسدسين في يديه، وبدأ بإطلاق الرصاص على الجنود، فأصاب عدداً منهم وفرّ الباقون. وما هي سوى لحظات، حتى أبصر مرافقه، فتقدم منه وعانقه، فعلم أن هذه الأخبار كانت بقصد دفعه إلى النزول إلى المعركة ومساعدة المجاهدين، وأن إسهامه فيها، كان له الأثر الفعّال في انهزام الجند البريطاني ورجال السلطة.

وبعد أن اشتدت أحوال المراقبة والتضييق على المجاهدين، انتقل فؤاد ومجموعته إلى لبنان، وانتقل معه المجاهد فندي أبو ياغي وعدد من أفراد مجموعته، فقامت هاتان المجموعتان بتنفيذ عدد من العمليات ضد القوات

الفرنسية في لبنان في سنة ١٩٣٤و١٩٣٥، ليعود بعدها المجاهد فندي أبو ياغي إلى النبك حتى بدء الثورة الشاملة ١٩٣٦.

ثورة ١٩٣٦ وإسهام المجاهدين فيها

في منتصف صيف ١٩٣٥، ازدادت تعديات اليهود بدعم بريطاني على السكان العرب في فلسطين، مما حدا بالمجاهد الكبير، القائد عز الدين القسّام(١٤٨) إلى تنظيم عدد من المجموعات المسلّحة، للتصدي للمعتدين. وفي ١٩٣٥/١١/١٩ دارت معركة كبرى في محلة غابة يعبد بالقرب من جنين، بين مجموعات المجاهدين التي يقودها المجاهد عز الدين القسّام والمجاهد قاسم زهر الدين والمجاهد حمد صعب، فتصدّى المجاهدون للجيش البريطاني المدعوم بالدبابات والمدرعات والطائرات، واستمرت المعركة ثلاث ساعات متواصلة، استشهد فيها القائد عز الدين القسّام و٣ من عناصره، كما استطاع الجند البريطاني أسر خمسة من المجاهدين في كمين نصبوه لهم. أما باقي المجاهدين فآثروا الانسحاب نحو الجبال، يحملون عدداً من الجرحى لإسعافهم في الأماكن الآمنة.

إلا أن استشهاد القائد عز الدين القسّام، زاد المجاهدين إصراراً على التصدّي والجهاد، خصوصاً بعد قيام السلطة بحملة واسعة من المطاردة والمداهمة والاعتقالات، في صفوف المواطنين العرب، والتنكيل بهم، فعمّت الاضطرابات والفوضى معظم المدن الفلسطينية، وأصبحت الاشتباكات شبه يومية بين العرب من جهة واليهود والإنكليز من جهة ثانية، رافق ذلك، حملة تخريب بكافة نواحيها قام بها الطرفان، فأصبحت الحالة في فلسطين عموماً، كبركان يغلي ويهدر، وبدأت الشرارات تتطاير منه، مندفعة بسرعة كبيرة في أواسط صيف ١٩٣٦.

هذه الشرارات انطلقت بقوة في مدن جنين ونابلس وطولكرم، حيث أطلق البريطانيون على هذه المنطقة صيف ١٩٣٦ مثلث الرعب(١٤٩)، فكانت المجموعات الكبرى للمجاهدين تتمركز في هذه المنطقة، وتنطلق إلى باقي المناطق.

بعد تصاعد وتيرة الاضطرابات في فلسطين، أرسل رؤساء المجموعات

إلى القائد فوزي القاوقجي في منتصف شهر آب ١٩٣٦، أن يحضر من بغداد إلى فلسطين، ليتسلّم قيادة المجموعات المجاهدة. قام القاوقجي بالانتقال من بغداد إلى شرق الأردن، ثم إلى فلسطين، فوصلها في الخامس والعشرين من آب، وقد سبق وصوله، مجيء أكثر من مئة متطوع عراقي بقيادة السيد جاسم. كما وصلت مجموعات من مجاهدي جبل لبنان وجبل الدروز[١٥٠] وشكلوا المفرزة الدرزية بقيادة المجاهد حمد صعب، ووصلت مجموعات من دمشق والغوطة بقيادة المجاهد الشيخ محمد الأشمر، ومجموعات من منطقة حمص وحماه بقيادة المجاهد منير الريّس.

وصل القاوقجي إلى أحراج جنين، فكان في استقباله قادة الفصائل، من أبناء الشعب العربي الفلسطيني، فاحتفوا به، وطلبوا منه أن يتسلّم قيادة الثورة العامة، فقبل تسلّم المسؤولية، وطلب إلى القيادات التعاون بإخلاص وتنفيذ الأوامر، والانضباط في العمل.

بعد ذلك، قام القاوقجي بتنظيم مجموعات المفارز وتوزيعها[١٥١]، فشكّل قوة عسكرية ضاربة من خمس مفارز، الأولى عراقية بقيادة السيد جاسم، والثانية من مجاهدي دمشق والغوطة بقيادة الشيخ محمد الأشمر، والثالثة مفرزة درزية بقيادة المجاهد حمد صعب.

إضافة إلى ذلك، شكّل مفرزتين من أبناء الشعب العربي الفلسطيني، وفي الثامن والعشرين من شهر آب ١٩٣٦[١٥٢]، وزّع القاوقجي بياناً دعا فيه الشباب إلى الانضمام للثورة، من أجل إنقاذ فلسطين، وقد اتخذ القاوقجي ثلاثة مقرات لقيادة عملياته وتجمع المجاهدين، فكانت على الشكل التالي:

١. موقع ظهر الجمعة، وهي تلة عالية، تحيط بها أودية عميقة، تقع إلى الشمال من قرية بلعا المطلة على منطقة الساحل. وكانت التلة مكسوّة بأشجار الزيتون، التي شكّلت ساتراً لرجاله من طائرات الاستطلاع البريطانية.

٢. موقع جبل حريش، وهو جبل عالٍ في قضاء جنين، محاط بقرى عدة.

٣. قرى صيدا قضاء طولكرم، ياصيد، وكفرصور الواقعة على قمم مرتفعة تطل على المناطق المجاورة[١٥٣].

أخذ القائد القاوقجي يدرّب الرجال وفقاً للأساليب العسكرية، وفرض انضباطاً شديداً التزم به الثوار على أحسن ما يرام. وقد اشتركت المفرزة الدرزية

التي يقودها حمد صعب في هذه التدريبات العسكرية، استعداداً للمعارك المقبلة. وقد علمنا بعض أسماء هذه المجموعة وهم[١٥٤]: سعيد أبو تين، ملحم ورشيد سلوم رضي الدين، نعيم ملحم خطار، جميل عبد الصمد، شمس الحسنية، سليم كبول، فايز منذر، مزيد أبو حمدان، سعيد عبود ملاعب.

كما كان هناك عدد من المجاهدين الدروز، أسهموا في مجموعات المجاهدين فوزي القاوقجي ومحمد الأشمر وسعيد العاص، نذكر منهم: فندي أبو ياغي زهر الدين، قاسم حسين زهر الدين، يوسف علم الدين، فندي وسعيد محمد الأعور، حسين البنّا، سليم الريّس.

معركة بلعا

كان القاوقجي مع المجموعات المجاهدة في منطقة بلعا، فقام بتوزيع هذه المجموعات في خطة دفاعية على الشكل التالي: المفرزة العراقية في قلب الجبهة، وعلى الجناح الأيمن المفرزة الدرزية بقيادة حمد صعب ويعاونه محمود أبو يحيى، وإلى يمين هذه المفرزة، وضع القاوقجي المفرزة الحمصية الحموية بقيادة منير الريّس. وعلى الجناح الأيسر وُضعت المفرزة الشامية بقيادة الشيخ محمد الأشمر، كما وزع القاوقجي مجموعات خفيفة وسريعة تمركزت على سفوح التلال للإشراف على الأودية والممرات. وقد أبقى القاوقجي مفرزتين من أبناء الشعب العربي الفلسطيني خارج إطار المعركة، وأناط بهما مهاجمة القافلة القادمة من جهة الشمال والجنوب في عملية كرّ وفرّ، واستدراج القافلة وتشتيت بعضها على الطرق الرئيسية[١٥٥].

في ليل ١ – ٢ أيلول ١٩٣٣[١٥٦]، جهّز القاوقجي جميع الدفاعات المطلوبة، ولم يعلم أهالي بلعا بالخطة المرسومة. وقد قام أهل هذه القرية بتكريم المجاهدين، فقدموا لهم الطعام والشراب وما يحتاجونه. وفي صباح الثالث من أيلول، تمركزت المفارز في مواقعها الدفاعية بانتظار الجيش البريطاني، وما إن اقتربت عقارب الساعة من الثامنة والربع صباحاً، حتى بدأت طلائع القوة البريطانية تتقدم من طولكرم نحو نابلس على الطريق الرئيسي[١٥٧]. وفي الساعة الثامنة وأربعين دقيقة وصلت طلائع الفرقة الإنكليزية لنكولن شاير إلى الكمين الأول المنصوب لها، فقامت المفرزتان

الفلسطينيتان من الشمال والجنوب بإطلاق الرصاص عليها، فرد الجنود بالرشاشات ونيران قذائف الدبابات، وقامت القافلة بتعقّب المجاهدين شمالاً وجنوباً، حيث تاهت القوة التي اتجهت جنوباً، بينما وصلت القوة التي اتجهت شمالاً نحو الخطوط الأساسية الدفاعية، فانهال عليها المجاهدون بالرصاص، فسقطت عشرات الإصابات في صفوف العدو، وأصبحوا وسط حلبة نار لا يستطيعون الإفلات. هنا تدخّل الطيران، فقامت تسع طائرات بالإغارة على المجاهدين، وحاولت القوة تطويق المفرزة الدرزية، ففشلت بعد قتال عنيف، وهنا استطاع المجاهدون إسقاط أول طائرة على طريق طولكرم، وما لبثوا أن أسقطوا الثانية، فوقعت أمام خطوط المفرزة الدرزية، فتقدم المجاهد محمود أبو يحيى وأحرقها، وانتزع مذكرات طيارها هنتر ومذكرات الضابط الطيار لنكولن[١٥٨] اللذين قُتلا، وعرض هذه المذكرات أمام رفقائه. بعد ذلك أسقط المجاهدون طائرة ثالثة تحطمت بعيداً عن أرض المعركة.

استمرت المعركة بضراوة، على طول الطريق الممتد من قرية نور شمس حتى قرية عنتبا، فتمكن المجاهدون من إنزال خسائر فادحة بالجيش الإنكليزي، الذي اضطر إلى طلب النجدة، فجاءت فرقة رويال سكوتش فيوزيليار من مدينة نابلس لنجدة فرقة شاير. وعلى الرغم من اشتداد القصف الجوي والمدفعي، لم يتزحزح المجاهدون أمام الجيوش الجرارة، المدعومة بالدبابات والمصفحات، واستمرت المعركة حتى الساعة الثانية بعد الظهر بين كرّ وفرّ، وفي الساعة الرابعة، تراجع الثوار نحو التلال، وتحصّنوا فيها، وأصلوا القوات البريطانية ناراً غزيرة من بنادقهم، فلم تستطع القوة التقدم أو الاختراق رغم الغارات الجوية المتواصلة. إزاء ذلك، قرر الجنود البريطانيون الانسحاب، نحو الشمال والجنوب، بعد أن قاموا بنقل قتلاهم وجرحاهم الذين فاقوا ١٥٠ إصابة.

وقد شهد القائد القاوقجي للمفرزة الدرزية بقيادة المجاهد حمد صعب في ثباتها وصمودها وللمفرزة الحموية الحمصية بقيادة منير الريّس ولعدد من الجنود العراقيين.

وفي هذه المعركة خسر المجاهدون تسعة شهداء وستة جرحى، إذ

استشهد المجاهد نعيم ملحم خطار من بلدة بعذران[١٥٩]، الذي كان يخوض المعركة في الجناح الأيمن مع مجموعة القائد حمد صعب. كما استشهد معاون حمد صعب البطل الكبير محمود أبو يحيى من بلدة شقا – محافظة السويداء، بعد أن أبدى بطولات خارقة. وقد قال فيه القاوقجي: «وكان بطل بني معروف محمود أبو يحيى من جملة الشهداء، وكان له الفضل في الصمود والمحافظة على خط دفاعنا المركزي. وقد أبدى – شأنه في كل معركة عرفته فيها معارك الثورة السورية – من الجرأة والشجاعة ما يعجز عن وصفها القلم»[١٦٠].

وقد أقام فيما بعد أهالي قرية بلعا ضريحاً كبيراً للشهيد، وفيه لوحة رخامية بيضاء كُتب عليها: «هنا يرقد بطل العرب الشهيد محمود أبو يحيى من بني معروف الشجعان».

هذا النصر الكبير في هذه المعركة أحدث دوياً كبيراً في فلسطين والبلاد العربية، فهب مئات الشباب للإسهام في الثورة، وبدأت أفواج المتطوعين تصل إلى منطقة نابلس وجنين وطولكرم[١٦١].

أما على الصعيد السياسي، فقد قام الإنكليز بعزل القائد العام وعينوا مكانه الجنرال ديل الذي تسلّم القيادة في ١٣ أيلول ١٩٣٦[١٦٢]، كما قام البريطانيون بإقفال باب المفاوضات مع العرب، وأخرجوا نوري السعيد من فلسطين الذي كان يفاوضهم باسم الملوك العرب، وأصبحت قضية فلسطين قضية عربية عامة، فتشكلت عشرات اللجان في بلاد العرب لمساعدتها[١٦٣].

معركة صفد في ١٠ أيلول ١٩٣٦

وجهت القيادة العامة للثورة ثلاث فرق من المجاهدين إلى لواء صفد، ثم انضمت إليهم فرقتان من اللواء الشمالي، فبلغ عدد المجاهدين ما يقارب ٢٥٠٠ مجاهد تحت قيادة القائد سعيد العاص[١٦٤].

قام المجاهدون بالانتشار على جانبي طريق صفد، وعلى الطريق المؤدية إليها، كما رابط قسم في بلدة المطلة، وبقيت فرقتان على مقربة منهم جاهزتان للنجدة والتدخل.

مساء التاسع من أيلول وحتى صباح العاشر منه، أخذ الثوار استحكاماتهم

واستعدوا للمعركة، وفي الصباح الباكر، قامت طائرة بالاستطلاع، فكشفت مواقع الثوار وعادت إلى مقر القيادة البريطانية، فتوجهت قوة مؤللة من الجند في الساعة الخامسة والنصف صباحاً، إلى تلك المنطقة، في هذا الوقت، كانت المدفعية البعيدة المدى تقصف مواقع الثوار. حاول الجيش البريطاني التقدم نحو جبال صفد، فصدّه المجاهدون ودارت معركة عنيفة على امتداد جبهة طولها أكثر من خمسة كيلومترات، لم يستطع الجيش التقدم أو اختراق صفوف المجاهدين، بعد ذلك، حاول استدراج الثوار إلى السهل، ففشل كذلك. استمرت المعركة بضراوة طوال الليل، وقامت مجموعات المجاهدين بقيادة حمد صعب وسعيد العاص ومحمد الأشمر، باقتحام مواقع الجيش، فتمكنوا من الاستيلاء على رشاش ثقيل بعد قتل رماته، وقد تتابعت المعركة في اليوم التالي حتى الظهر، حيث تمكّن المجاهدون من تدمير مصفحتين وإحراق ست سيارات عسكرية، والاستيلاء على عدد من صناديق الذخيرة. وفي عصر اليوم التالي، انسحب المجاهدون إلى التلال، فارتد الجيش مهزوماً بعدما سقط في صفوفه حوالي مئتي جندي وصفّ ضابط حسب البلاغ السادس الذي أصدرته القيادة العامة للثورة الفلسطينية[١٦٥]. أما خسائر المجاهدين فكانت شهيداً من نابلس وإثنين من مجاهدي دمشق.

معركة جبع في ٢٣ أيلول ١٩٣٦

بعد معركة بلعا في ٣ أيلول ومعركة صفد في العاشر منه، اعتبر البريطانيون أن هيبتهم اهتزت في الشرق الأوسط، فأرسلوا على الفور من بريطانيا الفرقة العسكرية الأولى[١٦٦]، فانطلقت وكأنها سائرة لتخوض حرباً عالمية عظمى. وفي ١٣ أيلول تسلّم الجنرال ديل قيادة القوات العامة البريطانية في فلسطين، وشرع في بناء خطة للقضاء على المجاهدين وخنق الثورة. وبدأت دعاية المخابرات في أنحاء فلسطين، تبث الأخبار في محاولة لإحباط العزائم، كما قام الجنرال ديل بزيارة الأمير عبد الله بصحبة المندوب السامي، وقال هذا المندوب للأمير بسخرية: «نحن هذا قائدنا – ويشير بيده إلى الجنرال ديل – وأما أنتم فالقاوقجي قائدكم، وسوف ترون المصير»[١٦٧]. وبعد ذلك

ازدادت موجة الوهن، فقرر القاوقجي التحرش بالجيش البريطاني وضرب قواته قبل أن تكتمل النجدات القادمة إلى فلسطين.

وبتاريخ ١٩٣٦/٩/٢٠، طلب القاوقجي من المناطق الفلسطينية تجميع قواتها في مراكز حددها لها، بانتظار الأوامر بالتحرك. ومساء ٩/٢١ تحرك القاوقجي مع المجموعات نحو بيت أمرين، وفي مساء ٢٢ تحرك من بيت أمرين نحو قرية جبع، حيث وصلته الأخبار أن قافلة عسكرية من الجيش البريطاني ستتجه صباح ٩/٢٣ إلى منطقة القدس، وأن هذه القوة ستمر في مثلث طولكرم جنين نابلس[١٦٨].

قام القاوقجي بتوزيع المجموعات القتالية إلى ثلاث مجموعات، الأولى تتمركز في القمم الواقعة شرق قرية جبع وتتألف من مجاهدي دمشق وحوران ومفرزة الدروز وفصيل من المفرزة العراقية ومجموعة من القيادة العامة. المجموعة الثانية تمركزت على الجناح الأيمن، وتتألف من فصيلين عراقيين ومجموعات من المفارز الفلسطينية. أما المجموعة الثالثة فتمركزت من قرية جبع إلى الجنوب، يحدها وادي جبع شرقاً، والطريق العام جنين – نابلس غرباً، وتتألف هذه المجموعة الثالثة من مجموعات فلسطينية، ومن فصيل مختلط من المجاهدين السوريين والعراقيين.

تقدمت القافلة على الطريق الرئيسي ووصلت إلى قرية جبع، فدارت اشتباكات عنيفة بين المجاهدين والجيش، حيث احتل قرية جبع، بينما كان المجاهدون يتحصنون في التلال ويرمون الجيش. بدأت الطائرات تقصف مواقع المجاهدين، كما استخدم الجيش في هجومه الدبابات والمدافع، والرشاشات الثقيلة، وبذلك استطاع التقدم نحو مراكز الفرقة الثالثة التي تراجعت وأخلت مواقعها تحت ضغط الهجوم العنيف، وبدأ الجيش البريطاني يتقدم ويقوم بحركة تطويق للمجموعة الأولى، تحت غطاء ناري كثيف. عند ذلك، وصلت المعركة إلى درجة الخطر، فقرر القاوقجي القيام بهجوم معاكس على الأرتال البريطانية، فتوجهت القوة الضاربة بقيادة القاوقجي وحمد صعب والشيخ محمد الأشمر، وشنت هجوماً معاكساً سريعاً وعنيفاً، خاصة على رتل الدبابات، والأرتال الباقية، فتراجعت عن الأماكن التي تقدمت فيها، وأصبحت في قرية جبع في حصار ناري من

الثوار، وبدأ الجنود يفرّون في الوديان والمنحدرات، فمالت كفّة النصر إلى جانب المجاهدين، وفي هذا الوقت، وصلت نجدات من أهل قرى جنين ونابلس وياصيد وغيرها، تحمل الماء والطعام للمجاهدين الصامدين، وقامت النساء بتفقد الجرحى، وعلت زغاريدهن، وألهبت أصواتهن حماس المجاهدين، الذين اندفعوا يتعقبون الجيش البريطاني المهزوم، تاركاً في أرض المعركة الكثير من العتاد والذخيرة.

وأمام هذا الانتصار الكبير، لم يكن باستطاعة الجيش البريطاني الهرب دون اللجوء إلى حيلة ينجو بها. فقام باعتقال العشرات من أبناء قرية جبع رجالاً ونساء وأطفالاً، واختبأ الجنود وراء أظهرهم، واضعين حرابهم في أقفية هؤلاء المساكين[١٦٩].

وبهذه الحيلة امتنع المجاهدون عن إطلاق النار على الجنود، ولكن المفارز الأخرى المرابطة على جانبي الطريق، أصلت المنسحبين بالنيران حتى تقهقروا إلى مراكزهم. وقد تجاوزت خسائر الإنكليز في هذه المعركة مئتي قتيل وجريح، بينهم عدد من الضباط، كما أُسقط لهم ثلاث طائرات، إضافة إلى استيلاء المجاهدين على كميات كبيرة من المسدسات والبنادق والذخيرة والخوذ الفولاذية.

وقد سقط في هذه المعركة ستة شهداء وتسعة جرحى من المجاهدين، وقد عرفنا من الشهداء الشهيد المجاهد سعيد إسماعيل عبود ملاعب من بلدة بيصور المجاهدة[١٧٠]، الذي استشهد في عملية انتحارية لصد الهجوم المتقدم نحو المجموعة الأولى. كما استشهد المجاهد حسين علي البنّا من بلدة شارون المجاهدة[١٧١]، حيث كان يخوض المعركة مع مجموعة الشيخ محمد الأشمر. وقد تعرّضت هذه المجموعة في تقدمها لقصف جوّي عنيف، استشهد عدد من أفرادها ومنهم البطل حسين البنّا الذي روى أرض فلسطين بدمه، وقد نُقل جثمانه مساء يوم المعركة إلى قرية بلعا – قضاء نابلس ودُفن فيها.

وقد أُقيم للشهيد حسين البنّا حفل تأبيني عظيم في مسقط رأسه في بلدة شارون، أبّنه فيه زعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي أنطون سعاده، قائلاً: «أول شهيد من الحركة السورية القومية الاجتماعية يسقط في الصراع القومي المسلّح المباشر ضد اليهود»[١٧٢].

معركة بيت أمرين

بدأ الجيش البريطاني يحشد القوات جميعها في منطقة نابلس ومنطقة طولكرم، استعداداً للمعركة الفاصلة، حيث كان يبث الدعايات، أنه في خلال أسبوع سيتم القضاء على الثورة، خصوصاً بعدما صار عدد الجيش يناهز الستين ألفاً مجهّزين بأحدث أنواع الأسلحة.

وفي ٢٥ أيلول غصّت مدينة نابلس بالجند البريطاني، فاحتلوا المؤسسات العامة والحكومية، وقاموا بطرد الأهالي من منازلهم، واحتلوا تلك المنازل كي يسكن فيها ضباطهم وقياداتهم، وأصبحت مدينة نابلس معسكراً كبيراً. وفي مساء الخامس والعشرين، أطلق بعض المجاهدين النار على المعسكر، فقام قائد القوة باعتقال رئيس بلدية نابلس سليمان طوقان وقال له: «إن كلابكم لم تدعنا ننام»[١٧٣]. ثم قام بإرساله إلى سطح الفندق، ووضعه بين أكياس الرمل والمتاريس. وفي الصباح، قام رئيس البلدية الذي يحمل وساماً بريطانياً، بنزع الوسام وتقديمه إلى القائد رافضاً حمله، كما قدّم استقالته مع باقي الأعضاء من المجلس البلدي.

هذه الأخبار وصلت إلى القاوقجي، فأراد ضرب معسكر نابلس، فجهّز ثلاث مفارز، وانطلق بها ليلة ٢٨ – ٢٩ أيلول ١٩٣٦ إلى نابلس، ووضعها في أماكنها وجهزها بالتعليمات اللازمة، ثم رجع إلى قرية ياصيد.

وفي الساعة التاسعة، قامت المفارز بإطلاق النار على المعسكر وبدأ الاشتباك، واستمر حوالي الساعتين، وقد سقط للبريطانيين عدد من الإصابات، وكانت المباغتة ناجحة، أوقعت الرعب في صفوف الجيش. قام بعدها الثوار بالانسحاب نحو بيت أمرين، حيث كانت القوات الوطنية المجاهدة ترابط فيها[١٧٤].

في صباح ١٩٣٦/٩/٢٩، قامت القوات البريطانية بالتقدم نحو ياصيد حيث ظنّت أن الثوار فيها، كما قامت طائرات الاستطلاع بالتحليق فوق ياصيد وجوارها. وفي الساعة العاشرة، كانت القوات البريطانية تحتل منطقة كبيرة تبلغ دائرتها أكثر من ٢٥ كيلو متراً[١٧٥]. زحفت الأرتال البريطانية من الشمال والجنوب والشرق نحو ياصيد ومنها تابعت تقدمها نحو بيت أمرين. وبعد ساعة تقريباً، بدأت المعارك العنيفة، وحاول الجيش

البريطاني التقدم لاحتلال إحدى التلال، فسبقه القاوقجي ومجموعة معه بينهم المجاهد قاسم حسين زهر الدين وسليم الريّس، حيث تمركزوا على التلة وبدأوا يحصدون الجيش، وبدأ المجاهدون في المواقع الأخرى بضرب الجيش بحماس، فكانت المفرزة الدرزية بقيادة حمد صعب[١٧٦] تنقض على مواقع الجيش في التحام بطولي، مجبرين عناصره على الانسحاب، كما قامت مفارز أخرى فلسطينية ومفرزة الشيخ محمد الأشمر بدور بارز في صدّ محاولات التطويق والتقدم، حيث فشل البريطانيون في اختراق مواقع الثوار. بعد ذلك، قام المجاهدون بهجوم معاكس، حيث انطلقت مفرزتان الأولى باتجاه بيت أمرين لفصل الجيش عن بعضه في برقة والغندقومية، والثانية اتجهت نحو سبطية لضرب القوات المدرّعة من الدبابات والمصفّحات والسيارات.

واستطاع المجاهدون دحر الجيش من مواقعه، وقد انسحب يجر أذيال الهزيمة، وكان قائدهم الأعلى الجنرال ديل يطوف بطائرته فوق المعركة يشاهد هزيمة عساكره. استمرت المعركة حتى مغيب الشمس، وعند الساعة التاسعة، بدأ المجاهدون يجمعون الشهداء والجرحى من أرض المعركة. بعد ذلك، انتقل القاوقجي من بيت أمرين إلى جبال بلعا، يرافقه عدد كبير من المجاهدين، بعد أن سجّلوا نصراً كبيراً على القوات البريطانية في هذه المعركة. وبدأت تصل إلى القاوقجي الرسل من الأقطار العربية، تعلن استعداد مئات المتطوعين العرب، للإسهام في معارك الثورة في فلسطين[١٧٧].

بعد معركة بيت أمرين، أيقن البريطانيون أنهم لا يستطيعون القضاء على الثورة، مهما حشدوا من جيوش، فعمدوا إلى إقامة الحاميات المحصنة والمجهزة، على طريق نابلس طولكرم لحماية قوافلهم العسكرية[١٧٨].

وفي هذه الأثناء، انسحبت المفرزة الشامية بقيادة الشيخ محمد الأشمر إلى شرق الأردن، كما انسحب عدد كبير من المتطوعين العراقيين، فقام القاوقجي بتعزيز هذا النقص بمجموعات من أبناء فلسطين، كما وصلت مجموعات جديدة من المتطوعين، قادمة من شرق الأردن وسوريا وجبل لبنان، من ضمنهم عدد كبير من المجاهدين الدروز[١٧٩].

معركة حلحول(٨٠)

بينما كانت تدور معارك ضارية في مثلث الموت (طولكرم – جنين – نابلس)، كان القائد سعيد العاص يصول ويجول في منطقة القدس وبيت لحم والخليل، يحث القرى على تقديم الدعم للثورة، ورفدها بالمتطوعين وقد جمع أكثر من ٢٥٠ متطوعاً، إضافة إلى المجموعات التي كانت معه.

قرّر سعيد العاص مهاجمة الجيش البريطاني، فاختار منطقة جبال قرية حلحول، مركزاً للانطلاق والإغارة على القوافل العسكرية، القادمة من بيت لحم. وفي عصر ٢٤ أيلول، وصلت قافلة عسكرية من الخليل، فتوقفت قرب مدخل قرية حلحول، حيث كان المجاهدون سدّوا الطريق بالحجارة الكبيرة. ترجّل الجنود لإزالة العوائق، فانهال الثوار المرابطون على جانبي الطريق بالرصاص عليهم، فصرعوا عدداً كبيراً من هؤلاء الجنود، وفرّ الباقون إلى آلياتهم، يطلبون النجدة السريعة. وعلى الفور، تحركت قوات كبيرة تقدّر بأكثر من ١٥٠٠ جندي، ودارت معركة طاحنة استمرت أكثر من ١٥ ساعة، تكبّد فيها البريطانيون خسائر فادحة. وفي فجر ٢٥ أيلول ١٩٣٦ انسحب المجاهدون نحو جبال حلحول والمراكز الحصينة، بعد أن سقط في صفوفهم ثلاثة شهداء، كان منهم الشهيد سليم الريّس من بلدة عاليه الذي ثبت في أرض المعركة، وقاوم تقدّم الجنود، وأبى التراجع، وظل يقاوم إلى أن أصيب برصاصات عدة اخترقت جسده، فسقط شهيداً في ساحة المعركة.

معركة جبال الخضر(٨١)

بعد الهزيمة النكراء التي مُني بها الجيش البريطاني في حلحول، قررت القيادة تطويق منطقة الخليل – القدس، بأعداد كبيرة من الجنود، فبدأت منذ الأول من تشرين الأول ١٩٣٦، بحشد القوات العسكرية حتى فاقت في السادس من تشرين الأول الأربعة آلاف جندي، استعداداً للمعركة الفاصلة.

رأى القائد سعيد العاص عملية التطويق، وأيقن أنه ليس من مجال للبقاء في هذا الموقع. فطلب من المجموعات أن تتوزع وتنتقل إلى منطقة أخرى، ولكن بعض المجاهدين رفضوا الانسحاب من المنطقة، وكانوا لا يتجاوزون العشرين مجاهداً، ففضلوا الموت ومواجهة القوات البريطانية مع قائدهم.

وفي صباح السابع من تشرين الأول ١٩٣٦، تقدمت القوات بعد أن أحكمت طوقها بشدة على منطقة جبال الخضر، وبدأت المعركة بين المجاهدين والجيش الزاحف لاحتلال المنطقة. استبسل المجاهدون في الدفاع، وصمدوا في مواقعهم المحصّنة، واستمرت المعركة خمس ساعات متواصلة، حيث قام عدد من المجاهدين بالالتحام مع الجيش بالسلاح الأبيض، في معركة ضارية، في الوقت الذي كان فيه القائد سعيد العاص يحمّس المجاهدين ويحثهم على الصمود، وإذ بالرصاص يخترق جسده، فبقي واقفاً يقاوم رغم الإصابة، إلا أن رصاصة أخرى أصابت منه مقتلاً، فسقط شهيداً، فقام رفقاؤه على الفور بإخفاء جثمانه، واستطاعوا الانسحاب إلى خارج أرض المعركة بعد أن أدّوا قسطهم في الجهاد. وقد أصيب في هذه المعركة البطولية معاون القائد المجاهد عبد القادر الحسيني، الذي استطاع الجيش البريطاني أسره، ونُقل إلى السجن، ولكنه هرب من سجنه فيما بعد[١٨٢].

وبعد انتهاء المعركة، قام أهالي بلدة الخضر بدفن الشهيد سعيد العاص في احتفال مهيب، شارك فيه أهالي قرى بيت جالا وبيت لحم وعدد من القرى المجاورة[١٨٣]. وقد منعت السلطة أهالي مدينة القدس من الذهاب للتشييع. وقد أبّن الشهيد عدد من الخطباء، كما أُقيمت صلاة الغائب في جميع أنحاء البلاد. ولدى وصول خبر استشهاده إلى القائد القاوقجي، تأثر كثيراً لغياب هذا القائد الكبير الذي عرفه في ساحات الجهاد في الثورة السورية الكبرى وفي ساحات فلسطين[١٨٤].

معركة كفرصور

كان القائد فوزي القاوقجي يرافقه عدد من المجاهدين منهم قاسم حسين زهر الدين، حمد صعب، سعيد أبو تين، فندي أبو ياغي، ملحم سلوم رضي الدين من السرية الدرزية، وعدد آخر من المجاهدين، يتناولون طعام العشاء في بلدة الطيبة في منزل عارف عبد الرزاق، مساء السابع من تشرين الأول ١٩٣٦[١٨٥]. وفي صباح الثامن منه، انتقل المجاهدون إلى قرية كفرلاها ومنها إلى كفرصور.

خلال تحركهم، قام أحد الجواسيس بإبلاغ السلطة، فتحركت على الفور

قوة مؤلفة من رتلين من الدبابات، يواكبها مئات الجنود، وبدأت تتقدم نحو كفرصور. في هذا الوقت، كانت مفارز الثوار ترابط في وادي الطيبة ووادي البراق. فقام القاوقجي بإرسال عدد من المجموعات لدعم هذه المفارز.

لدى وصول الجيش إلى مشارف كفرصور، بدأ الثوار بالتصدّي له، فردّ الجنود بإطلاق المدافع واستخدموا الدبابات والطائرات في المعركة، من محاولة من الجيش البريطاني لتطويق الثوار، وسد جميع المنافذ، ولكن القاوقجي تنبّه للخطة، فطلب من المجاهدين القيام بهجوم معاكس على الدبابات، فتقدمت على الفور المفرزة الدرزية وبعض المجاهدين من أبناء فلسطين، وشنّوا هجوماً صاعقاً على الدبابات البريطانية، وعلى الرغم من كثافة النيران، استطاعوا الوصول إليها، والوصول إلى أبراجها، وتعطيل بعضها.

وقد استبسل في هذه المعركة المجاهد ملحم سلوم رضي الدين من بلدة بعقلين – الشوف، حيث استطاع مهاجمة إحدى الدبابات، والتقدم إلى أمامها، وقام بإطلاق النار على قائدها فصرعه[١٨٦]، وقفز على جناحها يريد الفتك بطاقمها، ولكن الرصاص انهال عليه من رشاش دبابة مجاورة، فسقط شهيداً في ساحة الشرف في وادي كفرصور. وفي هذه المعركة، كان إلى جانبه المجاهد الفلسطيني سليمان السعدي من بلدة صانور، وقد استشهد على جناح إحدى الدبابات كذلك، بينما كان يحاول الصعود إلى برجها، حيث تعطلت بندقيته قبل أن يستشهد، فهاجم الدبابة بالحجارة ووثب إلى جناحها ثم استشهد[١٨٧].

بطولات خارقة سجلها المجاهدون في هذه المعركة، التي استمرت أكثر من ١٢ ساعة متواصلة، على جبهة يزيد طولها عن ستة كيلو مترات. ولكن النجدات الكبيرة التي وصلت إلى أرض المعركة، من آليات ومدرعات وجنود فاق عددهم ٤٠٠٠ جندي، رابطت في أرض المعركة، ودفعت المجاهدين إلى الانسحاب ليلاً من كفرصور[١٨٨] إلى كفرعبوش القريبة منها، وشرعوا في تحصين مواقعهم.

وفي هذه الليلة، قام القاوقجي بإرسال مجموعات عدة لتخريب الطريق الذي ستسلكه الأرتال البريطانية في تقدمها، حيث تمّ تخريب طريق نابلس – جنين، وطريق عزون[١٨٩].

معركة كفرعبوش

في صباح التاسع من تشرين الأول ١٩٣٦، تقدّم رتل من القوات البريطانية من الطيبة نحو كفرصور، ووقف ينتظر رتلين آخرين من القوات، حيث شرع هذان الرتلان بإصلاح الطريق المعطلة. وفي خلال عملية إصلاح الطريق، انقضّ المجاهدون على مؤخرة الرتلين في هجوم صاعق، فأوقعوا في صفوف الجيش البريطاني إصابات جسيمة، ودارت مناوشات استمرت ثلاث ساعات، بينما كانت المفارز الأخرى تشتبك مع الرتل الأول، الذي آثر الانسحاب، حيث أصبح في دائرة نار المجاهدين، فقام جنود هذا الرتل بالفرار منهزمين شر هزيمة، متراجعين نحو بلدة الطيبة دون أن يتكبّد الثوار أي خسارة[١٩٠].

بعد هذه المعركة، انتقل القاوقجي والمجاهدون إلى منطقة بلعا، ووصلوها في صباح الحادي عشر من تشرين الثاني وكانوا في كل قرية يمرون فيها، يتم استقبالهم بحفاوة بالغة، بعد أن كان هؤلاء الأهالي يخشون بطش الجيش البريطاني، ولكنهم اليوم لم يعودوا يخشونه، حيث إن القوات البريطانية بعد هزائمها المتتالية، اضطرت إلى تغيير سلوكها ومعاملتها للسكان العرب بالحسنى.

إعلان الهدنة

في خلال شهر تشرين الأول ١٩٣٦ كانت المفاوضات تجري بين اللجنة العربية العليا والبريطانيين، وقد تمّ إعلان الهدنة في ١٩٣٦/١٠/١١ من قبل الإنكليز، على أن يقوم الفلسطينيون بوقف الإضراب في البلاد، والعودة إلى الحياة الطبيعية، ووقف أعمال القتال والتخريب. وفي صباح ١٠/١١ نشرت اللجنة العربية العليا في الصحف نداءات الملكين عبد العزيز آل سعود وغازي بن فيصل والأمير عبد الله، موجهة إلى عرب فلسطين، ثم أرفقت النداءات ببيان موجّه إلى الأمة العربية[١٩١].

بعد إعلان الهدنة، قرر القاوقجي الانسحاب، نزولاً عند رغبة قادة العرب، بعد أن طرح القاوقجي شروطاً لصالح المجاهدين وافق عليها قادة العرب. وفي السادس والعشرين من تشرين الأول انسحب المجاهدون إلى

شرق الأردن، فانتقل قسم من مجاهدي الدروز إلى النبك، وقسم استقر في شرق الأردن، وقسم آخر انتقل إلى قرى الجليل، ونزلوا في ضيافة إخوانهم من بني معروف.

إسهام المجاهدين اللبنانيين في تأمين السلاح للثوار في فلسطين

كان الشغل الشاغل للقائد فوزي القاوقجي وقادة الفصائل في فلسطين، تأمين العتاد من بنادق وذخيرة للمقاتلين، كي تستمر الثورة، ويستمر صمود المجاهدين. وقد أرسل القاوقجي العديد من الرسل إلى قادة الدول العربية، بغية الحصول على دعم عسكري، ولكن لا جواب. إثر ذلك، أرسل القائد حمد صعب عدداً من رجال المفرزة الدرزية إلى جبل لبنان من أجل شراء السلاح والذخيرة.

أمام هذا الواقع، لم يبخل اللبنانيون في الشوف وعالَيه والمتن ووادي التيم وحاصبيا، في دعم الثورة وتأمين السلاح لها. فهب العشرات من المجاهدين وساروا إلى فلسطين بدءاً من الخامس من أيلول ١٩٣٦، قوافل تتبعها قوافل، تنقل السلاح والذخائر والقنابل اليدوية والمسدسات والديناميت. وفي أكثر الأحيان، كان المجاهد يحمل بندقيتين وأكثر من خمسين مشطاً من الذخيرة، ينقلها من الشوف إلى فلسطين، متكبداً مشقة الطرقات والأهوال والمخاطرة.

علم البريطانيون عبر جواسيسهم أن السلاح يأتي إلى فلسطين من الحدود اللبنانية والسورية، فقام قنصلهم في بيروت في بداية شهر أيلول بالاتصال مع المفوضية العليا الفرنسية والطلب إليها تشديد المراقبة على الحدود، وتعزيز نقاط المراقبة، لمنع وصول السلاح من جهة، ومنع رفد الثورة بالمقاتلين من جهة أخرى[١٩٢].

اصطدام المجاهدين برجال السلطة

في مساء العاشر من أيلول ١٩٣٦، كانت مجموعة كبيرة من المجاهدين تقوم بنقل السلاح إلى فلسطين، عبر طريق تومات نيحا، وكانت هذه المجموعة من أبناء قضاء الشوف. ولدى وصولها إلى ممر تومات نيحا، كانت قوات كبيرة

من الدرك ورجال السلطة تكمن في انتظار القافلة بناء على إحدى الوشايات. ولدى إطلال القافلة، حاول الكمين تطويقها وإيقافها، فتم تبادل النار بين الطرفين، واستطاع المجاهدون الإفلات من الكمين، ولكنهم عادوا إلى قراهم بعد أن سدّ رجال السلطة المنافذ المؤدية إلى خارج المنطقة.

بعد هذه الحادثة بيومين، استطاعت السلطة اعتقال اثنين من المجاهدين، وتحت وطأة التعذيب الشديد، اعترفا عن بعض المجاهدين، فبدأت السبحة تكر، وبدأت السلطة تقوم بتطويق القرى واعتقال المجاهدين المشاركين في نقل السلاح للثوار وقد علمنا بعض أسماء الذين اعتقلوا في خلال شهر أيلول ١٩٣٦ وهم[١٩٣]:

١. سعيد يوسف البراذعي
٢. كامل أمين ملحم أبو هدير
٣. يوسف ملحم أبو هدير
٤. حسين سلمان أبو هدير
٥. سعيد سلمان أبو هدير
٦. سميح أبو كروم
٧. سليمان أبو كروم
٨. محمد شاهين أبو كروم
٩. جميل محمد أبو كروم
١٠. أديب أبو كروم
١١. يوسف حمد أبو كروم
١٢. أديب محمود أبو كروم
١٣. أسعد أبو كروم
١٤. علي حسين أبو كروم
١٥. توفيق محمد صعب
١٦. قاسم محمد صعب
١٧. جدعان محمد صعب
١٨. رشراش بو علي صعب
١٩. حسين الغضبان
٢٤. محمد حسين أمان الدين
٢٥. محمد عبد الشامي
٢٦. سعيد ملاك
٢٧. توفيق أبو حمدان
٢٨. محمد قاسم أبو حمدان
٢٩. محمود قاسم أبو حمدان
٣٠. سليمان علي أبو حمدان
٣١. مزيد فؤاد أبو حمدان
٣٢. حمود قاسم أبو حمدان
٣٣. حسين مسعود أبو حمدان
٣٤. صعب قاسم أبو حمدان
٣٥. أمين هلال ذبيان
٣٦. حسن ذبيان
٣٧. سعيد علي ذبيان
٣٨. يوسف محمد ذبيان
٣٩. يوسف محمود ذبيان
٤٠. علامة يوسف ذبيان
٤١. عباس يوسف البعيني
٤٢. حسين يوسف البعيني

٢١. شمس الخسنية	٤٣. محمود البعيني
٢٠. أحمد محمد الأحمدية	٤٤. علي البعيني
٢٢. سليم سعيد – إبل السقي	٤٥. يوسف البعيني
٢٣. نديم فرح – إبل السقي	

وعلى الرغم من حملة المداهمة والاعتقالات، فإن المجاهدين لم ييأسوا، ولم تحبط عزائمهم، فاستمروا في نضالهم الهادف إلى دعم الثورة في فلسطين. وفي ١٩٣٦/٩/٢٣، كانت مجموعة تتجه من بلدة عين زحلتا – الشوف عبر طريق جبل الباروك نحو البقاع، ولدى وصولها إلى قرية الشحار قرب عين زحلتا، تفاجأت بقوة عسكرية حاولت إيقافها، فاشتبكت معها، ودام الاشتباك أكثر من ساعة، فاستشهد المجاهد محمد إسماعيل قيس كرامة[١٩٤] من بلدة عين زحلتا، وتفرّق باقي عناصر المجموعة. وقام رجال السلطة بالاستيلاء على بندقية الشهيد والذخيرة، وتمّ نقلها إلى بيت الدين. وفي هذا اليوم كذلك، كانت السلطة تطوق بلدة قرنايل في المتن، وتداهم المنازل بحثاً عن السلاح، وقد صادرت عدداً من البنادق والمسدسات والذخائر من منزل المجاهد أمين الأعور، الذي اعتقلته وحوّلته إلى القضاء العسكري[١٩٥].

أما بشأن مداهمات الشوف، فإن السلطة وضعت المعتقلين في سجن بيت الدين، حيث تعرّضوا إلى أشد أنواع التعذيب الجسدي، على يد زبانية السلطة الفرنسية، وقد اعترفوا بما نسب إليهم من تهم تحت آثار الضرب المبرح والتعذيب العنيف.

وفي ١٩٣٦/٩/٢٢، اعتقل درك رميش في جنوب لبنان كلاً من[١٩٦]: قاسم مزيد وأحمد مرعي وسعيد عباس من مجدل شمس، وعلي سلمان الشاعر من بقعاتا، وحسن البتلوني من جباع الشوف، وعلي محمود من بلدة الباروك، وذلك أثناء عودتهم من فلسطين، بعد أن قاموا بنقل السلاح من بنادق وذخائر إلى المجاهدين هناك.

وبتاريخ ٥ تشرين الثاني ١٩٣٦، صدر مرسومٌ مُنح بموجبه اليوزباشي نسيب دحروج قائد طاقم درك بيت الدين، وساماً من الدرجة الثانية، لاشتباكه يومي ١١ و ١٢ أيلول الفائت، مع عصابة مؤلفة من سبعين شخصاً، واعتقاله

منهم فيما بعد ٦٤ شخصاً، وضبطه ٤٨ بندقية، و١٨٧٩ خرطوشة. ومنح الجاويش قيصر نصر، قائد درك المختارة وساماً من الدرجة الرابعة، للبسالة التي أظهرها في مطاردته العصابة المذكورة ليل ١٠ – ١١ أيلول الفائت[١٩٧].

وبعد إعلان الهدنة وانسحاب القائد القاوقجي والمجاهدين من فلسطين، تراجعت بنسبة كبيرة حدة العنف لأشهر عدة، ولكنها عادت لتشكّل هاجساً كبيراً للسلطة الفرنسية في سوريا ولبنان، وللسلطة البريطانية في فلسطين، بعد قيام مجموعة المجاهد إسماعيل عبد الحق بعدد من العمليات، في لبنان وسوريا وفلسطين.

ففي ١٩ شباط ١٩٣٧، تصدّت المجموعة لإحدى سيارات الشحن القادمة من دمشق نحو فلسطين، تنقل عتاداً يحرسها جنديان إلى جانب السائق، حاول الجنديان المواجهة، ولكن المجموعة استطاعت أسرهما وانتزاع سلاحهما، ثم أطلقت سراحهما، وحضر على الفور من دمشق إلى المنطقة قرب القنيطرة، الكولونيل كونيو والقومندان كوريه على رأس قوة كبيرة، ولكن المجموعة استطاعت الانسحاب والتوجه نحو الأراضي اللبنانية. وقامت الحكومة السورية بالتعاون مع الحكومة اللبنانية بتعزيز نقاط المراقبة ووضعت مخافر ثابتة على طول الحدود وعلى جبل الشيخ لهذه الغاية.

ومن لبنان انتقل إسماعيل إلى فلسطين، فطاردته القوات البريطانية، واشتبك معها في أماكن عدة قرب عكا وصفد وفي قرى الجليل الأعلى، وفي نهاية شهر آذار، اشتبك مع القوة البريطانية في بلدة المغار الفلسطينية، فاستشهد المجاهد يوسف علم الدين من بلدة بعقلين، في مواجهة استمرت ساعات عدة، وقد دُفن في تلك البلدة.

بعد ذلك انتقل إسماعيل عبد الحق إلى قرى يركا وبوسان، وكانت السلطة تقوم باعتقال الأهالي في تلك القرى، بحجة إيوائهم إسماعيل ومجموعته وتقديم الدعم له.

أزعج تحرك إسماعيل ومجموعته السلطة البريطانية في فلسطين، فقام المستر وليم دنيس أحد الضباط الكبار الإنكليز[١٩٨]، بالتوجه إلى بيروت والتنسيق مع السلطة الفرنسية. وبموجب هذا التنسيق تقوم السلطة في لبنان

وسوريا بزيادة المراقبة والسهر على الحدود، للقبض على إسماعيل ومجموعته، بينما تقوم قوات السلطة البريطانية، بتطويق جميع قرى الجليل ومداهمتها للنيل من هذه المجموعة.

استطاع إسماعيل الإفلات من جميع الكمائن المنصوبة له، وقد تمكنت السلطة من اعتقال بعض أعضاء مجموعته في قرى مجدل شمس وحضر وعرنة في جبل الشيخ، وقامت باعتقال العشرات من أبناء بلدة البقعية في فلسطين وغيرها من القرى، للضغط عليهم، من أجل الاعتراف عن مكان تواجد إسماعيل عبد الحق. ولكن السلطة الفرنسية بالتعاون مع السلطة البريطانية، جنّدت عميلاً استطاع اغتيال المجاهد إسماعيل عبد الحق في ٣١ أيار في فلسطين، وقامت السلطة بعرض جثته على بوابة عكا طيلة يوم الأول من حزيران من أجل إرهاب المواطنين.

استمرت حالة الهدوء لفترة، ولكن أعمال العنف عادت إلى التصاعد، بعد ازدياد أعمال التعدّي الصهيونية على العرب، مدعومة من الجيش البريطاني، فعادت المواجهات إلى ساحات المدن والقرى، وعاد المجاهدون من لبنان وسوريا وشرق الأردن إلى فلسطين لدعم الثورة، كما قام العديد من أبناء الجبل بنقل السلاح إلى فلسطين، بدءاً من شهر أيار ١٩٣٧ وحتى أواخر ١٩٣٨.

وقد قامت السلطة، بناء على إحدى الوشيات، بمداهمة بلدة مزرعة الشوف[١٩٩] في ١٥ أيار ١٩٣٧، وطوقت منزل علي حسين البعيني، فاعتقلته وصادرت من منزله كمية من الأسلحة، كان بصدد نقلها إلى فلسطين. وعلى الرغم من التدابير الأمنية المشددة، قامت مجموعة من المجاهدين من بلدة عين وزين في صيف ١٩٣٨ مؤلفة من[٢٠٠]: عباس الحسنية، شمس الحسنية، مسعود حسين الحسنية، يونس محمد الحسنية، فريد سليم الحسنية، محمود ومصطفى وبركات الحسنية، بنقل السلاح إلى فلسطين دعماً للثورة التي اشتدت في صيف ذلك العام، وقد قامت السلطة في ٢٠ تموز[٢٠١] بالتصدي لمجموعة من المجاهدين على الحدود اللبنانية – الفلسطينية، حيث استطاعوا الإفلات من الكمين. وفي ٩ و١٠ آب ١٩٣٨، اشتبكت مجموعة كبيرة من المجاهدين من الكحلونية والمزرعة وبعذران وبعقلين مع جنود السلطة جنوبي بلدة كونين الجنوبية في منطقة الكيلو متر السابع. وقد دام

الاشتباك زهاء ساعتين من الزمن، استشهد على أثره المجاهد مزيد أبو حمدان(٢٠٢) من بلدة الكحلونية – الشوف، واستطاع باقي أفراد المجموعة الانسحاب، بعد أن سد الجنود الممرات نحو فلسطين.

وقد استطاعت القوة أسر اثنين من المجاهدين، اعترفا تحت وطأة التعذيب عن أسماء بعض رفقائهما، فقامت السلطة بتطويق بلدات عين وزين والكحلونية وبعذران ونيحا، والتحقيق مع ذوي المجاهدين. وفي ٢٢ آب ١٩٣٨، ألقت السلطة القبض على شريف ملحم الحلبي من بلدة بعقلين، وحسين علي علامة من بعذران، حيث اعترفا بأنهما كانا ينقلان السلاح إلى فلسطين، وهما يعتبران أن عملهما شريف وأنه مدعاة فخر.

وبعد اشتداد المعارك في فلسطين في صيف ١٩٣٨، توافد عدد جديد من المتطوعين من لبنان وسوريا لنصرة الثورة، واستمر بعضهم يناضل حتى منتصف صيف ١٩٣٩، حيث كانت مجموعة من مجاهدي بني معروف من سوريا ولبنان تنتقل من فلسطين إلى سوريا، فاشتبكت مع القوات البريطانية على الحدود في معركة ضارية، فاستشهد عدد من أفراد المجموعة، وكان منهم المجاهد سليم كبول من عين زحلتا – الشوف، والمجاهد فايز منذر من بلدة إبل السقي(٢٠٣).

ج

إسهام المجاهدين اللبنانيين في حرب ١٩٤٨ في فلسطين

بعد تصاعد حدة العنف في فلسطين في سنة ١٩٤٧ ومطلع ١٩٤٨، وبعد لقاءات عدة عقدها قادة دول مصر وسوريا ولبنان والسعودية والأردن والعراق وقيادات فلسطينية، ارتأت هذه الدول تشكيل جيش عربي تحت لواء الجامعة العربية، مهمته تحرير فلسطين من الصهاينة، وإعادة الحقوق المشروعة لأبنائها.

وفي السادس من شباط ١٩٤٨، أناطت الجامعة العربية مسؤولية الجيوش العربية النظامية، إلى اللواء إسماعيل صفوت، ومنصب المفتش العام إلى اللواء طه الهاشمي. كما عهدت إلى القائد فوزي القاوقجي مسؤولية قيادة المتطوعين العرب، وفرقة المتطوعين قوة غير نظامية تضم مقاتلين من سوريا ولبنان ومصر والعراق والأردن والسودان وعدد من الدول لنصرة فلسطين.

وسبق هذه الإجراءات قيام القائد القاوقجي بالتوجه إلى جبل العرب[٢٠٤]، حيث التقى في مدينة السويداء بالعديد من القيادات ومنهم شكيب وهاب وأمين أبو عساف وعارف النكدي... وغيرهم من القيادات الدرزية، فطرح عليهم موضوع القضية الفلسطينية، وهو الذي عرف شجاعة الدروز في الثورة الكبرى وفي الثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٦، فلبّى بنو معروف نداء الجهاد، وعلى الفور عمّ الخبر جميع قرى الجبل، وبدأ المتطوعون يتوافدون إلى السويداء، حيث قام شكيب وهاب بتنظيم هذا الفوج، وتوزيعه إلى سرايا، وقد أطلقت على هذه السرايا أسماء معارك الثورة السورية الخالدة، المزرعة، الكفر، المسيفرة والفالوج[٢٠٥]. وبعد استكمال التجهيزات، انطلق هذا

الفوج من مدينة السويداء وسط مظاهرة عارمة من التأييد، حيث شارك الألوف الذين اصطفوا على جانبي الشارع على امتداد طريق السويداء شهبا لتوديع الأبطال الدروز الذاهبين إلى ساحة الجهاد في فلسطين[٢٠٦].

والجدير بالذكر في هذا المجال، أن عشرات المناضلين الدروز، الذين أسهموا في الثورة السورية الكبرى وفي فلسطين سنة ١٩٣٦، انطلقوا من جبل العرب إلى فلسطين، عبر طريق درعا – إربد، دون أن ينضووا في فوج الجبل، وأسهموا في معارك فلسطين سنة ١٩٤٨، في منطقة غور بيسان والضفة الغربية، واستمروا في الجهاد مدة تزيد عن ستة أشهر، عادوا بعدها إلى جبل العرب ولبنان.

أما في لبنان فقد قام القائد القاوقجي بجولة في قرى المتن في شهر آذار سنة ١٩٤٨، فهبَّ عشرات المجاهدين من معظم قرى المتن وعالَيه والشوف، وتوجّهوا إلى بلدة قرنايل، حيث كان ينزل فوزي القاوقجي، وقام بالمساعدة في تنظيم المجموعات، المجاهد الأستاذ علي ناصر الدين[٢٠٧] والمجاهد أمين علي الأعور وغيرهما من المجاهدين، الذين انطلقوا في موكب مهيب، انطلق من المتن إلى سوريا، وتجمعوا في نقطة الانطلاق في قطنا. كانت الانطلاقة إلى فلسطين لجيش اليرموك، في الثامن من كانون الأول ١٩٤٨ بقيادة القائد أديب الشيشكلي، الذي تقدّم من قطنا نحو بنت جبيل، وعبر الحدود اللبنانية ودخل إلى فلسطين[٢٠٨].

وفي ٢٥ كانون الثاني ١٩٤٨، دخل الفوج الثاني بقيادة المقدم محمد صفا، فتقدم من قطنا ودرعا، ففلسطين ونزل في منطقة السامرة. وقد اعترض البريطانيون على هذا الدخول بادئ الأمر، فقام فوج اليرموك بشن هجوم كبير استمر ثلاثة أيام على مستعمرة يحيام الواقعة على بعد ١٥ كلم من عكا[٢٠٩]، واستطاع المجاهدون تدمير معظم بيوت ومنشآت المستعمرة، وفي هذه الأثناء، قامت القوات البريطانية بالتدخل لصالح اليهود، فأنقذت المستعمرة من السقوط بيد المجاهدين. وقد سقط من المجاهدين ١٨ شهيداً في هذه المعركة، بينما سقط لليهود أكثر من ستين قتيلاً. وفي إبّان هذه المعركة، استطاع الفوج الثاني دخول فلسطين، والتمركز في المواقع المحددة له.

معركة الزرّاعة

شنت القوات العربية ليل ١٦-١٧ شباط، هجوماً صاعقاً على ثلاث مستعمرات صهيونية دفعة واحدة، وكان هدف الهجوم يرمي إلى فتح خطوط المواصلات بين جبل نابلس وشرق الأردن أمام المجاهدين. وهذه المستعمرات هي: تيرات زفي، عين صابحة، والمستعمرة الحمراء.

شارك في هذا الهجوم ١٢٠٠ مجاهد تحت قيادة المقدم محمد صفا، كما أسهم حوالي ألف مجاهد من مناطق نابلس وطولكرم وجنين[٢١٠]، من ضمنهم عشرات من المجاهدين الدروز. وقد استطاع المجاهدون تدمير مستعمرة تيرات زفي (الزرّاعة)، تدميراً كاملاً. وقد استشهد ٣٧ مقاتلاً من المجاهدين، وسقط عدد كبير من الجرحى، حيث إن المجاهدين قاموا بأعمال انتحارية في اقتحام تحصينات الصهاينة، واستولوا على كميات كبيرة من الأسلحة.

وقد اعترف الكولونيل الإنكليزي نلسون للقائد القاوقجي، أن خسائر الصهاينة في هذه المعركة هي ١٢١ قتيلاً[٢١١].

وحول مشاركة الدروز في جبل لبنان في هذه المعركة وغيرها، يقول في هذا الصدد الأمير نهاد أرسلان شقيق وزير الدفاع اللبناني الأمير مجيد أرسلان، في مقابلة معه من عمان: «إن فريقاً من رجالي تطوّع في صفوف المناضلين في فلسطين»[٢١٢].

يذكر في هذا الصدد، أن الأمير مجيد أرسلان والأمير نهاد أرسلان والزعيم كمال جنبلاط، طلبوا من الشباب الدروز، الإسهام في ثورة فلسطين، إلى جانب المتطوعين العرب في مطلع ١٩٤٨، فلبّى عشرات المجاهدين في الجبل نداءاتهم، وبدأت كوكبات متلاحقة تنطلق من الجبل إلى فلسطين، بدءاً من شهر كانون الثاني ١٩٤٨ حتى أواخر آذار ١٩٤٨، وتخوض المعارك في ساحات الوغى.

وفي الخامس من آذار ١٩٤٨ عبر القاوقجي بقواته جسر أللنبي بعد اتفاق عُقد مع كلوب باشا والملك عبد الله، فتقدمت القوات نحو أريحا، ومنها إلى طوباس جنوب فلسطين، فوصلت قوات جيش الإنقاذ في السادس من آذار[٢١٣].

ومن بلدة طوباس انتقل القاوقجي إلى بلدة قباطيا، فقدمت عشرات الوفود من المدن والقرى الفلسطينية للسلام عليه. ثم انتقل في العاشر من آذار إلى قرية جبع حيث جعلها مقراً لقيادته[٢١٤].

رافق القاوقجي في انتقاله من الأردن إلى فلسطين، عشرات المجاهدين من جبل لبنان، يتقدمهم المجاهد علي ناصر الدين، وتوفيق محمد شاهين هلال وشفيق محمد هلال وأديب نجيب صالحة ونجيب دعيبس الأعور وأمين علي الأعور وتوفيق سليمان الأعور وأسعد الشعار وغيرهم من المجاهدين الأشاوس، حيث علمنا أنه اشترك من بلدة قرنايل وحدها ٣٥ مجاهداً في فلسطين[٢١٥].

وفي ١٦ آذار ١٩٤٨، انطلقت مجموعات من متطوعي جبل الدروز إلى دمشق، ووصلت إلى معسكر قطنا، حيث خضعت لدورة تدريبية مكثّفة، إضافة إلى وجود أكثر من ٥٠٠ متطوع درزي سبقوا هؤلاء إلى ميدان الجهاد في فلسطين من لبنان وسوريا[٢١٦].

معركة مشمارها إيمك الأولى

تقع مستعمرة مشمارها إيمك على طريق جنين – حيفا، وكان سكانها اليهود يقومون بالاعتداء على السيارات والقوافل العربية المارة قرب المستعمرة، وازدادت هذه التعديات، حيث ظن اليهود أن هذه المستعمرة المحصّنة بالأبراج والقلاع، لا يستطيع العرب اقتحامها.

أمام هذه الوقائع، ارتأى القائد فوزي القاوقجي مهاجمتها واحتلالها، لتأديب سكانها من ناحية، وجس نبض القوات الصهيونية وتحصيناتها من ناحية أخرى.

وفي الثالث من نيسان ١٩٤٨ حشد القاوقجي ٥٠٠ مقاتل اختارهم من الأفواج مجتمعة، ثم قامت المدفعية في صباح الرابع من نيسان بالقصف، وبدأ المجاهدون بالهجوم على المستعمرة. وفي برهة قصيرة، استطاع المقاتلون هزم اليهود، وتقدمت المصفحات نحو القلاع والأبراج، ورُفع العلم العربي على أبنية هذه المستعمرة[٢١٧]، حيث تابعت سرية المصفحات بقيادة الملازم فايز حديفة من بلدة الكفر – السويداء، تقدمها وهرب عدد

كبير من سكان المستعمرة، ولكن لم تتعرض القوات العربية للنساء والأطفال والعجزة، فطلب المجاهدون من سكان هذه المستعمرة الخضوع لأوامر جيش الإنقاذ، وقطع العلاقة مع الهاغانا[٢١٨].

وفي الوقت الذي كانت فيه قوات جيش الإنقاذ تطوق مستعمرة مشمارها إيمك، كانت قوات يهودية كبيرة تقوم بالتجمع استعداداً لفتح معارك في جبهات أخرى، لتخفيف الضغط عن مستعمرة مشمار، فحشدوا قواتهم في جبهة طولكرم، وعلى جبهة القدس، قرب قرية القسطل، في محاولة منهم لإجبار جيش الإنقاذ على فك الحصار عن مشمار، ومن ناحية أخرى، فتح طريق حيفا القدس وتخفيف الضغط عن اليهود المحاصرين في القدس كذلك.

معركة القسطل

وفي مساء ٧ نيسان شن اليهود هجوماً على قرية القسطل، فاحتلوها في صباح ٨ نيسان[٢١٩]، وبدأوا يضغطون على جبهة طولكرم. فقام القاوقجي بسحب الضابط مأمون البيطار من مشمار وأرسله لنجدة القوات العربية في القسطل، على رأس سرية مدفعية ومقاتلين. وصل البيطار بسرعة، وبدأ يقصف مستعمرة مودسا، ثم قصف تجمعات اليهود في قرية القسطل، فانسحب اليهود منها، واحتلها العرب في مساء ٨ نيسان ١٩٤٨[٢٢٠]، ثم قامت المدفعية العربية بقصف الأحياء اليهودية في القدس، فارتفعت المعنويات المنهارة لدى السكان العرب في القدس، حيث ذعروا بعد سقوط القسطل، فارتاحوا لقدوم النجدات وتواجد جيش الإنقاذ.

وفي التاسع من نيسان، قام اليهود بشن هجوم كبير على قرية القسطل، لفتح طريق القدس وتخفيف الضغط عن اليهود في أحيائها، وأمام الضغط الكبير تراجع المجاهدون مرة ثانية وأخلوا قرية القسطل[٢٢١]. في هذه الأثناء، توالت الاتصالات بالقاوقجي، فأرسل القاوقجي المقدم محمد صفا قائد الفوج الثاني على رأس قوات كبيرة مساء ٩ نيسان، وفي صباح العاشر من نيسان، بدأت المعركة الكبرى بين العرب واليهود في القسطل، حيث هبّ عشرات المجاهدين في القرى العربية لنصرة الجيش، وبعد معركة ضارية هُزم اليهود واستعاد المجاهدون قرية القسطل للمرة الثانية[٢٢٢].

معركة مشمارها إيمك الثانية

صباح العاشر من نيسان ١٩٤٨، شن اليهود هجوماً كبيراً بجيش يزيد عدده عن ٦ آلاف مقاتل، مجهزين بالرشاشات الحديثة ومدافع الهاون، فاستطاعوا التقدم واستعادة المواقع التي خسروها في الرابع من نيسان، فتراجعت القوات العربية إلى قرية منسي، واستمر القتال حتى ساعات الليل الأولى[٢٢٣]. وفي منتصف الليل، قام القاوقجي بتجميع القوات، وهيأ المدفعية، وفي الخامسة من صباح ١١ نيسان ١٩٤٨، بدأ الهجوم العربي على المستعمرة، فتراجع اليهود واستطاع المجاهدون احتلال التلال التي انسحبوا منها يوم أمس. ولكن النجدات اليهودية تدفقت من المستعمرات بكثافة، فشنّ اليهود عصر ١١ نيسان هجوماً جديداً، استطاعوا التقدم فيه، فتراجع المجاهدون مجدداً عن التلال.

في هذه الأثناء، وصل الضابط مأمون البيطار الذي استدعاه القاوقجي بسرعة من قرية القسطل مع قواته، وبدأ بهجوم معاكس، حيث سطّر بطولات نادرة، استشهد في نهايتها في ساحة المعركة[٢٢٤]. وقد استطاع مأمون البيطار إنقاذ سرية المدفعية من الفناء، بعد أن أحكم اليهود تطويقهم لها، فكانت نجاة السرية على يده.

شكيب وهاب ينجد جيش الإنقاذ

كانت قوات فوج الجبل بقيادة شكيب وهاب مرابطة في قرية شفاعمرو، فاتصل بهم خبر معركة مشمارها إيمك، بأن قوات جيش الإنقاذ تتعرض لحركة تطويق وضغط من قوات الهاغانا، فارتأى شكيب وهاب أن يفتح جبهة عسكرية ثانية، يشغل بها القوات اليهودية لتخفيف الضغط عن قوات القاوقجي. اختار شكيب ثلاث مستعمرات قريبة من بعضها تقع شرق مدينة حيفا وهي: كين رافسكي، كفرتاو، كفربوحنان.

وفي الثاني عشر من نيسان، قامت قوات فوج الجبل بالإغارة على هذه المستعمرات، واستطاعت إحكام الطوق عليها، وتدمير عدد كبير من الأبنية والمنشآت فيها. وقد بدأت هذه المستعمرات ترسل إشارات النجدة إلى

باقي المستعمرات اليهودية لنجدتها. وفي صباح ١٣ نيسان ١٩٤٨، شن الصهاينة هجوماً معاكساً على الجناح الأيسر، ولكن المجاهدين صمدوا واستطاعوا دحرهم بعد أن كبّدوهم أكثر من عشرين قتيلاً وعدداً كبيراً من الجرحى، وبقيت المناوشات مستمرة، فيما كان رجال عصابات الهاغانا، يطلقون النار من أوكارهم.

وفي صباح ١٤ نيسان، حاول اليهود فك الحصار عن المستعمرات الثلاث، بعد أن أتت نجدات كبيرة لمساعدتهم، فهاجموا ميمنة الفوج، وفشلوا. وفي عصر اليوم نفسه، شنوا هجوماً جديداً، استماتوا فيه لفك الحصار، فتصدى لهم الأبطال الدروز، ودارت في بعض المواقع مواجهات بالسلاح الأبيض، فانهزم اليهود وتراجعوا وتركوا في ساحة المعركة أكثر من ثمانين قتيلاً، بقوا أكثر من ثلاثة أيام في العراء.

وفي الخامس عشر من نيسان، حشد اليهود مزيداً من القوات في محاولة يائسة، لفك الحصار عن المستعمرات الثلاث، فكان المجاهدون بالمرصاد، فتركوهم يتقدمون حتى أصبحوا على مقربة منهم، ثم انهالوا عليهم بالرصاص والقنابل، فبدأ رجال عصابات الهاغانا يفرّون من أرض المعركة، عندئذٍ، تابع المجاهدون في الفوج تقدمهم، وطاردوا فلول هذه العصابات، فقسم التجأ إلى داخل الأوكار في هذه المستعمرات، وقسم آخر تراجع منهزماً نحو مدينة حيفا وجوارها.

هذه المعركة استمرت أربعة أيام متواصلة، سجّل فيها المجاهدون الدروز نصراً كبيراً على القوات الصهيونية، فتناقلت أخبار هذا النصر معظم الإذاعات العربية والصحف المحلية والخارجية[٢٢٥]، حيث وصفت بعض الصحف، أن المعركة امتدت على مساحة عشرة كيلو مترات، بدءاً من خليج حيفا حتى أراضي شفاعمرو[٢٢٦]، وقد سقط للمجاهدين الدروز ٣٩ شهيداً وعدد كبير من الجرحى.

كان لهذه المعركة البطولية، التي خاضها شكيب وهاب وقادة السرايا الدروز دور كبير في النصر الذي حققه القائد فوزي القاوقجي، في معركة ميشمارها إيمك الثانية، حيث إن معركة مشمار بدأت في ١٠ نيسان، فتدخل فوج الجبل في ١٢ نيسان واستمرت المعارك على الجبهتين في

نفس الوقت، مما جعل اليهود يقسّمون قواتهم بدلاً من دفعها إلى منطقة واحدة، وفي الجبهتين هُزم الصهاينة، وارتدوا خاسرين تاركين مئات القتلى في ساحات المعارك.

معركة هوشي والكساير

أحدثت نتائج معركة المستعمرات في كفرتاو وكفربوحنان غضباً في صفوف الهاغانا، فقرروا مهاجمة أهداف مدنية للثأر من هزيمتهم، فاختاروا مهاجمة قريتي هوشي والكساير العربيتين، حيث ترابط فيهما سرية بقيادة الضابط نايف حمد عزام من فوج الجبل[٢٢٧]. وقد قام اليهود بالتهيئة للهجوم ليل ١٥ – ١٦ نيسان ١٩٤٨. وفي هذا المساء، قامت مجموعة بقيادة سلمان مسعود من بلدة الدور – السويداء، بنسف جسر الهريج، ثم اصطدمت مع قافلة صهيونية، فقتلت ٣٣ عنصراً وأحرقت مصفحتين وسيارة عسكرية وباصاً عسكرياً، وعادت إلى مراكزها سالمة[٢٢٨].

قامت القوات الصهيونية بتطويق القريتين في صباح ١٦ نيسان ١٩٤٨، وبدأت المدفعية تقصفهما، في هذه الأثناء، وصل المجاهد أسعد كنج أبو صالح إلى يركا، ومنها انتقل إلى شفاعمرو حيث كان شكيب وهاب، فأبلغه بالمعارك الدائرة في هوشي والكساير، فانتقل شكيب وهاب وأسعد الكنج أبي صالح مع سريته البالغة ٢٥٠ مقاتلاً إلى ساحة المعركة، فوصل شكيب واجتمع مع نايف حمد عزام، واطّلع منه على مجريات المعركة.

اشتد القصف الصهيوني على القريتين، وكاد التراب المتطاير يغمر المقاتلين في بعض المواقع، وأراد بعض القادة الهجوم، لكن شكيب وهاب رفض ذلك، وطلب منهم الصمود في مواقعهم، وأن يتصدوا للهجوم الذي يشنه اليهود بعد قليل، وطلب من الجميع الصمت وعدم الإتيان بأي حركة، إلا عندما يعطيهم إشارة الانقضاض[٢٢٩].

بعد القصف العنيف، تقدّم الصهاينة، فتركهم شكيب يتوغّلون إلى أن أصبحوا على مسافة عشرة أمتار من مواقع المجاهدين، فأعطى إشارة الهجوم، فدارت معركة بالسلاح الأبيض، أثبت فيها اليهود أنهم متدربون تدريباً جيداً، فلم يهربوا من المعركة، وواجهوا بقتال مستميت الأبطال

الدروز، الذين راخوا يتنخون ويهجمون، فتتلاصق الأجساد مع بعضها، لا صرخات ولا آهات تسمع، معركة صامتة استمرت خمس ساعات، استطاع فيها الدروز دحر اليهود وإنزال هزيمة كبيرة بهم، حيث بلغ عدد قتلاهم مئة وثلاثين ظلوا في أرض المعركة، فتراجع اليهود إلى مواقعهم السابقة، وفي أول الليل، انسحب المجاهدون من القريتين للاستراحة، مع إبقاء سرية نايف عزام مرابطة على تلال القريتين[٢٣٠].

لكن اليهود قاموا في منتصف الليل بالتسلسل إلى القريتين واحتلوهما، وقد تفاجأ المجاهدون الذين عادوا في الثالثة من صباح ١٧ آذار بإطلاق الرصاص عليهم[٢٣١]. وفي الصباح الباكر، قام اليهود بمحاولة تطويق السرية الدرزية، ودارت اشتباكات عنيفة، حيث استعمل اليهود الدبابات والمصفحات، وأمام هذا الهجوم المباغت، هرعت النجدات لنصرة السرية الدرزية، فهبّ عشرات بل مئات المقاتلين من دروز الجليل، ومجموعات فلسطينية بقيادة أبو محمود الصفوري ومجموعات المجاهدين المسيحيين في قرية كفرياسيف، فوصلوا إلى أرض المعركة، ودارت اشتباكات عنيفة استمرت حتى مساء اليوم، فقام المجاهدون بهجوم معاكس، تمكنوا فيه من هزم اليهود ودحرهم إلى خارج القريتين وتكبيدهم أكثر من ٣٥٠ قتيلاً، وإن المجاهدين لم يكتفوا بذلك، بل طاردوا العصابات الصهيونية حتى مشارف حيفا.

وقد استشهد من المجاهدين الدروز والفلسطينيين والمسيحيين حوالي ٨٥ شهيداً في هذه المعركة، وقد سقط فيها المجاهد ملحم دمج من بلدة الفريديس – الباروك الشوف على مداخل حيفا، وهذا المجاهد كان له صولات وجولات في الثورة السورية الكبرى سنة ١٩٢٥ وفي معارك فلسطين ١٩٣٦ – ١٩٣٩، وفي تصديه للاستعمار الفرنسي في لبنان مع عدد من المجاهدين. كما استشهد المجاهد يوسف ذبيان من بلدة مزرعة الشوف إلى جانب ملحم دمج، وكانت له مواقف مشرفة في الثورة السورية وفي حرب فلسطين ١٩٣٦ حيث أسهم في نقل السلاح يومذاك إلى مجاهدي فلسطين، فاعتقلته السلطة في لبنان مع عشرات المجاهدين الآخرين في سنة ١٩٣٦[٢٣٢].

معركة باب الواد واللطرون

في لقاء مع المجاهد شفيق محمد هلال في منزله في بلدة قرنايل – المتن، وهو من مواليد ١٩٢٠، أسهم في معظم معارك فلسطين في جيش الإنقاذ، حيث كان في سرية المصفحات بقيادة الملازم فايز حديفة من بلدة الكفر – السويداء، حدّثنا عن معركة باب الواد الكبرى، فقال[٢٣٣]:

«في صباح العاشر من أيار ١٩٤٨، كنّا في منطقة باب الواد الواقعة على طريق مدينة القدس، وإذا بالقوات اليهودية تتقدّم نحو قواتنا من محورين، رتل قدم من ناحية القدس وآخر من ناحية الغرب. وكانت هذه القوات تدعمها أكثر من عشرين مصفحة، إضافة إلى سيارات عسكرية وسيارات باص كبيرة تنقل الجنود، وعربات لجر المدافع الثقيلة، وعدد كبير من مدافع الهاون[٢٣٤].

بدأت المعركة في الصباح الباكر واستمرت حتى المساء، فاستطاع اليهود تحت ضغط القصف المدفعي الشديد أن يتقدموا، ويحتلوا عدداً من التلال التي انسحب منها رجالنا، وأصبحت قواتنا في هذه المنطقة بحالة خطرة. كنت أنا في مقر القيادة في جبع وكانت سرية المصفحات معنا، فاتصل القائد فوزي القاوقجي بالملازم حديفة طالباً إليه تحريك السرية بكاملها، كما أمر الملازم عفيف البرازي أن يسحب قطع المدفعية إلى رام الله. وطلب تعزيز المنطقة بقوات إضافية، وكل هذه الأمور يجب أن تكون جاهزة قبل منتصف الليل.

تحركت سريتنا بسرعة، فوصلنا إلى منطقة باب الواد، وقام القائد بتوزيع المهام، وفي الساعة الرابعة من صباح ١١ أيار بدأ هجومنا الكبير على اليهود. فقامت المدفعية بقصف التلال التي احتلها اليهود، فتقدمت المصفحات وإلى جانبها عشرات المقاتلين ينطلقون كالسهام، فاشتبكت المصفحات بالمصفحات، فدارت معركة ضارية، لم يعرف لها اليهود مثيلاً، فكانت مصفحاتنا تطارد العدو، تقفز في الهواء كالجنادب، غير آبهة بالموت، وبعد معركة استمرت أكثر من خمس ساعات، انهزم اليهود وبدأوا يتراجعون من التلال إلى مواقعهم السابقة[٢٣٥].

وعند منتصف النهار، كانت قواتنا تحتل جميع التلال المشرفة على باب الواد وطريق القدس، حيث كان اليهود يهربون تاركين قتلاهم وسلاحهم في ساحة المعركة، عشرات البنادق من رشاشات برن وغيرها استولينا عليها.

ولكن فايز حذيفة والمقدم مهدي لم يكتفيا بهذا النصر، بل طلبا من قواتهما التقدم، فتقدمنا بالمصفحات إلى الأمام، حتى تمّ تطهير كامل المنطقة في الساعة الثالثة بعد الظهر، وكانت جثث اليهود منتشرة على مسافة ثلاثة كيلو مترات تقريباً.

وفي هذه المعركة دمّرنا أكثر من عشر مصفحات، وربحنا مصفحة صالحة للاستعمال، كما استولينا على أربعة باصات كبيرة، وعدد كبير من مدافع الهاون والذخائر والرشاشات. وانتهت المعركة في مساء ١١ أيار بنصر قواتنا الباسلة.

معركة اللطرون

لم يمض يومان على انتهاء معركة باب الواد، حتى تفاجأنا باليهود يهاجمون اللطرون[٢٣٦] وهي مركز مهم قرب باب الواد. كما قاموا في الوقت نفسه، بشن هجوم كبير على الطيرة، قلقيلية – كفرسابا. وفي مدة ساعتين استطاع اليهود احتلال اللطرون التي لم يتواجد فيها سوى أبنائها. فهلل اليهود لهذا النصر السريع تعويضاً عن خسارتهم في باب الواد. عند ذلك، طلب القائد القاوقجي من كل الوحدات الانتقال إلى اللطرون، ودفع بها في المعركة، فتوجهت قوات المشاة، تدعمها المصفحات، وكنت داخل إحداها، فتقدمنا بسرعة جنونية نحو معاقل اليهود، فدارت معركة بالمصفحات، فدمرنا لهم أربع مصفحات وهربت الأخريات، حيث ترك اليهود قتلاهم في أرض المعركة، فتابعنا تقدمنا، وسددنا عليهم منافذ النجاة، فحاصرنا أربع مصفحات واستولينا عليها، وهي صالحة للاستعمال، إضافة إلى ذلك غنمنا عدداً كبيراً من الرشاشات المتوسطة والخفيفة. وقد سقط لنا في هاتين المعركتين عشرة شهداء، سجّلوا مواقف بطولية نادرة في اقتحامهم لصفوف الأعداء».

معركة مشمار هايردن

تابع المجاهد شفيق هلال حديثه حول المعارك في فلسطين فقال: «على الرغم من القرار الصادر من الجامعة العربية بسحب جيش الإنقاذ من فلسطين، وحلول الجيوش العربية مكانه، إلا أن هذه الجيوش لم تستغنِ عن

جيش الإنقاذ، الذي اضطر إلى البقاء في فلسطين على الرغم من ضآلة المعدات والذخائر، دعماً لتلك الجيوش وصوناً للكرامة العربية. ففي التاسع من تموز ١٩٤٨[٢٣٧]، شنت القوات الصهيونية هجوماً كبيراً على القوات السورية غرب كعوش انطلاقاً من مستعمرة مشمار هايردن[٢٣٨]. فتصدت لها القوات الموجودة، وطلبت النجدة، فتحركت سرية المصفحات بقيادة الملازم فايز حديفة، وكنت أنا في واحدة منها تضم المجاهد أديب صالحة من رأس المتن، وتوفيق محمد هلال من بلدتي وسائق المصفحة سوري الجنسية.

دارت اشتباكات عنيفة بيننا وبين اليهود، فتقدمت خمس مصفحات من قواتنا واكتسحت صفوف الأعداء، فكنّا في مصفحاتنا نقفز في الهواء كالجنادب، حيث ذُعر اليهود وتراجعوا نحو مشمار هايردن. ثم جاءت قوة من أم الفحم، تقدّر بأربعين مسلحاً شاركوا في الهجوم، ففر اليهود ولجأوا إلى أوكارهم في مشمار هايردن».

ويتابع المجاهد شفيق حديثه قائلاً: «انسحب اليهود إلى مستعمرتهم، وقام قسم كبير منهم بافتراش الأرض، حيث كان المئات منهم ما زالوا في موقع الدفاع، انسحبت أربع مصفحات من قواتنا، بينما بقيت مصفحتنا تتقدم، فضلّت الطريق ودخلنا إلى وسط مشمار هايردن. بدأ الرصاص من رشاشات اليهود ينهال كالمطر، وأصبحوا على مسافة عشرين متراً من مصفحتنا، فاقتربوا منّا وبدأوا يصيحون بنا: «انزلوا اشربوا شاي». وهنا تعطلت المصفحة، ولم يعلم اليهود بذلك، ولكنهم لم يجرأوا على الاقتراب منها. وبعد مدة صغيرة، اشتغلت محركاتها، فقام السائق بالدوران حيث علم أنه ضلّ الطريق، واتجه مجدداً نحو كعوش. وبينما نحن نسير في طريقنا داخل المستعمرة، شاهدنا اليهود ينبتون من الأرض كالأشباح، يقفون أمام المصفحة ويطلقون النار عليها، ولكن في هذا الوقت، قمت أنا وأديب صالحة، برمي القنابل اليدوية، وكان توفيق هلال يناولنا هذه القنابل. استمرينا مدة حتى استطعنا اجتياز المستعمرة، ولدى وصولنا إلى مشارف كعوش، بدأ الرصاص ينهمر من رفقائنا، إذ لم يصدقوا أننا نجونا وعدنا سالمين، فظنوا أن اليهود أسروا المصفحة، وقاموا بهجوم تضليلي بها. ولكن الحمد لله نجونا،

ووصلنا إلى كعوش بسلام، فتهافت عشرات الشباب الدروز في جيش الإنقاذ، وباقي العناصر لتهنئتنا بالسلامة.

بعد هذه المعركة، بقيت مع معظم أبناء جبل لبنان حتى أواخر شهر تموز، غادرنا بعدها إلى سوريا ومنها عدنا إلى لبنان، وقد بقي قسم قليل من المجاهدين مع القائد القاوقجي من الدروز، انسحبوا معه في نهاية المعارك إلى الأردن ومنهم المجاهد الشهيد حمد صعب[٢٣٩].

أما فوج الجبل بقيادة شكيب وهاب، فقد انسحب قبلنا بمدة طويلة، حيث لم يتأمّن له الدعم العسكري للصمود، وسقط في صفوفه عشرات الشهداء من أبناء جبل العرب وجبل لبنان، قدّر بأكثر من ثمانين شهيداً، حيث تحوّلت مآتمهم إلى أعراس وطنية وقومية في قراهم السورية واللبنانية على السواء.

هوامش إسهام الجاهدين اللبنانيين الدروز في الثورات

١ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج١، ص ٨٨، وسلامة عبيد، الثورة السورية الكبرى، ص ١٠٤.

٢ سلامة عبيد، الثورة السورية الكبرى، مرجع سابق، ص ١٠٧.

٣ سلامة عبيد، مرجع سابق، ص ١٠٨، وسلطان باشا الأطرش ج١، ص ٨٩.

٤ سلطان باشا، ج١، ص ٨٩.

٥ و٦. سلطان باشا، ج١، ص ١٠٠.

٧ و٨. سلامة عبيد، مرجع سابق، ص ١٢٠.

٩ سلطان باشا، ج١، ص ١٠٥.

١٠ سلطان باشا، ج١، ص ١٠٧ – ١٠٨، وسلامة عبيد، ص ١٢٠.

١١ سلامة عبيد، مرجع سابق، ص ١٢١.

١٢ سلامة عبيد، مرجع سابق، ص ١٢٣.

١٣ سلطان باشا، ص ١١٠ – ١١١، ج١، وسلامة عبيد، ص ١٢٤، ١٢٥.

١٤ سلطان باشا، ص ١١٩، ج١.

١٥ سلطان باشا، ص ١٢٢ – ١٢٣، ج١.

١٦ سلطان باشا، ص ١٢٥، ج١، وسلامة عبيد، مرجع سابق، ص ١٢٥.

١٧ سلطان باشا، ص ١٢٨ – ١٢٩، ج١.

١٨ مقابلة شخصية مع نجله متعب أبو ياغي زهر الدين في كفرفاقود في ١٩٩٨/٨/١٠.

١٩ نعمان حرب، سلسلة أبطال منسيون، الشهيد شهاب غزاله، منشورات دار مجلة الثقافة، دمشق ١٩٩٩.

٢٠ سلطان باشا، ص ١٣٠ – ١٣١، ج١، وسلامة عبيد، مرجع سابق، ص ١٢٩.

٢١ نعمان حرب، مرجع سابق، الشهيد شهاب غزاله، الشهيد مصطفى الأطرش.

٢٢ سلطان باشا، ص ١٣٢، ج١.

٢٣ سلطان باشا، ص ١٣٥، ج١.

٢٤ سلطان باشا، ص ١٣٨، ج١.

٢٥ مقابلة شخصية مع المجاهد قاسم الزغبي، حيث اشترك شخصياً في هذه المعركة، عرى - السويداء، في ٢٠٠٣/٦/١٢.

٢٦ سلطان باشا، ص ١٤٢، ج١.

٢٧ سلطان باشا، ص ١٤٣، ج١، وسلامة عبيد، مرجع سابق، ص ١٣٥.

٢٨ سلطان باشا، ص ١٤٨، ج١، وسلامة عبيد، مرجع سابق، ص ١٣٥.
٢٩ حافظ أبو مصلح، ثورة الدروز وتمرد دمشق، الجنرال أندريا، ترجمة المكتبة الحديثة للطباعة والنشر، بيروت ط١ ١٩٧١، ص ٦١ و ٦٢.
٣٠ حنا أبو راشد ص ٢٨٣.
٣١ مقابلة شخصية في السمقانية في ٢٠٠٣/٦/٢٥ مع نجله سليمان شرف الدين.
٣٢ مقابلة شخصية مع المجاهد قاسم الزغبي في عرى - السويداء في ٢٠٠٣/٦/١٢.
٣٣ مقابلة شخصية مع نجله في قرية رساس – السويداء في ٢٠٠٣/٦/٢٥.
٣٤ سلامة عبيد، الثورة السورية، مرجع سابق، ص ٤٧٣.
٣٥ سلطان باشا الأطرش، ج١، ص ١٦٥.
٣٦ سلطان باشا الأطرش، ج١، ص ١٦٧ – ١٦٨.
٣٧ حنا أبي راشد، جبل الدروز، سلطان باشا الأطرش، مكتبة زيدان، مصر ط١ ١٩٢٥، ص ٢٨٥. حدثت المعركة في قرية المرجانة.
٣٨ حنا أبي راشد، مرجع سابق، ص ٢٨٣.
٣٩ سلطان باشا، ص ١٧٩، ج١، وسلامة عبيد، مرجع سابق، ص ١٤٣.
٤٠ سلطان باشا، ص ١٧٩، ج١، ومن القادة الأمير عادل أرسلان، فؤاد سليم، عقلة القطامي، عبد الرحمن الشهبندر، نسيب البكري.
٤١ أدهم آل جندي، ص ١٩٧ – ومحي الدين السفرجلاني (تاريخ الثورة السورية – دمشق دار اليقظة ١٩٦١) ص ١٦٥.
٤٢ مقابلة شخصية مع نجله والعشرات من أهل بلدة رساس يذكر هذه الحادثة.
٤٣ مقابلة شخصية مع أبو رامز أمين جعفر، بشتفين، في ٢٠٠٣/٥/٢٠.
٤٤ سلطان باشا، ص ١٨٢، ج١.
٤٥ سلطان باشا، ص ١٨٦ – ١٨٨، ج١، وسلامة عبيد، مرجع سابق، ص ١٥٨ و ١٥٩، وأدهم آل جندي، ص ٢٠٠.
٤٦ سلطان باشا، ص ١٨٨، ج١.
٤٧ مقابلة شخصية مع المجاهد قاسم الزغبي في عرى في ٢٠٠٣/٦/١٢.
٤٨ سلطان باشا، ص ١٩٠ – ١٩٤، ج١، وأدهم آل جندي، ص ٢٠١ – ٢٠٢.
٤٩ مقابلة شخصية مع الشيخ صالح القاضي – رساس – السويداء في ٢٠٠٣/٦/١٤، ومنير الريّس، الكتاب الذهبي، مرجع سابق، ص ٢٤٩.

٥٠ مقابلة شخصية مع حمزة هايل الأطرش وشبلي فارس متعب الأطرش في رساس – السويداء في ٢٠٠٣/٦/١٤.

٥١ منير الريّس، الكتاب الذهبي، مرجع سابق، ص ٢٥٠ – ٢٥١.

٥٢ سلطان باشا، ص ١٩٥ و ١٩٦، ج١.

٥٣ منير الريّس، الكتاب الذهبي،، ص ٣٠٠، وأدهم آل جندي، مرجع سابق ص ٢٠٤.

٥٤ منير الريّس، الكتاب الذهبي،، ص ٣٠٣. الشيخ ديب القديمي من وجوه قرية القدم المجاورة لمدينة دمشق.

٥٥ مقابلة شخصية مع صهره رجا سلوم رضي الدين في بعقلين في ٢٠٠٣/٥/١.

٥٦ منير الريّس، الكتاب الذهبي،، ص ٣٠٤، وسعيد العاص، صفحة من الأيام الحمراء، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط١ ١٩٨٨، ص ١٨٥.

٥٧ الكاهن إسمه ديمتريوس جمال.

٥٨ أدهم آل جندي، ص ٢٠٧ و ٢٠٨، وسعيد العاص، مرجع سابق ص ١٩١ و١٩٢، وسلطان باشا، ص ٢١٥، ج١، ومنير الريّس، الكتاب الذهبي، ص ٣٠٥ – ٣٠٧.

٥٩ أدهم آل جندي، ص ٢٠٩. ومقابلة شخصية مع السيد فؤاد حسين علامة الذي كان والده وعمّه في هذه المعركة.

٦٠ سلطان باشا، ص ٢٢٣، ج١.

٦١ أدهم آل جندي، ص ٢١٠، ومنير الريّس، الكتاب الذهبي،، ص ٣١٢ – ٣١٥، وسلطان باشا، ص ٢٢٥، ج١.

٦٢ مقابلات شخصية مع الشيخ كامل هاني والسيد يوسف هاني في بعذران في ٢٠٠٣/١/٢٥.

٦٣ مقابلة شخصية مع نجله في عينبال – الشوف في ٢٠٠٢/٩/١٤.

٦٤ مقابلة شخصية مع إبن أخيه أمين شريف شمس في عاليه في ٢٠٠٣/٥/٦.

٦٥ سلطان باشا، ص ٢٣٠، ج١.

٦٦ سلطان باشا، ص ٢٣٤، ج١.

٦٧ أدهم آل جندي، ص ٢١٢.

٦٨ سلطان باشا، ص ٢٣١، ج١.

٦٩ سلطان باشا، ص ٢٣٥، ج١، وأدهم آل جندي، ص ٢١٢.

٧٠ سلطان باشا، ص ٢٣٦، ج١، ومقابلات مع أقارب الذين اشتركوا في المعارك.

٧١ و٧٢. سلطان باشا، ص ٢٣٧، ج١.

٧٣ أدهم آل جندي، ص ٢١٨، ويذكر أدهم في كتابه تاريخ الثورات السورية الكبرى، أن العقيد فؤاد سليم استشهد في ٣ نيسان ١٩٢٦، والحقيقة أنه استشهد في معركة مجدل شمس الأولى، بناء على مراجع عدة، ومقابلات شخصية مع أقاربه، حيث يثبتون أنه إستشهد في ١٩٢٥/١٢/٦.

٧٤ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج٢، ص ٧.

٧٥ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج٢، ص ٨.

٧٦ مقابلة شخصية مع نجله متعب في كفرفاقود في ١٩٩٩/٨/٨.

٧٧ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج٢، ص ١٢.

٧٨ مقابلات شخصية مع الشيخ كامل هاني والشيخ توفيق صعب والسيد فؤاد أبو تين.

٧٩ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج٢، ص ١٤.

٨٠ مقابلة شخصية مع الشيخ كامل هاني في بعذران في ٢٠٠٣/١/٢٩.

٨١ مقابلة شخصية مع فريد أحمد عبد الباقي في عينبال – الشوف في ٢٠٠٢/٩/١٤ ومقابلة شخصية مع أمين شريف شمس في عاليه في ٢٠٠٣/٥/٦. ومذكرات سلطان باشا الأطرش، ج٢، ص ١٧ و ١٨.

٨٢ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج٢، ص ١٤، ومقابلات شخصية مع أقارب المجاهدين المذكورين في هذه المعركة.

٨٣ مقابلة شخصية مع السيد رجا سلوم رضي الدين في بعقلين في ٢٠٠٣/٥/١.

٨٤ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج٢، ص ١٥.

٨٥ و٨٦. مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج٢، ص ١٥ و ١٦، وأدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٣٦٦.

٨٧ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٣٧٨، مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج٢، ص ١٩، وسعيد العاص ص ١٦٤.

٨٨ مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج٢، ص ١٩.

٨٩ سعيد العاص، مرجع سابق، ص ١٦٤. ومقابلة شخصية مع نجله نواف هرموش في السمقانية في ٢٠٠٣/٦/٢٤.

٩٠ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٣٩٦ و ٣٩٧، استشهد في هذه المعركة في جباتا الخشب المجاهد القائد أحمد مريود، والسفرجلاني، مرجع سابق، ص ٥٨٨.

٩١ سلطان باشا الأطرش، ج٢، ص ٢٥ و ٢٦.

٩٢ سلطان باشا الأطرش، ج٢، ص ٢٨.

٩٣ .سلطان باشا الأطرش، ج٢، ص ٣٧.
٩٤ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٣٤٢.
٩٥ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٣٤٤ و ٣٤٥.
٩٦ أدهم آل جندي، مرجع سابق، ص ٣٥٢. ومنير الريّس، الكتاب الذهبي، ص ٣٦٥ – ٣٦٧.
٩٧ منير الريّس، الكتاب الذهبي،، ص ٣٦٨.
٩٨ إحسان الهندي، كفاح الشعب العربي السوري، سوريا، ط١ ١٩٦٣.
٩٩ مقابلات شخصية مع السيد بهجات محمد الحسنية في عين وزين في ٢٠٠٣/٥/١٥ ومع السيد كمال أبو ضرغم في كفرحيم في ٢٠٠٣/٥/١٠.
١٠٠ مقابلة شخصية مع زوجته في بلدة معاصر الشوف في ٢٠٠٣/٥/٣.
١٠١ مقابلة شخصية مع نجله الشيخ حسين علي أبو رسلان في رأس المتن في ٢٠٠٢/٥/٢٩.
١٠٢ مقابلة شخصية مع السيد محمد مصلح في كفرمتى في ٢٠٠٣/٥/٢٧.
١٠٣ منير الريّس، الكتاب الذهبي، ص ٣٧٨ – ٣٨٠.
١٠٤ منير الريّس، الكتاب الذهبي، ص ٤٧٢ – ٤٧٥، وأدهم آل جندي، ص ٣٧١.
١٠٥ منير الريّس، الكتاب الذهبي، ص ٥١٥ و ٥١٦.
١٠٦ سلامة عبيد، مرجع سابق، ص ٣٤٨، ملحق رقم ٦٢ (أ).
١٠٧ مقابلة شخصية مع السيد محمد حسين حماد في عين زحلتا في ٢٠٠٣/٦/١٨.
١٠٨ أدهم آل جندي، ص ٤١٧.
١٠٩ مقابلة شخصية مع السيد رجا سلوم رضي الدين في بعقلين في ٢٠٠٣/٥/١.
١١٠ أدهم آل جندي، ص ٤١٧.
١١١ و١١٢. أدهم آل جندي، ص ٤٢٦.
١١٣ أدهم آل جندي، ص ٤٢٧ والسفرجلاني، مرجع سابق، ص ٦٣٠.
١١٤ مقابلة شخصية مع الشيخ كامل هاني في بعذران في ٢٠٠٣/١/٢٩.
١١٥ مقابلة شخصية مع السيد راجي يوسف القعسماني، في بعقلين في ٢٠٠٣/٦/١٧.
١١٦ مقابلة شخصية مع الشيخ أمين خطار نصر، في كفرفاقود في ٢٠٠٣/٦/٢٠.
١١٧ لم يذكر هذه المعركة الجنرال أندريا.
١١٨ سعيد الصغير، مرجع سابق، ص.
١١٩ أدهم آل جندي، ص ٢٢٦، وسلطان باشا الأطرش، ج٢، ص ١٣٩، ويعترف الجنرال أندريا في كتابه ثورة الدروز بشراسة هذه المعركة وبطولات الدروز ص ٢٩٣.

١٢٠ سلطان باشا الأطرش، ج٢، ص ١٤٠.

١٢١ سلطان باشا الأطرش، ج٢، ص ١٤٢.

١٢٢ الجنرال أندريا، ثورة الدروز، ص ٣٠١.

١٢٣ الجنرال أندريا، ثورة الدروز، ص ٣٠٨ و ٣٠٩.

١٢٤ سلطان باشا الأطرش، ج٢، ص ١٤٣.

١٢٥ جريدة الصحافي التائه، ص ٨، عدد ١٩٢٦/١٠/٢.

١٢٦ سلطان باشا الأطرش، ج٢، ص ١٥٠، وأدهم آل جندي، ص ٢٢٦ و ٢٢٧.

١٢٧ أدهم آل جندي، ص ٢٢٣. وفي هذه المعركة يعترف أندريا في كتابه بالخسارة ولكنه لا يذكر الأرقام بدقة، ص ٣٠٥.

١٢٨ أدهم آل جندي، ص ٢٢٤.

١٢٩ سلطان باشا الأطرش، ج٢، ص ١٥٢ و ١٥٣، وأندريا ص ٣١٦.

١٣٠ الجنرال أندريا، ثورة الدروز، ص ٣٢١ و ٣٢٢.

١٣١ أدهم آل جندي، ص ٢٢٧.

١٣٢ أدهم آل جندي، ص ٢٢٨، وإحسان الهندي، مرجع سابق.

١٣٣ أدهم آل جندي، ص ٢٢٨، ويذكر إحسان الهندي أن الفرنسيين خسروا في ١٩٢٦/١١/٨، ٣١ قتيلاً و٣٩ جريحاً، وأسقط لهم المجاهدون أربع طائرات.

١٣٤ مقابلة شخصية مع السيد محمد حسين حماد في عين زحلتا في ٢٠٠٣/٦/١٨.

١٣٥ أدهم آل جندي، ص ٢٣١.

١٣٦ أدهم آل جندي، ص ٢٣١.

١٣٧ مقابلة شخصية مع سعيد أبو ضرغم في بعقلين في ٢٠٠٢/٥/١٤.

١٣٨ مذكرات سلطان باشا الأطرش، مخطوطة الأستاذ يوسف الدبيسي، ص.

١٣٩ من وثائق متحف دمشق الحربي، وثيقة رقم ٩٣.

١٤٠ د. عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات وللنشر بيروت، ط١ ١٩٧٣، ص ٢٤٤.

١٤١ أكرم زعيتر، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ط٢ ١٩٨٤، ص ٣٢٣.

١٤٢ الكيالي، مرجع سابق، ص ٢٥٢. ومقابلات شخصية مع متعب زهر الدين وسعيد أبو تين ورجا سنوم رضي الدين.

١٤٣ جريدة صوت الأحرار، عدد ١٣ أيار ١٩٣٥.

١٤٤ مقابلة شخصية مع سعيد محمد فياض، بكيفا – راشيا، في ٢٠٠٣/٤/١٠.

١٤٥ مقابلة شخصية مع فؤاد حسين علامة، بعذران في ٢٠٠٣/٣/٢٧.

١٤٦ مقابلة شخصية مع سعيد فياض، ٢٠٠٣/٤/١٠.

١٤٧ مقابلة شخصية مع فؤاد حسين علامة، ٢٠٠٣/٣/٢٧.

١٤٨ أكرم زعيتر مرجع سابق ص ٣٩٨، ومقابلة شخصية مع الشيخ فايز صعب في الكحلونية في ٢٠٠٣/٧/٩.

١٤٩ يوميات أكرم زعيتر، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ط٢ ١٩٨٤، ص ١٩٤.

١٥٠ فلسطين في مذكرات القاوقجي، إعداد خيرية قاسمية، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت ط١ ١٩٧٥، ج٢ ص ١٠.

١٥١ فلسطين في مذكرات القاوقجي، ج٢، ١٨.

١٥٢ أكرم زعيتر، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، ص ٤٤٥ – ٤٤٩.

١٥٣ الثورة العربية الكبرى في فلسطين (٣٦–٣٨) – الرواية الإسرائيلية الرسمية، ترجمة أحمد خليفة، بيروت ١٩٨٩ ط١ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ص ٣٥.

١٥٤ مقابلات شخصية مع أقاربهم.

١٥٥ فلسطين في مذكرات القاوقجي، ص ٢٣.

١٥٦ فلسطين في مذكرات القاوقجي، ص ٢٤.

١٥٧ فلسطين في مذكرات القاوقجي، ص ٢٤.

١٥٨ يوميات أكرم زعيتر، الحركة الوطنية الفلسطينية، ص ١٦٢.

١٥٩ مقابلة شخصية مع الشيخ أبو فخري كامل هاني في بعذران في ٢٠٠٣/١/٢٢.

١٦٠ فلسطين في مذكرات القاوقجي، ج٢، ص ٢٦.

١٦١ الثورة العربية الكبرى في فلسطين، مرجع سابق ص ٣٧.

١٦٢ الثورة العربية الكبرى في فلسطين، مرجع سابق ص ٣٧.

١٦٣ فلسطين في مذكرات القاوقجي، ص ٢٦ – ٢٧.

١٦٤ جريدة النهار، السبت ١٩ أيلول ١٩٣٦. البلاغ السادس للقيادة العامة للثورة الفلسطينية.

١٦٥ لم يذكر القاوقجي هذه المعركة في مذكراته.

١٦٦ الثورة العربية الكبرى في فلسطين، مرجع سابق ص ٣٧.

١٦٧ فلسطين في مذكرات القاوقجي، ج٢، ص ٣٠.

١٦٨ فلسطين في مذكرات القاوقجي، ج٢ ص ٣١.
١٦٩ بلاغ رقم ٩ – أكرم زعيتر، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ص ٤٤٩.
١٧٠ سيرة شهداء الحركة السورية القومية الاجتماعية، ج١، صادر عن عمدة الإذاعة، بيروت ١٩٨٦، ص ٣٩ – ٤٠.
١٧١ المرجع السابق، ص ٤٠.
١٧٢ القاوقجي ص ٤١. وفي كتاب الثورة العربية الكبرى في فلسطين، حسب الرواية الإسرائيلية، يدّعي اليهود أن القائد الإنكليزي، دعا رئيس بلدية نابلس إلى زيارته في القلعة، وتمضية الليل مع هيئة أركانه على سطح الثكنة، ص ٣٨.
١٧٣ البلاغ رقم ١٠ – أكرم زعيتر، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، ص ٤٤٩. والقاوقجي ج٢، ص ٤١.
١٧٤ القاوقجي ج٢، ص ٤٢ – ٤٥، والبلاغ العسكري رقم ١١، أكرم زعيتر، ص ٤٥٠.
١٧٥ مقابلات شخصية مع أقاربه في الكحلونية.
١٧٦ القاوقجي ج٢، ص ٤٦.
١٧٧ القاوقجي ج٢، ص ٤٧.
١٧٨ القاوقجي ج٢، ص ٤٨.
١٧٩ أدهم آل الجندي، تاريخ الثورات السورية الكبرى ص ٢٥٥ مرجع سابق.
١٨٠ أدهم آل الجندي، تاريخ الثورات السورية الكبرى ص ٢٥٥، وسيرة شهداء الحركة السورية ص ٤٣.
١٨١ أدهم آل الجندي، مرجع سابق، ص ٢٥٦.
١٨٢ أدهم آل الجندي، مرجع سابق، ص ٢٥٦.
١٨٣ يوميات أكرم زعيتر، الحركة الوطنية الفلسطينية، ص ٢٠٣.
١٨٤ القاوقجي ج٢، ص ٥٠.
١٨٥ القاوقجي ج٢، ص ٤٨، ومقابلة شخصية مع السيد رجا سلوم في بعقلين في ٢٠٠٣/١/٢٥.
١٨٦ و١٨٧. يوميات أكرم زعيتر، ص ٢٠٧.
١٨٨ الثورة العربية الكبرى في فلسطين، مرجع سابق ص ٣٩.
١٨٩ القاوقجي ج٢، ص ٤٩.
١٩٠ القاوقجي ج٢، ص ٥٠.
١٩١ أكرم زعيتر، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، ص ٤٥٨ – ٤٥٩.

١٩٢ جريدة النهار عدد ١٩٣٦/٩/١٩.

١٩٣ أعداد جريدة النهار ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ أيلول ١٩٣٦، وأعداد جريدة البشير ١٦ – ٢٤ أيلول ١٩٣٦.

١٩٤ و١٩٥. جريدة البشير عدد ١٩٣٦/٩/٢٦.

١٩٦ جريدة البشير عدد ١٩٣٦/٩/٢٨.

١٩٧ جريدة البشير عدد ١٩٣٦/١١/٥.

١٩٨ جريدة البيرق، عدد ٣٠ آذار ١٩٣٧.

١٩٩ جريدة البيرق، عدد ١٧ و ١٨ أيار ١٩٣٧.

٢٠٠ مقابلة شخصية مع السيد بهجات محمد الحسنية في عين وزين في ٢٠٠٣/٥/١٤.

٢٠١ جريدة النهار عدد ٢٧ تموز ١٩٣٨.

٢٠٢ جريدة النهار عدد ١٦ آب ١٩٣٨.

٢٠٣ جريدة الصفاء، عدد ٢٥ و ٢٦ حزيران ١٩٣٩.

٢٠٤ سعيد الصغير، بنو معروف في التاريخ، لبنان ١٩٨٤، ص ٦٧٨، حيث ذكر أن الزيارة تمّت في ١٩٤٧/١٢/١٨.

٢٠٥ جريدة الجبل، سوريا عدد ٨٧٧، ٢٩ آذار ١٩٤٨.

٢٠٦ جريدة الجبل، ذكرت أن الفوج انطلق من السويداء في ٢٩ آذار ١٩٤٨.

٢٠٧ القاوقجي ج٢، ص ١٢٦.

٢٠٨ القاوقجي ج٢، ص ١٤٢.

٢٠٩ جريدة بيروت، عدد ٢١ و ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٨، والقاوقجي ج٢، ص ١٤٥.

٢١٠ جريدة بيروت، عدد ١٨ شباط ١٩٤٨.

٢١١ جريدة بيروت، عدد ٢٠ شباط ١٩٤٨.

٢١٢ القاوقجي ج٢، ص ١٥٠.

٢١٣ القاوقجي ج٢، ص ١٥٦.

٢١٤ القاوقجي ج٢، ص ١٥٩.

٢١٥ مقابلة شخصية مع توفيق محمد هلال في قرنايل في ٢٠٠٣/٦/٢٢.

٢١٦ جريدة بيروت، عدد ١٨ آذار ١٩٤٨.

٢١٧ جريدة بيروت، عدد ٦ نيسان ١٩٤٨.

٢١٨ القاوقجي ج٢، ص ١٦٢.

٢١٩ القاوقجي ج٢، ص ١٦٤.
٢٢٠ جريدة بيروت، عدد ٩ نيسان ١٩٤٨.
٢٢١ جريدة بيروت، عدد ١٠ نيسان ١٩٤٨.
٢٢٢ جريدة بيروت، عدد ١١ نيسان ١٩٤٨.
٢٢٣ و٢٢٤. القاوقجي ج٢، ص ١٦٦ و ١٦٧.
٢٢٥ جريدة بيروت، عدد ١٧ نيسان ١٩٤٨.
٢٢٦ سعيد الصغير، مرجع سابق، ص ٦٧٩.
٢٢٧ جان دايه، عقيدة سعيد تقي الدين، دار فجر النهضة، ط١ ١٩٩١، ص ٢٦٣.
٢٢٨ جان دايه، عقيدة سعيد تقي الدين، دار فجر النهضة، ط١ ١٩٩١، ص ٢٦٣.
٢٢٩ جان دايه، عقيدة سعيد تقي الدين، دار فجر النهضة، ط١ ١٩٩١، ص ٢٦٦.
٢٣٠ جان دايه، عقيدة سعيد تقي الدين، دار فجر النهضة، ط١ ١٩٩١، ص ٢٦٧.
٢٣١ جان دايه، عقيدة سعيد تقي الدين، دار فجر النهضة، ط١ ١٩٩١، ص ٢٦٨.
٢٣٢ جان دايه، عقيدة سعيد تقي الدين، دار فجر النهضة، ط١ ١٩٩١، ص ٢٦٩.
٢٣٣
٢٣٤ مقابلة شخصية مع المجاهد توفيق محمد هلال، قرنايل، في ٢٠٠٣/٦/٢٢.
٢٣٥ القاوقجي، ج٢، ص ١٨٩.
٢٣٦ المجاهد توفيق هلال.
٢٣٧ القاوقجي ج٢، ص ١٩٢.
٢٣٨ القاوقجي ج٢، ص ٢٢٢.
٢٣٩ المجاهد توفيق هلال.

٩

مجاهدون منفردون

١. المجاهد سعيد إسماعيل أبو تين (١٨٩٥ - ١٩٧٩م)
٢. المجاهد عزت عباس مصطفى جبر حماده (؟ - ١٩٢٣)
٣. المجاهد محمد أمين سلّوم (حماده) (١٩٠٠ - ١٩٨٢م)
٤. المجاهد ملحم سعيد سلّوم (حماده) (١٨٩٨ - ١٩٣٦م)
٥. المجاهد رشيد شاهين سلّوم حماده (١٨٩٧ - ١٩٦٧م)
٦. المجاهد حمد محمد حسين صعب (١٨٩١ - ١٩٤١م)
٧. المجاهد حسين محمود ضو (١٨٧٨ - ١٩٨١م)
٨. المجاهد رشيد شاهين أبو ضرغم (١٨٨١ - ١٩٦٦م)
٩. المجاهد رشيد شاهين نصر (١٩٠٢ - ١٩٩٠م)
١٠. المجاهد يوسف حسين القعسماني (١٨٩٨ - ١٩٧٥م)
١١. المجاهد حسين محمد حمّاد (١٨٨٥ - ١٩٢٦م)
١٢. المجاهد سليمان حسين الأعور (١٩٠٠ - ١٩٣٧م)
١٣. المجاهد يوسف سليم شرف الدين (١٩٠١ - ١٩٣٥م)
١٤. المجاهد محمد سعيد سليمان الأعور (١٨٨٢ - ١٩٤٥م)
١٥. المجاهد خطار محمد أسعد هرموش (١٨٨٥ - ١٩٢٦م)
١٦. المجاهد هزيمة سعيد قاسم زهر الدين (١٩٠٦ - ١٩٩٤م)
١٧. المجاهد أحمد أمين أحمد البتلوني (١٨٨٤ - ١٩٢٦م)
١٨. المجاهد قبلان سليمان حيدر (١٨٨٣ - ١٩٧٣م)
١٩. المجاهد حسين يوسف سويد (١٨٩٠ - ١٩٧٢م)

١

المجاهد سعيد إسماعيل أبو تين
١٨٩٥ - ١٩٧٩م

وُلد المجاهد سعيد أبو تين في بلدة بعقلين في أسرة كريمة، وعندما شبّ عمل في الزراعة والتجارة إلى جانب والده وإخوته. وفي العام ١٩١٩، وبينما كان يتنقل من صيدا إلى الشوف عبر وادي بسري، اعترضه اثنان من عملاء الفرنسيين، وكان برفقته شخصان من بلدته، فاستطاع القضاء على هذين العميلين، بعد أن قام بإطلاق النار عليهما من مسدسه.

وصل الخبر إلى القوات الفرنسية، فقامت على الفور بمداهمة منزله في بعقلين مرات عدة، ولكنها لم تستطع القبض عليه. انطلق بعد ذلك مع كوكبات المجاهدين ضد الانتداب وأعوانهم في معظم المعارك في لبنان وسوريا، ثم أسهم في معارك الجهاد في فلسطين سنة ١٩٣٦، فكان له باع طويل في ساحات الجهاد. وعلى الرغم من شدة المراقبة، فإنه كان يتنقل سراً ما بين لبنان وسوريا وشرق الأردن وفلسطين، شأنه شأن المجاهدين ضد التسلط.

حياته العائلية

في سنة ١٩١٤ تزوّج من عبلة إبراهيم بلان من بلدة حلوى، وكان والدها مختار البلدة[1]. وفي العام ١٩٢٠ رزق بولد أسماه فؤاد، في الوقت الذي كانت السلطة تطارده، فقليلاً ما كان يرى ولده. وفي سنة ١٩٢١، جاء إلى بعقلين لزيارة عائلته، فعلم الفرنسيون بواسطة عملائهم، فجردوا حملة ناهزت الخمسين جندياً في محاولة لاعتقاله، ولكنه استطاع مغادرة المنزل قبل وصولهم بدقائق، واختبأ في إحدى التلال المشرفة على بيته يراقب العسكريين. قام أحد الجنود بتفتيش إيوان قديم، كان سعيد يستعمله زريبة

للمواشي وللدجاج، فقالت له هند وهي شقيقة سعيد أبو تين، وكانت في عمر الثالثة عشرة: «نحن لا يوجد لدينا رجال يختبئون في قن الدجاج ومع الماشية». وهاجمت الجنود بعد ذلك بالحجارة نتيجة تصرفاتهم الحمقاء، ثم قالت لهم: «إنّ أخي موجود في التلة المقابلة لكم، إذا كنتم رجالاً اذهبوا واقبضوا عليه». بعد ذلك، غادروا المنزل، ولم يتجهوا نحوه.

وفي بلدة بعقلين كان المجاهد سعيد أبو تين على علاقة وصداقة متينة مع السيد عزت أمين وهاب، فكان منزله في أطراف البلدة، سعيد أحياناً يقصده وينام في ضيافته، ولم يكن الفرنسيون يعلمون ذلك في بادئ الأمر، وبعد معرفتهم بعلاقة الرجلين، أصبحت المداهمات العسكرية متواصلة على منزل عزت وهاب، ولكنهم لم يعثروا على شيء.

جهاده العسكري

في أواخر ١٩١٩ ذهب إلى جبل الدروز، ثم نزل قاصداً دمشق، فالتقى المجاهدين اللبنانيين شكيب وهاب، فؤاد سليم، حمد صعب، أحمد هاني، فندي أبو ياغي، قاسم زهر الدين، فأسهم في عمليات عدة ضد السلطة الفرنسية معهم، ثم نزل إلى لبنان سرّاً، واصطحب عائلته إلى بلدة ينطا قرب دير العشائر، فسكنت هناك من العام ١٩٢٤ حتى ١٩٢٦، وكان من أصدقائه في هذه المنطقة المجاهدان سليم شتاي، وكنج سيف الدين الحلبي.

وما إن هبّت الثورة السورية الكبرى بقيادة سلطان باشا الأطرش، حتى كان للمجاهد سعيد دور كبير في عدد من المعارك الكبيرة، كما شارك في اجتماعات عدة، والمعارك أبرزها: راشيا، كفرمشكي، شويا، مجدل عنجر، قطنا، الرشيدة[٢].

في هذه المعارك التي خاضها المجاهد سعيد أبو تين رائعة كان إلى جانبه عدد من المجاهدين ذكر لنا نجله فؤاد عدداً منهم وهم: أخواه أمين ومحمود أبو تين، القائد فؤاد سليم، حسين حمّاد من بلدة جباع، محمد ملاعب، طليع الأحمدية، هاني الدلغان، أحمد هاني، فندي أبو ياغي، وفارس سراي الدين وملحم ومحمد ورشيد سلّوم خماده من بلدته بعقلين.

ويروي لنا نجله، أن والده أسهم في معركة حلوى إلى جانب المجاهدين

من آل الداود، مساهمة رائعة، ولم يصب بأذى، رغم الرصاص والقذائف المنهمرة عليه.

وبعد انتهاء الثورة في سوريا، انتقل سعيد أبو تين مع الثوار إلى الأزرق، ثم إلى وادي السرحان، وهناك كان إلى جانب الأمير عادل أرسلان، وبعد رحيل الأمير عادل، بقي مع الثوار، وانتقل من وادي السرحان سرّاً إلى شرق الأردن، ثم فلسطين، وفي سنة ١٩٣٤، التقى مع فؤاد علامة، حيث كان يقوم بزيارة سرّية من شرق الأردن إلى لبنان، فأسهم معه في بعض العمليات العسكرية.

استمر ما يقارب السنتين يجاهد في فلسطين إلى جانب الثوار العرب[٣]، ثم انتقل بعدها إلى سوريا، بعد العفو الذي صدر عن المجاهدين، وجاء في زيارة سرّية في ١٩٣٨ إلى لبنان، فقامت السلطة بتطويق منزله، واستطاع الإفلات من الكمين العسكري المنصوب له، وعاد إلى سوريا.

بعد جلاء الانتداب، عاد إلى بلدته بعقلين وسكن فيها، ثم عاد إلى ممارسة بعض الأعمال الزراعية، واستمر في هذه الحال، إلى أن نشبت ثورة ١٩٥٧ – ١٩٥٨، فوقف إلى جانب القائد كمال جنبلاط في حربه ضد حلف بغداد وأعوانه في لبنان، فتسلّم مسؤولية فصيل بعقلين العسكري[٤]، فقرّبه جنبلاط منه، وكان له مشاركة فعّالة، حيث استشهد أخوه جميل أبو تين في معركة الشحّار، ضد قوى السلطة سنة ١٩٥٨.

بعد هذا العمر الجهادي، لازم منزله في بعقلين، وكان يقوم بزيارة الأصدقاء والمجاهدين في منطقة الجبل، إلى أن توفاه الله سنة ١٩٧٩، فأُقيم له مأتم حاشد، شارك فيه عدد من الخطباء، أشادوا بمناقبه وشجاعته ودُفن في بلدته بعقلين.

٢

المجاهد عزت عباس مصطفى جبر حماده
؟- ١٩٢٣

وُلد المجاهد في بلدة بعقلين، وفي سن السادسة دخل مدرسة البلدة، ثم انتقل إلى مدرسة الداودية في عبيه، وكان في صفّه الدكتور محمد العيد. سنة ١٩١٢ تطوّع في العسكر التركي، واستمر في الخدمة إلى أن نشبت الثورة العربية في الحجاز، فترك خدمته والتحق بهذه الثورة، ودخل مع الأحرار العرب إلى سوريا في خريف ١٩١٨، ثم تطوّع في الجيش العربي وكان إلى جانبه في معارك الثورة رشيد حاطوم حماده وسعيد محمد حماده من بلدته بعقلين(*).

استمرّ عزت حماده في الجيش العربي الفيصلي في مجموعة القائد فؤاد سليم، إلى أن جرت معركة ميسلون الخالدة، فأسهم بها، وانتقل بعدها مع القائد فؤاد سليم المصاب في هذه المعركة، إلى بلدة المجيمر في جبل الدروز.

بعد ذلك، انتقل مع القائد فؤاد سليم إلى إمارة شرق الأردن، وكان ضمن عساكره المقربين، ولكنه ترك الخدمة وعاد إلى لبنان في أواخر ١٩٢٢، فالتقى بالمجاهد حسن ثابت من بلدة باتر، فاشترك معه في عمليات عسكرية ضدّ الفرنسيين، في منطقة جبل لبنان وفي مناطق البقاع وراشيا وحاصبيا وجبل عامل.

وفي سنة ١٩٢٣، قامت السلطة الفرنسية بإرسال التعزيزات العسكرية إلى مناطق عمليات المجاهدين، ونشرت العديد من الحواجز العسكرية ونقاط المراقبة في محاولة للقضاء على مجموعات المجاهدين، فنجحت في بعضها وفشلت في نواحٍ عدة.

وفي سنة ١٩٢٣، كان المجاهد عزت حماده إلى جانب عدد من المجاهدين في جبل الريحان، فاصطدموا بقوة عسكرية كبيرة، وتبادلوا معهما إطلاق الرصاص، ولم ينسحب المجاهد عزت من المعركة، تاركاً نفسه في مواجهة الموت، سعياً منه لتخليص رفقائه، الذين استطاعوا الإفلات من الحصار، واستمر يقاوم إلى أن سقط شهيداً في ساحة المعركة[٦].

وقد رفض الفرنسيون أن تنقل جثته إلى بعقلين، كما منعوا أقاربه من إقامة مأتم له، مستخدمين جميع وسائل الضغط والإرهاب. وعلى الرغم من ذلك، أقام ذووه حفلاً تأبينياً، أشاد فيه الحاضرون ببطولاته وبسالته، وأُلقيت بعض المراثي[٧].

٣

المجاهد محمد أمين سلّوم (حماده)
١٩٠٠-١٩٨٢م

وُلد المجاهد محمد في بلدة بعقلين – الشوف، وعندما شبّ عمل مع ابن عمّه ملحم وأبيه في مهنة البناء. وفي منتصف سنة ١٩١٩، كان يعمل مع ابن عمّه في بلدة معاصر الشوف، ومعهما أحد العمّال من آل عزام. وفي أحد الأيام، جاءت دورية من مخفر درك المختارة بطلب العامل من آل عزام، لسوقه إلى المخفر والتحقيق معه. وكانت الدورية مؤلفة من عسكريين فقط. فطلب محمد وملحم منهما أن يتركا العامل يعمل حتى المساء، إذ لا يوجد مَن يساعدهم سواه. فلم يقبل رئيس الدورية، وبعد شجار قام الدركيان باعتقال ملحم ومحمد والعامل المطلوب للتحقيق، وقد قُيّد الثلاثة مع بعضهم. وعندما وصلوا في سيرهم ما بين بلدتي معاصر الشوف وبطمه، خطر في بال محمد أن يهرب، فقال لرئيس الدورية: «إنني أريد أن أذهب لقضاء حاجتي»، فقام رئيس الدورية بفك قيوده، حيث كان يتوسط ملحم والعامل الذي معهم. وبعد فك القيود، أصبح الثلاثة أحراراً، فهجم محمد على رئيس الدورية وعاونه العامل، وقد حاول رئيس الدورية سحب مسدسه لإطلاق النار، فانتزعه منه محمد، وأطلق النار عليه فصرعه[٨].

أما العسكري الآخر، فلم يقتلوه، بل انتزعوا سلاحه، وأخذوه معهم أسيراً نحو منطقة الجنوب، وهناك أطلقوا سراحه، ولم يرجعوا إلى بعقلين، بل تابعوا سيرهم نحو جبل الشيخ، ثم انتقلوا إلى سوريا.

وبعد مدة وجيزة، التحق بعسكر الأمير فيصل في دمشق في أواخر ١٩١٩، وكان معه من بعقلين، سليم عباس أبو جابر وسعيد محمد حماده. وفي فترة ١٩١٩–١٩٢١، التقى مع المجاهدين سعيد ملاعب وحسن ثابت

وأحمد البتلوني، في منطقة وادي القرن، فشارك معهم في مواقع عدة، وساهم في معركة ميسلون الخالدة إلى جانب العقيد فؤاد سليم، وذهب إلى السويداء، ومنها عاد مع مجموعتي حسن ثابت وسعيد ملاعب لإثارة المتاعب في وجه الفرنسيين، فقاموا بقطع طريق وادي القرن مرات عدة، وضرب القوافل الفرنسية في هذا الممر الإستراتيجي.

استمر محمد يتنقل خفية ما بين سوريا ولبنان إلى أن اندلعت الثورة السورية الكبرى، فأسهم في معظم معاركها، فكان في معارك الغوطة إلى جانب المجاهد الدكتور عادل النكدي، الذي أُصيب في معركة بالا وحمله محمد مسافة على ظهره وكان يرافقه عارف أبو عجرم من بعقلين كذلك[٩].

ثم شارك في معارك راشيا وحاصبيا ومجدل شمس إلى جانب الأمير عادل أرسلان، وكان أبناء عمومته ملحم ورشيد وخليل يقاتلون إلى جانبه في معظم المعارك. وبعد انتهاء الثورة، ذهب مع الثوار إلى النبك، وبعدها تنقّلوا في قرى ومدن الأردن منها: مأدبة ومعين والزرقاء وسحاب وميميل وكان معهم أحمد البتلوني من بلدة جباع. وفي مطلع صيف ١٩٣٦، انتقل إلى فلسطين ومعه ملحم ورشيد، حيث وصلوا إلى مدينة صفد، لكنه مرض، فعاد إلى شرق الأردن، أما ملحم ورشيد فبقيا في فلسطين.

وبعد صدور العفو عن سلطان والثوار، عاد محمد إلى سوريا ولكنه لم ينزل إلى لبنان لأنه محكوم غيابياً بجرائم عدة، فاستقر في سوريا في القريّا، لعمل في مهنة البناء في هذه القرية والقرى المجاورة، وقد حاولت السلطة مرات عدة اعتقاله لتسليمه للسلطة في لبنان، ولكنها فشلت في ذلك.

وفي العام ١٩٤٦، بعد جلاء الفرنسيين وصدور العفو، رجع محمد إلى بلدته بعقلين، وعاد إلى عمله في بلدته، وجوارها حتى سنة ١٩٧٥، لازم بعدها منزله، إلى أن وافته المنية في سنة ١٩٨٢[١٠].

٤

المجاهد ملحم سعيد سلوم (حماده)
١٨٩٨-١٩٣٦م

وُلد المجاهد في بلدة بعقلين، وكان منذ صغره ذكياً، شجاعاً، وعندما شبّ عمل في البناء إلى جانب والده وأبناء عمومته. وبعد الحادثة التي جرت له مع رفيقه محمد في طريق معاصر الشوف - بطمه، ذهب إلى سوريا، والتحق مدة بعسكر الشريف، ثم انتقل إلى السويداء، وعمل هناك في مهنة البناء، بعد دخول الفرنسيين دمشق، حيث أسهم في معركة ميسلون[١١].

أقام في السويداء حتى قيام الثورة السورية، فالتحق مع سلطان باشا في معاركها الأولى إلى جانب ابن عمه محمد[١٢]، في معركة الكفر والمزرعة والمسيفرة ورساس، ثم في معارك الغوطة وراشيا وإقليم البلان. وفي معارك الثورة، أبلى بلاء حسناً، فشهد له رفقاؤه، وعلى رأسهم الأمير عادل أرسلان، الذي لقّبه مرة بالجاموس، لأنه عندما يقتحم خطوط النار، لا أحد يقف في طريقه.

وبعد انتهاء الثورة، رحل مع الثوار إلى الأزرق، ثم سكن مع أبناء عمومته محمد ورشيد وخليل في قرى عدة في شرق الأردن. وفي سنة ١٩٣٦، انتقل في أول الصيف إلى مدينة صفد، يرافقه رشيد ومحمد الذي رجع نتيجة مرض ألّم به، فبقي في صفد، ثم انتقل إلى جنين، فنابلس، وعمل هناك حتى أيلول ١٩٣٦م، حيث قدم القائد فوزي القاوقجي ومعه حوالي ٢٠٠ مجاهد من سوريا والعراق ومجاهدون من الدروز في جبل لبنان وسوريا، فأسهم مع القاوقجي في معارك عدة في فلسطين، أشهرها معركة بلعا، وجبع، ثم في كفرصور المشهورة في العاشر من تشرين الأول ١٩٣٦[١٣]، إذ قام مع رفقائه الأبطال، بالتصدّي للدبابات البريطانية التي كانت تحاول إحكام الحصار

على الثوار في كفرصور، وقد أُصيبت بندقية المجاهد الفلسطيني سليمان السعدي من قرية صانور فرماها ولم يتراجع، فهجم على الدبابة بالحجارة، وظل مندفعاً نحوها حتى استشهد وهو يجثم على أحد جناحي الدبابة. أما ملحم سلوم حماده[١٤]، فإنه تقدّم من إحدى الدبابات، وهاجمها، وقد أطلقت عليه النيران بغزارة، فلم يتراجع، بل استمر في التقدّم، ووصل إلى مسافة صغيرة، فاستطاع أن يقتل قائدها من الفتحة الصغيرة في مقدمتها، ولكن العسكري البريطاني الموجود على برج الدبابة، أطلق نيران الرشاش عليه، فاستشهد بعد أن أدّى واجبه الوطني والقومي في ساحات لبنان وسوريا وفلسطين ضد الاستعماريين الفرنسيين والبريطانيين والصهاينة.

ولم يُعلن ذوو الشهيد نبأ استشهاده إلاّ بعد حين، خوفاً من عمليات اعتقال وتشريد يقوم بها الفرنسيون ضد أهله وأقربائه.

٥

المجاهد رشيد شاهين سلّوم حماده
١٨٩٧ - ١٩٦٧م

وُلد في بلدة بعقلين، وتعاطى في شبابه الأعمال الزراعية والتجارية، وعندما نشبت الثورة السورية الكبرى، أسهم إلى جانب المجاهدين في معظم معاركها[٥٠]، في جبل الدروز والغوطة مع القائد الشهيد عادل النكدي، وفي معارك راشيا وحاصبيا ومجدل شمس مع الأمير عادل أرسلان، وكان إلى جانبه أبناء عمومته ملحم ومحمد وأخوه خليل. وبعد انتهاء الثورة، انتقل إلى شرق الأردن، وسكن في سحاب ومأدبة. في شرق الأردن قامت السلطة البريطانية باعتقاله، بسبب نشاطه في جمع التبرعات للمجاهدين في وادي السرحان، وانزعاج بعض المتزلفين للسلطة منه، ولكن فترة الاعتقال لم تدم أكثر من شهرين، حيث أطلق سراحه في عام ١٩٣١.

وفي سنة ١٩٣٦، أسهم إلى جانب ابن عمّه ملحم في الثورة الفلسطينية وخاض معظم معاركها الشهيرة في جبع وبلعا وكفرصور، وفي منطقة نابلس وجنين. وكان يوم استشهاد ابن عمه ملحم في المعركة في المواجهة البطولية في كفرصور، في محور آخر، حيث علم باستشهاد ابن عمه، وقام مع رفقائه بعد انتهاء المعركة بنقل جثمان ملحم وإقامة حفل تأبيني له شارك فيه القاوقجي وحمد صعب والمجاهدون في موقع كفرصور. وبعد خروج القاوقجي والمجاهدين من فلسطين إلى شرق الأردن، انتقل معهم وسكن في مأدبة[٥١].

وبعد إصدار العفو عن المجاهدين، عاد من شرق الأردن، إلى سوريا، فمكث قليلاً، ثم عاد بعد ذلك إلى لبنان، في سنة ١٩٣٩ وسكن في بلدة بعقلين، يتعاطى الأعمال الزراعية والتجارية إلى أن وافته المنية في سنة ١٩٦٧، ودُفن في بلدته بعقلين.

٦

المجاهد حمد محمد حسين صعب
١٨٩١ - ١٩٤١م

في بلدة الكحلونية – الشوف، وُلد المجاهد حمد صعب في أسرة متواضعة، وفي السادسة من العمر، أدخله والده مدرسة البلدة، ثم مدرسة بعقلين. وفي سنة ١٩١٣، تطوّع في الجيش العثماني واستمر حتى سنة ١٩١٨[١٧]، ليلتحق بعدها مع المجاهدين بالثورة العربية، ودخل في صفوف الجيش العربي، وكان في فرقة المغاوير التي شكلها القائد فؤاد سليم برتبة وكيل ضابط[١٨].

اشترك مع فؤاد سليم ومجموعات المجاهدين، في ضرب معاقل وتجمعات القوات الفرنسية، من جبل عامل حتى جبال العلويين في سنتي ١٩١٩ و ١٩٢٠. كما أسهم في معركة ميسلون الخالدة، وكان إلى جانبه من الشوف المجاهدون: حسيب ذبيان، سلمان ذبيان، نجيب ذبيان، ناصيف ذبيان، مصطفى ذبيان، سعيد ملحم بشير، نجيب حماده، كامل حماده، حمد الحسنية، سلمان الحسنية، فارس الحسنية، ونعيم محمود. وبعد دخول القوات الفرنسية إلى دمشق، انتقل حمد صعب مع المجاهدين إلى جبل العرب، ثم انتقل إلى إمارة شرق الأردن.

جهاده في الثورة السورية

وما إن بدأت الثورة السورية حتى هبّ مع رفاقه للإسهام فيها، فانتقل إلى السويداء، وشارك مع الأمير زيد الأطرش في الحملة التي توجهت إلى الإقليم، بعد ذلك هاجم قلعة راشيا إلى جانب المجاهد شكيب وهاب والمجاهد حمزة درويش، ودخلوها في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٢٥. وبعد

معركة راشيا اشترك في معركة مجدل عنجر، ثم حضر اجتماع المجاهدين في قرية السلطان يعقوب.

بعد ذلك، تابع نضاله العسكري، فكان قائد إحدى المجموعات المجاهدة التي اقتحمت كفرمشكي إلى جانب مجموعتي شكيب وهاب وأحمد هاني، ثم تابعت هذه المجموعات تقدمها، وأسهمت في معارك حلوى والبيرة والرفيد[١٩].

وبعد استراحة لم تدم أسبوعاً، عاد إلى ساحة القتال ليخوض معارك خان أرينبة والغجر ووادي العسل، وجباتا الخشب في أواخر شهر آذار ١٩٢٦.

وفي أواخر شهر آذار ١٩٢٦، كانت القوات الفرنسية تحشد أكثر من ستة آلاف جندي، بغية احتلال مجدل شمس، وشارك في المعركة خلال ٢ و ٣ نيسان ١٩٢٦، لينسحب بعدها المجاهدون إلى بلدة حينا، بعد الضغط الفرنسي العسكري واحتلال المنطقة[٢٠].

وفي السادس من نيسان سار إلى جانب عدد من المجاهدين في مواكبة الحملة المتجهة من مجدل شمس نحو جبل العرب، وكانت تضم رجالاً ونساء وشيوخاً وأطفالاً، واشتبك مع المرتزقة في محلة بقع جمر حيث استشهد المجاهد فارس سراي الدين.

وفي أيام الثورة الأخيرة، شارك في معظم معارك اللجاه، وخاض معركة رشيدة البطولية[٢١] التي لُقّن فيها الفرنسيون درساً قاسياً ومُنوا بخسائر فادحة في الأرواح والمعدات، وشارك في هذه المعركة الأمير عادل أرسلان، سلطان باشا الأطرش، شكيب وهاب، فندي أبو ياغي، توفيق ذبيان، عبد الحليم الجردي، محمد شيا، سعيد أبو تين، فارس باز، محمد فرح، داود عبد الله وغيرهم من المجاهدين، وقد استشهد في هذه المعركة من رفقائه عبد الحليم الجردي ومحمد شيا.

جهاده في فلسطين

بعد بدء الاضطرابات في فلسطين، وقيام الصهاينة بالاعتداء على المواطنين العرب، عُقد في النبك في سنة ١٩٢٨ مؤتمر للثوار برئاسة سلطان باشا الأطرش وعشرات المجاهدين، بحثوا فيه الأوضاع في سوريا، والحالة

المستجدة في فلسطين، فدعا سلطان إلى نصرة الشعب الفلسطيني واستنكار ما يحاك من مؤامرات ضده، ودعا إلى الجهاد في هذه الثورة.

بعد ذلك، بدأ المجاهدون يتوافدون من الصحراء سراً إلى فلسطين في سنة ١٩٢٩، والإسهام مع أبناء فلسطين الأحرار في ضرب التحركات الصهيونية والبريطانية الداعمة لهم، فكان حمد صعب واحداً من هؤلاء المجاهدين الأبطال الذين خاضوا المعارك الأولى[٢٢].

وبعد اشتداد الأزمة وتصاعد العنف في فلسطين سنتي ١٩٣٥ و١٩٣٦، تحرك فوزي القاوقجي لدعم الثورة، واتصل بالمجاهدين في وادي السرحان، فلبّى نداءه عدد من المجاهدين، وكان حمد صعب أحد قادة المجموعات التي أسهمت في هذه الثورة في أيلول ١٩٣٦[٢٣]، وخاض معارك مشهورة أهمها: بلعا وجبع وبيت أمرين وكفرصور، إضافة إلى عشرات العمليات في ضرب تحركات الصهاينة، والجيش البريطاني في منطقة طولكرم ونابلس وجنين، وكان إلى جانبه عدد من المجاهدين نذكر منهم: محمود أبو يحيى، ملحم سلوم، رشيد سلوم، فندي أبو ياغي، قاسم زهر الدين[٢٤].

وبعد الهدنة المؤقتة في فلسطين، انسحب القاوقجي وحمد صعب[٢٥] ورفقاؤهم إلى الضفة الشرقية لنهر شرق الأردن، حيث كانت الجماهير الزاحفة لوداعهم تُقدّر بأكثر من خمسة عشر ألفاً، جاءت إلى ضفة النهر في غور طوباس، والتفّت على الجيش البريطاني في محاولة لردعه عن القيام بأي عمل. وبعد عبور القاوقجي وحمد صعب نهر الشريعة، نزلوا بضيافة الأمير محمد صالح، وبعد ذلك انتقلوا إلى العراق.

وبعد مدة، عاد حمد صعب وحسيب ذبيان في أواخر الثلاثينات إلى لبنان، فجاء حمد إلى بلدته الكحلونية - الشوف، وعلم اللبنانيون بقدومه مع رفيقه حسيب ذبيان، فبدأت عشرات الوفود من مختلف قرى جبل لبنان والبقاع وراشيا وحاصبيا، تؤم بلدة الكحلونية للسلام على المجاهد الكبير حمد صعب، على الرغم من انزعاج السلطة من هذه المظاهر المؤيدة للثوار[٢٦].

ولم تمضِ فترة وجيزة، حتى أرسل القاوقجي بطلبه، للإسهام في الثورة العراقية في سنة ١٩٤١ بقيادة رشيد عالي الكيلاني. فهب حمد إلى جانب

القاوقجي، وخاض غمار هذه الثورة العربية في العراق، انتقل بعدها إلى شمال سوريا مع القاوقجي.

وعلى طريق دير الزور، كان حمد إلى جانب القاوقجي في سيارته العسكرية، وإذ بغارة جوية إنكليزية تهاجم سيارتهما، حيث سقطت قذيفة على مقربة من السيارة، فقام حمد بالقفز فوق جسد القاوقجي يحميه من الشظايا، فأُصيب حمد واستشهد ونجا القاوقجي من الموت في ٢٥ تموز ١٩٤١[٢٧].

وقد دُفن حمد صعب قرب بلدة دير الزور في شمال سوريا، وحضر المجاهدون حفل تأبينه وأشادوا ببطولاته وشجاعته ونضالاته الحافلة على امتداد ساحة المشرق العربي. وقد أُقيم له حفل تأبيني في بلدته الكحلونية في أواخر ١٩٤١ حضره الألوف من أبناء الجبل.

٧

المجاهد حسين محمود ضو
١٨٧٨-١٩٨١م

وُلد في بلدة بشتفين قضاء الشوف، في أسرة ميسورة تتعاطى الأعمال الزراعية والتجارية، واستمر إلى جانب والده إلى أن نشبت الحرب العالمية الأولى، وحلّت المجاعة، فرحل إلى بلدة أسعنا في جبل الدروز سنة ١٩١٥، وفي سوريا، سكن في مدينة السويداء ثم في بلدة الكفر، ثم افتتح ملحمة في مدينة السويداء، وتعاطى بعدها التجارة، فكان يقوم بتجارة الفخّار ما بين سوريا ولبنان. وفي سنة ١٩٢٣ عُيّن مختاراً في بلدة أسعنا واستمر في هذه المهمة إبّان الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥-١٩٢٦[٢٨].

في بداية الثورة، وقف إلى جانب سلطان باشا الأطرش، فأسهم معه في معركة الكفر، والمزرعة، ثم في معركة المسيفرة. بعد ذلك التقى مع الأمير عادل أرسلان وخاض إلى جانبه معارك عدة في جبل العرب والغوطة، وأظهر شجاعة وبطولة في ساحات الجهاد، إلى جانب رفقائه المجاهدين[٢٩].

وفي سنة ١٩٢٦ في شهر شباط، أرسل كاربيه، بطلب مخاتير المقرن الشرقي لمقابلتهم في سرايا السويداء، وقد سأل كاربيه هؤلاء المخاتير سؤالاً واحداً: «هل شاركتم في الثورة؟» وكان يسأل كل مختار بمفرده، فالكل أجابوا بالنفي. ولمّا وصل الدور إلى المختار حسين ضو، قال له: «نعم إنني اشتركت في الثورة وقاتلتكم». فقال له كاربيه، لماذا؟ فأجابه: «لأنكم ظلمتم». وقام حسين بتعداد المظالم والجرائم التي ارتكبها الفرنسيون بحق أهل جبل العرب، وقال له: «لأجل ذلك قاتلتكم». فقال له كاربيه: «وهل هؤلاء شاركوا كذلك؟» فأجابه: «نعم، ولكنهم فزعوا أن يتعرضوا للإهانة فأنكروا». ولكن كاربيه لم يتصرف معهم بحماقة،

وبعد ذلك، أرسل في نهاية عام ١٩٢٦ بطلب حسين وأكرمه، مثنياً على جرأته وشجاعته[٣٠].

وبالإضافة إلى إسهامه العسكري في المعارك، كان منزله موئلاً للثوار، فكان يقوم بتأمين الطعام لهم، إضافة إلى الذخيرة، حيث إن أحواله المادية جيدة. وكانت دوريات الفرنسيين متواصلة إلى داره، ولكنهم لم يستطيعوا أن يعتقلوا أحداً في داره، وكان الأصدقاء يبلّغونه فوراً بقدوم الدوريات الفرنسية.

ويروي لنا نجله توفيق (أبو نبيه)، أن المجاهد رشيد أبو ضرغم قصد مضافة والده في أواخر سنة ١٩٢٦ في بلدة أسعنا، وكان منهكاً من التعب، وحصانه مصاب وينزف دماً، فقام والده حسين بإضافته، وإطعام حصانه، ثم قدّم له كمية كبيرة من المؤن له ولرفقائه المجاهدين وانصرف. وكان توفيق يومها في السابعة من عمره.

وبعد انتهاء الثورة، بقي المجاهد حسين في بلدة أسعنا حتى العام ١٩٣٠، عاد بعدها إلى بلدته بشتفين، وعمل في التجارة والزراعة في بلدته وفي المناطق اللبنانية، إلى أن أقعده المرض في أواخر سني حياته، فلازم منزله، إلى أن توفاه الله في سنة ١٩٨١ عن عمر مديد.

٨

المجاهد رشيد شاهين أبو ضرغم
١٨٨١ - ١٩٦٦م

وُلد في بلدة كفرحيم الشوف، في أسرة متواضعة، فعمل في الزراعة والتجارة، وفي السنة ١٩١٥، وبعدما حلّت المجاعة وسكن في مدينة السويداء. وما إن بدأت الثورة العربية في الحجاز بقيادة الشريف حسين، حتى هبّ مع المجاهدين في جبل العرب للإسهام في هذه الثورة، فسار في موكب المجاهدين بقيادة سلطان باشا الأطرش سنة ١٩٢٧، ودخل معهم مدينة دمشق بعد تحريرها من العثمانيين، حيث خاض معارك عدة إلى جانب رفقائه المجاهدين[٣١].

بعد ذلك، بقي في السويداء وعمل في الزراعة، واستمر هناك حتى سنة ١٩٢٥ حيث شارك في الثورة السورية الكبرى، فخاض معظم معاركها في جبل العرب والغوطة والإقليم، كما شارك في معارك الثورة الأخيرة في اللجاه، وانتقل بعدها مع الثوار إلى شرق الأردن، فسكن في الأزرق، وانتقل منها إلى فلسطين.

رفقاؤه في الثورة

كان المجاهد رشيد يخوض المعارك إلى جانب رفقائه الثوار وخصوصاً من أبناء منطقته، وهم: فندي أبو ياغي، قاسم زهر الدين، وحسين محمود ضو، بشير جعفر، علي طربيه، شكيب وهاب، ملحم ورشيد ومحمد سلّوم، سعيد أبو تين، علي أبو خزام، خليل أبو خزام، حسن حماده وغيرهم[٣٢].

وبعد العفو، عاد إلى لبنان في سنة ١٩٤٦، فسكن في بلدة دميت، واستمر يعمل في الزراعة والتجارة إلى أن وافته المنية في سنة ١٩٦٦ فدُفن في بلدة دميت الشوف.

٩

المجاهد رشيد شاهين نصر
١٩٠٢- ١٩٩٠م

وُلد في بلدة كفرفاقود، ولما شبّ تعاطى الأعمال الزراعية في البلدة إلى جانب والده. وفي أواخر السنة ١٩١٩، بعدما قامت القوات الفرنسية بتطويق كفرفاقود والقرى المجاورة لها بعد حادثة عين تراز، التقى رشيد شاهين نصر مع فندي أبو ياغي وعدد من المجاهدين، نذكر منهم: يوسف مجيد نصر، محمود خطار نصر، سعيد خطار نصر، هاني حسين أمان الدين، قاسم حسين زهر الدين، محمد أمان الدين، فقرر هؤلاء المجاهدون وجميعهم من كفرفاقود، مقاومة الفرنسيين والالتحاق بالحكومة العربية في دمشق[٣٣].

انتقل فندي ومجموعته المجاهدة مع هذه الكوكبة الثورية من كفرفاقود إلى الباروك، ثم اتجهوا نحو شارون، وهناك انطلق معهم عدد من المجاهدين، من شارون وبتاتر والمشرفة وعين دارا وشانيه وصوفر وأغميد، وتوجهوا عبر طريق ضهر البيدر فالبقاع ووصلوا إلى دمشق.

في دمشق التقوا بالأمير عادل أرسلان، وانضووا في صفوف المجاهدين، الذين انطلقوا نحو الحدود السورية اللبنانية، بدءاً من جبل عامل وصولاً إلى جبال العلويين، مثيرين المتاعب بوجه الفرنسيين وعملائهم، فكان رشيد نصر واحداً من الذين نفذوا العديد من العمليات العسكرية بشجاعة وجرأة، وشهد له رفقاؤه في تلك المواقع، وكان إلى جانبه المجاهد الشهيد عبد الحليم الجردي من الشويفات، فتوطدت بين الرجلين أواصر الصداقة والمحبة[٣٤].

وما إن انتهى الحكم العربي في دمشق، وسيطر الفرنسيون على سوريا، حتى انتقل رشيد إلى السويداء، فشارك في ثورة سلطان الأطرش الأولى سنة

١٩٢٢، وانتقل مع المجاهدين إلى شرق الأردن، ثم عاد معهم في ٥ نيسان ١٩٢٣ إلى السويداء.

استمر رشيد يتنقّل في محافظة السويداء إلى أن نشبت الثورة السورية الكبرى سنة ١٩٢٥، فأسهم مع رفقائه في معظم المعارك التي جرت في جبل العرب، ثم شارك في معارك الغوطة والإقليم تحت قيادة الأمير عادل أرسلان وكان معه محمود خطار نصر وأخوه سعيد وأبو عادل قاسم زهر الدين الذي قرّبه منه الأمير عادل، كما أسهم معهم في هذه المعارك: يوسف مجيد نصر وأبو سعيد محمد أمان الدين وهاني حسين أمان الدين ومجاهدون آخرون من الشوف وعاليه والمتن وجبل العرب[٣٥].

وبعد وصول الدكتور عادل النكدي إلى جبل العرب، انطلق إلى الغوطة للإسهام في معارك التصدي للمستعمرين، فاشتركت هذه المجموعات مع القائد في خوض غمار المعارك البطولية، في يلدا وببيلا وعقربا وبالا وقد أُصيب القائد عادل النكدي في هذه المعركة، ولكنه لم يتوقف عن متابعة القتال رغم جراحه، فخاض معركة المواجهة العنيفة مع الفرنسيين في قرية بيت سحم في موقع سيدي الناس، وكان إلى جانبه ملحم ومحمد سلوم وعدد من مجاهدي بلدة بعقلين، ورشيد شاهين نصر ومحمود وسعيد خطار نصر من كفرفاقود وغيرهم من المجاهدين، استمرت المعركة ساعات عدة، وقد استبسل المجاهدون في الدفاع عن مواقعهم، أمام الجيوش المدعومة بالدبابات والمدرعات، ولم يتراجع المجاهدون عن هذه المواقع إلا بعد أن نفدت ذخيرتهم، واستشهد في هذه المعركة القائد عادل النكدي وإلى جانبه البطل مصطفى سيف[٣٦]. وقد قام محمود خطار نصر بحمل جثمان الشهيد القائد عادل النكدي، وعاونه رفقاؤه، وجرى حفل تأبين له، بحضور القائد مصطفى وصفي ورفقاء الشهيد. وسبق ذلك أن قام محمود خطار نصر، بأخذ فرس وسلاح القائد الشهيد عادل النكدي، وتوجه إلى خيمة مصطفى وصفي لتسليمه الأمانة، وهناك حاول أحد المقاتلين من الغوطة، انتحال صفة القرابة للشهيد، بغية أخذ الفرس والسلاح، فسأله محمود نصر الذي كان يعرف جميع أفراد آل النكدي في بلدة عبيه وجوارها، من تكون أيها المقاتل؟ فأطلق على نفسه أحد الأسماء، فقام محمود بصفعه أمام مصطفى

وصفي وشتمه وأهانه، وقام بعد ذلك بتسليم الأمانة، السلاح والفرس، للقائد وصفي الذي قدّره واحترمه.

شارك رشيد شاهين نصر ورفقاؤه في الجهاد في معظم المعارك في الغوطة، وانتقلوا مع الأمير عادل أرسلان إلى خوض معارك اللجاه، بعد ذلك، شارفت الثورة على الانتهاء، بعد سيطرة الفرنسيين بجيوشهم وطائراتهم ودباباتهم، فجمع الأمير عادل الثوار، وقال لهم: «إننا سننتقل إلى الأزرق، فمَن يستطيع أن يذهب معنا فأهلاً وسهلاً به ومَن لا يستطيع الذهاب إلى الأزرق، فله الحرية في الذهاب إلى أي مكان». أما رشيد شاهين نصر فقد انتقل من اللجاه إلى بلدة عين الشعرة حيث كان لديه العديد من الأصدقاء، وفي هذه البلدة اعتقل ونُقل إلى دمشق ولكنه استطاع الفرار من السجن بمساعدة أحد المأمورين.

بعد ذلك، اجتمع رشيد شاهين نصر ورفقاؤه الذين انطلقوا من كفرفاقود، فقرروا العودة إلى بلدتهم، وعدم الذهاب إلى شرق الأردن. فتوجهوا إلى دمشق ومنها إلى البقاع في منتصف ١٩٢٧، فوصلوا إلى جبل الباروك، فشاهدهم بعض الأشخاص من بلدة عانا، فأخبروا الفرنسيين، فتوجهت قوة كبيرة إلى جبل الباروك، واشتبكت مع المجاهدين، الذين كان يرافقهم عدد من الثوار من منطقة عالَيه والمتن. دارت معركة عنيفة بين المجاهدين والقوات العسكرية التي ساعدها بعض الأهالي في تعقّب الثوار، فاستشهد المجاهد عارف الريس من مدينة عالَيه[٣٧].

ومن جبل الباروك اتجه المجاهدون نحو شارون، ونزلوا إلى الوادي، وقد قام أهالي شارون وأغميد والمشرفة وبتاتر، بتزويدهم بالمؤن ليلاً، وظلوا في وادي شارون أياماً عدة، بعيدين عن أعين السلطة.

وصل خبر الاشتباك مع الفرنسيين في جبل الباروك إلى معظم قرى الجبل، فانتقل محمد خطار نصر من كفرفاقود إلى شارون، واستطلع مكان وجود المجاهدين، فذهب إليهم والتقى معهم، وتوجهوا جميعاً إلى وادي الصفا، وساروا بمحاذاة النهر، حتى وصلوا إلى أسفل بلدة كفرفاقود، إلى منطقة البحيري، ومكثوا مدة هناك. وقد قام أهالي البلدة بتأمين الطعام والملاذ الأمين لهم، ولم تستطع السلطة القبض على أي واحد منهم.

استمر المجاهدون في كفرفاقود يعيشون في حذر وقلق، خوفاً من مداهمة القوات الفرنسية واعتقالهم، ولكن أهالي البلدة قاموا بالذود عنهم، وخصوصاً بعد اغتيال سعيد عبد الساتر، وتطويق كفرفاقود في الرابع من كانون الثاني ١٩٢٧، فتمّ إبعاد هؤلاء المجاهدين إلى مكان أمين وتأمين الغذاء لهم من سكان البلدة، وكان رشيد شاهين نصر معهم، واستمرت هذه الحالة شهوراً عدة، عاد بعدها هؤلاء المجاهدون إلى العمل كالمعتاد في البلدة وجوارها ولم تعتقلهم السلطة.

أما المجاهد رشيد شاهين نصر، فانتقل إلى بيروت وعمل موظفاً في شركة الترومواي للنقل مدة من الزمن، وفي السنة ١٩٣٣ قامت السلطة باعتقاله ونقله إلى سوريا حيث كانت هناك ثلاثة أحكام غيابية بالإعدام صادرة بحقه بين الأعوام ١٩٢٦–١٩٢٨. وخلال مدة اعتقاله، قام عدد من المحامين في لبنان وسوريا بالدفاع عنه ومنهم: سليم أبو إسماعيل من بلدة ديربابا وقد حكمت المحكمة ببراءته من التهم المنسوبة إليه، عاد بعدها إلى لبنان إلى عمله في شركة الترومواي حيث عمل مدة طويلة من الزمن في بيروت. بعد ذلك انتقل إلى بلدته كفرفاقود، فتعاطى الأعمال الزراعية والتجارية إلى أن أقعده المرض مدة طويلة من الزمن، حيث وافته المنية في سنة ١٩٩٠، وأُقيم له مأتم حاشد، فأشاد الحاضرون في تأبينه بمزاياه وشجاعته في الثورة السورية وبمواقفه النبيلة[٣٨].

١٠

المجاهد يوسف حسين القعساني
١٨٩٨-١٩٧٥م

وُلد في بلدة بعقلين، وفي عمر لم يتجاوز السنة، هاجر والده إلى الأرجنتين، فربي في كنف والدته وجدّه. ولمّا شبّ عمل في الزراعة، ثم في مهنة البناء، فبرع فيها، وعمل في بعقلين والقرى المجاورة. وفي سنة ١٩١٨ تزوج، ثم أنجب ثلاثة أولاد.

وما إن بدأت المجموعات المجاهدة في سنة ١٩٢٣، تهاجم مواقع ودوريات القوات الفرنسية وأعوانها، حتى التحق بركب المجاهدين، وأسهم معهم في عمليات عسكرية ضد المستعمرين، فلم يكن في مجموعة معينة، بل أسهم مع حسن ثابت وشكيب وهاب وأحمد هاني، وكان رفيقه حسين البعيني من مزرعة الشوف. ولم تلحظ القوة الفرنسية نشاطاته، فبقي بعيداً عن أعين السلطة وأدواتها[٣٩].

وفي سنة ١٩٢٥، انتقل إلى جبل العرب وسكن في صلخد، ولما هبّت رياح الثورة ضد الفرنسيين، سارع إلى السير في قافلة المجاهدين، فأسهم في معظم معاركها، في جبل العرب والغوطة مع الأمير عادل أرسلان، وفي إقليم البلان مع القائد فؤاد سليم، وبعد انتهاء الثورة، لم ينزح مع المجاهدين إلى شرق الأردن، بل عاد إلى لبنان سنة ١٩٢٧.

في هذه السنة، تعرّض منزله مرات عدة للمداهمة والتطويق، ولكنه كان في كل مرة يفلت من قبضة رجال السلطة، إلى أن تمكنت السلطة الأمنية بواسطة الوشاة من اعتقاله، فسجن في بيت الدين، مدة ثمانية أشهر، حيث أسهم في إطلاق سراحه الشيخ حامد تقي الدين والشيخ أمين تقي الدين.

بعد خروجه من السجن، عاد إلى مزاولة عمله في البناء، فعمل في لبنان في

مناطق متعددة، ثم انتقل إلى السويداء وصلخد، ثم عاد إلى البقاع وسكن ما يقارب السنوات الأربع في بلدة المحيدثة.

وفي سنة ١٩٥٤ توجّه مع وفد من بعقلين، لزيارة سلطان باشا الأطرش بعد عودته إلى القريّا، على أثر سقوط نظام الشيشكلي، لتهنئته بالسلامة. وعندما نشبت ثورة ١٩٥٧ - ١٩٥٨، وقف إلى جانب كمال جنبلاط، وكان إلى جانب المجاهد سعيد أبو تين في قيادة فصيل بعقلين[٤٠].

وبعد انتهاء الثورة، كان وفد الثوار متوجهاً من المختارة إلى المتن، ولدى وصوله إلى عين زحلتا، حصل تلاسن مع جماعة نعيم المغبغب والرئيس شمعون، فتطور إلى إطلاق الرصاص، فرجع الوفد إلى المختارة، لإبلاغ كمال جنبلاط بالأمر، وقد كان حاضراً بهيج تقي الدين وشوكت شقير، فوقف المجاهد يوسف القعسماني وارتجل هذه الأبيات:

نحنا بني معروف أسياد البلاد ... كنّا ولم نزل أسيادها
لنا تاريخ حافل بالجهاد ... والمكرمة نحنا رفعنا عمادها
وإنكان في أرزة وإلها عماد ... منكون نحنا شلوشها وعمادها

فعلا التصفيق وأعادها مرات عدة، ثم انطلق وفد المتن مجدداً إلى قراهم ومضت الأمور بسلام.

وبعد انتهاء ثورة ١٩٥٨، عاد المجاهد يوسف القعسماني إلى بلدته بعقلين، وعاد إلى مزاولة مهنة البناء يعتاش من تعبه وعرق جبينه[٤١].

في الثورة السورية، شارك إلى جانب المجاهد يوسف القعسماني من بلدته بعقلين، المجاهدون:

١. حسن محمد حميدان (١٨٩٥-١٩٢٥)، شارك في معركة المزرعة، وفي معركة السويداء، حيث استشهد أمام القلعة.

٢. سعيد محمد حميدان، شارك في معظم معارك الثورة السورية، وفي معارك راشيا وحاصبيا، بعد ذلك، سكن في مدينة السويداء.

٣. شاهين زيدان، شارك في معظم معارك الثورة، وسكن في السويداء، ثم رجع إلى بلدته بعقلين.

٤. يوسف بشير أبو سعدى، أسهم في معظم معارك الثورة في جبل العرب، كما اشترك في معارك الغوطة، واستشهد في أواخر شهر تموز ١٩٢٦.

١١

المجاهد حسين محمد حمّاد
١٨٨٥-١٩٢٦م

وُلد المجاهد حسين في بلدة عين زحلتا، في أسرة متواضعة، فعمل في مطلع شبابه في الأعمال الزراعية، وكان من الشبان الأشداء الأقوياء في بلدته. تزوج في سنة ١٩٠٧، فرزق بأربعة أولاد، ثلاث فتيات وصبي وحيد.

وفي أواخر السنة ١٩٢٣، حاول بعض المتعاونين مع السلطة الفرنسية من أهل بلدته، التصدي له وإهانته، ولكنه استطاع أن يصدّهم إذ أطلق النار من مسدسه على أحدهم، فأرداه قتيلاً، بينما هرب الباقون. على أثر ذلك، توجّه بعائلته إلى قصر المختارة، وأبلغ السيدة نظيرة جنبلاط بالحادثة، فحمته وأسكنته مع عائلته في القصر[٤٢].

قامت قوات السلطة بمداهمة المنزل، ثم توجّهت إلى المختارة، وطلبت من السيدة نظيرة تسليمها حسين حمّاد، فرفضت طلبهم وقالت لهم: «إن هؤلاء المجرمين هم الذين حاولوا قتله، ولكنه نجا منهم وليس مجرماً ولن أسلمه لكم». اشتدت الضغوط على السيدة نظيرة من أجل أن تسلّمه، فطلبت من حسين حمّاد أن يرحل إلى جبل الدروز. وقد اهتمت السيدة نظيرة بزوجته وأولاده الأربعة، وأسكنتهم في القصر ما يقارب السنتين، وفي مرحلة ما بعد استشهاده كذلك، لم تبخل في مساعدتهم.

سنة ١٩٢٤ انتقل المجاهد حسين إلى سوريا، فوصل إلى السويداء، وعمل مدة قصيرة في الزراعة، حيث نشبت الثورة، فأسهم في معظم معاركها في المزرعة والمسيفرة ورساس وغيرها، وشارك في حملة الإقليم، إلى جانب الأمير زيد الأطرش والأمير عادل أرسلان[٤٣].

وفي أواخر شهر حزيران ١٩٢٦، قدم إلى لبنان مع المجاهدين القادة

أحمد هاني وعبد الحليم الجردي، يرافقهم أكثر من مئة مجاهد، حيث حاولوا إثارة المتاعب ضد الفرنسيين، وتخفيف الضغط العسكري عن الثورة في سوريا، ولكن القيادة السياسية والروحية للدروز في الشوف وجبل لبنان، طلبت منهم مغادرة المنطقة، تجنباً لسفك الدماء، ومنعاً من استغلال الفرنسيين وأعوانهم الأحداث، فليس من المستبعد أن يلجأوا إلى تدمير القرى الشوفية، كما حصل في قرى حاصبيا وراشيا المجاهدة، والداعمة للثورة ضد الفرنسيين وأعوانهم(٤٤).

بعد ذلك، عاد المجاهد حسين إلى ميدان الجهاد في جبل الدروز، حيث شارك في معارك اللجاه إلى جانب الأمير عادل أرسلان والمجاهدين في معارك ضارية كبّدوا فيها المعتدين خسائر فادحة في الأرواح والمعدات، وخصوصاً في شهر أيلول وتشرين الأول وتشرين الثاني في العام ١٩٢٦ وشارك في معركة صميد حيث قُهر الفرنسيون، وكان إلى جانبه الأمير عادل أرسلان في ٨ تشرين الثاني ١٩٢٦. وقد حاصر الفرنسيون المنزل الذي يتمركز فيه المجاهدون، واستبسل المجاهد حسين في الدفاع، إلى أن سقط شهيداً، واستطاع رفقاؤه الانسحاب، فدخل الفرنسيون المنزل وكان خالياً، فأشعلوا النار فيه(٤٥)، ولشدّ ما حزن الأمير عادل أرسلان، لاستشهاد المجاهد الصنديد حسين حمّاد، وقد استبسل بعد ذلك الأمير عادل أرسلان وسلطان باشا والمجاهدون، واستطاعوا في اليوم التالي هزم الجيش الفرنسي الذي عاد إلى مدينة شهبا. وقد دُفن الشهيد في بلدة داما وأُقيم ضريح له.

ولدى وصول خبر استشهاده إلى لبنان، قام أهالي عين زحلتا بإقامة حفل تأبيني له، وتوافد المعزّون على عين زحلتا من قرى الجبل للتعزية بالشهيد ومواساة أهله.

وقد حدثنا نجله محمد، أنه بعد مجيء الأمير عادل أرسلان إلى لبنان، أرسل بطلبه وذلك في صيف ١٩٥٣، فنزل إلى بيروت والتقى به، فسأله الأمير عادل عن عائلته وأحواله، ثم أشاد ببطولة والده حسين، وقال له: إننا خسرنا باستشهاده مقاتلاً شريفاً شجاعاً، وأنتم أمانة في عنقي، سأقوم بواجبي في سبيل إنقاذ رفقائه، وكنت شخصياً في الموقع، وقد شهدت بطولته وجرأته؛ رحمه الله.

١٢

المجاهد سليمان حسين الأعور
١٩٠٠-١٩٣٧م

في بلدة قرنايل – قضاء المتن، وُلد المجاهد سليمان الأعور، في أسرة متواضعة، وعندما شبّ تعلّم مهنة البناء فأتقنها، وبدأ يلتزم بناء المنازل في بلدته وجوارها، ثم تزوج سنة ١٩٢٢. مطلع سنة ١٩٢٦، حصلت أحداث طائفية من منطقة المتن، فاتهم سليمان بالاشتراك فيها، فغادر مع عائلته إلى بلدة دير العشائر، يرافقه صديقه المجاهد سليمان محمد الأعور، ونزلوا في ضيافة توفيق آغا العريان، ثم ما لبثوا أن انتقلوا إلى قرية زحلة ونزلوا في ضيافة المختار.

علمت السلطة الفرنسية بوجودهما، فداهمت منزل المختار واعتقلتهما في بادئ الأمر، ولكن رفيقه سليمان محمد الأعور استطاع الإفلات، واتجه نحو سوريا، واستطاع هو الهرب في صباح اليوم التالي، في أثناء نقله إلى التجمع العسكري في قطنا، فرجع إلى البقاع ومنها إلى قرنايل. في هذه الأثناء عادت زوجته وابنه نجيب البكر إلى بلدتهم، فتفاجأوا به، وقد أخبر الوشاة الفرنسيين، فسارعوا إلى تطويق قرنايل بقوة كبيرة، ثم تطويق منزله بحوالي أربعين عسكرياً معظمهم من المرتزقة السنغاليين في المساء[٤٦].

استطاع سليمان الفرار من المنزل والاختباء في شجرة تين كبيرة قرب منزله، انسحب واتجه نحو البقاع ومنها إلى سوريا. في الصباح، دخلت القوة منزله وكان يقودها الياس المدوّر، يرافقه شيخ البلدة، ففتشوا المنزل ولم يجدوا شيئاً، وكان يوجد في إحدى الغرف صندوق كبير من الخشب، طلب الياس المدور من زوجة سليمان أن تفتح الصندوق بحجة أن زوجها مختبئ فيه، فقالت له: «افتحه أنت»، فلم يفعل، وكانت مرتبكة، لأنه يوجد في الصندوق مسدسان. فقال لها الضابط: «افتحي الصندوق وإلا أطلقت

النار، فيقتل زوجك» فرفضت، وغادرت القوة المنزل ولم يُفتح الصندوق.

وفي اليوم الرابع لتطويق قرنايل، قام أحد الشيوخ محمد أسعد الأعور وكان عمره آنذاك حوالي ٨٠ سنة، بالذهاب إلى مركز قائد القوة، وطلب مقابلته، فالتقى مع الياس المدور، فقال له: «يا الياس، أليس لهؤلاء السنغاليين وعسكرك أمهات؟» فقال له: «نعم. لماذا تسأل؟» أجابه: «إن وراء كل صخرة في هذا الجبل يتمترس الآن مقاتل من البلدة، وأنصحك بمغادرة قرنايل قبل أن تباد حملتك». فاتصل الياس المدور بالقيادة، وتم إبلاغها الموقف، فأوعزت إليه بالانسحاب ومغادرة بلدة قرنايل[٤٧].

جهاده في الثورة السورية الكبرى

وصل سليمان إلى دمشق، والتحق بالثوار في منطقة الغوطة، فأسهم في معظم معارك الغوطة، ثم اشترك في معارك الإقليم إلى جانب الأمير عادل أرسلان، ثم عاد إلى الغوطة واشترك في المعارك الكبيرة ومنها بالا وقطنا وكفربطنا وغيرها، وأصيب بيده إصابة طفيفة في معركة بالا، وكان في مجموعة القائد عادل النكدي، مع مجاهدين من سوريا ولبنان[٤٨]. وفي سوريا استطاعت السلطة في أواخر ١٩٢٦ القبض عليه، فنُقل إلى لبنان، إلى سجن زحلة ثم إلى سجن بيت الدين، وقد استجوبه المحقق ألفرد أفندي ثابت في ١٥ أيار ١٩٢٨، حيث وُجّهت إليه تهمة الاشتراك بالثورة وارتكاب جرائم قتل. وفي ١٩ حزيران ١٩٢٨[٤٩]، صدر حكم بالإعدام، ثم تحوّل إلى المؤبد، بعد تدخّل أهل قرنايل الذين دفعوا آنذاك عشرات الليرات الذهبية لتخفيض الحكم.

سُجن المجاهد سليمان حسين الأعور في بيت الدين. ويروي لنا ابنه نجيب أنهم كانوا يزورونه كل مدة ويأخذون له اللباس والطعام. وبعد مضي حوالي ١٥ سنة، تقدّم سليمان بطلب استرحام، فتمّت الموافقة على طلبه، ولكن آمر السجن، نقله إلى زنزانة إفرادية وأعدمه، وتم إبلاغ أهله أنه شنق نفسه. ويقول لنا نجله نجيب: «إن هناك خطأً كبيراً ارتُكب يومذاك وهو أن لا يطالب أهل قرنايل بالتحقيق حول موته، الذي اعتبر أنه مؤامرة مدبرة داخل السجن، حيث كان آمر السجن يقول بما معناه، إن سليمان يجب أن يموت في السجن»[٥٠].

وحول حادثة وفاته ذكرت صحيفة البيرق[٥١] ما يلي: «سليمان حسين الأعور هو شابٌّ في ٣٧ من العمر، اختلف منذ عشر سنوات مع بعض مواطنيه في قرنايل، فأقدم على قتل اثنين منهم. فقُبض عليه وأُحيل إلى القضاء وحُكم عليه بالسجن المؤبد. وكان هذا الشاب مؤملاً بالعفو، ولما لم يتمكن من الحصول عليه، تبدّلت أخلاقه فبات شرساً يتشاجر مع هذا وذاك لأقل حادث وقد أقدم مؤخراً على ضرب أحد المساجين، فحُكم عليه بوضعه في السجن الانفرادي. والحبس الانفرادي عبارة عن غرفة صغيرة ضيقة ليس فيها إلا نافذة مشبكة بالحديد، لم يرَ هذا الشاب خلاصاً منها، فيئس من الحياة، وتناول شملته وحوّلها إلى سحبة حبل علّق طرفه بالنافذة ثم ربطه في عنقه وتدلّى في الفضاء. وصباح أمس عندما جاء خفير السجن، ليتفقده، وجده جثة هامدة. فأعلن قيادة السجن بالحادث فتولّت التحقيق. وقد ترك هذا السجين رقعة يعلن فيها أنه انتحر احتجاجاً على المعاملة القاسية، التي عُمل بها بوضعه في السجن المعزول.

ويروي لنا نجله أن الأمير عادل أرسلان زار قرنايل، فطلب من شيخ البلدة رؤية أولاد المجاهد سليمان، فحضرت مع أخي توفيق. ولمّا وصلنا، قالوا له: «هؤلاء أبناء سليمان»، فنهض الأمير عادل أرسلان، وغمرنا، وبدأ يثني على نضال أبي وبطولاته في معارك الغوطة والإقليم، وقال لأهل قرنايل، أوصيكم بهذين الشابين والاهتمام بأحوالهما.

ومن بلدة قرنايل أسهم المجاهد سليمان محمد الأعور والمجاهد جميل علم الدين الأعور ونجيب دعيبس الأعور في معارك الثورة السورية سنة ١٩٢٦ إلى جانب المجاهدين في جبل العرب والغوطة والإقليم.

كذلك كان لبلدة قرنايل شرف الإسهام في الدفاع عن فلسطين، حيث هبّ حوالي ٣٥ شخصاً في سنة ١٩٤٨ والتحقوا بالقائد فوزي القاوقجي، وأسهم بعضهم في عمليات عسكرية كبيرة، وأهمها معركة مشمار هاردن وباب الواد وجبع والقدس وجنين.

١٣

المجاهد يوسف سليم شرف الدين
١٩٠١-١٩٣٥م

في بلدة السمقانية – قضاء الشوف، وُلد المجاهد يوسف وترعرع في أحضان والديه، ولما شبّ تعيّن في الدرك سنة ١٩٢١، فكان في إمرة الضابط فرحان العماد. وفي مطلع سنة ١٩٢٥، في منطقة الهرمل، حصل خلاف بينه وبين أحد أبناء كسروان العسكريين، فقتله، وفرّ من الهرمل إلى بيروت، ثم إلى السمقانية، فنزع بذلته العسكرية وبندقيته، ووضعها في منزل والده سليم، الذي قام بتسليمها للشيخ حسين فارس القاضي، الذي سلّمها بدوره للضابط فرحان العماد، بينما توجّه يوسف نحو البقاع، ومنها إلى جبل العرب ووصل إلى بلدة المنيذرة، التي تقع شرق بلدة القريّا، وإلى الغرب من صلخد، حيث كانت تسكن أخته المتزوجة من حسين حميد الأطرش.

والجدير بالذكر أن والدته توجهت في سنة ١٩٢٢ لزيارة ابنتها، برفقة ابنها فايز شرف الدين مواليد ١٩٠٨، وسكنوا في المنيذرة، وفي أثناء قيام الطيران الفرنسي في شهر تموز قصف الطيران الفرنسي بلدة القريّا وجوارها، استشهد أخوه فايز، ودُفن هناك[٥٢].

سكن المجاهد يوسف في بلدة المنيذرة، وعندما شبت الثورة السورية بقيادة سلطان باشا الأطرش، هبّ مع رفقائه المجاهدين للتصدّي للقوات الفرنسية، فكانت معركة الكفر أولى المعارك التي أسهم فيها، وأُصيب في كتفه اليسرى إصابة بالغة، وقد عولج من هذه الإصابة. ثم اشترك في معركة المزرعة وكان إلى جانبه من بلدة المنيذرة حسين مليح وسعيد أبو دقة الذي أُصيب، فقال سعيد ليوسف: «أردفني (أي انقلني وراءك على الفرس)»، فقام

يوسف بمساعدته، ووضعه على الفرس ونقله بعيداً عن أرض المعركة لتضميد جراحه، ثم عاد إلى متابعة المعركة في الثالث من آب ١٩٢٥.

وفي معركة تل الخروف أُصيب كذلك في قدمه اليسرى. ثم جاءت معركة المسيفرة، فاستبسل فيها، وأُصيب بفخذه اليمنى، ثماني رصاصات، فنقل إلى خارج المعركة، إلى بلدة صلخد، حيث انتزعت من فخذه سبع رصاصات وبقيت واحدة. وكانت النساء تمزق الثياب وتضمد الجراح بالسمن العربي، ولم تكن الأدوية متوفرة.

وفي برهة قصيرة، عاد إلى الجهاد، وكان يربط فخذه بخرق من القماش، متابعاً مسيرة النضال إلى جانب المجاهدين من أبناء بلدته، يذكر منهم الأخوان علي ويوسف علم الدين شرف الدين، اللذان أسهما في معظم معارك الجبل، ثم انتقل يوسف علم الدين شرف الدين إلى فلسطين وأسهم في ثورة ١٩٣٦ واستشهد في بلدة المغار في مواجهة القوات البريطانية والصهيونية.

وفي أثناء الثورة، كان المجاهد يوسف على علاقة جيدة مع المجاهدين ومنهم الأمير عادل أرسلان، شكيب وهاب، عارف وهاب، فندي أبو ياغي، خطار أبو هرموش، محمود ياغي، حمد صعب وغيرهم.

بعد انتهاء الثورة، غادر مع الثوار إلى الأزرق، ثم عاد مع المجاهدين في القافلة الأولى سنة ١٩٢٧، وسكن في بلدة المنيذرة، ثم تزوّج سنة ١٩٢٧ في أواخرها من يزدة سلمان الأطرش، ورزق منها ولدين سليمان وفايز شرف الدين[٥٣].

استمر في بلدة المنيذرة، يعمل في الزراعة بعد ذلك، حتى سنة ١٩٣٤، حيث التهب فخذه، نتيجة الرصاصة الباقية فيها منذ آب ١٩٢٥، وتحوّل الالتهاب إلى مرض مستعصٍ، فنُقل إلى عمان، ونزل في دار الشيخ إبراهيم علم الدين من بلدة بعقلين، فتمت معالجته، ولكنه لم يشفَ، إذ انتشر المرض في جسده، واستمر ينازع المرض إلى أن وافته المنية سنة ١٩٣٥، حيث توفّي في ريعان الشباب. بعد ذلك نُقلت جثته إلى بلدة المنيذرة وأُقيم له مأتم مهيب، كما أُقيم بالمناسبة حفل تأبيني في بلدته السمقانية.

ويروي لنا نجله الشيخ أبو يوسف سليمان شرف الدين، أن المجاهد فندي أبو ياغي زار والده مرات عدة في بلدة المنيذرة في جبل العرب، وقال

لوالدته: «شو بدّو يظل ابنك يوسف مجنون، خلّيه يقعد عاقل، صار ١١ مرة متصاوب معنا بالمعارك، بيكفي، خلّي الثوار يعملوا نُص اللي عملوا منخلّص عالفرنساويي بالجبل»[٥٤].

وقد قام المجاهدان فندي أبو ياغي وشكيب وهاب، بزيارة بلدة السمقانية مرات عدة في أواخر الخمسينات ١٩٥٧-١٩٥٨، وزارا أولاد المجاهد يوسف شرف الدين وأقاربه وأشادا بشجاعة والدهم، وثباته في المعارك التي شهد له بها المجاهد القائد سلطان باشا الأطرش.

١٤

المجاهد محمد سعيد سليمان الأعور
١٨٨٢-١٩٤٥م

وُلد المجاهد محمد سعيد الأعور في بلدة قرنايل، وعمل في مطلع شبابه في الأعمال الزراعية، تزوّج في السنة ١٩٠٢، واستمر في عمله إلى أن نشبت الحرب العالمية الأولى، فانتقل مع عائلته إلى سوريا، وسكن في بلدة تعلا قرب مدينة شهبا في جبل الدروز. وعندما أعلن الشريف حسين الثورة في مكّة المكرمة، انتقل مع المجاهدين من جبل العرب لنصرة هذه الثورة وأسهم فيها، في عمان ومعان ودرعا ودمشق.

بعد ذلك، عاد إلى بلدة تعلا، واستمر فيها إلى أن نشبت الثورة السورية الكبرى، فاشترك فيها مع ولديه فندي وسعيد، وخاضوا معظم معاركها في الجبل والغوطة والإقليم.

وفي مرحلة الثورة، انتقلوا من تعلا إلى بلدة عرى، فنزلوا في مضافة قريبهم محمد الأعور، ومن عرى انتقلوا إلى بلدة الشبكي، وحلوا في دار حسين الأعور.

وفي معارك الثورة أُصيب محمد وولداه سعيد (١٩٠٥-١٩٥٠م) وفندي (١٩٠٧-١٩٧٨م)، إصابات عدة، انتقلوا بعدها إلى شرق الأردن مع سلطان باشا الأطرش والمجاهدين، وقد سكنوا في الكرك مدة سنة، ثم انتقلوا إلى شمال الأزرق، وقد عولج سعيد في عمان مدة طويلة، ولكنه لم يشف من الإصابات، فبقي في حالة صحية غير جيدة. أما فندي فقد أُجريت له عمليات جراحية في عمان، وانتزعت رصاصات عدة من جسمه، وتماثل للشفاء في سنة ١٩٢٨، فاشترى أرضاً وعمل فيها باستخراج الملح في شمال الأزرق[٥٥].

وما إن اندلعت الثورة في فلسطين، وزحف القاوقجي والمجاهدون إلى ساحات الجهاد، حتى هبّ فندي وأخوه سعيد، رغم حالته الصحية المضنية، للإسهام في هذه الثورة المقدسة، فخاضا إلى جانب المجاهدين معارك ضارية في جبع وبلعا وكفرصور ومناطق عدة، عادا بعدها إلى شرق الأردن مع حملة القاوقجي، وانتقلا إلى شمال الأزرق[٥٦].

وفي الأردن تابعوا عملهم في منجم الملح، وتوفي المجاهد محمد في سنة ١٩٤٥، ودُفن في الأردن، كذلك توفي المجاهد سعيد في سنة ١٩٥٠ في ريعان الشباب، أما المجاهد فندي فاستمر في الأردن مع عائلته إلى أن توفاه الله في سنة ١٩٧٨، حيث ما زال قسم من عائلته في الأردن وقسم آخر انتقل إلى جبل العرب ويسكن حالياً في بلدة رساس.

وقد حدّثنا نجل المجاهد فندي الأعور، الشيخ محمد، نقلاً عن والده، الذي خاض غمار معركة المزرعة الخالدة، أنه في اليوم الثالث للمعركة، كان يطوف بين أكداس القتلى الفرنسيين، فيقوم مع مجموعة من المجاهدين بتقليب الجثث، فكانوا يجدون عدداً من الجنود السنغاليين والمغاربة والقوقازيين، ما زالوا أحياءً ولم يصابوا بأي طلق ناري، يفعلون ذلك تمويهاً للنجاة، بغية الانسحاب تحت جنح الظلام، فما كان من المجاهد فندي ورفقائه إلا أن أمسكوا بهم وأسروهم، ونقلوهم إلى مركز سلطان باشا الأطرش.

١٥

المجاهد خطار محمد أسعد هرموش
١٨٨٥ -١٩٢٦م

في بلدة السمقانية – قضاء الشوف، وُلد المجاهد خطار هرموش، في أسرة ميسورة، إذ كان والده من المالكين الكبار للأراضي الزراعية في البلدة وجوارها. عمل خطار إلى جانب والده وإخوته، كامل وفؤاد وسامي، في زراعة الأرض والاهتمام بها، ثم تزوج في سنة ١٩٠٨.

وفي السنة ١٩١٧ بعد إعلان الشريف حسين الثورة، غادر خطار مع مجموعة من أبناء منطقته، للإسهام في هذه الثورة ضد العثمانيين، وقد أبلى في المعارك بلاءً حسناً، حيث أهداه الشريف حسين فرساً وسيفاً وعبداً، جاء بهم إلى دمشق في أواخر سنة ١٩١٨، وبعد ذلك، ذهب إلى جبل الدروز مع عائلته، وسكن في السويداء، وكان لديه صبي واحد اسمه جميل من مواليد ١٩١١، وفي السويداء رُزق بولد ثانٍ سنة ١٩٢٠ أسماه نواف[٥٧].

انتقل خطار إلى بلدته السمقانية في مطلع ١٩٢٠ وبقيت عائلته في السويداء، وفي ربيع ١٩٢٠، ذهب إلى كفرمتى يرافقه صهره الشيخ حسن العقيلي، للعمل هناك، فالتقى مع مجموعة من المجاهدين المناهضين للانتداب الفرنسي، فالتحق بهم وذهب معهم إلى سوريا، حيث التقى بالمجاهدين فندي أبو ياغي وشكيب وهاب وأحمد هاني وسعيد ملاعب، وقام بتنفيذ بعض العمليات العسكرية معهم ضد القوات الفرنسية.

في هذه الأثناء قصد أخوه فؤاد السويداء، واصطحب زوجته وولديه جميل ونواف إلى لبنان، وعادوا إلى بلدة السمقانية، بينما بقي خطار يتنقل مع المجاهدين بين سوريا ولبنان وشرق الأردن.

وعندما نشبت الثورة السورية الكبرى، هبّ خطار للإسهام فيها، فخاض

أشد معاركها في المزرعة ورساس والمسيفرة والسويداء، ثم اشترك في حملة الإقليم، وأسهم في معارك راشيا وحاصبيا ومجدل شمس، ثم اشترك في معارك الغوطة، وخاض غمار وقائعها الشرسة. والجدير بالذكر أن ابنه جميل، غادر منزله في السمقانية، ورحل إلى السويداء في عمر لم يتجاوز الأربعة عشر عاماً، للإسهام في الثورة، فحاول والده خطار منعه، ولكنه لم يتراجع، وأصرّ على المشاركة، فكان جميل إلى جانب والده، في معظم مواقع المواجهة البطولية مع الفرنسيين.

وفي مطلع سنة ١٩٢٦، جرت مواجهات مهمة بين المجاهدين والقوات الفرنسية في منطقة راشيا وحاصبيا والبقاع الغربي، فجرت معارك مهمة في شويا والحماره ومجدل عنجر وكفرمشكي وحلوة والبيرة والرفيد والفالوج، حيث اشترك خطار في معظمها، وكان قائداً عسكرياً مهماً في إدارة العمليات وتوجيه الضربات للأعداء[٥٨].

استشهاد خطار

بعد هذه المعارك الظافرة، قررت قيادة الثورة مهاجمة بلدة قطنا، بسبب موقعها الإستراتيجي في منطقة جبل الشيخ، وإجلاء الفرنسيين عنها. وقد حشدت قيادة الثورة عدداً كبيراً من المجاهدين في منطقة راشيا والإقليم لمهاجمة قطنا، وكان القائد خطار هرموش على رأس مجموعة من المجاهدين إلى جانب القادة محمود كيوان وسعيد العاص دارت معركة طاحنة مع الفرنسيين الذين استخدموا فيها الدبابات والطائرات، وأمام كثافة النيران انسحب المجاهدون إلى التلال، أما المجاهد خطار هرموش فقد أُصيب بشظية في فخذه فانطرح على الأرض[٥٩]، ولم يكن بجانبه أحد، حيث نزف دمه إلى أن فارق الحياة، وقد قام بتفقد المنطقة المجاهد محمود كيوان الذي شاهد المجاهد الشهيد خطار ممدداً على الأرض[٦٠]، فنقله من هناك إلى بيت تيما في ٢٥ آذار ١٩٢٦، وكان حزن الثوار المجاهدين على فقدانه كبيراً، حيث خسرت الثورة باستشهاده رجلاً مقداماً وجريئاً.

في مذكراته، يقول سلطان باشا الأطرش[٦١]: «خسرنا باستشهاده رفيقاً

مناضلاً منذ أيام الثورة العربية الكبرى في عام ١٩١٦، ورجلاً مقداماً من أعظم رجال الثورة السورية الكبرى وأصدقهم جهاداً فيها».

أما ابنه جميل فقد تابع خوض معارك الجهاد في الإقليم والغوطة واللجاه، ثم رحل مع المجاهدين إلى شرق الأردن فالنبك. وعندما شبت الثورة في فلسطين سنة ١٩٣٦، أسهم في مجموعة حمد صعب، وكانوا ١٢ شخصاً، في عمليات عسكرية ضد الصهاينة والجنود البريطانيين. وخاض معارك بلعا وجبع وكفرصور ثم عاد إلى شرق الأردن، وجاء مع المجاهدين إلى سوريا بعد العفو سنة ١٩٣٧. وفي الأربعينات تطوع في السلك العسكري في جبل الدروز، لكنه لم يمكث طويلاً، فهاجر إلى فنزويلا وتوفي هناك سنة ١٩٥٧[٦٢].

١٦

المجاهد هزيمة سعيد قاسم زهر الدين
١٩٠٦- ١٩٩٤م

وُلد المجاهد هزيمة زهر الدين في بلدة كفرفاقود[٦٣]، كان والده من المالكين الكبار في البلدة، ومن أعيانها، فقد تولّى مسؤولية المختار فيها إبّان العهد العثماني، فاشتهر بالعدل والتسامح ومساعدة الناس. نشأ هزيمة في ظل هذه الأجواء، وحينما شبّ عمل في مساعدة والده في الزراعة والتجارة، إلى أن نشبت الثورة السورية الكبرى سنة ١٩٢٥م، حيث جاء المجاهد فندي أبو ياغي إلى كفرفاقود، وطلب من أبناء بلدته الإسهام في هذه الثورة المجيدة، فهبّ عدد كبير من أبنائها من آل زهر الدين ونصر وأمان الدين، للالتحاق بالثورة، فكان هزيمة وابن عمه حليم مجيد زهر الدين في عداد الثوار الذين اندفعوا لنصرة مجاهدي جبل العرب.

انطلق هزيمة وحليم من كفرفاقود نحو البقاع، ولدى وصولهم إلى كفرمشكي، قامت زمر السلطة باعتقالهم والتحقيق معهم، حيث إن هزيمة كان يحمل بندقية حربية، لكنه استطاع خداعهم بقوله إنه ذاهب إلى مرجعيون للتطوّع في صفوف القوات الفرنسية. فقالوا له اذهب إلى مرجعيون وتطوّع هناك، وأرشدوه إلى الطريق. ذهب هزيمة وحليم في اتجاه مرجعيون، ولما ابتعدا قليلاً عن كفرمشكي، اتجها نحو دير العشائر، التي أرشدهما إليها أبناء كفرمشكي، حيث قالوا لهما: إن هذه المنطقة هي ضدّ الفرنسيين، وحذّروهما من سلوك الطريق نحوها. ولكن الزمر كانت تراقبهما، فلدى اتجاههما نحو دير العشائر، لحقوا بهما، وأطلقوا النار عليهما. فلاذا بالصخور، واستطاعا الإفلات من الرصاص، والذهاب نحو دير العشائر، ومنها انطلقا نحو جبل العرب.

ولدى وصولهما إلى جبل العرب، كانت الحملة تتهيأ للذهاب إلى دمشق بقيادة الأمير زيد الأطرش وشكيب وهاب وفؤاد سليم وغيرهم من القادة، فالتحقا بهذه الحملة، وشاركا في معارك عدة أهمها: اقتحام راشيا، حاصبيا، مجدل شمس الأولى. بعد ذلك انتقلا مع مجموعة شكيب وهاب وشاركا في معارك البقاع في مجدل عنجر وكفرمشكي والفالوج وقطنا. وبعد هذه المعارك، تركا مجموعة شكيب وهاب وانتقلا إلى عين الشعرة، حيث التقيا بعدد من مجاهدي بلدتهم ومنهم: رشيد شاهين نصر ومحمود وسعيد خطار نصر، ويوسف مجيد نصر ومحمد أمان الدين وغيرهم، ثم انتقلا إلى الغوطة وأسهما في معاركها.

بعد ذلك، انتقل هزيمة وحليم زهر الدين إلى بلدة السويداء في أواخر شتاء ١٩٢٦، حيث أسهما في معارك السويداء وصلخد والمقرن الشمالي، بعدها عادا إلى بلدة كفرفاقود في أواخر سنة ١٩٢٦.

وفي بلدة كفرفاقود عاد هزيمة إلى العمل الزراعي، وبعد مدة قصيرة أسهم في العمل السياسي إلى جانب الأمير مجيد أرسلان، حيث شارك في ثورة بشامون مع مجموعة من أبناء بلدته. بعد ذلك، أنشأ معصرة للزيتون، وعمل فيها، واستمر في الأعمال الزراعية والتجارية مدة من الزمن. وفي مطلع السبعينات من القرن العشرين، وقف إلى جانب الزعيم كمال جنبلاط وأسهم معه في العمل السياسي، إلى جانب أعماله الزراعية، إلى أن توفاه الله في سنة ١٩٩٤.

١٧

المجاهد أحمد أمين أحمد البتلوني
١٨٨٤-١٩٢٦م

وُلد المجاهد أحمد في بلدة جباع الشوف، في أسرة ميسورة تعتمد على الزراعة وتربية الماشية. فكان والده أمين أحمد البتلوني شيخ صلح ومختاراً لبلدة جباع مدة من الزمن.

عندما شب أحمد، عمل مع أبيه وأخيه حسين في زراعة الأرض، فكانت أحوالهم ممتازة، وعلى الرغم من الضيق الاقتصادي والمجاعة في سنة ١٩١٥، فإن أحوالهم كانت جيدة، وكان منزلهم موئلاً للمحتاجين في تلك المحنة — المجاعة التي ألمّت بالبلاد. وفي سنة ١٩١٥ تزوّج أحمد من السيدة خزمة وهبي حماد من بلدته جباع، وفي العام ١٩١٨ رزق منها ولداً أسماه مزيد[٦٤].

استمر أحمد في العمل في بلدته، إلى أن بدأت القوات الفرنسية في صيف ١٩١٩، بمضايقة الوطنيين في الجبل، هؤلاء الذين رفضوا المخططات الاستعمارية، وقاوموا الاحتلال التركي سابقاً، والاستعمار الفرنسي لاحقاً، لما يجسّده هذا الاستعمار الجديد، من هيمنة على مقدرات الوطن وشعبه. فوقف أحمد إلى جانب المناضلين، الذين امتشقوا السيف في وجه القوات الفرنسية وأعوانها، فكان إلى جانب شكيب وهاب وحسن ثابت وفندي أبو ياغي زهر الدين، وسعيد ملاعب وأحمد هاني وسواهم، من المجاهدين الذين كان لهم شرف مقارعة الاستعمار ومنازلته في مواقع عدة.

لم تمضِ مدة قصيرة من الزمن إلا وذاع صيته في لبنان وسوريا، حيث أقدم على تنفيذ عدد من العمليات في البقاع ووادي القرن بمفرده، فبدأت القوات الفرنسية بمداهمة بلدته جباع مرات عدة، ففشلت في إلقاء القبض

عليه، حيث كان أحمد يغادر منزله عبر سرداب يوصله إلى منزل أحد جيرانه، محمد ملاك، فيستطيع من هناك الانسحاب إلى خارج البلدة.

كان أحمد يتنقل ما بين لبنان وسوريا، وفي دمشق التقى مع عدد من القيادات الوطنية العربية في عام ١٩٢٠، وأسهم في ٢٤ تموز ١٩٢٠ في معركة ميسلون الخالدة إلى جانب القائد فؤاد سليم، لينتقل بعدها إلى جبل العرب مع باقي المجاهدين، حيث أمضى مدة في قضاء صلخد، وقرى ذيبين وأم الرمان وغيرها. وخلال الفترة ١٩٢٠-١٩٢٣ كان على اتصال دائم مع شكيب وهاب وفندي أبو ياغي وحسن ثابت، حيث نفذوا سوية عدداً من العمليات ضد السلطة الفرنسية وأعوانها، وعلى الرغم من ملاحقة السلطة له، ظلّ يتردد إلى قصر المختارة، فيلتقي مع السيد فؤاد جنبلاط، وبعد اغتياله، بقي يتردد إلى القصر، فيلتقي مع السيدة نظيرة جنبلاط التي كانت تكنّ له الاحترام.

لقاؤه مع يوسف كسبار[٦٥]

اشتدت وطأة الأحداث الطائفية في الجبل خلال عام ١٩٢٣، حيث كان الفرنسيون يسهمون في إشعالها، بغية إحداث المزيد من الانقسامات في هذا الوطن، بين طوائفه ومذاهبه، وتطورت الأمور إلى درجة خطيرة، عجز الفرنسيون فيها أحياناً عن الإمساك بزمام الحل. فلجأوا إلى محاولات عدة منها: استدراج الزعماء وإغراؤهم من أجل كبح جماح المجاهدين، والضرب بيد من حديد في المناطق الثائرة، واستمالة بعض المجاهدين وتحييدهم عن القيام بأعمال عسكرية ضد تواجدها.

هنا طلب الضابط يوسف كسبار من السيدة نظيرة جنبلاط، التعرّف على المجاهد أحمد البتلوني، هذا الرجل الذي أعيا السلطة الفرنسية وأعوانها، حيث فشلوا في القبض عليه، عشرات الحملات والمداهمات لاعتقاله.

أرسلت السيدة نظيرة جنبلاط مبعوثاً إلى جباع، فأبلغ أهل أحمد بأن يتوجه إلى المختارة عندما يلتقون به. وصل أحمد إلى جباع، فأبلغه والده بالأمر، فأرسل أحد رجاله إلى القصر، وحدد الموعد الملائم للزيارة. بدورها

قامت السيدة نظيرة بإبلاغ الضابط كسبار، حيث توجه إلى القصر في الموعد المحدد، على رأس قوة كبيرة، فدخل يوسف كسبار إلى القصر، بينما بقي زميله فؤاد مغبغب مع القوة في الخارج.

وصل أحمد برفقة أخيه حسين إلى باحة القصر الخارجية، فكان خوري المختارة بانتظاره، ورحّب به قائلاً: «أهلاً بالبطل أحمد البتلوني أبو مزيد». ولدى سماع الجنود الفرنسيين اسم أحمد البتلوني، علموا أنه هو الشخص المطلوب، فقاموا بتلقيم سلاحهم وتصويبه إلى أحمد، فلم يلتفت إلى الوراء، بل تابع تقدمه نحو فؤاد مغبغب، فشهر السلاح بوجهه، وطلب منه أن يأمر العسكر بالتراجع، بعد ذلك، دخل أحمد إلى القصر، فسلّم على السيدة نظيرة جنبلاط، ثم على يوسف كسبار، وشدّ أحمد على يد كسبار بقوة، فجفل كسبار من ذلك، وقال بالفرنسية للسيدة جنبلاط: «هل هذا أحمد؟» فأجابته نعم. ثم تابع حديثه مع السيدة نظيرة، وهنا قال لها أحمد: «ماذا يقول لك؟» فقالت له: «إنه يطلب منازلتك، وإنه سيحاول إلقاء القبض عليك، فهل تقبل؟» فقال لها أحمد: «إنني جاهز».

نهض كسبار بسرعة يريد تكتيف أحمد، ولكن البطل كان أسرع منه بأن قفز من مكانه وسحب مسدسه ووضعه في رأس كسبار، فصاحت السيدة نظيرة طالبة منه التروي والتراجع. بعد ذلك، جلس كسبار في مكانه، وقال للسيدة نظيرة: «إن هذا الرجل حرام أن يموت، وأنني أريد زيارته». فسألت السيدة نظيرة أحمد، فقال له «موافق شرط أن يكف عن ملاحقتنا». فوافق كسبار، وحدد له أحمد موعداً لزيارة جباع. وفي اليوم المحدد انتقل كسبار إلى جباع، فقام أحمد بالطلب إلى رجاله الذين يساعدونه في الزراعة وتربية الماشية وهم ١٢ شخصاً، بأن يطلقوا الرصاص ترحيباً بالضيف، وبالفعل لدى دخول كسبار إلى جباع، بدأ الرصاص يُطلق في الهواء احتفاءً به. بعد ذلك، قام أحمد بذبح سبعة رؤوس من الماعز، وأولم لضيفه، بعدما سادت علاقة جيدة بين الرجلين. وفي منتصف ١٩٢٤، انتقل أحمد إلى سوريا، ثم عاد إلى بلدته دون أن يعترضه أحد في الشوف، واستمر على هذا المنوال حتى نشبت الثورة السورية الكبرى.

أحمد في الثورة السورية الكبرى

كان أحمد في جبل العرب يطّلع عن كثب عن أفعال الفرنسيين وأعمالهم المشينة، ضد الوطنيين والمجاهدين والأبرياء كذلك، فكان يتوقع نشوب الثورة قريباً، للرّد على هذه الممارسات الفرنسية التعسفية. لذلك كان يتردد دائماً إلى جبل العرب، ولدى انطلاق المجاهدين بقيادة سلطان نحو الكفر[٦٦]، كان أحمد في مدينة صلخد، فالتحق بهم، واشترك في معركة الكفر التي هُزم فيها الفرنسيون وأُبيدت حملة نورمان العسكرية.

بعد ذلك، أسهم أحمد في معركة المزرعة، ثم المسيفرة، وبعد فترة، نزل مع الحملة التي سارت إلى الإقليم بقيادة الأمير زيد الأطرش وفؤاد سليم، فاشترك في معارك راشيا ومرجعيون وحاصبيا ومجدل شمس الأولى، ثم انتقل بعدها إلى الغوطة، إلى جانب المجاهد محمد عز الدين الحلبي[٦٧]، على رأس مجموعة من المجاهدين، ليخوض غمار المعارك ضد الفرنسيين على أبواب مدينة دمشق.

وفي الغوطة اشترك أحمد إلى جانب القادة شوكت العائدي وعز الدين الجزائري وسعيد العاص وفائق العسلي وغيرهم في خوض المعارك الضارية ضد الفرنسيين، انتقل بعدها إلى جبل العرب ليتابع الجهاد إلى جانب سلطان باشا الأطرش في خوض المعارك بعد استيلاء الفرنسيين على مدينتي السويداء وصلخد.

استشهاد أحمد البتلوني[٦٨]

كان أحمد ورفقاؤه المجاهدون ينتقلون في قضاء صلخد، يتصدون للقوات الفرنسية في معارك ضارية. وفي ١٤ حزيران ١٩٢٦، تقدمت حملة فرنسية من مدينة صلخد نحو بلدة إمتان فتصدى لها المجاهدون وأنزلوا بها خسائر فادحة، وأوقفوا تقدمها. فتدخل الطيران الحربي، وقام بقصف مواقع المجاهدين، فأُصيب المجاهد أحمد بشظايا قنبلة سقطت بالقرب منه، فسقط شهيداً في ساحة المعركة، تاركاً ذكريات جهادية، وبعد أن أدّى قسطه، دفاعاً عن كرامة الأمة والوطن.

١٨

المجاهد قبلان سليمان حيدر
١٨٨٣-١٩٧٣م

في بلدة مجدليا – قضاء عالَيه، وُلد المجاهد قبلان حيدر، شبّ وترعرع في بلدته، في كنف أسرة ميسورة، حيث أدخله ذووه في سن السادسة مدرسة البلدة، انتقل بعدها إلى المدرسة الداودية في بلدة عبيه. فتعلم مبادئ القراءة والحساب، ولكنه لم يرغب في متابعة تحصيله العلمي، فانكب على ممارسة الأعمال التجارية والزراعية في بلدته وجوارها. وفي سنة ١٩١٤، تزوّج من شمس سعيد الشلبي من بلدته مجدليا، ولم يمضِ عام واحد على زواجه، حتى حلّت المجاعة، فانتقل مع عائلته إلى جبل العرب، فسكن في قرية ذيبين. وفي هذه البلدة عمل في الزراعة مع آل الحناوي، وفي هذه البلدة رُزق بولدين، أنيس وسالم، لم تكتب لهما الحياة فماتا طفلين، بعد ذلك، رُزق بابنة أسماها فطينة في سنة ١٩٢٣[٦٩].

ظل قبلان في قرية ذيبين، إلى أن بدأت الثورة السورية الكبرى، فقام بالاشتراك مع ثوار المقرن القبلي، بمواكبة سلطان باشا الأطرش إلى صلخد، ومنها انتقلوا إلى الكفر، حيث خاضوا معركة عسكرية مظفرة، أبادوا فيها حملة نورمان الفرنسية في ٢١ تموز ١٩٢٥.

بعد ذلك، تابع قبلان مسيرة الجهاد، فأسهم في معركة المزرعة الخالدة، وأبلى فيها بلاء حسناً، وأُصيب إصابات طفيفة في يديه، نتيجة شظايا القنابل المتفجرة.

تابع جهاده النضالي وخاض إلى جانب الثوار معركة المسيفرة في ١٦ – ١٧ أيلول ١٩٢٥، فأُصيب في هذه المعركة إصابات بالغة، وكان من المغاوير الذين اقتحموا الحصون الفرنسية ودخلوا القرية، وطاردوا الفرنسيين

فيها. وقد أُخرج من البلدة للمعالجة، حيث استمر مدة من الزمن يتعالج حتى شفي من إصابته. بعد ذلك، اشترك في معارك السويداء الثانية وصلخد ومعارك اللجاه، ثم انتقل إلى الأزرق مع المجاهدين، عاد بعدها في سنة ١٩٢٧ إلى جبل العرب، واستقرّ في بلدة سهوة البلاطة، فعمل في الزراعة مدة طويلة من الزمن، وقد رُزق سنة ١٩٣٧ بولد وحيد أسماه كرم[٧٠].

بقي المجاهد قبلان في بلدة سهوة البلاطة حتى جلاء الفرنسيين عن لبنان، فعاد في سنة ١٩٤٦ إلى بلدته مجدليا، وكان وضعه المادي ميسوراً، فاشترى عدداً من العقارات والأراضي الزراعية، ثم عمل في الزراعة والتجارة ردحاً، واستمر في بلدته إلى أن توفاه الله سنة ١٩٧٣[٧١].

١٩

المجاهد حسين يوسف سويد
١٨٩٠-١٩٧٢م

وُلد المجاهد حسين سويد في قرية بعلشميه – قضاء عالَيه، سنة ١٨٩٠، فشبّ وترعرع في بيت متوسط الحال، فعمل في الزراعة إلى جانب أبيه وإخوته. وفي سنة ١٩١٢ تزوّج من وردة الدنف من بلدته، ثم انتقل سنة ١٩١٤ مع عائلته إلى سوريا، بعدما حلّت المجاعة في لبنان، فسكن في قرية سهوة البلاطة في محافظة السويداء. في هذه البلدة عمل في الزراعة، فعاش ميسوراً، إذ أقام علاقات جيدة مع معظم أبناء هذه القرية، وخصوصاً مع آل الحناوي[٧٢].

استمر حسين يعمل في سهوة البلاطة بجد ونشاط، فعُرف بنزاهته وإخلاصه في العمل، كما امتاز بصلابة موقفه وجرأته وقول الحق بلا مواربة، فأحبه الجميع، ولم يعاده أحد. في هذه البلدة الوديعة، عاش حسين وتنقل يعمل في القرى المجاورة، إلى أن نشبت الثورة السورية الكبرى بقيادة سلطان باشا الأطرش، فهبّ حسين إلى جانب إخوانه من أبناء سهوة البلاطة إلى قتال المستعمر الفرنسي، بعد استفحال إجراءته القمعية وأعماله البربرية، التي شاهدها حسين بأم عينه، في محافظة السويداء[٧٣].

أسهم حسين في معركة المزرعة في ٢ – ٣ آب ١٩٢٥، ثم في معركة المسيفرة إلى جانب المجاهد سالم الحناوي، فأُصيب في هذه المعركة إصابات بالغة، حيث اقتحم حصون الفرنسيين على مداخل تلك البلدة، فتمّ نقله إلى خارج المعركة، ثم نقله رفقاؤه إلى بلدة سهوة البلاطة للمعالجة، حيث استمر فترة من الزمن، عاد بعدها إلى متابعة مسيرة النضال، فأسهم في معارك الغوطة إلى جانب المجاهد محمد عز الدين الحلبي، ثم في معارك اللجاه ومعارك الثورة الأخيرة، ثم انتقل إلى الأزرق برفقة المجاهدين، ثم

عاد إلى جبل العرب في ١٩٢٧، إلى قرية سهوة البلاطة، ومتابعة عمله في زراعة الأرض وجني المحاصيل وتربية الماشية(٧٤).

سنوات عدة عاشها حسين في عمله في الأرض، وفي نفسه حنين يشدّه إلى ذكريات تلك الأيام المشرقة، وهكذا هبّ الذين هبّوا في صيف ١٩٣٦ للإسهام في ثورة فلسطين ضد المستعمر البريطاني والصهاينة، فقد آمن هؤلاء أن النضال واحد لا يتجزأ، وأن تحرير أي قطر عربي هو نصر للأمة كلها.

انطلق المجاهد حسين سويد مع مجموعة من المجاهدين من جبل العرب وعلى رأسهم البطل محمود أبو يحيى إلى فلسطين، للإسهام في معاركها المظفرة، فاشترك في معركة بلعا حيث استشهد رفيقه محمود أبو يحيى، كما أسهم في معارك جبع وكفرصور وجنين وغيرها، عاد بعدها مع القائد فوزي القاوقجي بعد شهرين من المواجهات الضارية في فلسطين، حيث انسحب المجاهدون إلى شرق الأردن، ثم انتقل حسين إلى جبل العرب.

عاد المجاهد حسين من جديد إلى بلدة سهوة البلاطة، فاستقر فيها، ثم تابع عمله في الزراعة ردحاً من الزمن، يصارع الحياة ويتمرّد على المحن، فعمل بجدّ ونشاط، فربّى عائلته المكونة من ستة أشخاص من تعبه وجنى يديه، واستمر في هذه البلدة حتى أوائل الخمسينات، عاد بعدها إلى لبنان، إلى مسقط رأسه بلدة بعلشميه، فاستقر فيها، إلى أن توفاه الله سنة ١٩٧٢، فودّع حياة مديدة قضاها في الجهاد والكفاح في سبيل استقلال بلاده وحريتها.

هوامش المجاهدون المنفردون

١. مقابلة شخصية مع نجله فؤاد أبو تين في بلدة بعقلين في ٢٠٠٢/٩/٢٧.

٢. مذكرات سلطان باشا الأطرش، مرجع سابق ص ١٧٠، ٢٣٠ ج١، وص ١١ و١٣ و١٩ و١٥٣ ج٢.

٣. مقابلة شخصية مع نجله في ٢٠٠٢/٩/٢٧.

٤. وثيقة موجودة من أوراق فؤاد أبو تين.

٥. مقابلة شخصية مع ابن أخيه عفيف داود حماده في بعقلين في ٢٠٠٢/٨/٢٦.

٦. مقابلة شخصية مع ابن أخيه عفيف داود حماده في بعقلين في ٢٠٠٢/٨/٢٦.

٧. مقابلة شخصية مع السيد أنور بك حماده في بعقلين في ٢٠٠٢/١٠/١٥.

٨. مقابلة شخصية مع السيد رجا سلوم رضي الدين في بعقلين في ٢٠/٨ و ٢٠٠٢/٩/٢٧.

٩. مذكرات سلطان باشا الأطرش، مرجع سابق ص ١٧٠.

١٠. مقابلة شخصية مع ابنة المجاهد محمد وهي زوجة السيد رجا سلوم في منزلهما في بعقلين في ٢٠٠٢/١٠/٢٠.

١١. مقابلة شخصية مع السيد رجا سلوم رضي الدين في ٢٠٠٢/٩/٢٧.

١٢. مذكرات سلطان باشا الأطرش، مرجع سابق ص ١٧٠.

١٣. مقابلة شخصية مع السيد رجا سلوم رضي الدين والسيد غسان الغصيني في ٢٠٠٢/١٠/١٢ في بعقلين.

١٤. يوميات أكرم زعيتر، الحركة الوطنية الفلسطينية، مرجع سابق، ص ٢٠٧.

١٥. مذكرات سلطان باشا الأطرش، مرجع سابق ص ١٧٠.

١٦. مقابلة شخصية مع قريبه رجا سلوم رضي الدين في ٢٠٠٢/٩/٢٧.

١٧. مقابلة شخصية مع الشيخ أبو فؤاد توفيق صعب في الكحلونية في ٢٠٠٣/٦/٥.

١٨. من أوراق أسعد سليم.

١٩. مذكرات سلطان باشا الأطرش، مرجع سابق ص ١٧٠ و٢٠٢ و٢٣٠ ج١، ج٢ ص ١٣ و١٤.

٢٠. مذكرات سلطان باشا الأطرش، مرجع سابق ج٢ ص ٢٥.

٢١. مذكرات سلطان باشا الأطرش، مرجع سابق ج٢ ص ١٥٣.

٢٢. مقابلة شخصية مع الشيخ أبو فؤاد توفيق صعب في ٢٠٠٣/٦/٥.

٢٣. أدهم آل جندي، ص ٢٤٦.

٢٤. فلسطين في مذكرات القاوقجي، إعداد خيرية قاسمية، ص ٢٣ و٢٦ و٢٨ و٥٣ و٥٥ و٦٣ و٦٤.

٢٥. يوميات أكرم زعيتر، مرجع سابق، ص ٢٢١.

٢٦. مقابلة شخصية مع الشيخ أبو أمين فايز صعب في الكحلونية في ٢٠٠٣/٧/٩ حيث ذكر لنا، أن كل منزل في الكحلونية قام بتقديم ذبيحة في ضيافة المجاهد حمد صعب، ولم يبق منزل في الكحلونية إلا واستضافه وأكرمه، كذلك في بلدة مزرعة الشوف.

٢٧. أدهم آل جندي، ص ٢٤٦.

٢٨. مقابلة شخصية مع نجله الشيخ توفيق حسين ضو في بشتفين في ٢٠٠٢/٥/٢٥.

٢٩. مقابلة شخصية مع نجله الشيخ توفيق حسين ضو في بشتفين في ٢٠٠٢/٦/٣.

٣٠. مقابلة شخصية مع الشيخ علي حسين بو رسلان في بلدة رأس المتن في ٢٠٠٢/٥/٢٩.

٣١. لقاء شخصي مع حفيده كمال خليل رشيد أبو ضرغم في بلدة دميت في ٦/١٤ و ٢٠٠٢/٧/٢٥.

٣٢. لقاء شخصي مع الشيخ توفيق حسين ضو في بشتفين في ٢٠٠٢/٦/٣.

٣٣. مقابلة شخصية مع الشيخ أبو أسعد أمين خطار نصر في كفرفاقود في ٢٠٠٣/٦/٢٠.

٣٤. مقابلة شخصية مع زوجته ليندا أبو إسماعيل نصر في كفرفاقود في ٢٠٠٢/٦/٥.

٣٥. مقابلة شخصية مع الشيخ أمين نصر في كفرفاقود في ٢٠٠٣/٦/٢٠.

٣٦. أدهم آل جندي، ص ٤٢٧.

٣٧. مقابلة شخصية مع الشيخ أمين نصر في كفرفاقود في ٢٠٠٣/٦/٢٠.

٣٨. لقاء شخصي مع حفيده كمال خليل رشيد أبو ضرغم في بلدة دميت في ٢٠٠٢/٦/٥.

٣٩. مقابلة شخصية مع نجله راجي يوسف القعسماني في بعقلين في ٢٠٠٢/٩/٢٧.

٤٠. مقابلة شخصية مع السيد فؤاد سعيد أبو تين في بلدة بعقلين في ٢٠٠٢/٩/٢٧.

٤١. مقابلة شخصية مع نجله في ٢٠٠٣/٦/١٧.

٤٢. مقابلة شخصية مع نجله محمد حسين حماد في عين زحلتا في ٢٠٠٣/٦/١٨.

٤٣. مذكرات سلطان باشا الأطرش، ص ١٧٠.

٤٤. جريدة البشير عدد ٨ تموز وعدد ١٠ و ١٣ تموز ١٩٢٦.

٤٥. روى هذه الحادثة الأمير عادل أرسلان لنجله محمد عندما زاروه في منزله في بيروت في شهر آب ١٩٥٣ وقال لهم الأمير عادل: «إن والدك كان من أعز المجاهدين عندي».

٤٦. مقابلة شخصية مع نجله نجيب الأعور في قرنايل في ٢٠٠٣/٦/٢٢.

٤٧. مقابلة شخصية مع نجله نجيب الأعور في قرنايل في ٢٠٠٣/٦/٢٢.

٤٨. مذكرات سلطان باشا الأطرش، ص ١٧١.

٤٩. جريدة لسان الحال، عدد ١٩٢٨/٦/٢٠.

٥٠. مقابلة شخصية مع نجله ٢٠٠٣/٦/٢٢.
٥١. البيرق عدد ٢٣ حزيران ١٩٣٧.
٥٢. مقابلة شخصية مع نجله أبو يوسف سليمان شرف الدين في السمقانية في ٢٠٠٣/٦/٢٣.
٥٣. مقابلة شخصية مع نجله والجدير بالذكر أن سلطان باشا الأطرش لم يذكر اسمه على الرغم من بطولاته، شأنه كالعديد من أبطال الثورة المنسيين.
٥٤. مقابلة شخصية مع نجله ٢٠٠٣/٦/٢٣.
٥٥. مقابلة شخصية مع حفيده محمد فندي الأعور في بلدة رساس – السويداء جبل العرب في ٢٠٠٣/٦/٢٥.
٥٦. روى لنا نجل المجاهد فندي الأعور، أن المجاهدين الدروز في لبنان سطّروا ملاحم بطولية في معركة كفرصور ومنهم ملحم سلوم رضي الدين الذي انقضّ على الدبابة وقتل قائدها واستشهد على جناحها.
٥٧. مقابلة شخصية مع نجله نواف خطار هرموش في السمقانية في ٢٠٠٣/٦/٢٤.
٥٨. مذكرات سلطان باشا الأطرش ج١ ص ١٧٠ – ٢٠١ و ٢٥٥ وج٢ ص ١٩ و ٢٠.
٥٩. مذكرات سعيد العاص، صفحة من الأيام الحمراء، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط١ ١٩٨٨، ص ١٦٤.
٦٠. أدهم آل جندي، ص ٣٧٨.
٦١. مذكرات سلطان باشا الأطرش، ص ٢٠.
٦٢. مقابلة مع أخيه نواف في ٢٠٠٣/٦/٢٤.
٦٣. مقابلة شخصية مدوّنة معه قبل وفاته في ١٩٩٠/٤/٥ ولقاء شخصي مع نجله رياض هزيمة زهر الدين في ٢٠٠٣/٧/١٥.
٦٤. مقابلة شخصية مع الشيخ أمين سعد الدين وزوجته حبوس حسين البتلوني ابنة أخ أحمد في جباع في ٢٠٠٣/٨/٤.
٦٥. مقابلة شخصية مع حفيده أحمد البتلوني، في بقعاتا في ٢٠٠٣/٨/٢١.
٦٦. مذكرات سلطان باشا الأطرش، ص ١٧٠، وكلام حفيده أحمد البتلوني في ٢٠٠٣/٨/٢١.
٦٧. مذكرات سعيد العاص، ص ١٦٣.
٦٨. سلامة عبيد، الثورة السورية الكبرى على ضوء وثائق لم تنشر بعد، عبيه ط١ ١٩٧١ ص ٤٦٣.
٦٩. و ٧٠. مقابلة شخصية مع نجله كرم قبلان حيدر في ٢٠٠٢/٥/١٠.
٧١. مقابلة شخصية مع حفيده مازن كرم حيدر في بلدة مجدليا في ٢٠٠٣/٨/٢٠.

٧٢. مقابلة شخصية مع حفيده أسد سويد في ٢٢/٨/٢٠٠٣.

٧٣. مذكرات سلطان باشا الأطرش، ج١ ص ١٧٠.

٧٤. مقابلة شخصية مع أسد سويد في ٢٢/٨/٢٠٠٣.

الخاتمــة

في ختام هذه المذكرات، هذا البحث، هذه الدراسة الميدانية، لا بد من تسجيل الملاحظات التالية:

أولاً: إن دراسة موضوع سيرة المجاهدين في يومنا هذا، بعد انقضاء ما يقارب ستة عقود على أعمالهم، عمل يكتنفه العديد من الصعوبات والعقبات، حيث أن أفراداً قليلين منهم ما زالوا أحياء. وإن تناول أعمالهم يعود إلى الأحاديث المروية التي نقلها لنا، أولادهم وأحفادهم وأقاربهم، وهذه الأحاديث تتكل في معظمها على الذاكرة. ولقد أخذت مني هذه الوقائع المرويّة وقتاً طويلاً، في البحث والتنقيب في أرشيف الجامعة الأميركية، على أشرطة الميكروفيلم، للتأكد من صحتها وثبت وقوعها وتاريخ حصولها.

ثانياً: إن قسماً كبيراً من مذكرات وأوراق بعض المجاهدين، الذين دوّنوا أحداث الثورة، قد فُقدت واندثرت، ولم يهتم أحد بها يومذاك، حيث أن أصحابها لم يهتم بهم أحد من القيادات والحكومات.

ثالثاً: إن قسماً كبيراً من الأحداث والأسرار قد دُفنت مع أصحابها، حيث أن نشرها قد يؤذي بعض الأشخاص، أو قد تفسّر تفسيراً خاطئاً.

هؤلاء المجاهدون المناضلون، الذين نزح قسم منهم بعد نهاية الثورة السورية إلى الصحراء، وعاشوا ١٢ سنة أمضوها في المنفى مع سلطان باشا الأطرش، وقسم آخر عاد إلى بلدته وقريته، يعيشون فيها كفاف العيش. هؤلاء المجاهدون كانوا في أواخر الثلاثينات، يراقبون الأمور والأحداث، والمهازل والمآسي، يقاومونها في قراهم مع أبناء وطنهم المخلصين،

لإحباط دسائس المستعمرين، ويعملون لتحقيق الغاية التي من أجلها أعلنوا الثورة والجهاد.

هؤلاء المجاهدون عاشوا لوطنهم وأمتهم، فلم يقدّم لهم الوطن حقهم أثناء حياتهم، من وسائل الرفاهية والنعيم، ولم يرعَ كبار المسؤولين حق الجهاد والمجاهدين، ولم يرتفع صوت في الأمة يقول للحاكمين، الذين تولوا الحكم بفضل الدماء والأشلاء، التي سفكت في سوريا ولبنان وفلسطين والأردن والعراق، وتناثرت على سفوحها وجبالها: هؤلاء المجاهدون عاشوا لوطنهم، وأفنوا زهرة شبابهم لأجل حريته، فليسعد بنعمة العيش، لتقرّ عين الجهاد.

إنها من المآسي التي تهدم الكيان القومي، ومن الظواهر المفجعة في حياة الحكومات التي لا تقدّر شرف الجهاد وكرامة التضحية.

وحدها فقط، في مطلع السبعينات من القرن العشرين، كانت عطاءات القائد الراحل الرئيس حافظ الأسد، رئيس الجمهورية العربية السورية، خير هدية قدمها بطل الجهاد لرجال الجهاد، حيث خصّ المجاهدين الشهداء والأحياء وأُسرهم براتب تقاعدي شهري، كعربون وفاء وتقدير. فردّ لهم حقهم في الكرامة والحياة الكريمة، وأشعرهم بأن أمتهم تسدد الدين، الذي في عنقها ولا يمكن أن تنسى أبناءها المخلصين.

وإنني إذ أختم هذا الكتاب بأبيات للشاعر القروي رشيد الخوري، من قصيدة ألقاها في ١٣ أيار ١٩٣٣ في البرازيل، تكريماً للمجاهدين، بعنوان «بطل الصحراء»:

يا شريداً عن البلاد طريداً ... أنت في كل معبد من بلادك
كل ما في أقلامنا من مضاء ... مستمد من مرهفات حدادك
كل سبق في شعرنا وانتصار ... هو من ملهمات خيل طرادك
كل ما في صدورنا من لهيب ... هو إضرام وريّه من زنادك
كل ما في هتافنا من دوي ... هو ترجيع نبضة من فؤادك
كل ما في آثارنا من خلود ... هو تاريخ ساعة من جهادك
كل أمجادنا بناتك يا من ... قد أضفت المنفى إلى أمجادك
أيها المنجد المحاويج عار ... أن نصمّ الأسماع عن إنجادك

لو فرشنالك الجفون مهاداً	وجعلنا الأهداب حشو وسادك
ما جزيناك ساعة من ليالٍ	بت عنّا على حراب سهادك
كل حرٍّ فداك يا فادي الشام	وأولاده فـــتـــدى أولادك

المجاهدون بالصورة

في الصفحات التالية عرض لصور
المجاهدين التي تمكنا من
الحصول عليها.

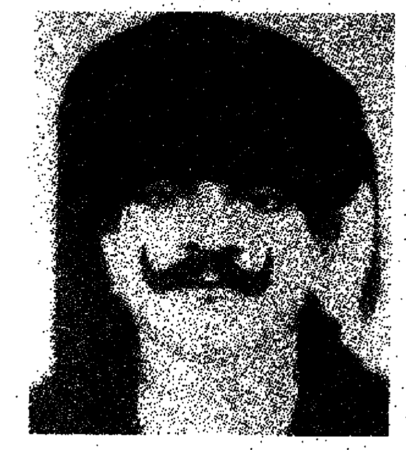
ملاحظة: مؤسسة التراث الدرزي مستعدة لاستقبال أيّة تصحيحات بشأن الرسوم المدرجة في الصفحات التالية وإضافة أي جديد إليها من قبل القرّاء.

من مجموعة المجاهد حسن ثابت

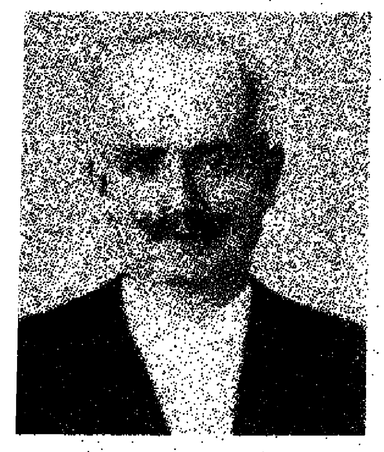


محمود يوسف عبد الباقي

مجموعة المجاهد فندي أبو ياغي زهر الدين



فندي أبو ياغي زهر الدين



علي يوسف حسين طربيه



قاسم حسين زهر الدين



علي حسين أبو اسماعيل



مطر سليم مطر



حسين علي شبلي ضو

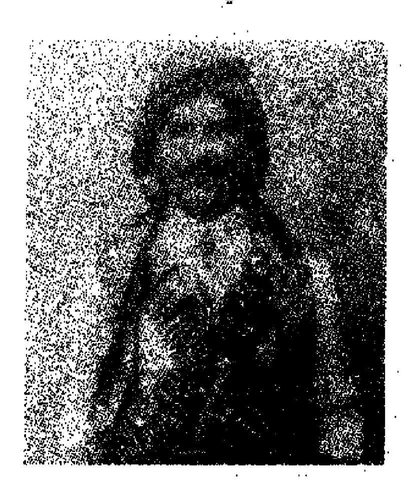
مجموعة المجاهد أحمد هاني



أحمد سليمان هاني



هاني يوسف الدلغان

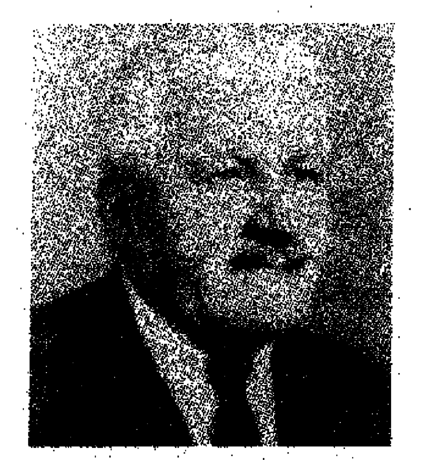


شمس محمود الحسنية

مجموعة المجاهد شكيب وهاب



شكيب أسعد وهاب

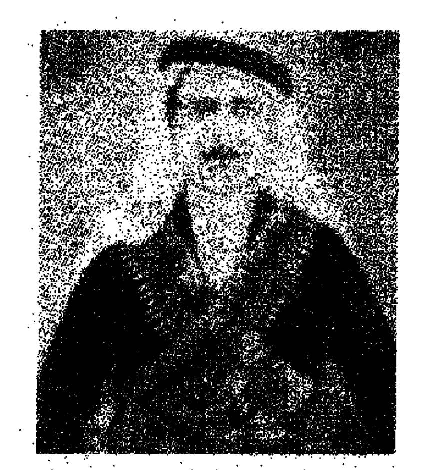


أحمد علي فهد عبد الباقي



قاسم سعيد مسعود أبو ضرغم

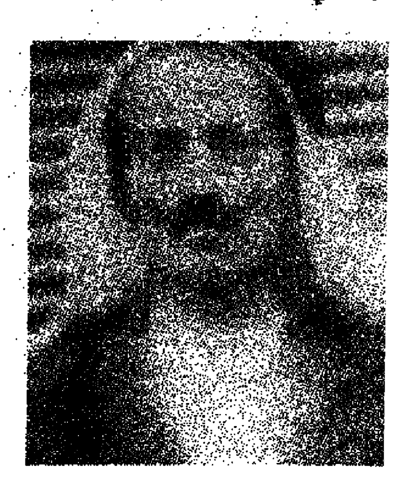
مجموعة المجاهد فؤاد علامة



فؤاد علي علامة



رشيد يوسف راجح



إسماعيل ملحم عبد الحق



صالح العسل

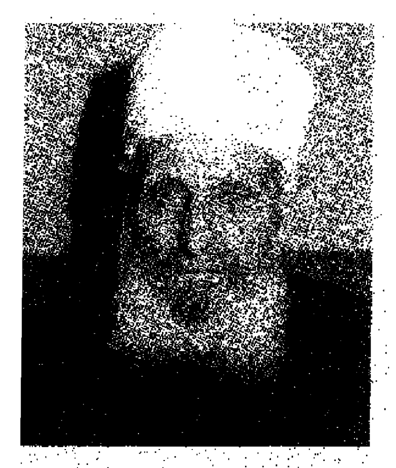


خليل حسين يوسف راجح، مجيد عبد الله راجح ورشيد يوسف سعيد حماده

مجاهدون منفردون



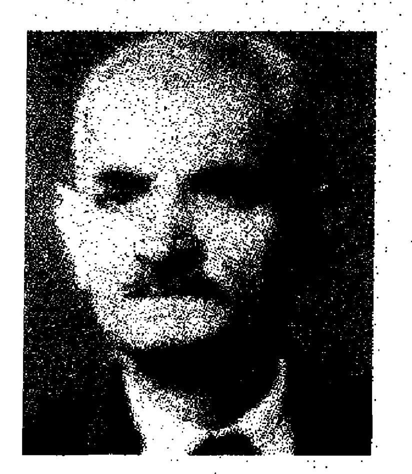
سعيد اسماعيل أبو تين



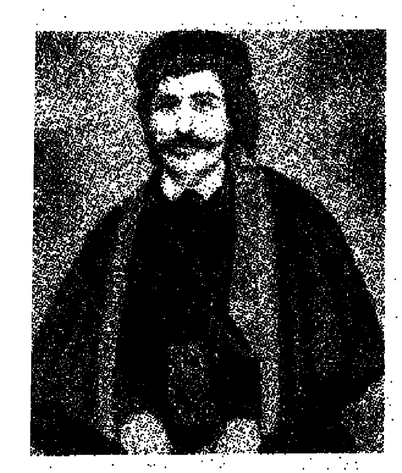
المجاهد حسين محمود ضو



المجاهد رشيد شاهين أبو ضرغم



المجاهد رشيد شاهين نصر



المجاهد حسين محمد حمّاد



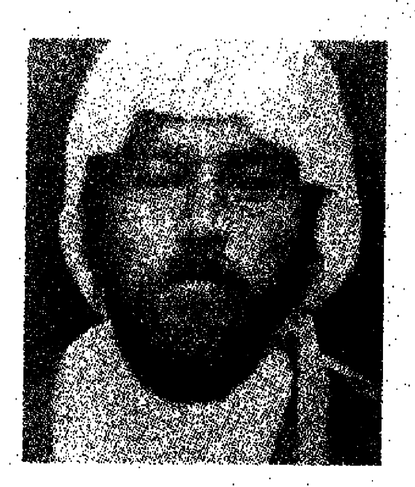
المجاهد هزيمة سعيد قاسم زهر الدين



المجاهد حمد صعب



المجاهد أحمد البتلوني



المجاهد قبلان سليمان حيدر

في نص هذا الكتاب



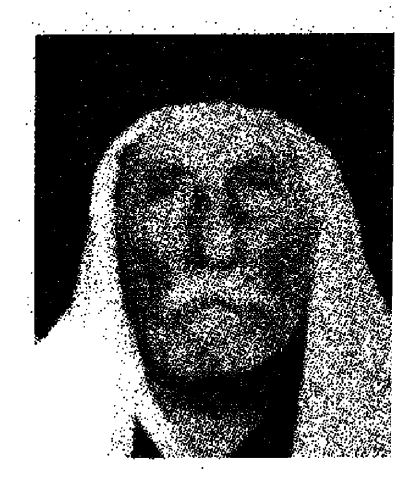
رشيد سلوم رضي الدين



الشيخ حسين علي يوسف ابو رسلان



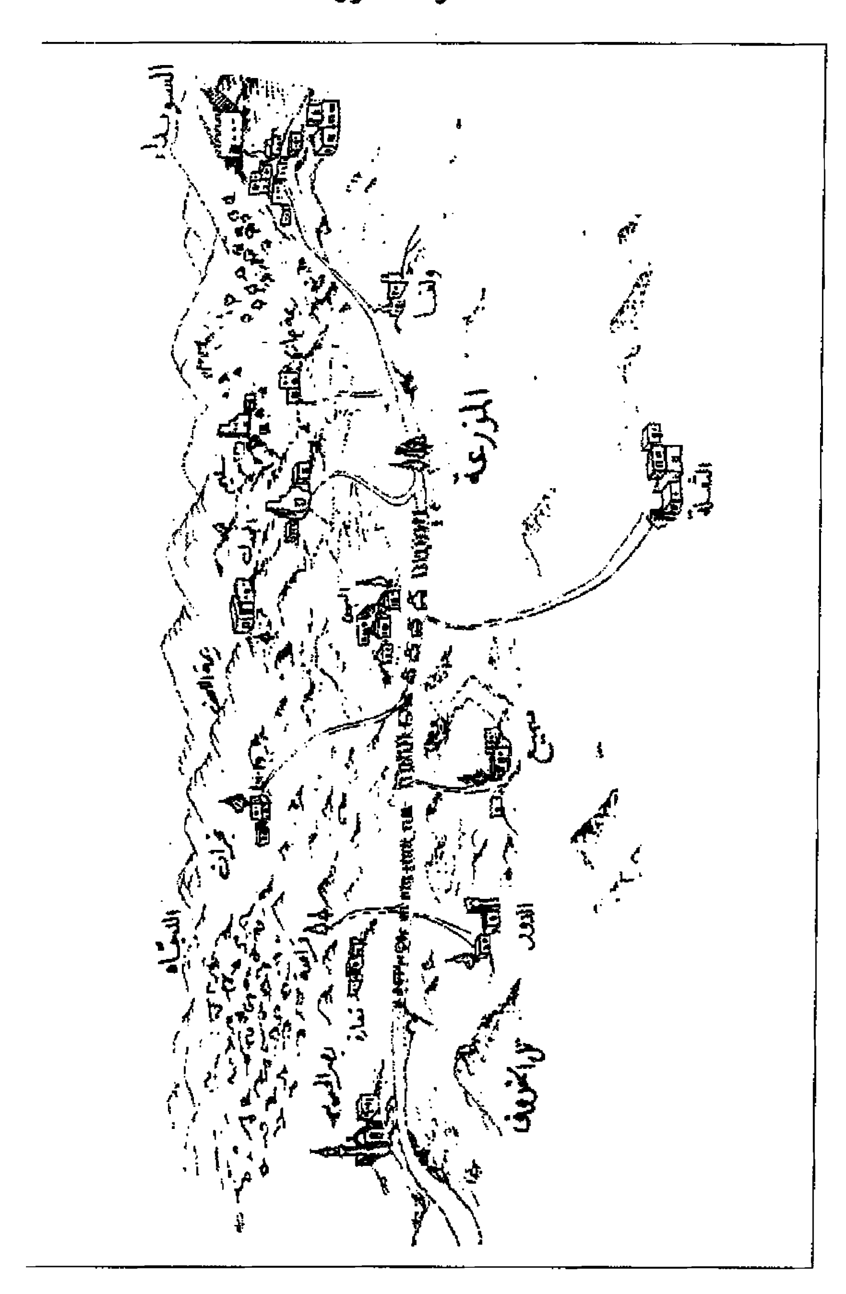
محمد أمين سلوم رضي الدين



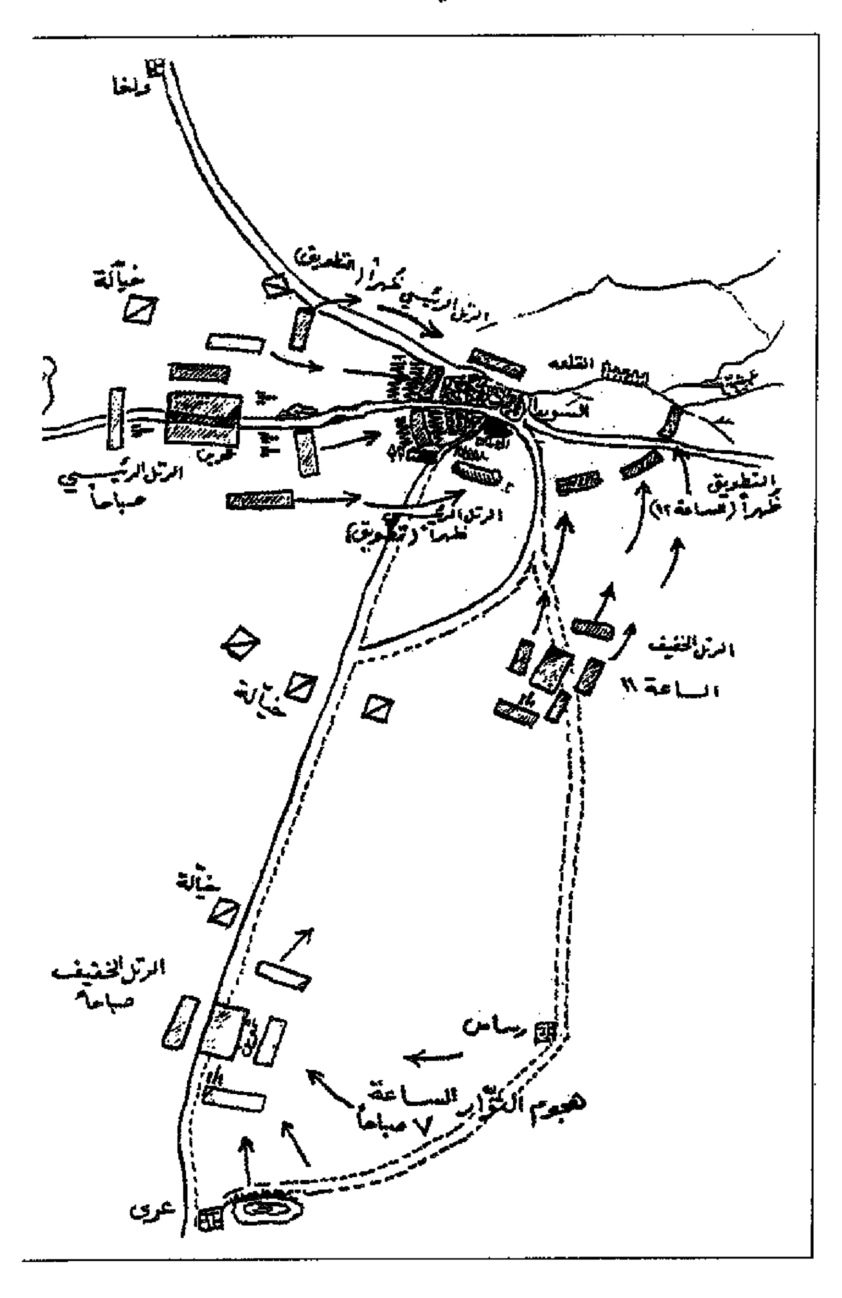
فندي محمد الاعوز

الخرائط ومخططات المعارك

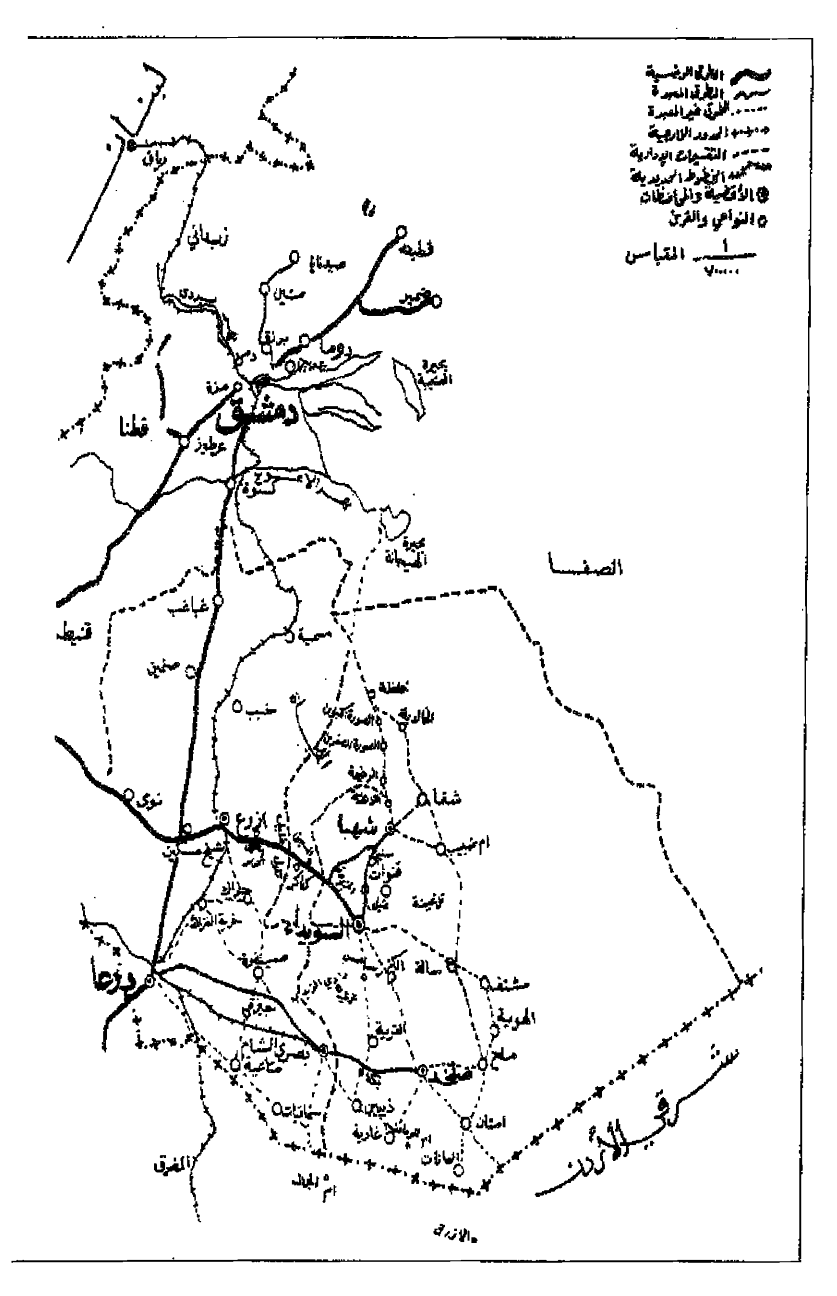
مخطط معركة المزرعة



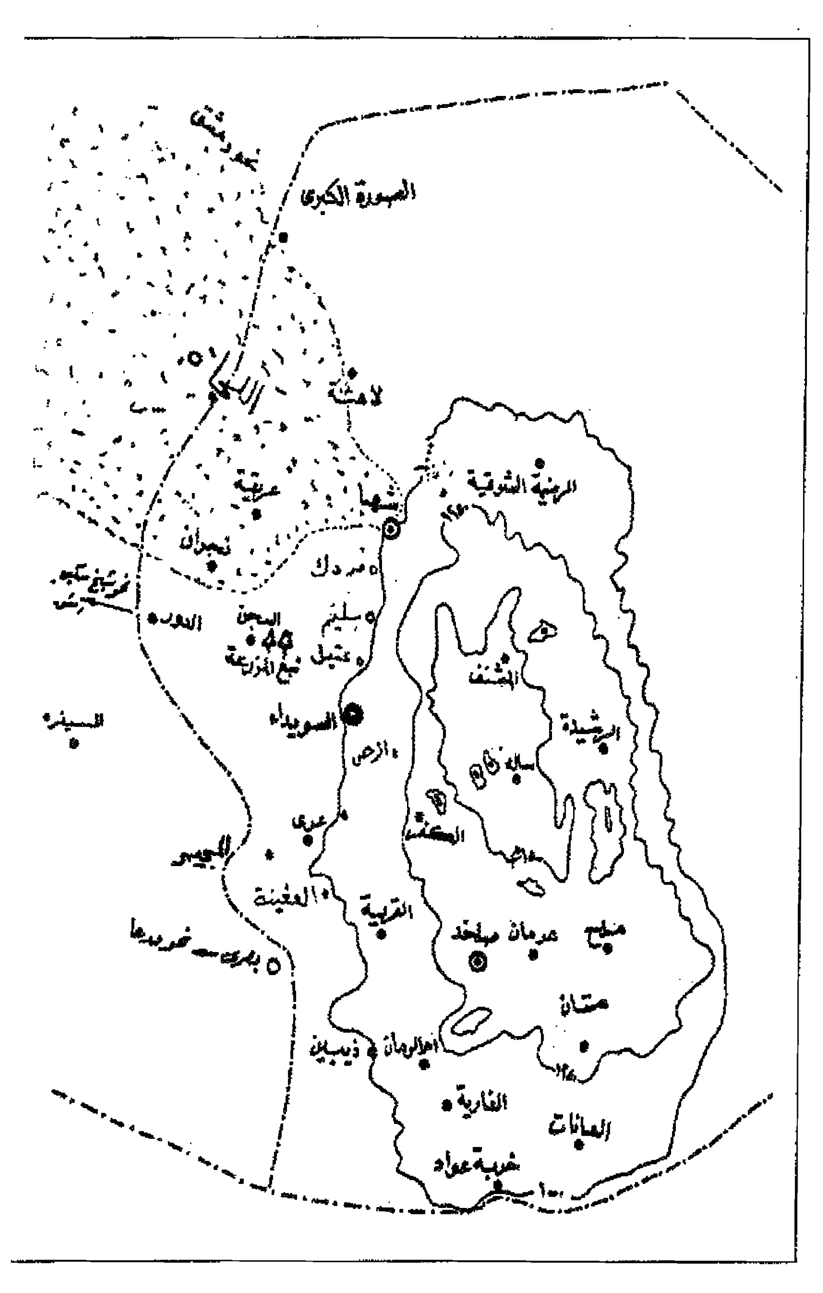
مخطط احتلال السويداء الثاني ٢٥ أبريل ١٩٢٦ «عن أندريا»



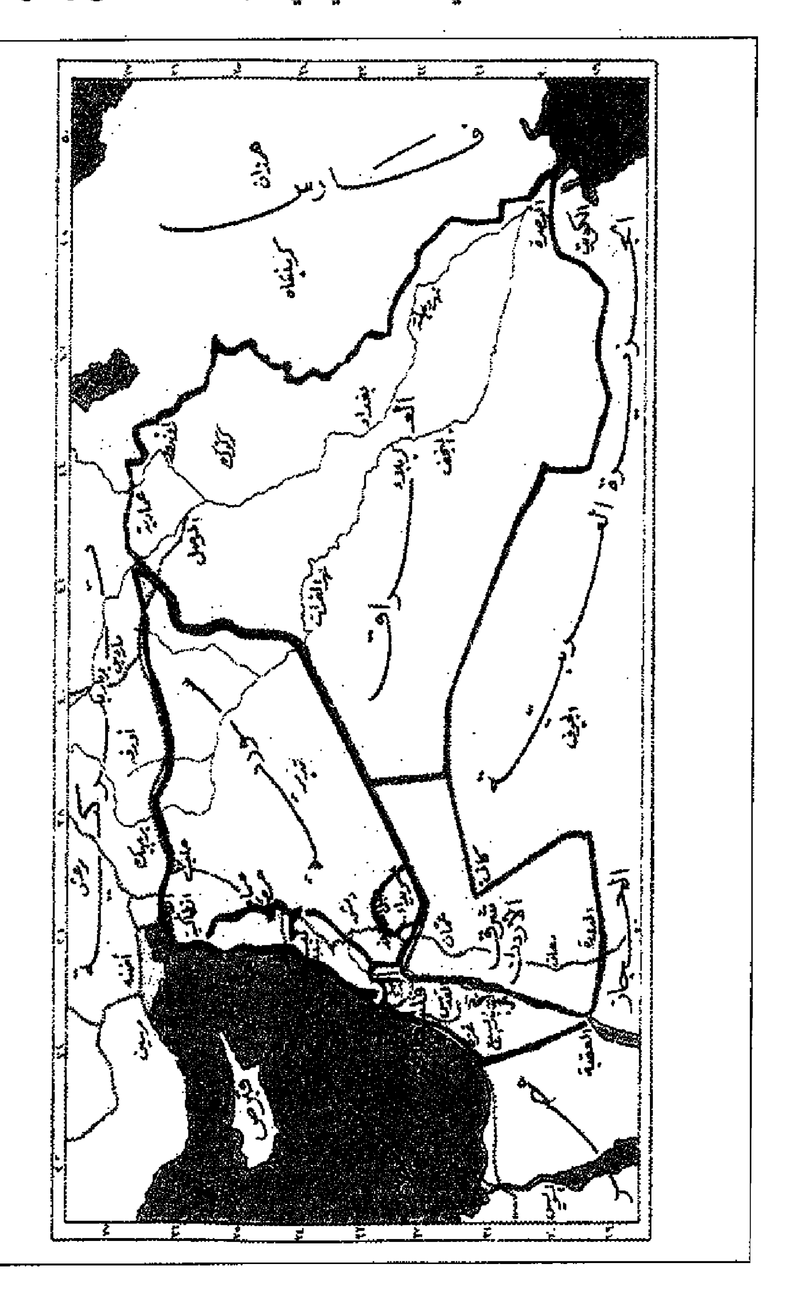
خريطة جبل الدروز



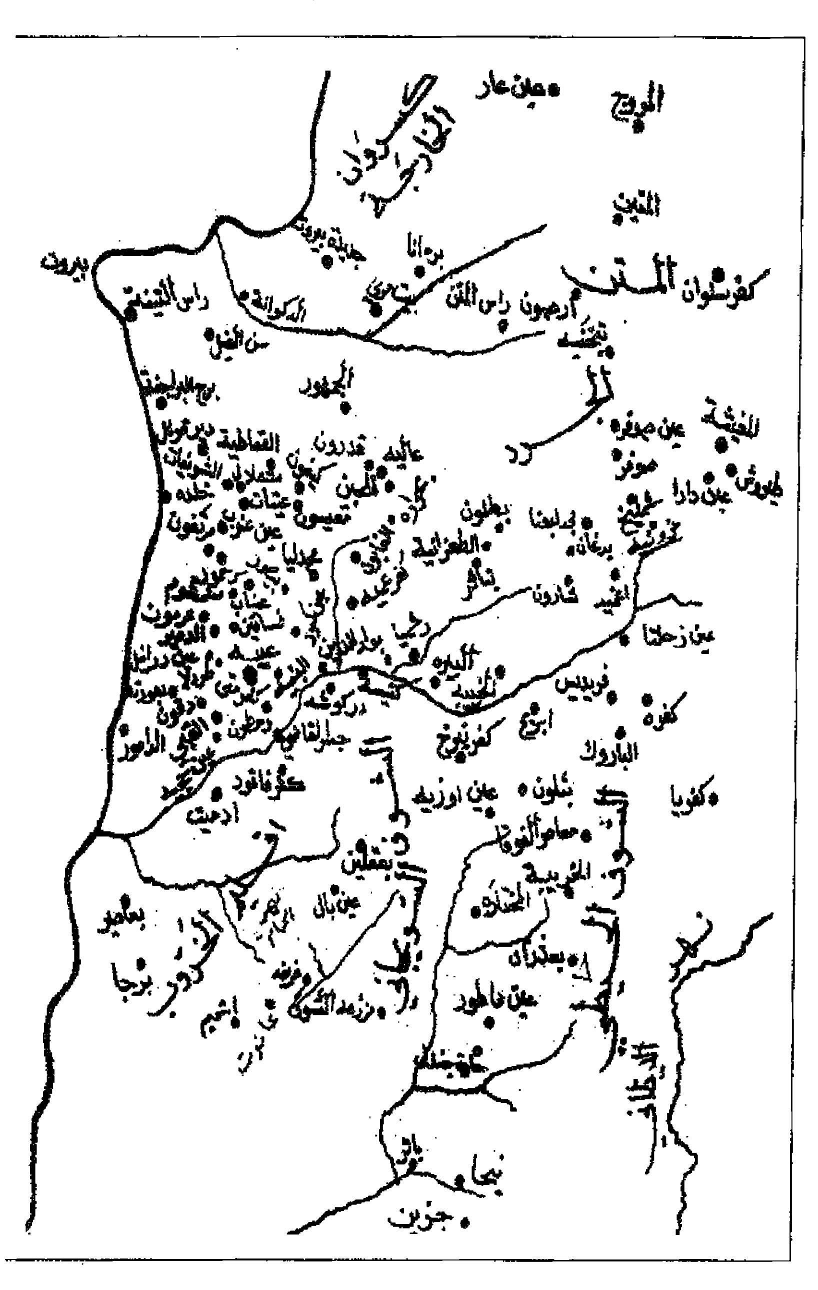
خريطة جبل الدروز



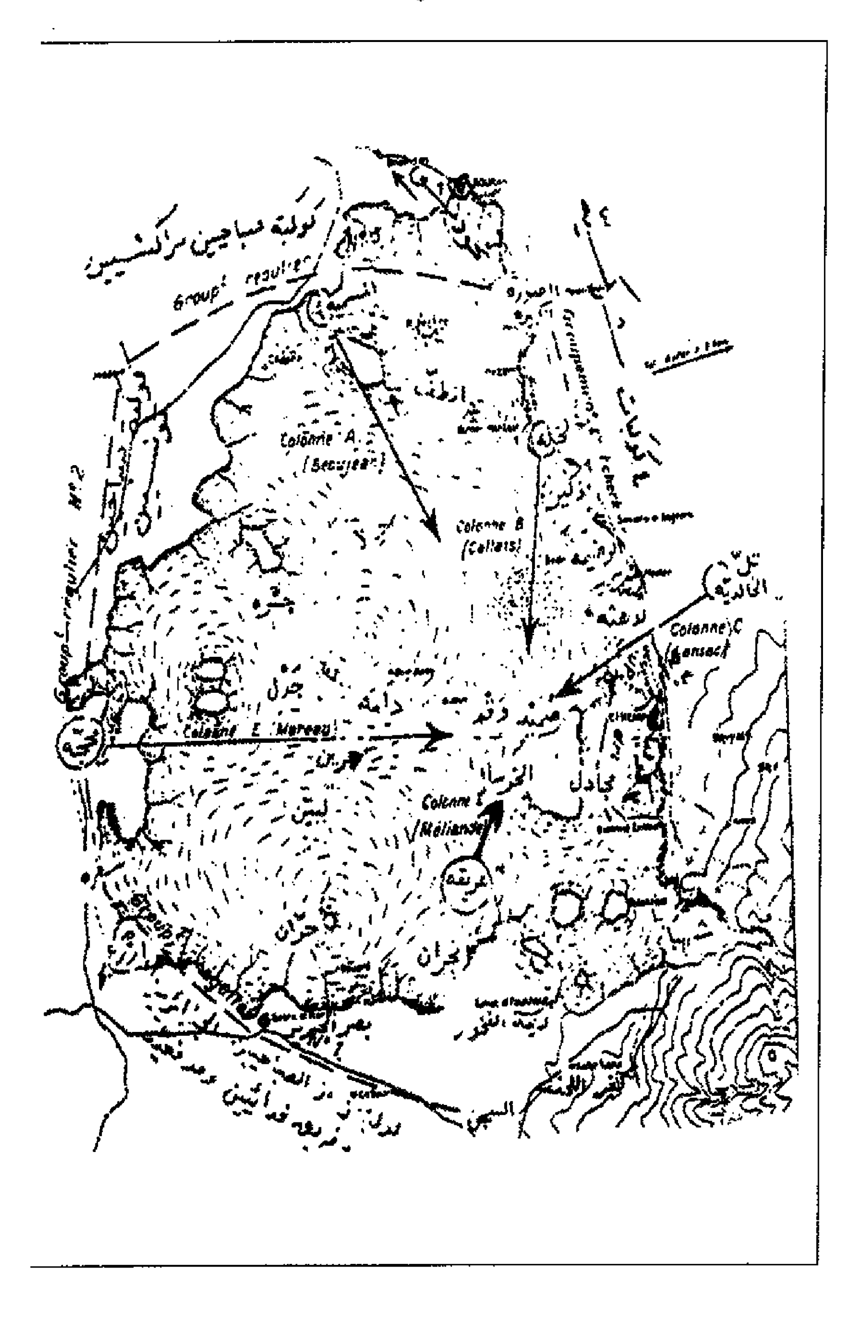
مناطق الإنتداب البريطاني والفرنسي في سورية وفلسطين والعراق



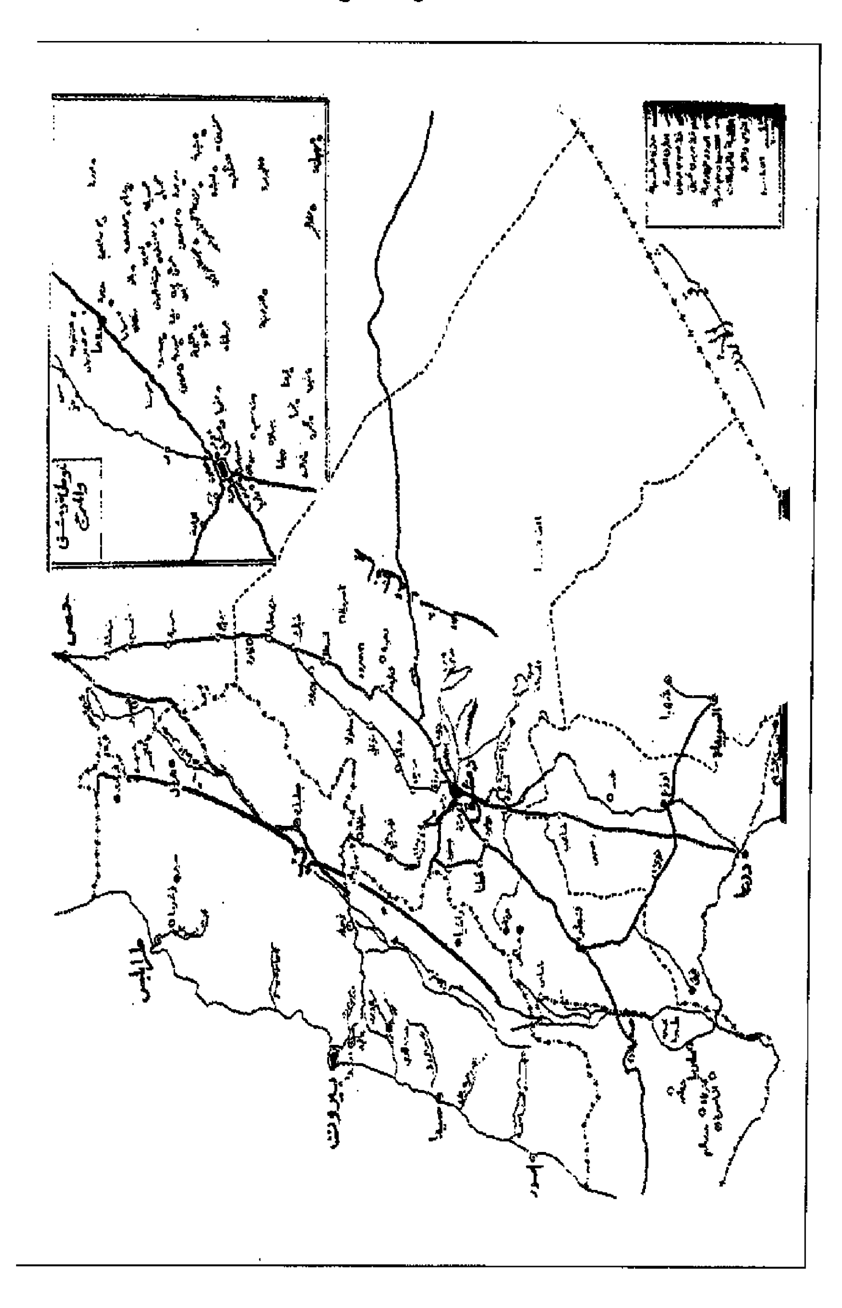
خريطة جبل لبنان



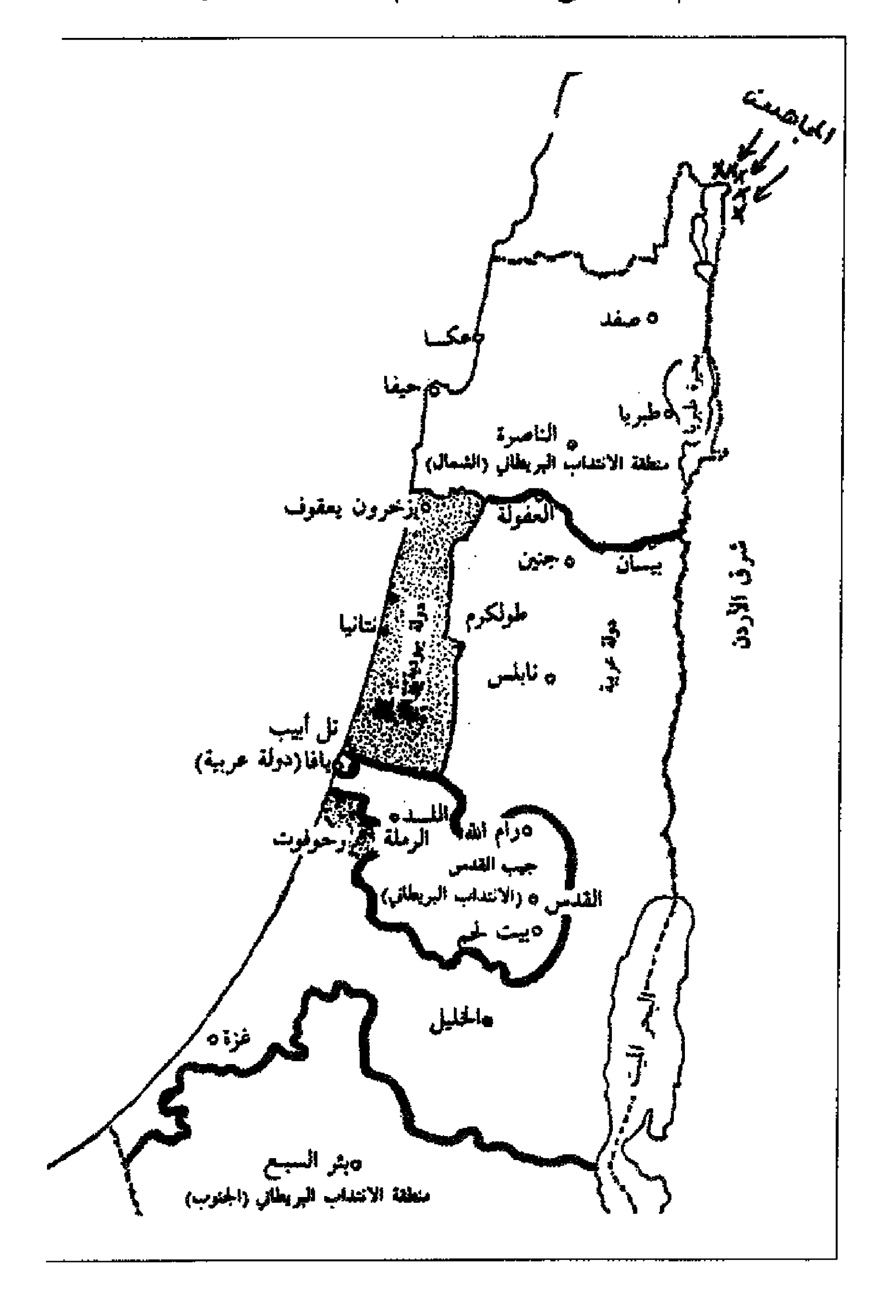
مخطط معارك اللجاه



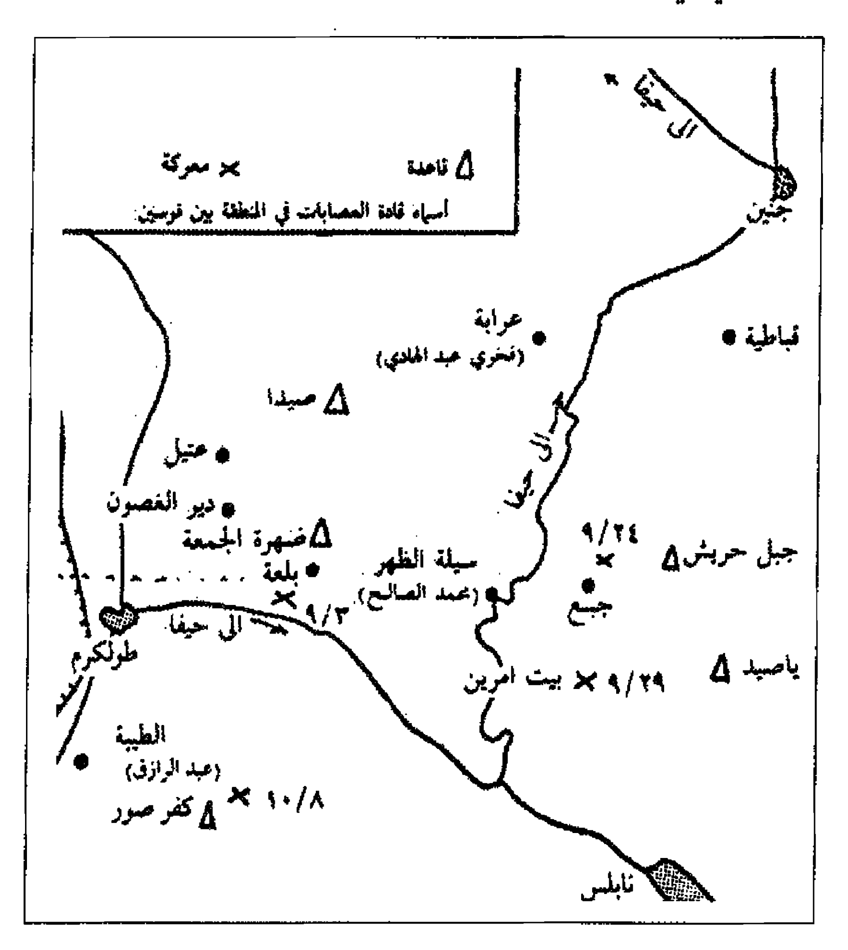
مخطط معارك الغوطة



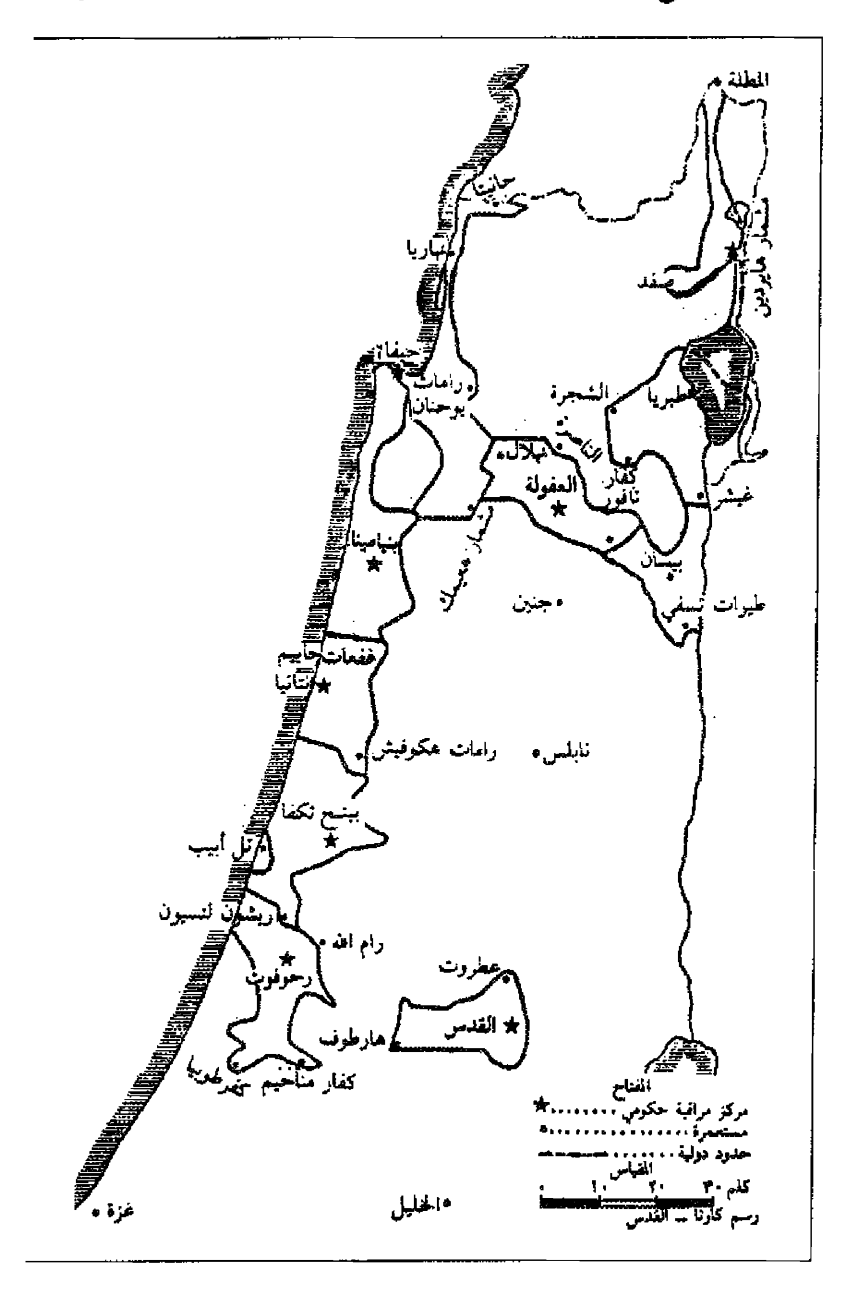
خطة التقسيم (الخطة ج) للجنة تقسيم أرض - اسرائيل (١٩٣٨)



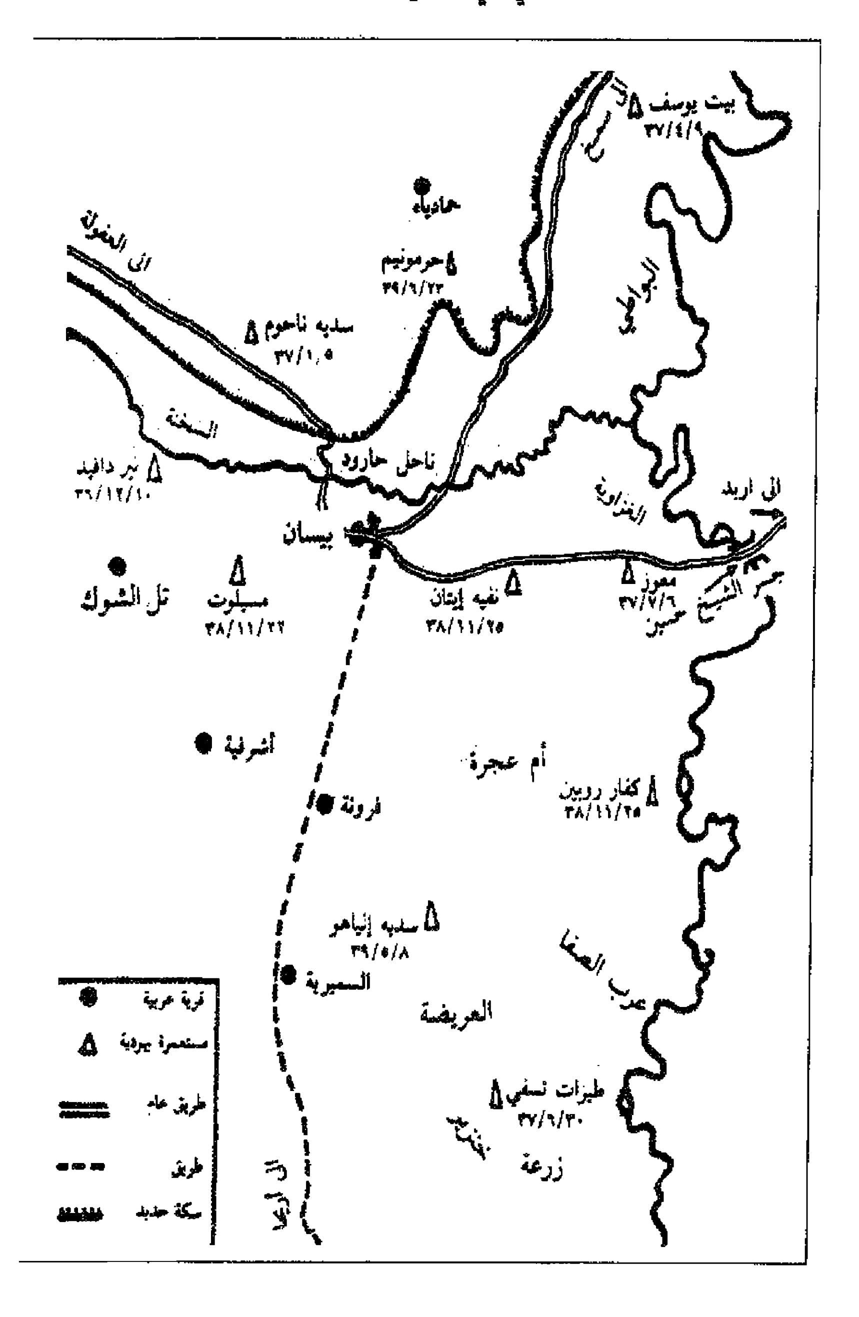
القاوقجي في «المثلث الخطر» ١٩٣٦/٨/٢٢ - ١٩٣٦/١٠/٢٠



مناطق تموضع الكتائب العشر التابعة لـ «شرطة المستعمرات العبرية»



الاستيطان الاحتلالي في سهل بيسان، ١٩٣٧-١٩٣٩



فهرس المصادر والمراجع

إبراهيم الأسود: تنوير الأذهان في تاريخ لبنان، مجلد٢، دار يوسف صادر بيروت، ط١، ١٩٣٠.

إبراهيم حرفوش: دلائل العناية الصمدانية في ترجمة معلي الطائفة المارونية، جونيه – لبنان، ١٩٣٥.

إحسان الهندي: كفاح الشعب العربي السوري، سوريا ط١ ١٩٦٣.

أدهم آل جندي: تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، مطبعة الاتحاد، سوريا، ط١ ١٩٦٠.

أكرم زعيتر: وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ط٢، ١٩٨٤.

أمين أبو عساف: ذكرياتي، دمشق، ط١ ١٩٩٦.

أمين سعيد: الثورة العربية الكبرى، ثلاثة أجزاء، منشورات دار إحياء الكتب العربية، مصر، عيسى البابي الحلبي وشركاه لات.

أمين طليع: الشهيد رشيد بك طليع، ملخص حياته وجهاده، لبنان، ط٢ ١٩٨٢.

الجنرال أندريا: ثورة الدروز وتمرد دمشق، ترجمة حافظ أبو مصلح، المكتبة الحديثة للطباعة والنشر، بيروت ط١ ١٩٧١.

إيغور تيموفييف: كمال جنبلاط، الرجل والأسطورة، دار النهار، ط١ ٢٠٠٠.

باتريك سيل: الصراع على سوريا، دار طلاس، دمشق ط٧، ١٩٩٦.

جان دايه: عقيدة سعيد تقي الدين، دار فجر النهضة، ط١ ١٩٩١.

جورج حنا: من الاحتلال إلى الاستقلال، لبنان في ربع قرن، ط١، بيروت ١٩٤١.

جورج سمنة: Georges Somné, la Syrie, Paris 1920.

حنا أبي راشد: جبل الدروز – سلطان باشا الأطرش، مطبعة الإتقان، مصر، ط١ ١٩٢٥.
خيرية قاسمية: فلسطين في مذكرات القاوقجي ١٩٣٦ – ١٩٤٨، منشورات منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث ودار القدس، ج٢، بيروت ط١ ١٩٧٥.
ستيفن هامسلي لونغريغ: سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ترجمة بيار عقل، دار الحقيقة، بيروت، ط١ ١٩٧٨.
سعيد تقي الدين: ملحق أنا والتنين، دار النهار للنشر، بيروت، ط١ ١٩٦٩.
سعيد الصغير: بنو معروف الدروز في التاريخ، مطبعة الإتقان، بيروت ١٩٥٤.
سعيد العاص: صفحة من الأيام الحمراء، مطبعة دار الأيتام الإسلامية، القدس ١٩٣٥.
سلامة عبيد: الثورة السورية الكبرى على ضوء وثائق لم تنشر بعد، سوريا ط١، ١٩٧١.
سلطان الأطرش: مذكرات، جزءان، مطبعة الشرق، القدس، ط١ ١٩٧٩.
سلطان الأطرش: مذكرات، مخطوطة بقلم الأستاذ يوسف الدبيسي، السويداء – سوريا.
سليمان موسى: صور من البطولة، عمان، الأردن، ط١ ١٩٦٨.
سيرة شهداء الحركة السورية الاجتماعية، ج١، صادر عن عمدة الإذاعة في الحزب السوري القومي، بيروت ١٩٨٦.
عادل أرسلان: مذكرات، تحقيق د. يوسف أيبش، الدار التقدمية، بيروت ط١ ١٩٨٣.
عادل إسماعيل: السياسة الدولية في الشرق العربي من ١٧٨٩ – ١٩٥٨، ج٥، بيروت ١٩٦٢.
عبد الوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط١ ١٩٦٠.
فهد فرحات: برج البراجنة وجاراتها، دار القماطي للطباعة والنشر، بيروت ط١ ١٩٦٠.
مائير زامير: الكيان المسيحي اللبناني، تعريب سليم فارس، دار المروج بيروت، ١٩٨٦.
منير الريّس: الكتاب الذهبي للثورات الوطنية في المشرق العربي، الثورة السورية الكبرى، دار الطليعة، بيروت ط١ ١٩٦٩.

مسعود الخوند: لبنان المعاصر، مشهد تاريخي وسياسي عام، طُبع في لبنان، إصدار خاص.
محي الدين السفرجلاني: تاريخ الثورة السورية، دار اليقظة، دمشق، ط١ ١٩٦١.
نصري سليم: مذكرات، مخطوطة محفوظة لدى أسعد سليم، بقعاتا — لبنان.
نعمان حرب: سلسلة أبطال منسيون، دار مجلة الثقافة، دمشق، ١٩٩٩.
الجنرال هونتزيجر: الكتاب الذهبي لجيوش الشرق (١٩١٨ — ١٩٣٦)، ترجمة إدوار البستاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٣٨.
يوسف الحكيم: سوريا والعهد الفيصلي، دار النهار للنشر، بيروت ط٣ ١٩٨٦.
يوسف صقر: محاضرة أُلقيت في نادي الخريجين في الجامعة الأميركية في بيروت في ٢٠٠٠/٢/٤.
الثورة العربية الكبرى في فلسطين، (٣٦ — ٣٨)، الرواية الإسرائيلية الرسمية، ترجمة أحمد خليفة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ١٩٨٩.

الصحف والمجلات

١. جريدة الاتحاد العربي، طولكرم – فلسطين.
٢. جريدة البشير.
٣. جريدة البيان.
٤. جريدة البيرق.
٥. مجلة ألف ليلة وليلة، صاحبها كرم ملحم كرم.
٦. مجلة الضحى.
٧. مجلة العرفان، مجلد ٣٣.
٨. جريدة بيروت.
٩. جريدة الجبل.
١٠. جريدة الحقيقة.
١١. جريدة الحياة.
١٢. جريدة الديار.
١٣. جريدة لسان الحال.
١٤. جريدة الصحافي التائه.
١٥. جريدة الصفاء.
١٦. جريدة صوت الأحرار.
١٧. جريدة العاصمة.
١٨. جريدة المقطم.
١٩. جريدة الهدى النيويوركية.

المقابلات الشخصية

إبراهيم العسل – بكيفا.
أحمد البتلوني – جباع.
أسد سويد – بعلشميه.
أسعد نسيم سليم – جباع.
أمين محمد أبو خزام – كفرحيم.
أمين سعيد أبو هنا – كفرمتى.
أمين جعفر – بشتفين.
أمين سعد الدين – جباع.
أمين شريف شمس – عاليه.
أمين حسين ملاعب – بيصور.
أمين إبراهيم نصر – كفرفاقود.
أمين خطار نصر – كفرفاقود.
أنور بك حماده – بعقلين.
أنور محمد مطر – مجدليا.
أنيس ملاعب – مجدليا.
بهجات محمد الحسنية – عين وزين.
تركي الأطرش – أشرفية صنحايا – سوريا.
توفيق صعب – الكحلونية.
توفيق حسين ضو – بشتفين.
توفيق محمد هلال – قرنايل.
جاد الله عز الدين الحلبي – السويداء – سوريا.
جميل خليل حرفوش – بعقلين.
جميل قاسم عبد الباقي – عينبال.
حافظ أبو مصلح – عين كسور.
د. حسن البعيني – مزرعة الشوف.
حسين البتلوني – جباع.
حسين علي بو رسلان – رأس المتن.
حسين رشيد راجح – بعقلين.
حسين زهر الدين – شقا – سوريا.
حمد شاهين آمان الدين – كفرفاقود.
حمد شمس الحسنية – عين وزين.
حمزة هايل الأطرش – رساس – سوريا.
خليل قاسم أبو خزام – كفرحيم.
خليل مجيد أبو عماد – ديربابا.
رأفت شزبك – بعذران.
راجي يوسف القعسماني – بعقلين.
رامز محمود زهر الدين – كفرفاقود.

رجا جابر – عبيه.
رجا رضي الدين – بعقلين.
رجا ملاعب – بيصور.
رفيق رشيد حماده – بعقلين.
رشيد حسين راجح – بعقلين.
رشيد عزام – معاصر الشوف.
رشيد قاسم رفاعة نصر – بيروت.
رضوان رضوان – السويداء – سوريا.
رياض هزيمة زهر الدين – كفرفاقود.
رياض طليع – جديدة الشوف.
زاكي ملحم علم الدين – بعقلين.
زهير طليع – جديدة الشوف.
سعيد أبو ضرغم – بعقلين.
سعيد شاهين حمزة – رساس السويداء.
سعيد محمد فياض – بكيّفا.
سعيد حمود ملاعب – بيصور.
سعيد يوسف هاني – بعذران.
سليم محمود خطار – بعذران.
سليم ملحم زهر الدين – كفرفاقود.
سليمان يوسف زهر الدين – السويداء سوريا.
سليمان شرف الدين – السمقانية.
شبلي فارس متعب الأطرش – رساس السويداء.
شفيق سليمان زهر الدين – السويداء سوريا.
صالح القاضي – رساس السويداء – سوريا.
طليع الغريب – كفرمتى.
عارف وهاب – غريفة.
عساف إزرافيل – بشتفين.
عفيف داود حماده – بعقلين.
علي آمان الدين – رساس – السويداء سوريا.
علي عباس الحسنية – عين وزين.
علي يوسف مخيبر – ديركوشه.
غازي صعب – الكحلونية.
غالب علي طربيه – ديربابا.
غسان الغصيني – بعقلين.
فارس شاهين سراي الدين – جديدة الشوف.
الشيخ فايز صعب – الكحلونية.
فايز مرشد – قبرشمون.
فخر الدين هاني – بعذران.
فرحان محمود زهر الدين – كفرفاقود.
فريد عبد الباقي – عينبال.
فضل الله وهاب – السويداء – سوريا.
فؤاد الأحمدية – شارون.
فؤاد سعيد أبو تين – بعقلين.
فؤاد سلمان الدلغان – كفرنبرخ.
فؤاد سعيد شبلي ضو – بشتفين.
فؤاد عبد الباقي – عينبال.
فؤاد حسين علامة – بعذران.
فواز حسين سراي الدين – عترين.
فوزي زيدان – دميت.

قاسم الزغبي – عرى – السويداء – سوريا.
كمال خليل أبو ضرغم – دميت.
كمال رشيد نصر – كفرفاقود.
مازن كرم حيدر – مجدليا.
متعب فندي أبو ياغي زهر الدين – كفرفاقود.
محسن مكارم – قبرشمون.
محمد فندي الأعور – رساس – السويداء.
محمد حسين حماد – عين زحلتا.
محمد مصلح – كفرمتى.
مفيد حمزة – عبيه.
منصور سلطان الأطرش – القريا – السويداء.
ميليا عبد الله حماده – بعقلين.
نايف معضاد زهر الدين – السويداء – سوريا.
نجيب سليمان الأعور – قرنايل.
نديم حمزة – عبيه.
نسيب عباس حسام الدين – كفرنبرخ.
نعيم سعيد مطر – مجدليا.
نواف خطار هرموش – السمقانية.
هايل مجيد راجح – بعقلين.
هزاع طربيه – دميت.
هزيمة سعيد زهر الدين – كفرفاقود.
هيثم حمص – عيحا.
يوسف سعيد ثابت – باتر.
يوسف الدبيسي – السويداء سوريا.
يوسف سعيد هاني – بعذران.

فهرس الأعلام

أ

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

و

ي

فهرس الأماكن

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ز

س

ش

ص

ض

ط

ع

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

ي

